

كامل البهائي

تأليف

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري

المشهور بـ (عماد الدين الطبري)

من علماء القرن السابع الهجري

دار الشؤون

تعمير وتحقيق

محمد شجاع فاخر



كامل البهائي

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري

المشهور بـ (عماد الدين الطبري)

من علماء القرن السابع الهجري



الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ردمك الجزء الثاني : ٢ - ٠٧٢ - ٥٠٣ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 072 - 2

ردمك مشترك : ٠ - ٠٧٣ - ٥٠٣ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 073 - 0



الكتاب : كامل البهاني - ج ٢

المؤلف : الشيخ عماد الدين الطبري

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

عدد المطبوع : ٢٠٠٠ نسخة جلد ٢

سنة الطبع : ١٣٨٤ - ١٤٢٦ هـ

الطبعة : الأولى

عدد الصفحات : ٣٨٠ صفحة وزيري

المطبعة : شريعت

السعر : ٨٠٠٠ تومان سعر الدورة الواحدة

الباب الثاني عشر

في فذك

قال مولانا زين العابدين عليه السلام: كانت أمُّ أمين تذكُّمُ أبا بكر لما ردَّ شهادتها، وقالت: والله ما أنطق لساني بذكِّك حتَّى سمعتُ أذني ذمَّ رسول الله لك.

قال أبي بن كعب: فاطمة عندي صدِّيقة (صادقة - المترجم) في فذك، والشيعَة على هذا المذهب بأنَّ فذكاً حقَّ فاطمة، وأبو بكر اغتصبها منها بالقهر والظلم، وزعم أنَّها من أموال الصدقة وكانت طعمة لفاطمة وهي في يدها على هذا النحو. والعجب ممَّن يدَّعي الإسلام ثمَّ يشب على طعمة أطعمها رسول الله ابنته فيسلبها منها بعد وفاته. زهْ زهْ لهذا الخليفة ومع ذلك يدَّعي بأنَّ النبيَّ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فلم يصدِّقه واحد من الرواة في هذا الحديث، والنبيَّ لم يقل هكذا؛ لا لعترته ولا لأُمَّته.

وإنَّه لمحض جهلٍ من قائله أنَّ تصرَّف الزهراء بفذك يحلَّ يوماً ويحرم يوماً، وأنَّ النبيَّ لا يميِّز بين الحرام والحلال، ويطعم آله الحرام لاسيَّما الأولاد والأعزَّة والأوصياء، حاشا عن رسول الله من ذلك وحاشا مائة ألف مرَّة.

وطلب البيَّنة من الزهراء عليها السلام وهو حقُّها خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من عدم

طلب البيّنة من صاحب اليد لأنها أمانة الملكية، وكانت البيّنة على أبي بكر لأنه المدّعي ومع هذا فقد جاءت فاطمة عليها السلام بأَمِّ أَمِين التي بشرها رسول الله بالجنّة، فردّ أبو بكر شهادتها قائلاً: إنّها امرأة من العجم لا تفصح، كما ردّ شهادة عليّ والحسن والحسين عليهم السلام قائلاً: إنّهم يجرّون النار إلى أقراصهم، على أنّهم عليهم السلام لم تمتدّ أيديهم إلى هذا النفع مدّة ملكهم ليثبتوا للناس كذب ادّعاء الخليفة، وأنّ الغرض من شهادتهم يوم ذاك لم يكن مجرّد النفع، بل الغرض الأساسي هو امتثال أمر الله سبحانه وحده: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾^(١)، وعلى ممّن قال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث ما دار، وهو رجل من أهل الجنّة، ورجل هذه صفته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يقيم الشهادة كذباً وزوراً؟!

فتأذّت فاطمة عليها السلام وأقسمت أن لا تكلمه إلى أن تموت، وأوصت أن لا يحضروا جنازتها، وأن تُدفن سرّاً، وفعل أمير المؤمنين بما أوصته ولكنّ عمر بحث عن قبرها ليخرجها ويصليّ عليها ولكنّ الله أخفى القبر عنه.

وأجمعت كلمة القوم على أنّ النبيّ قال لفاطمة عليها السلام: فاطمة بضعة منّي؛ من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا تَحْتَسِبُوا فَقَدْ اخْتَلَوْا بُهْتَاناً وَإِنَّمَا مُّبِيناً^(٢).

عن صادق آل محمّد عليهم السلام: إنّ فاطمة كانت تطرق بيوت المهاجرين والأنصار ليلاً وهي مريضة فلم يسعفها أحدٌ منهم، فتألّمت من خذلانهم إلى أن قبضت سلام الله عليها. وحرّم الناس من زيارة قبرها لظلمهم لها ورضاهم بظلمها.

(١) الطلاق: ٢.

(٢) الأحزاب: ٥٧ و ٥٨.

سؤال:

لقائل أن يقول: لعلها أوصت أن تُدفن ليلاً مبالغة في الحجاب عن أعين الناس منها لا لسبب غضبها على القوم.

الجواب:

لو كان الأمر كما تقدّم لبقى قبرها ظاهراً معلوماً وليس خفياً مستوراً، والقوم لم يحضروا الصلاة على جنازة أبيها فما بالك بجنازتها.

كان أبو بكر ذات يوم يحاور أمير المؤمنين بشأن فذك والإمام يردّ عليه، فقال له فيما قال: إِنَّ الْبَيْتَةَ عَلَيْكَ لَا عَلَى فَاطِمَةَ لِأَنَّكَ أَنْتَ الْمَدْعَى دُونَهَا، وَفِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ شَهِدَ شَاهِدٌ عَدَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِالْ.....^(١) أَكُنْتَ تَقِيمُ عَلَيْهَا الْحَدَّ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: نَعَمْ أَفْعَلُ!! فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: إِذْنُ وَاللَّهِ تَخْرُجُ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَدِينِ رَسُولِهِ. وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: لِأَنَّكَ كَذَّبْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَصَدَّقْتَ النَّاسَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي حَقِّهَا وَأَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢) فَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ بِعَصْمَتِهَا وَفَاطِمَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَعْصُومَةٌ بِنَاءً أَعْلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ يَصِحُّ ارْتِكَابُهَا... وَأَنْتَ تَسْقُطُ شَهَادَةُ اللَّهِ وَتَقْبَلُ شَهَادَةُ عَبْدِهِ الْمُضَادَّةَ لِشَهَادَتِهِ، وَحِينَئِذٍ كَيْفَ تَدَّعِي الْمَعْصُومَةَ الْبَاطِلَ، وَتَطْلُبُ الصَّدَقَةَ الْحَرَمَةَ عَلَيْهَا؟!

وما قاله لعلّي عليه السلام يصدق عليه، لأنّه قال: ما شهد عليّ إلاّ ليَجْزِيَ النار إلى قرصه أي توحياً لطلب المنفعة، والحديث الذي افتراه أبو بكر لم يكن إلاّ لطلب المنفعة،

(١) ما أغت هذا المؤلف وما أسمجه! أيجوز له أن يطلق هذه الكلمة المتناهية البعد عن الأدب في حقّ بضعة الرسول والمعروف في الرواية أنّه قال: سرقت، فكيف ملك المؤلف الجرة فكتبها في كتابه، وليس عليّ إلاّ أن أستغفر الله له ما دمت حيّاً.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

لأنّه مالك للصدقة ولبيت المال ، والدليل على ذلك أنّه لما هلك كان في ذمته لبيت المال عشرون ألف دينار ، ومن شهد له أو أعانه من المهاجرين والأنصار وأيتامها أو من صدّقه منهم فإنّما الغرض من ذلك جلب النفع وتحصيل الفوائد ، إذن يردّ حديثه عليه .

وأما الحديث «نحن أهل بيت لا يحلّ لنا الصدقة» فإنّه عامّ مشهور بين الناس كافّة ، وخمس أهل البيت والإنفال لم تقتصر معرفته على الحديث فحسب بل القرآن نصّ على ذلك ولا يدلّ الحديث وحده على حرمة الصدقة على أهل البيت .
وجه آخر :

إنّ واضح خبر «نحن معاشر الأنبياء لا نورث...» إلى آخره ، جاهل لا يعلم شيئاً من العلم ، والقرآن يكذب الخبر بقوله تعالى : ﴿وَوَيْتَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(١) وقال الله تعالى عن زكريّا : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَغُوثٍ﴾^(٢) وبما أنّ الرجل يفترى بالكذب فعليه أن يقرأ القرآن أولاً لئلا يأتي بمناقض له ، وكان عليه أن يروي حديثه الموضوع بالصيغة التالية : أنا من بين الأنبياء لا أورث ، وما أخلف يكون صدقة على المسلمين . ولا يكذب على رسول الله لأجل فذك وغصبها من الزهراء عليها السلام ، ولا يناقض كتاب الله ، وكان المسكين الراوي المفتري جاهلاً بالقرآن وبعلم الإعراب وبالقيامة وبالجنّة والنار .
سؤال :

وماذا عمّا يقال من أنّ سليمان ورث من داود النبوة ؟

(١) النمل : ١٦ .

(٢) مريم : ٤-٦ .

الجواب:

كان سليمان نبياً وأبوه على قيد الحياة مضافاً إلى أن النبوة لا تورث بل لا تكون إلا بالوحي من الله وبالعصمة ولو كانت النبوة تورث لكان أولاد الأنبياء جميعهم أنبياء بالمشاركة كأولاد آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب وموسى، ومن أولاد الأنبياء اليهود وهم باقون إلى اليوم فينبغي أن يكونوا أنبياء بوراثة النبوة من أبيهم، ولما توفي النبي ﷺ ورث نسائه بيوته وسكنّ فيها وأخذ أمير المؤمنين ثياب النبي ودراعتة وعمامة وأمثالها وورثها أولاده من بعده فلم يمتازهم على ذلك أحد ولم يقل أحد بأنها صدقة؛ لا البيوت ولا غيرها.

ووقعت بردة الرسول إلى بني العباس إلى زمن المقتدر كما جئت الرواية بذلك، فلو كانت هذه البردة صدقة على المسلمين والصدقة حرام على العباسيين فلو لم تكن ميراثاً وكان ميراثه صدقة فكيف ساغ لأئمة أهل السنة والجماعة أن يحتفظوا بالحرام لأنفسهم هذه السنين الطويلة وقد قال رسول الله ﷺ: «من بدل دين الله فاقتلوه»، فيكون على هذا أن الخلفاء جميعاً كفّار ودمهم مباح وقتلهم جائز، وكيف يقول مسلم بهذا؟! فظهر ممّا تقدّم أن رسول الله يورث كسائر الأئمة.

سؤال:

لو قال قائل بأن رسول الله ﷺ أعطى تلك الأشياء لعليّ في حياته.

جواب:

ونحن نقول أيضاً أنه أعطى فداً لفاطمة في حياته، ولو كان أعطاها لها بعد وفاته فإنها تحسب بحساب الصدقة بناءً على ما ادّعا أبو بكر، على أن العباس والزهراء رضي الله عنهما احتكما إلى القضاء فحكم لهما بمخلفات رسول الله ﷺ، فكيف ينبعض الحكم فيكون هنا إرثاً وفي مسألة فدك صدقة. وهذا عين التناقض. ويكون النبي ﷺ (وحاشاه) خان عترته لأنه بلغ أمته وما بلغهم أو أنه قال لهم

ولكنهم أبوه وهذا شاهد على كفرهم - وحاشاهم - وقد أجمعت الأمة على أنها من أهل الجنة بنص من الله ورسوله ، ولو لم يبلغ النبي لا العترة ولا الأمة لكان قد أوقع الفتنة بين الناس وحاشاه من ذلك مع أنه لم يؤثر عن أحد من الصحابة أو الخلفاء الإنكار على العباس أو علي في طلبها إرث رسول الله ؛ لأن النبي بزعم الأول لا يورث .

الفصل الأول

في ردّ عمر بن عبدالعزيز فدكاً إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام

اعلم أنّ أبا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله أخذ فدكاً من فاطمة عليها السلام بمساعدة عمر بن الخطاب ، ولقد روى علماء النواصب عن عتبة وأبي سعيد الخدري أنّهما قالاً : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لما نزلت آية ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ ^(١) : يا فاطمة ، لك فدك . ورداً دعوى فاطمة ولم يقبلها كلامها مع أنّ القرآن شاهد بعصمتها وطهارتها ، وشهد لها عليّ والحسنان وأمّ أيمن ، ولم يقبلوا شهادتهم ، وظلّت هذه المسألة سنّة بين أتباعها ودخلت ظلامتها معها قبريها .
وقالوا لفاطمة عليها السلام : «أمّ أيمن مولاتك ومولاة أمك» .

قال الواقدي - وهو من كبار علماء النواصب - عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر يقول : لما توفي رسول الله خرجت أنا وأبو بكر وعليّ بن أبي طالب وهو في بيت فاطمة وعنده المهاجرون ، قال عمر : فقلت : يا علي ، ماذا تقول ؟ قال : أقول خيراً ، نحن أولى برسول الله وما ترك . قلت : والذي بخير ؟ قال : نعم ، قلت : والذي بفدك ؟ قال : نعم ، قلت : كلاً والذي نفسي بيده حتّى تحزّوا رقابنا بالمناشير .

يريد بخير أرضاً تدعى العوالي وهي حق لفاطمة عليها السلام، وهذا الحديث يدل على أن نيتهم مبيتة لقصد آل رسول الله بالشر والقتل وغصب الحقوق.

وعرف عمر بن عبدالعزيز حق أهل بيت النبي أكثر من أبي بكر وعمر لأنهما ظلماهم وهو أجرى العدل فيهم وردّ فدكاً على الإمام الباقر عليه السلام، وهما آذيا النبي وهو دفع عنهم الأذى، فقال له الناس: طعنت على الشيخين، قال: هما طعنا على أنفسهما.

روى أبو صالح (الناني عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن شريك) عن هشام ابن معاذ، قال: كنت جليساً لعمر بن عبدالعزيز حيث دخل المدينة فأمر مناديه فنادى: من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتاه محمد بن علي الباقر عليه السلام فدخل إليه مولاه مزاحم، فقال: إن محمد بن علي بالباب، فقال له: أدخله يا مزاحم، قال: فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع، فقال له محمد بن علي: ما أبكاك يا عمر؟ فقال هشام: أبكاه كذا وكذا يابن رسول الله.

فقال محمد بن علي: يا عمر، إنما الدنيا سوق من الأسواق، منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرجوا بما يضرهم، وكم من قوم قد ضرهم بمثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبوا فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عُدّة ولا ممّا كرهوا جُنّة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن والله عزّ وجلّ محققون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي كنّا نغبطهم بها فنوافقهم فيها وننظر إلى تلك الأعمال التي كنّا نتخوّف عليهم منها فنكفّ عنها؛ فاتّق الله واجعل في قلبك اثنين: تنظر الذي تحبّ أن يكون معك إذا قدمت على ربّك فابتغ فيه البذل، ولا تذهبنّ إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، فاتّق الله عزّ وجلّ (يا عمر) وافتح الأبواب وسهّل الحجاب وانظر

المظلوم ورّد الظالم^(١).

فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ردّ عمر بن عبدالعزيز ظلامة محمد بن عليّ - الباقر - فذك^(٢). واعترف أنّ الثلاثة أبابكر وعمر وعثمان (لعنهم الله) ظلّموا فاطمة عليها السلام.

والعجب كلّ العجب منها حين فرضا لانتبهما اثني عشر ألف درهم يستوفيانها من بيت المال عاماً بعام، ومنعوا ابنة رسول الله ميراثها، ولما آل الحكم إلى عثمان (لعه الله) حسباً أنّ العادة جارية كما كانت عليه الحال زمن أبيهما ولكنه أبي إباءاً شديداً، فألحاً عليه وبالغا بالإلحاح فلم يتأثر عثمان بذلك، وقال: لا والله ولا كرامة، ما ذاك لكما عندي، وقال: ألسنما اللتين شهدتما بالكذب عند أبيكما ولقّمتما معكما أعرابياً يتطهر ببوله - وهو مالك بن أوس بن الحرثان - فشهدتم أنّ النبيّ قال: لا نورث ما تركناه صدقة. وعجيب أمرهما حين زعما يوماً أنّ النبيّ لا يورث وجاء يوماً آخر يطلبان بميراثه.

وقال أكثر المؤرّخين: إنّ أكثر أهل الكوفة عارضوا عمر بن عبدالعزيز برده فذكاً وقالوا: سفّهت رأي الشيخين وفضحتهما وهذا الأمر ليس إليك لأنّ الأئمة بأجمعها تلقت عملهما بالقبول، فقال: إني أمسك الأصل وأعطي الثمرة محمّداً الباقر، فرضي الكوفيّون بهذا القدر^(٣).

قال جميل بن درّاج: جاء عليّ والعبّاس إلى أبي بكر يطلبان ميراثهما من

(١) الخصال للصدوق: ١٠٤، المسترشد: ٥٠٦، البحار ٤٦: ٣٢٦ و ٧٥: ١٨١، نور الثقلين ٤: ٣٦٠.

(٢) الخصال: ١٤٠.

(٣) المشهور أنّ المعترضين هم بنو أميّة، أمّا أهل الكوفة فقوم معروفون بولائهم لأهل البيت وبغضهم لبني أميّة، والقرينة الحاليّة شاهدة بذلك، إذ كيف يسكت أهل الشام عن عمر وينتم عليه أهل الكوفة من بين البلاد كلّها!!

رسول الله ﷺ، وقاضى العباس علياً - كما جاء في الرواية - وسألت عن هذه المسألة الإمام الصادق وقلت له: رضاها بقضائه مرشد إلى اعتباره حكماً عدلاً؟ فقال عليه السلام: يا جميل، هذه حجة عليه، ولو علم عليٌّ أنَّ للعباس حقاً عنده لردّه إليه، وكذلك يفعل العباس ولكن عليّاً قال يوماً للعباس: يا عمّ، إنّ هذا الرجل غصب ميراثنا ومقامنا وينبغي علينا دفعه عمّا اغتصبه، وقال عليّ عليه السلام: وليس لذلك من وسيلة إلا أن تذهب بنفسك إليه وتخاصمني في ميراث رسول الله ﷺ.

فلما حضرا عند أبي بكر، قال للعباس: ألا تعلم أنّ رسول الله في أول البعثة صنع طعاماً لبني عمومته من أولاد عبدالمطلب وكان عددهم أربعين شخصاً فحضروا جميعاً، وقال لهم بعد الطعام: من منكم يؤازرني على هذا فيكون وزيرى ووارثي ووصيّي وأخي - إلى ثلاث مرّات - فلم يجبه أحد ما عدا عليّاً وكان أصغرهم سنّاً؟

فقال العباس: أنت تذكر ذلك أم نسيت؟ فقال: نعم أذكره ولا أنساه.

فقال العباس: فلقد ظلمته حين غصبته وزارته ووصايته ووراثته وأخوته.

فاستيقظ أبو بكر كما يستيقظ النائم وهو يقول: نحوهم عني لأنّهما خادعاني ومكرا بي غدرا وأنا غافل عنها!

قال الصادق عليه السلام: إنّما كان غرض عليّ والعباس الإشعار بأنّ أهل بيت النبيّ لاسيّما عليّ عليه السلام أولى بمقامه.

ولما ألزمه العباس الحجّة وعجز عنها ولم يجر جواباً بعد أن ألقمه حجراً توسّل بقدرته فقال: «نحوهما عني» وكانا أرادا فضحه أمام الناس وكانت خصومتها في بغلة رسول الله وسلاحه وحجرات نسائه وقطائعها التي أقطعها لبني هاشم. وكان العباس يعرف قدر عليّ لكنّه أراد أن يعلم أبا بكر بظلمه كما فعل جبرئيل وميكائيل

بداود إذ تسوّروا عليه المحراب، ولم يكن مجيئها على الحقيقة بل لإشعار داود وإعلامه على أنّ ما فعلته يجدر بك غيره، وهكذا الحال هنا.

حكاية:

قال عبدالله بن عباس: كنّا يوماً عند أبي بكر وكان عمر حاضراً هناك، وتقدّما إلى الحجاب أن لا يأذن لأحد، فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا شيخ طويل القامة حلو المحضر، عليه رداء أحمر، وبیده عصي وفي رجله نعلان، فسلم علينا وأمره أبوبكر بالجلوس، فأبى وقال: أنا رجل حاجّ وإلى جوارى امرأة توفّي أبوها وخلف لها ضيعة وكانت تعيش من ثراتها وتتقوّت منها، فعمد والي البلد إلى مصادرتها وأخذ منافعتها له، وأوصتني المرأة قالت: إذا جئت المدينة فاحك حالي للخليفة.

فقال أبوبكر: لاكرامة للغادر الفاجر.

وقال عمر: يا خليفة رسول الله، أرسل إلى هذا الغاشم الظالم من يسوقه إليك مكتوفاً.

فعاد الشيخ عليهما وقال: فمن أظلم ممّن يظلم بنت رسول الله ﷺ؟! فقال أبوبكر: ردّوه ردّوه، فتهقّر الرجل ولم يقعوا له على عين ولا أثر، فسألوا الحاجب والبواب عنه، فقال: ما وقعت عيني على الرجل، وقال غيره: ما دخل عليكم أحدٌ أبداً ولم يخرج أحد، فخاف أبوبكر وقال لعمر: رأييت وسمعت، فقال عمر: الذي أصابنا في وادي الجنّ أعظم من هذا، وإنّ الشيطان ليتحامل على المؤمن والحاكم ليفتنه ويضلّه، فصاح بهم هاتف^(١):

(١) وأنا أسوق لك الرواية كما وردت في الصراط المستقيم لعليّ بن يونس العاملي (٢: ٢٩٠): روي

عن ابن عباس أنه دخل على أبي بكر رجل فسلم وقال: عزمت الحج فأتنتني جارية وقالت لي أبلغك رسالة وهي أنني امرأة ضعيفة وإنني عائلة وكان لأبي أريضة جعلها لي تعينني على دهري فكنت أعيش منها أنا وزوجي وولدي، فلما توفي أبي انتزعها والي البلد مني فصيرها في يد وكيله واستغلها لنفسه وأطعم من شاء وحرمني .
فقال أبو بكر: ليس له ذلك ولا كرامة، لأكتبن إليه ولأعذبن هذا الظلوم الغشوم، ولأعزلته عن ولايتي .

وقال عمر: لا تمهله وأنفذ إليه من ينكل به ويأتي به مكتوفاً وأحسن أدبه على خيائه وفسقه .
فقال أبو بكر: من هذا الوالي؟ وفي أي بلد؟ وما اسم المرمية بهذا المنكر؟
فقال الرجل: نعوذ بالله من غضب الله، نعوذ بالله من مقت الله، وأني حكم أجور وأظلم ممن ظلم بنت رسول الله ﷺ، ثم خرج، فقال أبو بكر لخدمه: ردوه، فقالوا: ما خرج علينا أحد وإن الباب لمغلق، فقال عمر: لا يهولنك هذا فربما يختل إبليس علينا وعلى أمة محمد ليفتنهم، فقال أبو بكر لابن عباس: إن تسمع ما سمعت أحداً، فسمعنا هاتفاً يقول:

يا من يسمي باسم لا يليق به	اعدل على آل ياسين الميامينا
أتجعل الخضر إبليساً لقد ذهب	بك المذاهب من رأي المضلين
فنب إلى الله مما قد ركبت به	آل النبي ودع ظلم الوليين
فالله يشهد أن الحق حقهم	لا حق تيم ولا حق المخلينا

فأجابه الآخر:

عدلت أخا تيم على كل ظالم	وجزوت على آل النبي محمد
وأغنيت تيماً مع عدي وزهرة	وأفقرت غراً من سلالة أحمد
أفسي فذلك شك بأن محمداً	حباها لها من دون تيم بمشهد
وعلي وسلمان ومقداد منها (١)	جندب مع عمار في وسط مسجد
وأشهدنا والناس أن ثرائه	لفاطم من دون البعيد المبعد
فنحن شهود يوم تلقى محمداً	بظلمكم آل النبي المسدد
فلا زلت ملعوناً يمسك سخطه	ولا زلت مخذولاً عظيم التلدد

(١) منهم - المترجم .

يا من تحلى باسم لا يليق به اعدل على آل ياسين الميامينا
 أتجعل الخضر إلبساً لقد ذهبت بك المذاهب من بين المضلينا
 نحن الشهود وقد دلت على فذك بنت الرسول أميناً غير مغبونا^(١)
 الله يعلم أن الحق حقهم لا حق تيم ولا حق العدينا
 وقد شهدت أخا تيم وصيته للأصلع الهادي القوام بالدينا
 لا تغمطن أخا تيم أبا حسن ما خصه الله من بين الوصيينا
 خص النبي علياً يوم فارقه بالحلم والعلم والقرآن والدينا

فخاف أبو بكر وعمر، وغشي عليهما، وقد وصل رسول أمير المؤمنين إلى ابن عباس وقال: «أجب ابن عمك» فأقسم عليه أبو بكر أن لا يفشين السر إلى أحد. قال عبدالله بن عباس: فلما رأي أمير المؤمنين عليه السلام تبسم حتى بدت نواجذه، وقال: يا ابن العم، بالرحم والقراية، هل حفظت الشعر أو لا؟ قلت: نعم حفظتها إلا بيتين منها، فأعاد علي عليه السلام الحكاية، وقال: كان ذلك أخي الخضر فقد حضر مجلسكم هذه الساعة، وأخبرني بما دار بين القوم وبيننا، وقال: ما ابتلي أحد بأحد كما ابتلي أبو بكر بعمر، وما عادى أحد قوماً أشد من معادات عمر لأهل بيت الرسول ﷺ^(٢).

❦ فدخل ابن عباس على علي فحدثه بالحديث، فلما أصبح أبو بكر دعا بفاطمة وكتب لها كتاباً بفدك فأخذ عمر وبقرة، فدعت عليه بالبقر واستجيب لها فيه. هذا ما ذكره علي بن يونس العاملي في الصراط المستقيم وهو يختلف مع ما ذكره المؤلف لاسيما الأبيات المختومة بالنون والألف، وأحسب المؤلف حذف آخر الأبيات لما فيه من إقواء وأخطاء، ونحن ترجمنا ما ذكره المؤلف وذكرنا رواية الصراط المستقيم ليكون القاري على بصيرة من أمرها.

(١) لو قال: «ليس مغبونا» لما كان إقواء في البيت - المترجم.

(٢) عثرت للمؤلف على مواقف كثيرة يتهاود فيها مع أبي بكر وهو رأس الضلال وأول ظالم ظلم

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (١).

قيل: إنَّ عمر استعمل رجلاً وأوصاه قائلاً: إِيَّاكَ وظلم عباد الله، فقال له الرجل: يا عمر، فكيف ظلمت بنت رسول الله وغصبت منها فداً ورددت قول رسول الله فيها وأنكرتم وصيَّته وسيكون الله خصمك ورسوله يوم القيامة، فويل لك.

وجاءت الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وعمر كانا في ملاء عظيم من المهاجرين والأنصار إذ انبرى لهما شابٌ جميل طويل القامة، حسن الثياب، وقال: من منكم الخليفة؟ فأشاروا إلى أبي بكر، فقال له: أنت هو الخليفة؟ فقال: نعم أنا هو الخليفة، فقال: إنَّ امرأةً ضعيفة لها حوائطٌ تقيت منها عيالها، فأخذها الحاكم منها تعدياً وظلماً وانتزعها من يده من دون بيتِّه، فقال عمر: يا خليفة رسول الله، أرسل إليه ليقبضوا عليه ويأتوا به إلى هنا لتقصّر يده عن أموال الناس ويردَّ حائط المرأة الضعيفة عليها.

فقال الرجل: فلم أخذت فداً من فاطمة بنت محمد عليها السلام وكانت في يدها وقد نحلها النبيّ إِيَّاها، ومات وهي في يدها، ثمَّ خرج من بينهم حالاً فأرسل ابن عبّاس في طلبه فلم يقع منه على عين ولا أثر، فخاف أبو بكر خوفاً شديداً، فقال له عمر: لا تجزع فإنَّ هذا شيطان ظهر لك، فأجابهم هاتف من جانب البيت:

عدلت أخا تيم على كلّ ملحدٍ وجرّرت على آل النبيّ محمّد

حَقَّ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، والذي قال فيه أمير المؤمنين: «فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدتها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّر ضرعيها...» ورجل يقال له مثل هذا الكلام ليس بالصفة التي تحدّث عنها المؤلّف، وإنّما هو عدوٌّ لأهل البيت، غاصب إرث الزهراء وسارق نحلتها، وهو صاحب الفكرة الخبيثة في إحراق دارها، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وأغنيت تيماً مع عدي وزهرة
أفسى فذلك شك بأن محمداً
لأسرع ما بدلتكم ونقضتم
عهدكم يا قوم بعد التوكّد

عقد المأمون مجلساً في يوم عرفة للانتصاف من القريب والبعيد، والقوادر والخاصة والعامة، فقام رجل مدنيّ من أفصح الناس وقال: إن كنت منصفاً فأنصف فاطمة.

فقال المأمون: أ تكون وكيلاً عنها؟

فقال الرجل: نعم.

ثم أقام وكيلاً عن أبي بكر وعمر، فقال المدني: اعلم بأن النبي أخذ فداً صلحاً من غير أن يوجف عليها بخيل ولا رجال بل بمدد من الملائكة وحدهم، وكانت من جملة الفيء الموكول إلى النبي أمره، فأعطاها لفاطمة عليها السلام فكانت في يدها مدّة حياة أبيها ثلاث سنوات تتصرّف فيها تصرّف المالك بملكه، وبعد موت أبيها كان وكيلها يقوم مقامها في التصرّف فغصبها منها أبو بكر ظلماً وعدواناً ومع كونها صاحبة اليد فقد طالها بالبيّنة وشهدت لها أمّ أمين بحقّها وهي امرأة مشهود لها بالجنة فردّ أبو بكر شهادتها، وإذا جاءه أعرابيّ بوال على عقبيه وادّعى على رسول الله دعوى يعطيه بلا بيّنة، وشهد لفاطمة نظير هؤلاء الصلحاء فلم يقبلهم.

وشهد يحيى بن أكثم وغيره من الفقهاء على أن الزهراء عليها السلام ماتت بغصتها مظلومة.

وقال المؤمن المدني: والأعجب من ذلك أن رسول الله لا يورث.

فقال المأمون: هل يعرف ذلك المسلمون؟

فقال المؤمن: لما نزلت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١) سعد النبي على المنبر وقال: ستكثر عليّ الكذابة من بعدي، بالعبارة التالية: معاشر الناس، إني نعت إلى نفسي وإلى الله وأنزل عليّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ألا وقد دنا حقوقي من بين أظهركم فإذا جاءكم الحديث عني فاضربوه على كتاب الله وسنتي؛ فما خالف كتاب الله فارفضوه، وما وافق كتاب الله وسنتي فخذوه، وهذا الحديث مخالف للكتاب والسنة بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٢) وبقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ^(٣)، وبقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٤) فهل تخرجون فاطمة من أهل بيت النبي نعوذ بالله منه لأنّ النبي ﷺ «لا توارث بين الملتين».

فشهد يحيى والفقهاء بأنّ فاطمة خرجت من الدنيا متظلّمة لم تنصف.

وقال أبو بكر ثلاث فعلتها وددت أني لم أفعلها، ياليتني لم آخذ فدكاً من فاطمة، ولم أحرق بابها، ولم أتخلف عن جيش أسامة، وهذه الثلاث ظلم عظيم لأنّ إيذاء فاطمة عليها السلام إيذاء الله ورسوله وإيذاء عليّ وهو من أهل الجنة، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ^(٥)﴾ الآية، وإيذا المسلمين ذنب عظيم.

والتخلف عن جيش أسامة معصية لله ولرسوله، يقول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٦) وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا﴾^(٧).

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) مريم: ٦٠-٦١.

(٤) النساء: ١١.

(٥) الأحزاب: ٥٧.

(٦) النساء: ٥٩.

(٧) المزمّل: ١٥.

وقال أيضاً: ثلاث لم أفعلها وددت أني فعلتها: الأولى: ليتني قتلت خالداً بن الوليد في قصاص مالك بن نويرة، وليتني قتلت الأشعث بن قيس وطليحة الأسدي لأن هؤلاء الثلاثة للقتل مستحقون، وقال أيضاً: ليتني سألت رسول الله عن الذي يقوم مقامه من بعده.

وتغافل وتجاهل يوم الغدير وعن يوم حائط بني النجار كما روى ذلك عمران بن الحصين الخزاعي وبريدة الأسلمي وغيرهم، وقد تقدّم ذلك حتّى قال بريدة لأبي بكر: لماذا لم تعقد بيعتك على منبر رسول الله ﷺ، وعقد لك البيعة أبو عبيدة وعمرو سالم مولى أبي حذيفة في زاوية سرّاً على جميع المسلمين، مع أنك لم تحز من علم الشريعة والسنن شيئاً، بل أنت يلزم باب على رسولك كلّما نابتك أو نزلت بك نازلة ليحلّها لك ابن أبي طالب عليه السلام.

وقال: ليتني سألت رسول الله حقّاً ما هو نصيبه؟! وليتني سألت عن ذبائح أهل الكتاب أحلال هي أم حرام؟ وقال عمر: لولا عليّ هلك عمر، وكذلك قال: لا أبقاني الله لمعضلة ليس أبو الحسن فيها^(١).

فصدّق الحاضرون المؤمن، وقال المأمون: يجب الإغضاء عن ذلك ويلزم تجاوزه.

فقال المؤمن: لا يجوز الإغضاء لأن الله لم يغض كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ جِئْتَ تَرَكُّنَ إِيَّاهُمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ إِذَا لَدَقْنَاكَ ضِعْفَ الْخِيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً^(٢)، وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾^(٣) الآية.

(١) مقدّمة نهج البلاغة ٢: ١، وسائل الشيعة ٢٨: ١٠٨ ط أهل البيت، و ١٨: ٣٨١ طبع الإسلاميّة، الإيضاح: ١٩٢، المسترشد: ٦٥٣، دلائل الإمامة: ٣٢، شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨، نظم در السمطين: ١٣٢، أنساب الأشراف: ١٠٠، عمر الخطّاب للبكري: ١٩١ وغيرها.

(٢) الإسراء: ٧٤ و ٧٥.

(٣) الحاقة: ٤٤.

فعمد المأمون إلى كتابة صكّ بقلمه من أوراق عدّة وأرسلها إلى المشرق والمغرب وفيها ردّ فذك إلى السادات من بني فاطمة وكتب إلى عامل المدينة أن ردّ فذكاً إلى عليّ بن موسى الرضا وأطلق فيها يده لتثول من بعده إلى ابنه محمّد الجواد التقي، وأشهد الحاضرين على نفسه وعلى من بعده بعدم أخذها مرةً أخرى.

تنبيه :

إنّ الذي افترى حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» هي عائشة وتابعتها عليه حفصة ورجل آخر يدعى أوس من قبيلة بني نضر ولم يروه أحد غيرهم.. (١).

تنبيه :

لماذا لم يستردّ الإمام أمير المؤمنين فذكاً في خلافته ؟ يرجع ذلك إلى وجوه:

الأول: إنّ الله سبحانه أعطى الغاصب والمغصوب منه ما يستحقّانه من الثواب والعقاب (٢).

الثاني: كره ﷺ أن تخرج فاطمة من الدنيا مغصوباً حقّها وقد تألمت وحزنت لذلك حزناً شديداً فلم تطب نفسه أن يفرح أولاده باسترداد ما غصب من فاطمة وذهبت إلى أبيها حزينّة مكلومة غضبي من أجله؛ أسوة بفاطمة واقتداءً بجنابها، وربّما كان من أجل إطلاق اسم الغضب عليه أبت نفسه التصرّف فيه، من ثمّ عذب عن استرداده، ثمّ إنّ أولاد عليّ من فاطمة ﷺ لم يطلبوا منه ذلك فلم يسعه ﷺ أن

(١) ليتني أدرك السبب في تحاشي المؤلف اتهام أبي بكر ولينه عليه والواقع أنّ الأمر بالعكس فهو الذي افتراه وتابعت عليه عائشة وصاحبته والأعرابي.

(٢) أقول: كيف عرف هؤلاء أنّ الإمام لم يستردّها؟ بل استردّها فيما استردّ من القطائع والضيايع التي نهبت في زمن الثلاثة لاسيّما في زمن عثمان، وكانت الدنيا كلّها تحت تصرّفه وهو الخليفة وبيده أمر فذك وغيرها فما صنعه في خلافته فيها يعتبر استرداداً لها.

يذهب إلى مقاضاة الخصم دون طلب من أصحاب القضية، نعم أجاب الإمام زين العابدين عليه السلام عن هذه المسألة فقال:

فمن غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده

ثم إن علياً عليه السلام عجز عن تغيير بدع الثلاثة ومحدثاتهم غير الشرعية، وكان يخشى عدوه فيتقيه فلم يقدر على محو بدعهم، ولما نهى عن صلاة التراويح جماعة، ارتفع ضجيج العامة والغوغاء، وقالوا: نهينا عن سنة عمر. وأيضاً كان ذلك منه استدراجاً للناس لئلا يحملوه على طلب النفع في شهادته للزهراء يوم الغصب وتكذيباً لعدوه.

تنبيه:

روى أبو سعيد الخدري السبب الذي من أجله أعطى رسول الله فداً لفاطمة عليها السلام نحلة، وصدقه المخالفون والمؤلفون، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا﴾^(١) دعا رسول الله فاطمة وأعطاه فداً، فقال: هي لك... واستلمتها وتصرفت فيها تصرف المالك، وكانت يدها أماراة ملكيتها، فتكون طلب البيئته منها غاية في الجهل أو التجاهل.

سلمنا أن طلب البيئته منها لتصحيح دعوى النحلة ولكن أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام وأمّ أمين رضي الله عنها أقاموا الشهادة لها، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوَيْ عَدْلِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾^(٣) وظاهر الآية يدل على وجوب قبول الشهادة ولا تخصص لها بآيه أخرى بالولد والزوجة، ولم يستثنها

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الطلاق: ٢.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

الله تعالى، وإِنَّمَا اشترط العدالة وحدها ومن أعدل من المعصوم ليت شعري، وإذا كانت نحلة فلا تعود إلى الأولاد لاسيما بعد الموت وآية الميراث عامة.

ويقول المخالفون: إِنَّ زَكَرِيَّا طَلَبَ مِنْ اللَّهِ وَارِثًا لِلنَّبِوَةِ وَلَيْسَ لِلدُّنْيَاوِيَّاتِ.

الجواب: وهذا القول قدح بنبوّة زكريّا وحاشاه من ذلك، ويجزّ إلى كفره لأنّه قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾^(١) أجمع المفسّرون على أنّ المقصود من الموالى أولاد العمّ فلو أنّه طلب وارثاً للنبوّة يكون قد خاف من أولاد عمّه أن يكونوا ورثاء لها والنبوّة لا تكون بالمشورة ولا بالطلب بل بالاستحقاق والأهلية، ويكون زكريّا قد دفعها عن أولاد عمّه حسداً من عند نفسه، فيؤدّي ذلك إلى كفره، وحاشاه لعدم رضاه بقضاء الله وتقديره، وهو بريء من هذا التصرّو إلى أن قال: ﴿وَاجْعَلْهُ زَكَاةً رَضِيًّا﴾^(٢) والنبيّ لا بدّ وأن يكون رضىّاً فلو كان مراده وراثة النبوّة تكون الجملة مكرّرة وهي لغو لا فائدة منها، ولا يجوز العدول من ظاهر اللفظ إلى التأويل.

ونهاية الأمر لو قال المخالف أنّ النحلة لم تثبت بل تثبت وراثتها لذك والوراثة يردها حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» والترجيح له مِنْ ثُمَّ أَخَذَهَا الشَّيْخُ.

فالجواب: اتفق المسلمون على حديث أبي سعيد الخدري وتلقاه الناس بالقبول بأنّ النبيّ أعطى الزهراء فدكاً في حياته والحديث الذي رواه أبو بكر مطعون فيه ومردود من قبل المهاجرين والأنصار جميعاً، سلّمنا به جدلاً ولكنّه معارض بحديث آخر مثله وهو حديث أبي سعيد، فتبقى آية الميراث ثابتة وهي

(١) مريم: ٥.

(٢) مريم: ٦.

قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١) وأمثالها .

والاتفاق حاصل على أن ذا الفقار كان مبتدئاً للنبي ﷺ وكان وهبه لعليّ عليه السلام فأخذ فدكاً من فاطمة مع كونها هبة وترك ذي الفقار عند عليّ وهو مثلها في الحكم ليس إلا لعناد متحكّم في القوم وعداوة لرسول الله وردّ على قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ .

وكذلك ادّعت عائشة وراثتها حجرتها وتشهد على فاطمة بأنّها لا إرث لها، إنّها من مفارقات أمّ المؤمنين ، قال الصادق عليه السلام : كان لرسول الله قطائع عدّة : الأوّل : فدك ، والثاني : حسي ، والثالث : مشربة أمّ إبراهيم ، والرابع : الزلال ، والخامس : الميثم ، والسادس : الصافية ، والسابع : العواف^(٢) ، وقد أعطاه رسول الله إلى فاطمة عليه السلام فانترعها أبوبكر منها وتابعه بقيّة الشيوخ وشهد له عمر وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة .

وجاءت عائشة بعد مضي زمن طويل إلى عثمان تطلب ميراثها من رسول الله ، فقال لها عثمان : كما أمضى أبوك شهادتك على فاطمة فإنّي أمضي شهادتك على نفسك أي لا أدفع إليك شيئاً ممّا تدّعين .

(١) النساء : ١١ .

(٢) بذلت جهداً للوصول إلى الرواية فلم أوفق ، وبإلأسف لذلك لم أضبط الأسماء الواردة فيها ضبطاً يرفع الشك ، فأعترز إلى سيدي القارئ من ذلك .

الفصل الثاني

في أمور وضعها الخلفاء خلافاً لأُمير المؤمنين وبني هاشم

روى المخالف عن رسول الله ﷺ أنه قال: الوقت الأوّل رضوان الله، والوقت الآخر عفو الله، ولا يختاره المسلم إلّا لعذرٍ من مرض وغيره، ولمّا علموا أنّ بني هاشم يصلّون الصلاة في أوّل الوقت وهو الرضوان حوّلوه إلى وقت العفو وجعلوه مختارهم.

وكذلك المسح على الخفّين وضعوه مخالفةً لعليّ وبني هاشم لأنّهم علموا أنّ بني هاشم عند المسح ينزعون أخفافهم.

ومثله الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، فقد تركوه مضادّةً لبني هاشم مع أنّ الجهر عندهم لا يفسد الصلاة.

وعمّموا السجود على ما يؤكل ويلبس لأنّهم علموا بأنّ عليّاً يسجد على الأرض.

وكان أمير المؤمنين اقتداءً بالنبيّ يكبر على الجنازة خمس تكبيرات لذلك نقصوها واحدة وكبروا أربعاً عناداً له.

وقال أمير المؤمنين: الجنازة متبوعة وليست بتابعة لأنّ من كان أمامها فالجنازة تتبعه، فوضعوا بدعة المشي أمام الجنازة خلافاً له. وروى أتباعهم بأنّ عليّاً عليه السلام قال: لقد علم أبو بكر أنّ المشي خلف الجنازة أفضل من المشي أمامها.

ومثله فعلوا في إباحة ذبائح أهل الذمّة وإباحة الأرناب وأمثالها خلافاً لأُمير المؤمنين عليه السلام، وقيل: إنّ من قاطني الجنة.

وشرع أمير المؤمنين بتغيير بدعهم بالهوينى والرفق وما عجز عن تغييره تركه

على حاله وكان حذراً من الفتنة والبلبلّة التي يثيرها الجهّال عليه من هذا الباب وعمل بالتقيّه طيلة هذه المدّة كما قال تعالى تنبيهاً عليه من موسى : ﴿فَقَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٢).

الفصل الثالث

في أنّ عليّاً لم يقدر على تبديل ما غيروا عن أصله
لخوفه من أصحابه وترك محاربتهم

اعلم أنّه لا يُسئل عن نفي العلّة لانتفاء المعلول وإنّما يُسئل عن العلّة في إثبات المعلول ، مضافاً إلى أنّ الاعتراض على الإمام من سوء أدب الرعيّة ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾^(٣) فلا يجوز أن يقال عن الإمام لماذا حارب معاوية ولم يحاربهم ؟ ثم إنّ في حربه مع معاوية كان معه من الجيش مائة ألف جندي يحاربون معه ولم يكن معه يومذاك إلّا نفر يسير ومع قلّتهم فإنّ مذاهبهم مختلفة ولكنهم كانوا معه في حرب معاوية على رأي واحد من أنّهم لم يكن هناك مجال للتقيّة ، وتأسّس بما فعله رسول الله مع المشركين حين حشد المنافقين لقتالهم ، وكان أكثر الصحابة على هذا الرأي وهو أنّ الخليفة الرابع وأنّ شرعيّة خلافته نظير خلافة أبي بكر وعمر ، وينظرون إليه كما ينظرون إليهما ويعتبرونه بمثاباتهم ، ويسير بسيرتهما ، ولو علموا منه أيّ اتجاه مخالف لخرجوا عليه وحاربوه كما فعلوا معه في صلاة التراويح حين أمر بأدائها فرادى فكانوا يصيحون «نهينا عن سنّة عمر» وراحوا يشنّعون عليه

(١) الشعراء : ٢١ .

(٢) طه : ٦٧ .

(٣) الأنبياء : ٢٣ .

ويؤلّبون الرعيّة، وأوشكت الغوغاء أن تحدث شغباً لولا أنّه قال: اذهبوا وافعلوا ما شئتم.

وما حارب طلحة والزبير ومعاوية حتّى بدى للناس أنّهم ناكثون وقاسطون، واعتبروا عدّوه يحبّ قتاله كعدوّ من تقدّمه، مع أنّ أصحابه لا يطيعونه إلّا في القليل حتّى أعلنها على المنبر مراراً وتكراراً وعبر عن نقمته عليهم وشهد بذلك العدو والصديق، وخطبته في هذا المعنى شاهد عدل على ذلك.

وقال ذات يوم لبني هاشم وخواصّ شيعة: لقد علمت الولاة قبلي أنّهم خالفوا رسول الله متعمّدين خلافة، ناقضين لعهدّه، متغيّرين لسنته، ولو أحمل الناس على تركها وأحملها على مواضعها وإلى ما كانت على عهد رسول الله، لتفرّق عني جندي حتّى أبقى وحدي، وفي قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله وسنة نبيّه^(١) (وسنة رسول الله - الكافي) عليه السلام، رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله عليه السلام ورددت فدكاً إلى ورثة فاطمة عليها السلام ورددت صاع رسول الله عليه السلام كما كان وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله عليه السلام لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضى بها ونزعت نساءً تحت رجال بغير حقّ ورددتهم إلى أزواجهنّ^(٢) واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأرحام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين

(١) رجعت إلى كتاب الكافي ولم أتبع المؤلف في السياق لأنّ رواية الكافي تحتوي على جميع ما ذكره المؤلف عليه السلام.

(٢) في الهامش: كنّ طلقن بغير شهود وعلى غير طهر كما أبدعوه ونفذوه وغير ذلك، الخ، ولا يبعد أن يكون الإمام يشير إلى سيّات ما يسمّى بحرب الردّة كأُمّ تميم التي نكحها خالد في الليلة التي قتل بها زوجها، وهذا يدلّنا على فصل مطمور وراء الأحداث ينبغي كشفه للأمة.

العطايا وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ بالسوية ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألقيت المساحة وسردت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سُدَّ منه وحرّمت المسح على الخفّين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألّزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل رسول الله ﷺ في مسجده ممّن كان رسول الله ﷺ أخرجه، وأدخلت من أخرج مع رسول الله ﷺ ممّن كان رسول الله ﷺ أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ إذا تفرّقوا عني، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً، إلى آخر الرواية (١).

وقال له شريح القاضي وعبيدة السلماني ومسروق وأبو وائل - وكانوا من أهل عسكره - مرّات عدّة: لئن فارقت سيرة الشيخين لنفارقنك، وخذله مسروق وسار إلى معاوية يحرضه على حربه، وردّ عليه عبيدة السلماني حكمه في الأمّهات وأولادهنّ وغيره من اللعناء ينطوون على الفتنة ويتحيتون الفرص لإحداث الشغب، ولما اعترضه عبيدة سكت أمير المؤمنين عليه السلام ولم يقدر على إظهار مذهبه أمام عسكره كما لم يقدر على بيان بدعهم وإظهار البرائة منهم إلّا بحضرة الخواصّ من شيعته وأهل بيته.

(١) الكافي ٨: ٥٩، وارجع إلى الهوامش فيها تعاليق نافعة تتضمن شروحاً للحوادث الغامضة الواردة في الرواية ومنعنا من ذكرها خشية الإطالة.

وكذلك لم يطعه الناس في أشياء خالف بها عمر الإسلام وردّها الإمام إلى واقعها، وكذبوه إلى أن قال ذات يوم على المنبر: زعم قوم أنّي أكذب، فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من عبده، أم على رسوله؟ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه.

وكانت الجواسيس تراوح عسكره وتغاديه، تتجسّس عليه وتسرب أخبار عسكره إلى العدو، وطالما سألوه عن الشيخين لعَلَّهم يظفرون منه بكلمة يستيبحون بها دمه وأخيراً اتَّهموه وأولاده بقتل عثمان بن عفّان، ولَمّا كان عثمان قد أظهر الظلم والجور واتَّفقت الأُمّة على قتله ومنهم المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ فإنَّهم بأجمعهم أفتوا بقتل عثمان بن عفّان، لذلك أمكن الإمام في هذه الحال أن يظهر جانباً من ظلمه ويمثّل للناس ما كان يرتكبه من المنكرات والغشم والجور، وهذا بعكس ما كان عليه الشيخان فقد سخط عليهما بعض الأُمّة ولم يحصل إجماع الأُمّة ضدّها فما كان باستطاعة الإمام إلّا التفاعل مع الوضع القائم في دولته بل وعسكره خاصّة تجاه الشيخين.

ويمكن أن يقال أيضاً: أنّ الله تعالى أمرنا بالجهاد ولم يفصل لنا العلة، اللهم إلّا جانباً منها وهو صلاح الدين، وهنا يمكن أن نقنع بالإجمال من سكوت عليّ عليه السلام بأنّه لصلاح الدين وأهل الإسلام.

ثمّ إنّ النبيّ كفّ عن القتال في أيّام الحصار بالشعب وما تلاه من الزمن قبل الهجرة ولَمّا هاجر ووجد الأنصار والأعوان قاتل وجاهد في الله حقّ جهاده. ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا قرب عهد الناس بالكفر لجاهدتهم، وكانت الأكثرية من الأُمّة مقلّدة وليس في وسعها دفع الشبهة لو حدثت، وربّما داهمهم

الفكر بإعلان الردة، فقد ظهر في بني حنيفة «ابن طيَّاش»^(١) ومسيلمة الكذاب وادّعى النبوة، وكان بعض الناس يشكّ في صدق دعوى أمير المؤمنين عليه السلام لذلك كفّ عن الحرب.

ولما كانت أيام معاوية اختلفت معها الحال حيث استحکم الإسلام في القلوب وثبتت الحقيقة في الأفئدة، والدليل على ذلك ما كتبه أمير المؤمنين إلى معاوية وفيه: وقد كان أبوك أتاني حين شرع أبوبكر في عقد الأمر لنفسه، فقال: أنت أحقّ بهذا الأمر بعد النبيّ فهلّمّ أبابك، فكرهت ذلك مخالفة الفرقة من الإسلام ولقرب عهد الناس بالكفر.

وقال المخالفون: إنّ عليّاً وتر الأحياء بقتل أمواتهم فاستحكمت الضغائن في القلوب وتلطّأت الأكباد عليه وصار هذا الأمر مانعاً من تقديمه.

والجواب: إن كان هذا القتل بإذن الله ورسوله فلا موضع للأحقاد بل ربّما كان ببركة رسول الله أدعى إلى تأليف القلوب، ولقد فعل الله ذلك بناءً على قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾^(٢) ولما مضى رسول الله ﷺ عادت القلوب إلى ما كانت عليه ورجعت ضغائنهما وأحقادها كما كانت، وثاروا ضدّ خليفة رسول الله وحاربوه، وقال له رسول الله ﷺ: إنّ الأمة ستغدر بك، وقال أيضاً: إنّ قاتلت فلك وإن تركت فهو خير لك (بعدي)^(٣).

(١) لم أجد في تاريخ المدّعين أحداً بهذا الاسم.

(٢) الأنفال: ٦٣.

(٣) كشف الغطاء ١: ١٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٢، الخصال ٤٦٢، الفارات ٢: ٤٤٤ و ٤٨٧، مناقب أمير المؤمنين ٢: ٥٣٣ و ٥٤٥، المسترشد ٣٦٣، شرح الأخبار ١: ١٥٢ و ٤٣٦، و ٤٤٦، الإرشاد للمفيد ١: ٢٨٥، كنز الفوائد ٧٩، الأمالي ٤٧٦، الاحتجاج ١: ٩٨ و ٢٨٠، مناقب ابن

وحاله كحالة هارون الذي قال: ﴿يَأْقُومُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّخْمُنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^(١) ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله، قال: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا؛ ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، وأما لوط فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُحْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٢)، وقال موسى: ﴿فَفَزَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾^(٣)، وقوله: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(٤)، وقوله: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي﴾^(٥)، وقال هارون: ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ قَوْلِي﴾^(٦)، ومن هنا امتنع عن البيعة.

وقال أبو بكر لخالد: اضرب عنقه، ثم ندم وقال: «يا خالد لا تفعل ما أمرتك».

وقال عمر لعنه الله لفاطمة: يا فاطمة، ما هذا المجموع الذي يجتمع بين يديك لئن انتهيت عن هذا وإلا لأحرقن البيت.

وكان إسحاق بن راهويه قد ذكر هذا الحديث وقال في ختامه: إنما كان هذه تغليظاً من عمر.

وكما لا يلام الرسول على ترك الجهاد في مكة كذلك لا يلام عليّ على تركه لأن الأسباب الحاكمة على كليهما واحدة.

➤ شهر آشوب ٣: ١٧، اليقين لابن طاووس: ٣٣٧، الطرائف: ٤٢٧، وصول الأخبار للبهائي: ٦٨، الجمل لضاير بن شدقم: ١٣، الأربعين للقمي: ٢٣٨، بحار الأنوار ١٨: ١٢٤ و ٢٨: ٤٥ و ٥٠ و ٦٥ و ٧٦ و ١٩١ و ٢١٠ و ٣٧٥، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٧، و ٢٠: ٣٢٦، كنز العمال ١١: ٢٩٧ و ٦١٧ رقم ٣١٥٦٢ و ٣٢٩٩٧، التاريخ الكبير ٢: ١٧٤.

(١) طه: ٩٠.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) الشعراء: ٢١.

(٤) المائدة: ٢٥.

(٥) الشعراء: ١٤.

(٦) طه: ٩٤.

وأما ما كان يقبضه عليّ من العطايا منهم فإنّها بمثابة ما كان يقبضه يحيى بن زكريّا من جبار زمانه ولعلّ ما كان يأخذه عليّ منهم إنّما كان سهمه من الخمس ولا دليل في ذلك على رضاه بإمامة الأوّل .

وأما عن اقتدائه بهم في الصلاة فإنّه يجعل بينه وبينهم حجاباً اعتبارياً بمثابة الحائط ويصليّ لنفسه وكذلك كان أولاده يفعلون حين اقتدائهم بمن لا يقتدى به إلّا أنّ الخوف والتقية يقتضيان ائتمامهم بهم ، ولعلّه يصليّ الفرائض في بيته ويصليّ النوافل في المسجد ، والنافلة لا تُصلى جماعة لكونها بدعة وحراماً ، وفي مذهبنا أنّه ترك الحضور في المسجد بعد محاولة اغتياله على يد خالد بن الوليد وإن خرج معهم في سفر فإنّما كان لغرض التعليم لأنّه كان مرجعهم في الفتوى وحلّ المشاكل والمعضلات والمعاضل التي تحدث بينهم لا تخصّصهم ، وإنّما تتوجّه رأساً إلى حرّيم الإسلام فيصبح عرضة لتقول المنافيين وطعناتهم ثمّ استهزائهم بالرسالة وصاحبها من هنا كان الأصحاب يحملون عليّاً عليه السلام على السفر معهم من أجل حفظ بيضة الدين

والقوم يروون روايات ليس لها صحّة في مذهبنا ولا تعرف من طريقنا اللهم إلّا رواية واحدة وهي أنّ أبا بكر غاضبه أحدهم فغضب وخرج خارج المدينة فتبعه الإمام وأرضاه مع من غاضبه وعاد إلى المدينة ثانية .

وأما ما قالوه من ضربه الوليد بن عقبة الحدّ بحضرة عثمان فهذا لا يدلّ على أحقيّة عثمان لأنّ إقامة الحدود بعهدة إمام الزمان بأيّ صفة كان فإنّه يجب عليه إقامتها وكان عليّ إماماً في ذلك الزمان ولا يستقيم الأثر إلّا بهذا كما فعل النبيّ دانيال حين كان يقيم الحدود في مملكته ويؤدّي الأحكام الشرعيّة وأعطى الطاغية الوسيلة لفعل ذلك ، وكان ابن مسعود يقيم الصلاة في بيته مع الأسود وعلقمة ثمّ يخرج إلى المسجد يصلّيها مع الجماعة ، والمشهور بين الأصحاب أنّ عثمان (لعنه الله -

المترجم) لا شأن له في الأمر ولا يستحقّ من الخلافة شيئاً وعلى هذا الأساس بني إجماع الأمة على قتله .

ثم إن الكثير من الصحابة صلّوا خلف معاوية ويزيد وملوك بني أميّة وهذا لا يدلّ على إمامة الظالمين الحقّة .

واتّفقوا على أنّ عبدالرحمان بن عوف قال يوم الشورى : تأخذها بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر (لعنهما الله - المترجم) فقال عليّ عليه السلام : بكتاب الله وسنة رسوله ، أمّا سنة أبي بكر وعمر فلا .

ويقول المخالف أيضاً أنّ النبي ﷺ اقتدى بعبدالرحمان بن عوف في الصلاة فلم تثبت لعبدالرحمان الإمامة ولا النبوة .

وقال : صلّى رسول الله وراء أبي بكر فعلى هذا ينبغي أن يكون أبو بكر الرسول والنبيّ تابع له .
حكاية :

خرج عمر مع العباس إلى الشام وكانت فرسه سابقة لفرس العباس ، تمشي أمامه ، فكان أهل الشام يخضعون لعمر ، حتّى أرادوا السجود له كما قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُفَهَاءَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(١) كما يفعل اليوم أتباع المشايخ وأحبابهم ، وكانوا ينادون عمر بأمر المؤمنين ، فقال العباس : إنّه ليس أمير المؤمنين وأنا أولى بها منه ، فسمعه عمر ، فحزّ كلامه في نفسه وقال : ألا أخبرك بمن هو أحقّ بها منّي ومنك ؟ فقال : نعم ، قال عمر : رجل خلفناه بالمدينة - يعني عليّاً عليه السلام - . فقال العباس : فما منعك وصاحبك من ذلك ؟ فقال عمر : نحن نقرّ بفضلّه ونعترف به إلّا أنّنا ما قدّمناه لأنّ قريشاً تحمل له الحقد في قلوبها فخفنا أن لا يجتمع عليه

العرب فيخرج الأمر من أيدينا وكان تقدّمنا عليه وتأخّره عنّا لهذا السبب، ثمّ قال: وكانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله المسلمين شرّها، والله أعلم أصبنا أم أخطأنا^(١).

الجواب:

لقد كان حقد قريش على رسول الله أكثر وأكبر من حقدّها على أمير المؤمنين، فيكون بناءً على قول عمر أن لا يمكن من تحقيق رسالته، ويقدم عليه أبو لهب وأبوجهل وأبوسفيان، لأنّ قريشاً كانت توالي هؤلاء ولا تواليه، نعوذ بالله من هذا الكلام^(٢).

ثمّ إنّ هذا القتال من عليّ كان بأمر الله ورسوله فعداوته عداوة لله ورسوله، واجتمع العرب على معاوية وعلى ابنه يزيد (لعنهما الله) فينبغي على قول عمر أن يكونا إمامين في زمانهما.

تنبيه:

روي أنّه ﷺ قال: «إنّ هذا الأمر لا يكون في عليّ ولا في أحد من ولده» عنى بالأمر الخلافة.

وأورد أبو جعفر ابن بابويه القميّ هذا الحديث على طريق الاعتراض، وقال: ولعلّه لهذا السبب زعموا أنّ النبوة والإمامة لا يجتمعان في بيت واحد، ثمّ واصل الجواب، فقال: ولو صحّ هذا الحديث لما جعل عمر عليّاً واحداً من أصحاب

(١) ورد الحديث في الإيضاح طويلاً وفيه قول عمر لابن عباس: وما كفي ما قال لي أبوك: قال - الراوي - فقلت لابن عباس: وما قال له أبوك؟ قال: لقيه رجل من أهل الشام، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال العباس: لست والله للمؤمنين بأمر هو ذاك وأنا والله أحقّ بها منه، فسمعه عمر فقال: أحقّ والله بها منّي ومنك رجل خلفناه بالمدينة أمس - يعني عليّاً - (الإيضاح: ١٧٣، الصراط المستقيم ٢: ٥٦، مواقف الشيعة ١: ٢٢١).

(٢) هذا يا شيخ كلام من لا يؤمن بالله ولا بنبوة رسول الله ﷺ.

الشورى، وكذلك لم يفوض الإمام أمر الخلافة إلى الحسن ولم يبايع المهاجرون والأنصار علياً ولم يجمع أهل القبلة ومعهم العالم على إمامته.

فتبين مما تقدم أن إجماع المسلمين حاصل هنا والإجماع حجة مع أن مخالفينا يروون أن النبي ﷺ قال: «المهدي من ولد فاطمة» واستخلف علي خمس سنوات واتخذ أهل القبلة إماماً لهم وخليفة عليهم فإجماعهم مبطل لهذه الرواية وثبت كذبا.

وقال النبي ﷺ: لا تجتمع أمّتي على ضلال، مع أن واضع هذا الحديث هم بنو أمية وأرادوا بالشبهة الملبسة بلباس الدليل صرف الخلافة عن أهل بيت رسول الله ﷺ.

وروا أيضاً بأن العباس قال لعلي عليه السلام: هلم أبايك، فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله. وينبغي على ما ذهبوا إليه أن العباس خالف رسول الله ﷺ. سؤال:

من الجائز أن لا يكون العباس لم يسمعه من النبي أو سمعه ونسيه.

الجواب:

فلم لا يكون جائزاً حينئذ أن ينسى الصحابة من ذلك الجمع وفيهم المحب الصادق أحاديث إمامة علي وكتما الأعداء. تنبيه:

مذهب العلماء على أن الخلفاء لم يحضروا جهاز النبي ولا الصلاة عليه، بل كانا يتحيتون الفرصة هناك وقد علموا أنهم إذا شاركوا في تجهيز النبي خرجت الخلافة من أيديهم وكان أبوبكر وعمر يشكّان في موت النبي^(١)، قال: أيها الناس، كفوا

(١) وهذه لا أرضاها من المؤلف فقد مثل عمر دور الجاهل انتظاراً لصاحبه حتى يعود فلما عاد ختمت التمثيلية.

أَلَسْتُمْ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ اللَّهُ وَاعِدَهُ كَمَا وَاعَدَ مُوسَى ، وَهُوَ آتِيكُمْ ، وَاللَّهُ لَا نَسْمَعُ أَحَدًا يَذْكُرُ النَّبِيَّ تَوْفِيًّا إِلَّا أَعْلَوْتُهُ بِسَيِّفِي هَذَا وَلَكِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَارِعَ إِلَى دَفْعِ هَذِهِ الشَّهْبَةِ مِنْ أَذْهَانِ النَّاسِ .

وَأَيْضًا أَتَظُنُّ أَنَّ عَمْرَ لَمْ يَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ^(١) وَقَدْ نَزَلَتْ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ بِأَحَدِ عَشَرَ سَنَةً ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ ^(٢) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْفُوتِ ^(٣) وَكَانَ النَّبِيُّ يَقُولُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ : «نَعَيْتُ إِلَى نَفْسِي» ، وَالْعَجِيبُ فِي أَمْرِ عَمْرٍ أَنَّهُ يَرَى أَوْ يَسْمَعُ بِغَسْلِ النَّبِيِّ وَكَفْنِهِ وَدَفْنِهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَضْرَبُ بِسَيِّفِي مَنْ يَقُولُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَنْ عَمْرٍ بِأَنَّهُ قَالَ : لَوْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ كَيْفَ يَكُونُ عَلَيْنَا شَهِيدًا ، يَمُوتُ الرَّسُولُ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى النَّاسِ ، فَإَيَّاكُمْ أَنْ تَفْتَنُوا أَيُّهَا النَّاسُ كَمَا افْتَنَ قَوْمَ مُوسَى حِينَ غَابَ مِنْهُمْ إِلَى الطُّورِ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَعَاقِبَهُمْ .

فَقَبْلَ قَوْلِهِ جَهَّالُ الصَّحَابَةِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ بَيْتِ النَّبِيِّ وَشَرَعُوا فِي إِحْدَاثِ الشَّغْبِ قَائِلِينَ : لَا تَحَرَّكُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا تَغْسِلُوهُ وَلَا تَكْفِنُوهُ لِأَنَّهُ حَيٌّ قَائِمٌ .

فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ وَطَالَبَهُمْ بِإِثْبَاتِ مَا يَقُولُونَ وَسَأَلَ عَمْرَ وَالْمُنَادِينَ مَعَهُ : مَتَى قَالَ النَّبِيُّ أَنَا لَا أَمُوتُ ؟! فَصَاحُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَا عِلْمَ لَنَا بِذَلِكَ ، فَأَقْسَمَ الْعَبَّاسُ أَنَّهُ مَاتَ وَقَرَأَ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى مَوْتِهِ ، فَقَبْلَ الصَّحَابَةِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ كَانَ لِعَمْرٍ غَايَةٌ وَرَاءَ هَذَا الْقَوْلِ وَهُوَ أَنَّ الْحُزْنَ لَا يَدُّ وَأَنَّ يَعْصِمُ الْأَصْحَابَ بِمَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يَدُّ مِنْ

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) الأنبياء : ٣٤ - ٣٥ .

بكائهم ساعة علمهم بموته ، وعمر مقبل على ملك عضوض وهو فرح به مستبشر ، وطالب من القوم تهنئته على هذا النصر العظيم وهي لا تجامع الحزن فمن الحزم الحيلولة بينهم وبين البكاء لئلا تفوته فرحة النصر على العدو والفوز بالملك العقيم ، وكان يستحي من الظهور بمظهر الجذل والفرح فلا بد من افتعال هذه الزوبعة لتقرير غابته^(١).

وأيضاً إن أردل القبائل قبيلة أبي بكر وعمر وكان قبل الإسلام بطّالاً إذا أصاب طعاماً أو شرباً على خوان أحدهم قصفه ، أمّا أبو بكر فكان أحياناً عضر وطاً أو سمساراً أو معلّم فتیان عبادة الأصنام وأحياناً يبيع البرّ ، فلما رفع من الرفش إلى العرش فلا بد من أن تعمّه الفرحة التي لا حدود لها ، وهم يقولون : إنّ أبابكر ألفت ذهن عمر إلى موت رسول الله بقراءة الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢) فأقسم عمر كأنه لم يسمعها قبل اليوم ، والعجب من القوم أنّهم يقولون كان عمر معلماً لأبي بكر وكان أعلم منه وكان حلّ العضلات التي تعترض أبابكر على يديه ثمّ هو يجهل هذه الآية مع ادّعائهم أنّه كتب القرآن وجمعه وحين هلك ذهب تسعة أعشار العلم بهذه العبارة : «لما مات عمر ذهب تسعة أعشار العلم».

وقوله : إنّ رسول الله شهيد علينا ألا يعلم أنّ هذه الشهادة في الآخرة لا في الدنيا .

(١) رحم الله المؤلف حين يطمئن إلى هذا التوجيه البارد والواقع أنّ موت النبي فاجأ عمر وأبو بكر صاحبه بالسبح فخاف أن يطول مكثه هناك فأراد أن يشغل الناس بهذه الفرية حتّى يعود صاحبه ولذلك لما عاد أبو بكر وتلا عليه آية «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» سكت عمر من تهديده وقال : كأتني لم أسمع ، نعم كان أعمى أصمّ وصاحبه في السبح أمّا الآن فقد عاد سمياً بصيراً ، ألا لعنه الله ولعن صاحبه .

(٢) الزمر : ٣٠ .

الفصل الرابع

ولما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى أمر علياً والعبّاس باللباسه حلّة يمينيّة، ويغسل فيها، فكان العبّاس يسكب الماء والفضل يقوم بنقله إليه والإمام يقلّب رسول الله ويدلّكه، واحتاج الفضل إلى الخروج من مكان الغسل لقضاء مهمّة عرضت، فانتدب مكانه أبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب من بني هاشم ومن الأنصار أبيّ بن كعب وأوسى بن خولّى كانا مع بني هاشم خارج موضع الغسل، وكان السبب في دخولهما مع عليٍّ عليه السلام وبني هاشم أنّ الأنصار قالوا لعلّي: ناشدناك الله وحقنا من رسول الله صلى الله عليه وآله فأشركنا معكم في غسل رسول الله، ففعل عليه السلام، هذا ما في روايات القوم.

وأما عندنا فإنّ عليّاً لم يشركه أحد في غسل رسول الله إلّا الفضل بن العبّاس حيث كان ينقل الماء والملائكة أعوان عليٍّ عليه السلام ومعهم جبرئيل في فوج من الملائكة المقرّبين.

ويقول ابن بابويه: لم يحضر الأنصار إلّا في الصلاة، وهذه مسألة قطعيّة عنده لا تقبل النقاش، وهي متّفق عليها عندنا إلّا أنّ الإجماع حاصل من أنّ عليّاً عليه السلام بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله «يا عليّ، أنت أوّل من آمن بي وآخر من يسلمني إلى ربّي» أما مخالفونا فلقد افترؤا فرّى ليس لها واقع أصلاً من قبيل مشاركة العبّاس وأسامة والفضل وأبي سفيان ابن الحرث وغرضهم من ذلك الوضع من مرتبة عليٍّ وفضله وليس مع عليٍّ غير الفضل يأتيه بالماء وباقي أعوانه من الملائكة، ولم يصلّ في مسجد النبيّ ذلك اليوم أحد سوى بني هاشم فقد كانوا في شغل شاغل عن كلّ شيء إلّا عن مصيبتهم وعن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه، وكان أبوبكر في

سقيفة بني ساعدة يلاطم على الملك حتى إذا فرغ بنو هاشم من مأتهم على النبي يكون قد أحكم السيطرة على الملك.

الفصل الخامس

روى يوسف بن كليب المسعودي السني عن إبراهيم بن إسحاق الأزدي، عن عبدالله بن لهيعة المصري، عن أسود بن عروة بن الزبير (الزهر) أنه قال: أول من قطع سهم ذوي القربى وسهم المؤلفة قلوبهم أبوبكر، ويوسف هذا من قطع السنة النواصب، ثم قال: وما أخذه منهم أنفقه على العسكر في عدته وعدده.

الجواب:

إن الله سبحانه ورسوله أعلم بترتيب الشريعة والنظر لصالح الناس من هؤلاء القوم وأمر الله ورسوله لأهل البيت بحققهم في هذه الآية ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(١) وأمثالها، وأمر الله بإكرام أهل البيت ومحبتهم بهذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢) وكيف يستلب منهم ما جعله الله حقاً لهم وتحيّة لجناهم دون سائر الناس ثم يعطي إلى قوم غيرهم؟

وذكر مسلم الأصم والجاحظ وحفص وهؤلاء من أعلام النواصب: كان في ذمة أبي بكر عند موته أربعون ألف دينار من بيت مال المسلمين، ومات وهي في ذمته لم تؤدّ عنه، وأمر في وصيته بأدائها عنه ولكن الخليفة من بعده لم يردّ حقوق أحد من المسلمين حتى يؤدّيها عنه، وأخذوا حق أهل بيت الرسول وتركوهم جياعاً عراة وقضوا حقوقهم: يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع.

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الشورى: ٢٣.

حكاية :

يقال : إنه كان في الري حاكم ظالم جداً ، فقبض يوماً على أحد الدهاقين وصادر أمواله كلها ، وحدث ذات يوم أن مغنياً كان يردد رجزاً جميلاً وفيه : إن الوالي الذي صادر الدهقان أعطاه مال المصادرة ، ولما بلغ الخبر الدهقان بكى وقال : يأخذ من ليس عليه شيء ويعطيه من ليس له عنده شيء .

وهذا الخبر منطبق على أبي بكر تمام الانطباقي ، لأنه أخذ مال من لا يجوز أخذ ماله وأنفقته على من لا ينبغي أن ينفقه عليه : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴾ (١) .

وكان مذهب الشافعي على هذا وهو أنه في آخر عهد عمر قدم بمال كثير من فارس وكرمان والأهواز وتستمر إلى المدينة ، فقال عمر : إن حصّة بني هاشم من هذا المال الخمس وأنا أرجوهم أن يقرضوه لي لأصلح به حال المسلمين على أيّ سوف أعوّضهم عنه في فرصة قادمة من مال آخر ، فأقرضه أمير المؤمنين إياه وفعل بنو هاشم فعله ، فطالت المدّة ولم يعوّضهم عمر عنه حتّى هلك ، ولما جاءت نوبة عثمان بقيت الحال على ما هي عليه من سنّة عمر ، وجاء الخلفاء وقد تنوسي الخمس فلم يعطوا أهل البيت شيئاً .

وفي رواية أخرى عن الشافعي عن أبي ليلى أنّه روى عن عليّ قال : ذهبت أنا وفاطمة والعبّاس وزيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ وقلنا : يا رسول الله ، إننا نخشى أن لا نعطى حقنا من الخمس بعدك ، فأعطنا في حياتك لكي لا يعترض علينا أحد أو يعارضنا ، فرضي النبيّ بذلك ودفع إلينا الخمس وبقي في أيدينا أيام أبي بكر حتّى إذا كانت أيام عمر جائه مال كثير فأخرج خمسه ودفعه لنا ، فقلت

(١) المنافقون : ٧ .

لبنی هاشم : ما حاجتنا بهذا المال ادفعوه إلى المسلمين لإصلاح حالهم ، لعلهم يعطونا عوضه في فرصة أخرى مؤاتية ، فقبضه عمر على أنه قرض وأعمل فيه يده بالتصرّف فأنكر العباس على عليّ هذا الموقف وقال : لا ينبغي لك أن تفعل هذا لأنّي أخاف أن يحلو المال بأعينهم فلا يعطونا شيئاً بعده ، وكان كذلك فعلاً فقد هلك عمر ولم يؤدّ إلى بني هاشم قرضهم كما سلف وبقي هذا الدين عالقاً في ذمّة عمر .. وهاتان الروایتان من الشافعي .

تنبيه :

لقد تمّت الصيغة الكاملة للصلاة والزكاة والخمس بنصّ القرآن الكريم فمن أنكر واحدة منها أو امتنع عن أدائها عدّ كافراً بالقرآن وبمنزله ورسوله .

قال الحارث بن المغيرة : طلب «نجية» الإذن على الإمام الصادق فأذن له ودخل عليه يسأله عن قضية الخمس ومنعه ، فقال ذلك الإمام : يا نجية ، إنّ الخمس لنا في كتاب الله ولنا الأنفال وصفوة الأموال وهما والله أوّل من ظلمنا ومنعنا حقّنا وكانا أوّل من ركب أعناقنا - إلى أن قال : - وسوف يكشف أحوالهما قائمنا كما يستحقّون .

ووردت أخبار نظير هذا لا تقبل الحصر .

الفصل السادس

في مثالب بني تيم

ذكر أصحاب السير والمؤرّخون عن بني تيم بأنّهم كانوا أهل مسكنة وفقر ، وأخمل وأجهل بطون العرب ، وسقطوا في الجاهلية فليس لهم قدر ولا جاه ، وقد ذمّهم دغفل النسابة عند معاوية ، وقال فيهم جرير :

ويقضي الأمر دون رجال تيم^(١) ولا يستأذنون وهم شهود

وإنك لو رأيت عبيد تيم وتيماً قلت أيها العبيد

ولم يكن فيهم لا سيّد مشهور ولا تاجر معروف ولا جواد مذكور، وكان دغفل النسابة عربياً عارفاً بأنساب العرب وسأله معاوية ذات يوم عن القبائل، فقال بعد أن ذكر عدداً منها وسأله معاوية عن بني تيم:

أهل فحش فاش، أحلام الفراش! إن شعبوا بخلوا، وإن افتقروا ألحفوا (ألحوا - المؤلف).

وقال أبو العباس - لعله المبرّد - المترجم - قال حجر ابن جوين لأبيه: هجوت قبائل العرب وتركت تيماً فما هو سبب تركك هجائهم؟ فقال: يا بني، لم أجد لهم حسباً أضعه ولا بيتاً أهدمه.

واسم أبي قحافة عثمان بن عامر وكان يُعرف في قریش بـ«لواطه» وكان من لؤمه ينادي على طعام عبدالله بن جدعان^(٢) وكان يعطيه عبدالله على فعله هذا في كلّ يوم درهماً وحداً، ويملاً جوفه من فضلات طعام الأضياف ويذكر ذلك أمية ابن أبي الصلت عن ابن جدعان، فيقول:

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي

إلى آخر الشعر، والمنادي هنا أبو قحافة.

وكان صائداً يصيد الطيور فصاد طيراً في الصحراء وباعه بذى الحليفة.

وكان له شريك يقطن بذى الحليفة ويدعى سعد الغاري من الغارة بن الهون بن

(١) في العيون والمحاسن للشيخ المفيد: ويقضي الأمر حين تغيب تيم - وهو أبلغ وفيه الطباق:

غياب وشهود.

(٢) ومن يفعل ذلك يسمّونه «عسروط» وليس «لواطه».

خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر^(١) وقال بعضهم اسمه سعيد .

وحاصل الكلام أن سعيداً هذا خان أبا قحافة حين أخذ طائرته الذي اصطاده فكتمها أبو قحافة في نفسه ولم يدها لأحد وصبر على مضض وكان يبالغ في التكتّم، فدعاه شريكه ذات يوم إلى بيته فأجلسه فيه وخرج لحاجة عرضت له، فعمد أبو قحافة إلى بيته في غيابه فانتبهه وأخذ منه ما قدر على أخذه، ومن هذه الجهة سمّي أبا قحافة، يقال: اقتحف اقتحافاً أي شرب شرباً شديداً، جمع ما في الإناء من الماء. وكان لا يقول الشعر ولكنه قال شعراً في هذه الواقعة:

أسمد جزاك الله شرّ جزائه بما نلت منّي في الخيانة والظلم
وثقت به حيناً وقلت لعلّه يكون على أمر بعيد من الظلم
فلما رأيت المرء ينوي خيانتني شددت عليه شدّة الليث ذي الضغم
وقلت له هذا جزاءك ظالماً لما قدّمت منك اليدان مع الفم

وتظهر مروثة أبي قحافة وكرمه وسخائه من هنا حيث سرق بيت شريكه ومضيفه وهجاه من أجل طائر، ولا بد أن ينعكس شرفه هذا على أهل بيته فيكونون على مثل مروثته وشرفه، وكلما تنافسنا هذه تنبيه على أبا طيل من ينسبون إليه الفضائل، إذ قلّت الخبرة - خبرة - بأحواله.

قال أهل السير من الأسلاف: كان جماعة يذكرون مناقب معاوية في أحد المجالس، فقال أحدهم: كان معاوية بدرياً أي أنه حضر موقعة بدر، وكان هشام ابن الحكم حاضراً، فقال: نعم كان بدرياً ولكنه من جانب المشركين.

(١) أحيط القارئ علماً بأنّي عاجز عن التأكد من أسماء الأعلام الواردة في هذا الكتاب لأنّ نصوصه العربيّة أكثرها دخلها التصحيف والتحريف ولا أملك إلّا نسخة واحدة هي التي أقوم بترجمتها من ثمّ أكل الأمر إلى القاري في تحقيق ما يراه خطأ أو مصحفاً أو محرّفاً.

إنَّ الجماعة الذين يوالون هؤلاء ينسبون إليهم المناقب على مثل طريقة العرب في التفاؤل حيث يسمّون الأشياء بأضدادها فيسمّون الأعمى بصيراً، واللديغ سليماً، والصحراء المهلكة مفازة «حبك الشيء يعمي ويصم».

والدليل على خساسة طبعهم أنّه لما بايع القوم أبابكر بعد وفاة النبيّ سأل أبو قحافة : من بايعه الناس؟! قالوا : ابنك ، فقال : كيف رضي بنو عبد مناف بذلك؟ - لأنّه علم أنّ الأشراف وعلية القوم لا يقرّون له اختياراً لذلك تملكه العجب من هذه المهزلة - فقالوا له : رضي المسلمون به ، فقال : لا مانع لما أعطى الله ، وكأنّه كان جبرياً ومن ثمّ اعتقد بأنّ خلافة ولده كانت بقدر من الله تعالى ولم يدر أنّها تمّت بالقهر والغلبة والحيلة والغدر ، فإن كانت خلافته قدراً من الله وهبة منه سبحانه فإنّ ملك معاوية ويزيد وسائر بني أميّة وملك الأكاسرة والقيصرة بقدر من الله كذلك «نعوذ بالله منه».

قال أبو بكر لأبيه يوماً : ترى صلاتنا متعبة مقيمة مقعدة والعجب أنّه لا يرى عمل الصائت بأقدامه الحافية راكضاً في صحراء مترامية الأطراف وراء الطيور عملاً متعباً ومقيماً مقعداً ، ويرى الصلاة كذلك ، وهي تؤدّى في محلّ واحد !
حكاية :

كان رسول الله ﷺ مابين مكّة والمدينة وقد مرّ على قبر أبي سعيد بن العاص ، فقال ابوبكر : لعن الله صاحب هذا القبر فإنّه كان يكذب الله ورسوله - وكان ابنه سعيد حاضراً - فقال : بل لعن الله أبا قحافة لأنّه لا يقري الضيف ولا يدفع الضيم ولا يقاتل عن رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : إذا سببتم المشركين فعمّوهم بالسبّ ولا تسبّوا الأموات فإنّ سبّهم يغضب الأحياء ، وذكر أصحاب السير والتواريخ أيضاً^(١).

(١) إلى هنا وانتهى الفصل ولم يذكر ما قاله أصحاب السير والتواريخ .

الفصل السابع

اعلم أن أبا بكر لم يثبت له قتال في الإسلام ولم ينقل عنه أنه قتل مشركاً واحداً ولم يذكر ذلك أهل المغازي، نعم، قيل أنه استأذن من رسول الله يوم الخندق أن يبارز ولده فلما خرج إليه ودنا منه، قال له: ويحك، ما بقي من مالي؟ فقال ابنه: لم يبق إلا شكة ويعيبوب وفارس يضرب ضلال الشيب، واليعبوب اسم فرس.

قال الجاحظ الناصبي اليزيدي في كتابه «العثمانية»: إن أبا بكر لما أسلم أسلم معه أهل بيته كلهم، وهذا قول باطل بعد الرحمن ابنه الذي كان كافراً يوم الخندق.

وقيل عنه: أنفق ماله بعد إسلامه ولم يبق منه درهم واحد، وهذه الدعوى الباطلة يكذبها قوله لولده: «ويحك ما بقي من مالي».

والمشهور عنه وعن صاحبه عمر أنها كانا أول المنهزمين في وقعة خيبر وحنين. وكان ينجل من الذهاب إلى ولده ظاهراً ليسأله عن ماله فجاء النبي واستأذنه في البراز ﴿يُخَابِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) ومع هذا فقد ظهرت الفرحة على بعض المسلمين أن فلاناً الذي لم يعرف الصحور في الحرب ولم يقاتل بمقدار جناح بعوضة سوف يخرج اليوم للمبارزة فينبغي أن يكتب له حرز عن العيون: «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» ولما علم أبو بكر بما جرى لماله من ابنه رجع من ميدان القتال.

الفصل الثامن

يقول المخالفون: إنّ الأصحاب هم الذين نطق القرآن بفضلهم ونوّهت السنّة بهم، وكلّ الذي عليه أهل القبلة من الدين والديانة والعقيدة وصل إليهم منهم فكيف يجتمعون على الكذب وينكرون نصّ رسول الله مع أنّهم يدركون رفعة مقام عليّ وفاطمة ويقرّون بفضلها. وأهل السنّة اليوم في مجالسهم ونواصي وعظهم مشغولون بالحديث عن فضلها وصالح أفعالها، فكيف يتصوّر على هؤلاء إنكار النصّ فيكفرون من أجل غيرهم؟

الجواب: إذا كانت المناظرة من جهة الأخبار احتاجت إلى التصادق، وإن كانت من جهة العقل احتاجت إلى التناصف، وما ورد من القرآن والسنّة في فضل الصحابة فإنّهم أولئك الذين لم ينكروا فضل أهل بيت النبي ﷺ ولا جحدوا فضائلهم ومناقبهم أبداً نظير بني هاشم وأبي ذر وعمار وغيرهم، لم يأت القرآن والسنّة الموثوق بها بالتخصيص وإنّما أتت بطريق العموم، ووردت مجملة ومع هذا فقد ورد مثله آيات في ارتداد القوم كما سنقصّ عليك زمرة منها.

ثمّ إنّ الصحابة كانوا هم على الشرك ومن سلالة مشركين وكان أولاد يعقوب من سلالة الأنبياء ويعرفون مناقب أخيه يوسف فأرادوا قتله - كما هو مشهور في التاريخ ومذكور في سورة يوسف - من الحسد والعداوة مع أنّهم يعرفون منزلة يوسف وعلوّ درجته.

وكذلك فعل قابيل فإنّه لم يقتل أخاه بناءً على الجبلة الإنسانيّة والغيرة الأخويّة وإنّما قتله لعلمه بعلوّ رتبته «عند الله وعند أبيه آدم».

وكان رسول الله في الوهلة الأولى لم يعاده أحد ولكن حين ظهرت بوادر شرفه

ومنصبه وجاهه ورفعته حسدوه وناصبوه العداة وكان في مراحلہ الأولى ساكتاً حتى إذا وجد المعين والناصر خرج بالسيف، ثم إنَّ عدوَّ محمد ﷺ ظاهروا الشرك، وعدوَّ عليّ ظاهروا الصلاح والعدالة، والشرك والمعصية مقيان في الباطن منهم فلم يدرك الجهال حقيقتهم لتسترهم بقناع الإسلام وكانوا يموهون على الناس في ظلمهم لأهل البيت بظاهر الشرع والإسلام فلم يتيسر لكلِّ أحد معرفتهم أو الاطلاع على حقيقتهم وكان عدوَّ محمد مشركاً وعدوَّ عليّ منافقاً.

لقد كان النمرود وفرعون يرون المعجزات رأي العين فلم يكونوا يجهلون رتبة موسى وإبراهيم، وكان بنو إسرائيل يعرفون منذو البداية ما لذكر يا وعيسى من رفيع الدرجة وعلو المنزلة وغيرهما من الأنبياء كما جاء في كتب السلف وقد ذكر الماضون أنَّ بني إسرائيل كانوا يقتلون في كلِّ يوم مائة واثنى عشر نبياً، ولا تنس أهل العقبة فما كانوا يجهلون فضل رسول الله بل عرفوه على حقيقته.

أما الشريعة فهي مبنية بالقرآن الكريم وإجماع أهل القبلة ونحن شيعة أمِّه أهل بيت رسول الله ﷺ عرفنا المجل من القرآن وما يحتاج إلى تفسير وبيان من أقوال المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ومن الصحابة الذين لم يخالفوهم ولم يختلفوا معهم مثل أبي ذر وسلمان وعمار وأمثالهم من بني هاشم.

وأما خصومنا فقد ارتدوا والنبي ﷺ على قيد الحياة وكان وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يقول: «نقدوا جيش أسامة» إلى أن قال: لعن الله من تخلف عن جيش أسامة، وقد أخبر الله تعالى عن هذا الارتداد بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(١) ومن الواضح أنَّ أولئك الذين تجمهموا في سقيفة بني ساعدة لم يكن اجتماعهم مجرد صفاء واتفاق بل كانت المجادلات والمشاحنات بينهم على أشدها فما أكثر ما تسابوا

(١) آل عمران: ١٤٤.

وتشاقموا وتضاربوا بالنعال وكفّر بعضهم البعض الآخر وصدرت أوامر من بعضهم بقتل البعض الآخر ومناديهم ينادي: منّا أمير ومنكم أمير، والذين بايعوا أبا بكر سلّوا السيوف بينهم.

وهؤلاء قوم موسى عرفوا نبوة موسى وعلموا بمناجاته الله تعالى وآمنوا بنبوة هارون وعرفوا قدره ومع ذلك فقد عبدوا العجل وحينئذٍ تكون حال على حال هؤلاء الأنبياء.

وسؤال السائل مردود عليه بإجماع الصحابة على قتل عثمان والخصم يزعم لعثمان الفضل والمنازل العالية، والأصحاب كانوا جميعاً حضرواً في المدينة، فلم يذكر لأحد منهم مشاركة في الدفاع عن عثمان وما يقوله الخصم من حجة في توجيه تصرّفهم نقوله نحن في دفع شبهته لاسيّما على مذهب الخواجة الذي يرى الإيمان عطاءً وهبة وعسى أن يسلب الله العبد ما وهبه في خائته كما جرى لبلعم بن باعورا وبر صيصا الراهب.

وطبقاً لما يعتقد القوم في طلحة والزبير وعائشة ومعاوية أنّهم من أعلامهم من العشرة المبشرة ولكنّهم خرجوا على الخليفة الرابع وبغوا عليه وهو إمام زمانهم فهم بغاة بناءً على مذهب الخصوم، وكفرة بناءً على مذهب الشيعة وقد أحدثوا في الدين أحداثاً لاسيّما طلحة والزبير ومعاوية، وأجّحوا نار الفتنة في الدين، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أقاتلهم وهم مشركون».

ومن المعلوم عند الأمة أنّ عثمان ارتكب مظالم كثيرة ضدّ المسلمين حتّى قام الإجماع من المهاجرين والأنصار على استباحة دمه، وقدامة بن مظعون شرب الخمر وأجروا عليه الحدّ فجلدوا ظهره، وزنى المغيرة وشهد عليه الشهود ولكن عمر درأ عنه الحدّ بحيلة واضحة عرفها الخاصّ والعام، وحدّوا حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة في القذف، وأقرّ النعمان بن بشير على نفسه في حربه مع معاوية

وقال: أبصرت (رشد) نفسي ثم تركته وأنه إن حرم عليّ الجنة وزيتونها فإنّني يقاتل على الغوطة وزيتونها.

ويقول خصومنا أن سعداً بن أبي وقاص والد عمر لعنه الله ومحمداً بن مسلمة وحسان بن ثابت لم يبايعوا علياً وبايعه طلحة والزبير، وأظهر المغيرة الطعن على علي عليه السلام كثيراً وأظهر له العداوة وأغرى عائشة بالخروج عليه وقتاله وقال لها: تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونشنع بك على عليّ إن قتلك.. يعني علياً^(١).

وأشهر منه في الخبث والعداوة أبو موسى الأشعري لعنه الله الذي خان إمام المسلمين وعزله، وقال رسول الله ﷺ: يا علي، إنّ الضغائن في أنفس قوم لا يبدوها إلا بعدي^(٢).

(١) الذي أعهد من هذا الكلام أنه لعمر بن العاص وليس للمغيرة.

(٢) هذا الحديث روي هكذا: عن أبي عثمان النهدي قوله: أخذ عليّ يحدثنا إلى أن قال: جذبني رسول الله ﷺ وبكى، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور قوم لن يبدوها لك إلا بعدي. فقلت: بسلامة من ديني؟ قال: نعم بسلامة من دينك (علي الشهرستاني، وضوء النبي، ٢: ٢٠٤).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: قال النبي ﷺ: إذا ميتٌ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم يتمثلون ويمنعونك حقك (٢: ٧٢).

وراجع للحديث بصيغته المختلفة الكتب التالية: كفاية الأثر: ١٢٤ و ١٥٨، كتاب سليم بن قيس تحقيق الأنصاري: ١٣٦ و ٣٠٥، الإيضاح لفضل بن شاذان: ٤٥٥، مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٤٣ و ٢: ٥٥١؛ المسترشد للطبري الإمامي: ٣٤١، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢: ٤٦٤، الاحتجاج ١: ٢٠٩، الطرائف لابن طاووس: ٤٢٨، الصراط المستقيم للعالمي ٢: ١١٦، وصول الأخبار للبهائي: ٦٨، الصوراء المهرقة: ١٩٨، الجمل: ١٠، كتاب الأربعين: ٢٦٤، بحار الأنوار ٢٢: ٥٣٦ و ٢٦: ٣٥٠ و ٣١: ٣٤٣ و ٣٢: ١٥٤ و ٣٦: ٣٢٨ و ٣٣٧، الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١١٨، مسند أبي يعلى ١: ٤٢٧، المعجم الكبير ١١: ٦١، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٧، كنز

وقال ﷺ: إنَّ قوماً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ويذهب بهم إلى النار، فأقول: أصحابي، فيقال لي: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنَّهم مشوا القهقري، فأقول لهم: بعداً وسحقاً^(١).

وقال: إنَّ من أصحابي من لا يراني بعد موتي^(٢).

وقال أيضاً: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض^(٣).

➤ العمال ١٣: ١٧٦ الرقم ٣٦٥٢٣، الكامل في الرجال ٧: ١٧٣، تاريخ بغداد ١٢: ٣٩٤، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤، ميزان الاعتدال ٤: ٤٨٠، المناقب للخوارزمي: ٦٥، كشف اليقين للحلي: ٤٦٠، جواهر المطالب لابن الدمشقي ١: ٢٣٠.

(١) وأما هذا الحديث فقد روي بصيغ مختلفة وإليك الكتب التي أخرجته: الصراط المستقيم: ٣: ١٠٧ وقال: أخرجه البخاري، بحار الأنوار ٧: ٨٢ و ٢٨: ٢٢، أجوبة مسائل جبار الله للسيد شرف الدين رحمه الله: ١٣، النص والاجتهاد: ٥٢٥، الغدير للأميني ٢: ٢٩٦، أضواء على الصحيحين للنجمي: ٤٣٢، دراسات في الحديث والمحدثين للسيد هاشم الحسيني: ٨٧.

ومن كتب العامة والجماعة: صحيح البخاري ٤: ١١٠ و ٥: ١٩٢، جزء بقي بن مخلد لابن بشكوال: ١٤٩، أضواء على السنة المحمدية لأبي رية: ٣٥٤، جامع البيان للطبري ٢٧: ٢٢٠ و ٢٤٩، تاريخ مدينة دمشق ٦: ٢٤٣ و ٢٤٥، تهذيب الكمال ٢٨: ٤٠٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ٧: ٢٧١.

(٢) الأمالي للصدوق: لا يراني بعد أن يفارقني، مجمع الزوائد ١: ١١٢، مسند ابن راهويه ٤: ١٤٠، المعجم الكبير ٢٣: ٣١٨ و ٣١٩، كنز العمال ١١: ١٩٧ رقم ٣١٢١١، النهاية لابن الأثير ١: ١٥٤، لسان العرب ١٤: ٨٣.

(٣) وهذا الحديث رواه كثير من الشيعة ولكننا نتجاوزه من كتبهم إلى كتب الخصوم: المجموع للنووي ١٤: ٢٣٠ و ١٩: ١٥٥، المحلى ١١: ٣٩٩، سبل السلام لابن حجر ٢: ٢١٤ وقال: أخرجه البخاري، نيل الأوطار للشوكاني ١: ٣٧٧ و ٣: ٣٧٩ و ٥: ٣٨١ و ١٥٦ وقال: رواه أحمد والبخاري، مسند أحمد ١: ٢٣٠ و ٤٠٢ و ٢: ٨٥ و ٨٧ و ١٠٤ بطريقين.. ٤: ٣٥١ و ٣٥٨ و ٣٦٦ بطريقين.. ٥: ٣٩ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٩ و ٦٨ و ٧٣، سنن الدارمي ٢: ٦٩، صحيح البخاري ١: ٣٨ و ٢: ١٩١ و ٥: ١٩٢ و ١٢٦ بطريقين.. ٧: ١١٢ و ٨: ١٦ و ٣٦ بطريقين.. و ٩١ بأربع طرق، صحيح مسلم ١: ٥٨، سنن

ووقف يوماً على الشهداء وقال: أنا الشهيد على هؤلاء، فقال بعض الأصحاب: ونحن أسلمنا أيضاً وجاهدنا معك ورجوه أن يقول فيهم ما قاله في شهداء أحد، فقال رسول الله ﷺ: إني لا أدري ما تفعلون بعدي، وقال في حقهم تلك اللفظة. قال أبوذر رضي الله عنه: أصحاب العقبة قوم من أهل النار وإني لا آسى عليهم إنما آسى

➤ ابن ماجة ٢: ١٣٠٠، سنن أبي داود ٢: ٤٠٩، سنن الترمذي ٣: ٣٢٩ بطريقتين، سنن النسائي ٧: ١٢٦ بطريقتين.. و١٢٧ بطريقتين.. و١٢٨ بطريقتين، المستدرک للحاکم ١: ٩٣، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٤٠ و٦: ٩٢ و٩٧ و٨: ٢٠، مجمع الزوائد ١: ١٥٦ و٣: ٢٦٦ و٢٧٠ و٢٧٣ و٤: ١٧٢ و٦: ٢٨٣ بطريقتين.. و٢٨٤ و٧: ٢٩٥ بطريقتين.. و٢٩٦ بطريقتين.. و١٠: ٣٦٥، مسند الطيالسي: ٩٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٦٠٢ بطريقتين.. و٦٠٣، خلق أفعال العباد للبخاري: ٧٩، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٣، بغية الباحث لابن أبي أسامة: ١٢٨ و٢٤٥، الأحاد والمثاني للضحاك ٣: ٢٠٩ و٢١٠ و٣٠٢.

وراجع: السنن الكبرى للنسائي ج ٢ و٣، ومسند أبي يعلى الموصلي ج ٣ و٧ و٩ و١٢، المتقى لابن الجارود، صحيح ابن حبان ج ١ و١٣، الحدّ الفاصل للرامهرمزي، المعجم الصغير للطبراني ج ١، والأوسط ج ٤ و٧ و٨، والكبير ج ٢ و٤ و٦ و٨ و١٠ و١٢ و٢٢، ومسند الشاميين له أيضاً ج ١، أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني، شرح ابن أبي الحديد ج ١، الأذكار النووية، رياض الصالحين للنووي أيضاً، الجامع الصغير للسيوطي ج ٢، كنز العمال ج ١ و٥ و١١ و١٤، تفسير ابن كثير ج ٢، شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢، الدرّ المستور للسيوطي ج ٣، لباب النقول له، المحصول للرازي، الطبقات لابن سعد ج ٢ و٣، ضعفاء العقيلي ج ١ و٤، الثقات لابن حبان، الكامل لابن عدي ج ٤ و٧، علل الدارقطني ج ٥، تاريخ بغداد ج ٨، الإكمال لابن ماکولا ج ١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج ٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥، الموضوعات لابن الجوزي ج ١، أسد الغابة ج ٣، تهذيب الكمال للمزي ج ٢١، ميزان الاعتدال ج ١، سير أعلام النبلاء ج ١ و٩ و٤ من له رواية في مسند أحمد، لسان الميزان لابن حجر ج ٢، تعجيل المنفعة له، كتاب الفتن للمروزي، البداية والنهاية لابن كثير ج ٥، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤، لسان العرب لابن منظور ج ٥، تاج العروس للزبيدي ج ٣، غريب الحديث لابن قتيبة ج ١. كل هؤلاء أخرجوا الحديث وأما ابن الجوزي في الموضوعات فقد ذكره ضمن أقوال أمير المؤمنين يوم الشورى، ومثل هؤلاء بل أكثر من الشيعة الذين أخرجوا الحديث.

على من يضلّ بهم من خلق الله تعالى وهم كثير.

وقال: لقد تعاهدوا فيما بينهم أنّه متى توفّي محمد ﷺ لا ندع أهل بيته ينالون الخلافة من بعده ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إلى قوله ﴿أَجْمَعِينَ﴾^(١).

قال حبيب بن أبي ثابت: قوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِإِلَهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾^(٢) الآية، قال حذيفة: الذين نفّروا ناقة رسول الله ﷺ في العقبة لكي تلقيه عن ظهرها وهم يقتلونه إذا بلغوه هم أربعة عشر نفرًا: طلحة والزبير وأبو سفيان وعتبة بن أبي سفيان وأبو الأعور والمغيرة وسعد بن أبي وقاص وأبو قتادة وعمر بن العاص وأبو موسى الأشعري وعبدالرحمان بن عوف والخلفاء الثلاثة.

قال الواقدي - وهو ناصبي -: لما طعن عمر بن الخطاب رفعه عثمان من التراب، فقال عمر: دعني، وقال: ويلى ويلى من النار، الآن لو كانت لي الدنيا لافتديت بها من النار ولم أرها، ورواية الواقدي عن عمر حجة.

وهذا دليل واضح على علم عمر بكونه من أهل النار وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أرى رجالاً يختلجون دوني فيذهب بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي، إلى آخر الحديث^(٣).

ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾^(٤)، ﴿فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾^(٥) وسبب نزول الآية التالية هو أنّ طلحة والزبير

(١) النمل: ٥٠ و ٥١.

(٢) الفتح: ٦.

(٣) ذكرنا مصادر صيغ الحديث فيما تقدّم ونزيد عليها: كتاب السنة: ٣٤٠، مسند أبي يعلى ٧: ٣٥،

علل الدارقطني ٧: ٢٩٩.

(٤) التوبة: ٧٤.

(٥) التوبة: ١٢.

والثلاثة راسلوا اليهود أن يجيروهم إذا نزلت الهزيمة بمحمد ﷺ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ (١).

وقال عثمان طلحة يوماً - وقد جرى بينها نزاع - : إِنَّكَ لَأَوَّلُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً ، ونزل فيه : ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَقُولُونَ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢).

وكان عثمان قد اشترى أرضاً من أمير المؤمنين عليه السلام ثم ندم وأراد ردّها عليه فأبى عليّ أن يقبلها وقال : ليس لك أن تردّها فقد بعثك أنا واشتريت أنت فهلّم إلى رسول الله نحتكم عنده ، فقال عثمان : كلاً ، بل نذهب إلى قضاة اليهود ، فأنزل فيه : ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

وقال طلحة وعثمان : أينكح محمد نساتنا ولا تنكح نساته ! إن هذا أمر لا يكون ، وكان يطمع طلحة بعائشة وعثمان بأُمّ سلمة (٤) فأنزل الله قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ (٥).

ونزل في عبد الرحمن بن عوف قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾﴾ (٦).

(١) المائدة : ٥١ .

(٢) النور : ٤٧ و ٤٨ .

(٣) النور : ٤٩ و ٥٠ .

(٤) هذا التخرّص من المؤلف فلم يذكر أحد ذلك عن عثمان واقتصروا على ذكر طلحة فقط .

(٥) الأحزاب : ٥٣ .

(٦) النساء : ٧٧ .

أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في مكة أن يجلس كل واحد منهم إلى جنب مشرك فإذا ظفر المشركون بالمسلمين وقتلوا واحداً منهم فإنه يقتله مكان أخيه المسلم، وكان عبدالرحمان يتمنى القتال ويقول للنبي ﷺ: ليت أنا أمرنا بالقتال، فلما هاجروا إلى المدينة وأوجب الله الجهاد كان عبدالرحمان بن عوف يقول: لو تركنا نموت على فراشنا كان أحب إلينا.

روى أبو جعفر أن فاطمة ؓ ذهبت يوم الأربعاء - وهو اليوم الذي دفن فيه رسول الله ﷺ - إلى روضته، فقال لها أبو بكر: أصبح والله صباحك صباح السوء، وهذا القول شماته منه بموت رسول الله ﷺ، لأن الأدب يقتضيه أن يقوم بتسليتها وإدخال العزاء على قلبها، وغرضه من هذا القول أن محمداً ﷺ دفن بقبره في يوم نحس وهذا يدل على نحس حاله (نعوذ بالله من هذا القول).

أما ما يقال من أن أهل السنة والجماعة يذكرون علياً وفاطمة في بلادهم فهذا صحيح إلا أنهم يرونهما دون أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة، فإذا فاه بمدحهم أحد دون أن يذكر أئمة القوم أو أنه مدح الزهراء دون عائشة فإنه يرمى بالرفض فوراً.

وقد وضع بنو أمية نير العداوة والكفر على أعناق الأمة في الشرق والغرب، وجهدوا في إخفاء مناقب علي، وحضروا على أحد ذكره ما دام العالم، وحوّلوا اسم علي إلى أبي تراب حتى يتلاشى اسمه ولقبه من ذاكرة الأمة، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ولم يتحقق لهم ما أرادوا بمقتضى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

ولما علم أهل الخلاف بأن هذا عمل مستحيل عمدوا إلى ذكر مناقبه طوعاً

وكرهاً، وكتبها علماءهم في دفاترهم، وليس ذلك راجعاً إلى سرّ حبّهم أو خلوص اعتقادهم بل بتوفيق من الله وتيسير منه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١) لَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِنكَارِ ذَلِكَ. وحرّف علماء اليهود من التوراة النصّ الخاصّ برسول الله: ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٢).

وإذا كان أبناء الشرك قد غيّروا نصّ رسول الله وحرّفوه وأخفّوه فإنّ الأدهى من ذلك أنّهم عمدوا إلى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام فحوّلوها إلى أبي بكر وعمر وعثمان افتراءً منهم على النبيّ، وحشداً للأحاديث الواردة في غيرهم لهم وهم لا يعدلون عند الله شيئاً.

الفصل التاسع

قال محمّد بن أبي بكر: قال أبي: قال لي رسول الله ﷺ: إني أرى الآن جعفرًا في السفينة يجري في البحر، فقلت: يا رسول الله، أرنيه أنا، فمسح على عيني فأبصرته، فحدث في قلبي أن قلت: إنّ محمّداً ساحر عظيم.

قال الباقر عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^(٣) أي بكلمة الشهادة ونبوّة محمّد ﷺ ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أي ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿وَأَيُّهَا ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني الأئمّة عليهم السلام ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ يعني أبابكر وعمر وعثمان، وهؤلاء الثلاثة ظلّموا آل محمّد ﷺ.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾^(٤) الآية.

(١) لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

(٢) النساء: ٤٦.

(٣) النحل: ٩٠ إلى قوله «والبغي».

(٤) الفرقان: ٢٧.

﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١).

والناس في ﴿أَتَمْ أَخْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَنْزِعُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢).

وهؤلاء الثلاثة ظالمون، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣) وهما أبوبكر وعمر.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٤) وهم المخاطبون بالآية.

والمشهور عن عمر أنه قال لصاحبه أبي بكر يوم الحديبية: أترأى رسول الله وهو يردّ المؤمنين، والنبيّ فعل ذلك في حال الضرورة وعمر يردّ عليه.

روى هشام بن حسان البصري أنه قال لعمر: لم جعلت الأمر في الخلافة إلى هؤلاء الستة؟ قال: لأني سمعت رسول الله يقول: لا أقف يوم القيامة إلا ويد عليّ ابن أبي طالب في يدي.

وجاء أبوبكر وعمر لعيادة رسول الله في مرض موته وكان عليّ حاضراً، فقال رسول الله ﷺ: لا يموت حتى توسعاه غدراً وغيظاً ثم تجده صابراً، قال تعالى: ﴿انْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٥) وهذا هو جواب الخصم الذي يقول: لم لم يقاتل عليّ أهل الشورى لما أدخله عمر فيهم؟ نقول: لأنه فاقد للقدرة والنبيّ أمره بالصبر، وكذلك الحسن صبر ومضى على ما مضى عليه أبوه وقد قال رسول الله ﷺ: مروّتنا أهل البيت إعطاء من حرّمتنا والعفو عمّن ظلمنا.

قيل: إنّ الحسن بن عليّ خرج ذات يوم من بيته ميمماً مسجد رسول الله ﷺ

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) العنكبوت: ١ و ٢.

(٣) الآية متكررة في سورة الرحمان.

(٤) يس: ٦٣.

(٥) فصلت: ٣٤.

ومعه جماعة من أصحابه، فرآه شامي في الطريق، فقال: من هذا؟ قيل: الحسن بن علي عليه السلام، قال: هذا الضالّ ابن الضالّ! فقال الحسن عليه السلام: لعلّك غريب! ولم يردّ عليه شيئاً واتّخذ طريقه إلى المسجد، فأقبل الشامي إلى المسجد وأعاد كلامه على الحسن عليه السلام، فأحسن إليه الإمام للطفه وكرمه، فخرج الشامي ووقع على يديه ورجليه يقبلهما، فقال الحسن عليه السلام: استعملنا فيه أدب الله تعالى كما قال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

ذكر ابن الراوندي عن رجل من حمج (كذا) (ولعله مذحج - المترجم) ^(١) قال: قدمت المدينة بعد الحرب التي كانت بين أهل العراق والشام فرأيت رجلاً فسألت عنه، فقبل لي: هذا الحسن بن علي عليه السلام، فحسدت علياً أن يكون له مثله، فقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: لا، أنا ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت له، شتمته وشتمت أباه، فلم يردّ عليّ خلافاً، فلما فرغت أقبل عليّ فقال: أظنّك غريباً، فلو استغشنا أغثناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك. قال الحمجي: فولّيت عنه وليس على الأرض أحبّ إليّ منه.

وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَالكَافِرِينَ الْغَائِقِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ^(٢) الآية. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ ^(٣) «الوالد» رسول الله وأنا، وما ولد» الحسن والحسين عليه السلام.

وقال: لا يجتمع إمامان إلّا وأحدهما صامت لا ينطق حتّى يهلك الأوّل كالحسن والحسين ابني علي عليه السلام.

(١) الرواية يرويها السمعاني عن أبي المعافى الرجبي، حي من همدان عن صديق له من أهل الشام، ولم يسمّه ولم ينسبه. انظر: الأنساب للسمعاني ٣: ٤٧.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) البلد: ٣.

الباب الثالث عشر

في حالات الرسول ﷺ وما يتبعه

اعلم أن حالته الأولى يوم كان طفلاً يتيماً في حضن أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد عليه السلام، فقد تكفّلاه، وقاما بشأنه خير قيام، فأُنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(١) وهذا المأوى والمكان الآمن باتفاق المسلمين كان بيت علي عليه السلام.

الحالة الثانية: أيام بعثته وتحزّب قريش ضده ومبالغته في أذاه وكان مدده عليّ والحزمة عمّه وأباطال أباه عليه السلام جميعاً، وكان في حمايتهم بعد عناية الله به حتى استظهر بهم.

الحالة الثالثة: خطبته خديجة الكبرى عليها السلام وقام بهذا العمل الهام عمّه أبوطالب عليه السلام وهياً للنبي ﷺ مجال الخطبة والزواج.

الحالة الرابعة: حصار الشعب، وهنا احتاج النبيّ ومن معه إلى مدد عظيم، وقال مخالفونا: كان عليّ عليه السلام يوم ذاك يعمل في حوائط اليهود فيسقيها ماءً من الآبار ويأخذ الأجرة ويجعلها طعاماً لرسول الله ﷺ، وكان في حماية أبيه وأعمامه.

الحالة الخامسة: يوم الهجرة فقد نزل جبرئيل ﷺ على النبي وقال: يجمع أربعون شخصاً من قريش ليقعوا بالنبي ﷺ فَرُّ عَيْتاً بالنوم على فراشك وبارتداء ردائك، وليتمثل بشكلك، وهذا دليل على إمامته من وجوه عدة جليلة:

الوجه الأول: أَنَّ النبي ﷺ أمره ينام في مكانه في حال غيابه ولم تكن لأبي بكر هذه المنزلة، وبحكم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾^(١) لا بد من أن يقوم عليّ مقامه في غيابه الدائم.

الوجه الثاني الجلي: شبه عليّ نفسه ليلتذّبر رسول الله ولم تكن لأبي بكر تلكم المنزلة.

الوجه الثالث: إِنَّ الله تعالى حبى عليّاً ﷺ الصبر العظيم وقوة العزم والصلابة والجلاد المتناهي الشدة وهذه هي درجة الأنبياء: ﴿فَاضْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(٣).

وكان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار بمأمن عظيم ومع ذلك فقد أخبره رسول الله بسلامتهم ونجاتهم من القتل وهو خائف مضطرب وقد أمر الله العنكبوت فنسجت بيتها على فم الغار ونبت يامتان عشهما على فم الغار أيضاً بوحي من الله تعالى، وكلا الأمرين لم يزيلا الخوف من قلب أبي بكر، فما زال يمزق الهلع أحشائه وهو يضطرب، فتبين أَنَّ خوفه واضطرابه ناشئان من عدم ثقته بوعد الله ورسوله له، وكان عليّ آمناً لثقته بوعد الله له، وكان الخصم وهو أربعون كافراً بأيديهم السلاح على مقربة منه يراهم ويرونه، فلم يطرق له الخوف جوفاً، وبين

(١) الإسراء: ٧٧.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) السجدة: ٢٤.

أبي بكر والعدو مسافات بعيدة، إلى أن حمى الله علياً من القتل بما ألقاه في قلوب
القرشيين من الانصراف عن ذلك.

وقيل: إنَّ أبا لهب حال بينهم وبينه للرحم فلم يفعلوا.

الوجه الرابع الجلي: في ساعات الحرب وشن الغارات والغزو اتفق الرواة
والمؤرخون على أنَّ أبا بكر وعمر لم يهزما جيشاً ولم يدخلوا حرباً وإنما كانوا دائماً
مثاراً للفتنة في الدين بسبب هزائمهم كما حدث ذلك في حنين وخيبر وذات
السلاسل وبدر، وقد نزل في حقهم: ﴿وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرَ﴾^(١).

الوجه الخامس الجلي: لم يكن غير عليٍّ حاضراً تجهيز رسول الله سواءً غسله
وكفنه ودفنه، فلم يشهد ذلك منهم أحد بل اغتنموها فرصة ذهبيةً وذهبوا
يلاطمون على الحكم ويبرمون عقد السلطان، وعلى هذا متى عمل أبو بكر لله؟
وفي أيِّ موضع نال رضا الله؟
بيّنة:

أعظم فتح جرى على يد عليٍّ عليه السلام في الجهاد هو يوم الأحزاب حتى قال
رسول الله فيه: «فضرب» لضربة عليٍّ يوم الخندق خير من عبادة الثقلين^(٢).
ويوم خيبر ويوم حنين ويوم أحد ويوم بدر فقد قُتل في هذا اليوم يوم بدرٍ

(١) القمر: ٤٥.

(٢) مجمع الفائدة للأردبيلي ٣: ٢١٦، كتاب الإجارة، الأول، للخوئي ١: ٢٤٣، شرح أصول الكافي
للمازندراني ١٢: ٤١٢، الطرائف لابن طاووس: ٥١٩، عوالي اللئالي للإحسائي ٤: ٨٦، الأربعين
للقمي: ٤٣٠، بحار الأنوار ٣٩: ٢، الغدير للأميني ٧: ٢٠٦، الإمام علي عليه السلام للرحماني: ٣٣٩، وله:
الإمام علي (فارسي): ٣٦٩، مواقف الشيعة للأحمدي ٣: ١٢٣، المناظرات في الإمامة لعبدالله
الحسن: ٥٠١، درر السمط لابن الآبار: ٨٦، موسوعة التاريخ الإسلامي لليوسفي ٢: ٤٩٢، كشف
اليقين: ٨٣، وفيات الأنمة: ١٢.

سبعون من المشركين قَتَلَ عليّ وحده منهم ثلاثين شخصاً وشرك الصحابة في الأربعين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

وهذه الفضيلة باتفاق المسلمين ليست لغير عليّ عليه السلام من غير عليّ أولئك الذين يسميهم المخالفون العشرة المبشرة لم يؤذ رسول الله والمؤمنين.

الباب الرابع عشر

في الغار وصاحبه

لا فضل لأبي بكر في آية الغار لأنّ إبليساً كان مع نوح في السفينة، وكذلك صاحبتة في السفينة السباع والوحوش والبهائم، وكان الكلب مع أصحاب الكهف في الغار، وامرأة لوط وامرأة نوح صحتنا زوجيهما، ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾^(١) وجاء في سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾^(٢) وعلى هذا فما هو الفضل في مجرّد الصحبة ؟

ولقد عدوت وصاحبي وحشيّة تحت الرداء بصيرة بالمشرف

ولقد دعوت الوحش فيه وصاحبي محض القوائم من هجان ميكل

الصاحب هنا: الفرس .

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣) فأيّ فضل فيها للرجل والله تعالى مع البرّ

(١) عبس: ٣٤-٣٦.

(٢) الكهف: ٣٧.

(٣) التوبة: ٤٠.

والفاجر كما قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِبُهُمْ وَلَا خُمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ ^(١) فتبين أنّ هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ لا فضل فيها .

وأما قوله : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ ^(٢) فإنّها عائدة على النبي ﷺ بوجوه :
الوجه الأول : بدليل عطف الملائكة على الجملة ومن الواضح البين أنّ الملائكة تنزل على رسول الله ﷺ لا على أبي بكر .

الوجه الثاني : جاء في الحديث أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً ، فقد فرّ الأصحاب يوم حنين إلّا سبعة من بني هاشم : الأول العباس الذي أخذ بلجام البغلة ، وخمسة من المقاتلين الذين شهروا سلاحهم بين يدي النبي ﷺ وتقذّموا بين يديه يحمونه من الرماة ، وكان أمير المؤمنين في القلب ، فرّة يحمل على القوم يقاتلهم من كلّ جانب ويحمل عليهم ويهزمهم ليحمي بيضة الإسلام ويخلص رسول الله من بين المشركين ، فقصّ الله قصّتهم فقال : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) والمؤمنون هم عليّ والأشخاص السبعة من بني هاشم ، وهنا يظهر جلياً أنّ السكينة نزلت عليهم وعلى رسول الله ، وكان عليّ كلّما هزم فوجاً من المشركين تجمهروا مع أصحابهم وتقوّوا بهم فأمّد الله رسوله بالمعجزة وهم الملائكة الذين قاتلوا معه بنصّ القرآن الكريم ، وضاعت الأرض بما رحبت على أبي بكر وعمر حيث سلّموا رسول الله في هذا الموضع الخفيف للعدوّ وهربوا لا يلوون على شيء .

(١) المجادلة : ٧ .

(٢) التوبة : ٤٠ .

(٣) التوبة : ٢٥ - ٢٦ .

ولو سلّمنا بنزول السكينة على أبي بكر فليس فيها مدح له حيث أنّه لم يكن واثقاً بقول رسول الله ﷺ ولم يصدّقه بما قال ، وكان ينوي الصراخ من شدة خوفه في الغار لكي يسمع طالبي رسول الله ﷺ ، فأنزل الله السكينة عليه حماية لرسول الله ﷺ ، ولما كان حزنه خطأ كان معصية لله لأنّ النبي لا ينهى عن الطاعة بل عن المعصية .

وفي صورة جواز الخطأ لو قال الخصم أنّ الله خاطب موسى بقوله : ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾^(١) فإنّنا نقول في جوابه : الخصم يميز صفات الذنوب على الأنبياء وبعض المجرّة يميزون حتّى الكبيرة ، وبناءً على مذهبهم فإنّ الله منع عن المعصية وهم لا يميزون ذلك ، أمّا على مذهبنا فإنّ مؤلف هذا الكتاب يقول : إنّ المعنى يشير إلى أنّ القضية وقعت على وجه الإعجاز والغيب وما تحقّق في العصا واليد البيضاء إشارة إلى أنّها من تدبير الله تعالى لا من فعل الشيطان أو الخيال ، آمنك الله .
وفي مذهبنا أنّ النبي ﷺ لم يصطحبه معه اختياراً وإنّما خرج بمهجته الشريفة ورآه قادماً في الطريق فاصطحبه معه لئلا يشي به ، ولقد قال المتنبي :

* يستصحب الإنسان من لا يلائمه *

لأنّه لو تخلّى عنه وتركه ينساب كالأرقط حيث يقصد لأخبر المشركين عنه وصار سبباً للقبض عليه ، لأنّه كما يزعم أنصاره صدّيق والصدّيق كيف يكذب ، فلو سأله أحد : أين خلفت النبي لدلّ على مكانه وصار سبباً لهلاكه .
والعجب من القوم أنّه مع وجود هذي العيوب تراهم يتباهون بيوم الغار ولا يذكرون علماً بالاذل لمجهته في سبيل الله والبائت على فراش رسول الله ﷺ حتّى نزل فيه قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢) .

(١) القصص : ٣١ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

يقول السيد المرتضى علم الهدى: وكما أنَّ إسماعيل استسلم لذبح إبراهيم الخليل فقد استسلم عليّ لسيوف المشركين، مع أنَّ العادت جرت بعلم الولد برحمة أبيه إياه فلن يقتله لاسيما إذا كان هذا الأب نبياً وله رتبة الخلّة مع ثقته بأنّه لم يحن ذنباً ولم يقترب إثماً يستحقّ عليه القتل. وعدوّ أمير المؤمنين المشركون والكافرون وهم غلاظ شداد لا دين لهم ولا اعتقاد، ويرون النبيّ والوصيّ يستحقّان القتل بسببهما لأهتهم، لاسيما عليّ وقد أثار حميتهم الجاهليّة لمكره بهم وتغريه لهم، وتقويته النبيّ الذي أفلت من أيديهم.

قال السيد المرتضى عليه السلام: فقام عليّ عليه السلام يجالدهم وقد ظهر عليهم وأخذ يضربهم بكلّ قوّته وهم يضربونه حتّى نجى من شرّهم، إذن فالإمام عليه السلام قام بأمرين عظيمين: فدى رسول الله بنفسه، وقام مقامه في الرقاد على فراشه، وكان الإمام يردّد ذلك متباهياً به:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق قد مكروا به فنجاه ذوالطول الكريم من المكر
فبئتُ أراعيهم وما يشبتونني وقد وطئت نفسي على القتل والأسر
وقال أبوبكر في معنى هجرته أبياتاً ذكرهنّ أبو إسحاق في كتاب السير من تأليفاته:

فلما ولجت الفار قال محمّد أمنت فثق في كلّ ممس ومدلج
بـربك إنّ الله ثالثنا الذي وثقنا به في كلّ مثوى ومفرج
ولا تحزنن فالحنن لا شك فتنة وإثم على ذي اللهجة المتحرج^(١)

(١) الصراط المستقيم ٣: ١٣٩. ومدلج - بضمّ الميم - قبيلة من كنانة ومنهم القافة وأبو دليجة كنية.. ولم نعر على الأبيات إلّا في الصراط المستقيم ونقلناها منه لأنّ أبيات المؤلّف مغلوطة غلطاً يغيّر المعنى.

فقد شهد على نفسه في شعره أَنَّ النَّبِيَّ جعل حزنه فتنه وهي أكبر من القتل ولم يصدِّقه عليه .

الثاني : ظهر أَنَّ حزنه فتنه وهي إثم وخطيئة عظيمة فتبيّن أن لا فخر له في هذه الآية مع أَنَّ النَّبِيَّ قال : إِنَّ الشَّيْطَانَ يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) والشيطان ذلك الملعون والإنسان هو المكرم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ^(٢) والعجيب من أمرهم أَنهم يرون آية الغار أشرف آية في القرآن ونسوا الآية التي نزلت في أمير المؤمنين يوم بات على فراش رسول الله وهي قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ﴾ ^(٣) لبغضهم الشديد وعداوتهم له ولأولاده الطاهرين .

وآية الختم التي أعطاه فيها الولاية وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ^(٤) وآية المباهلة التي جعل الله فيها عليّاً نفس رسول الله ﷺ كما قال : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ^(٥) وسورة هل أتى التي أظهر الله فيها صفاته وصفات أهل بيته بالوفاء والسخاء والصبر والشكر والخوف والإخلاص والإسلام والإيمان كما عبّر عن عميق اعتقادهم الثابت الوطيد .
وهم يعلمون أَنَّهُ ما من آية في القرآن وفيها «يا أيها الذين آمنوا» إلّا ولعليّ عليه نصيب فيها بل سيدهم ورئيسهم .

(١) نيل الأوطار ٦: ٣٦٧ و ٣٦٨ عن أحمد والترمذي، فقه السنّة للسيد سابق ١: ٤٦٤، مسند أحمد ٣: ١٥٦ و ٢٨٥ و ٣٠٩ و ٦: ٣٣٧، سنن الدارمي ٢: ٣٢٠ بطريقين، صحيح البخاري ٢: ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٤: ٩٣ و ٨: ١١٤، صحيح مسلم ٧: ٨ بطريقين، سنن ابن ماجه ١: ٥٦٦، سنن أبي داود ١: ٥٥٢ و ٢: ٤١٧ و ٤٧٦، سنن الترمذي ٢: ٣١٩، مجمع الزوائد ١٠: ٢٢٢ وكتب أخرى كثيرة ولا أرى وجهاً لذكره هنا إلّا أن يشير المؤلف إلى قول أبي بكر: إن لي شيطاناً.. الخ، ولكن من دون تمهيد.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) آل عمران: ٦١.

ولا يذكر الجهاد والمجاهدين إلا وجدت علياً في الطليعة .

ولا يذكر الصالحون في القرآن إلا وعليّ منهم .

ولا تذكر عبادة فيه إلا وعليّ القائم بها على أنه انفراد بآيات لم يشركه فيها أحد كآية الخاتم وآية المباهلة وآية الغدير وآية المناجات ، ولكن منعهم من إظهار ذلك شديد عداوتهم له ولأهل بيته .

قال رسول الله ﷺ : من قرأ سورة الإخلاص ثلاث مرّات فكأنما قرأ جميع القرآن^(١) ، وقال في فاتحة الكتاب : كلّ صلاة بغير الفاتحة خداج^(٢) .

وغير هذه الآيات ، فقد جاء بفضلها أحاديث كثيرة ونوّهت هذه الأحاديث بعلو شأن الكثير من الآيات والسور وكثرة ثواب قارئها ، فلم يذكرها شيئاً من ذلك ولكن لآية الغار شأناً عندهم فهي يرونها أشرف آيات الكتاب^(٣) .

وقالوا : إنّ النبي ﷺ اصطحبه ليأنس به ، حاشا لله ولرسوله أن يفعل ذلك بل أخذه معه خوفاً من وشايته ولئلا تكون نفس رسول الله في خطر ، وإلا فؤنس النبي الملائكة والوحي الإلهي^(٤) .

(١) المبسوط للسرخسي ٣٠ : ٣١١ .

(٢) المسائل الصاغانية للمفيد : ١١٩ ، الناصريّات للمرطضي : ٢١٩ ، الرسالة السعدية للحلي : ١٠٢ ، ذخيرة المعاد للسبزواري ٢ : ٢٧٢ ، كشف اللثام للفاضل الهندي ١ : ٢١٦ ، الحقائق الناضرة للبحراني ٨ : ٩٤ و ٤٠٠ ، كتاب الأمّ للشافعي ١ : ١٢٩ ، المجموع للنووي ٣ : ٣٢٨ ، موطأ مالك (لعه الله) ١ : ٨٤ ، المدونة الكبرى ١ : ٦٨ له أيضاً ، تنوير الحوالك للسيوطي : ١٠٥ ، الجوهر النقي للمارديني ٢ : ١٥٩ ، المغني لابن قدامة ١ : ٦٠١ .

(٣) أقول لشيخنا المؤلف رحمه الله : بغضنا لأبي بكر لعنه الله لا يحملنا على معاداة كتاب الله نعوذ بالله من هذه الوسوسات الباطلة .

(٤) أقول : ماذا في هجرته من الفضل حتّى يبذل المؤلف هذا الجهد في التقليل من شأنها ، ويكفي أن نقول فيها : ولا بدّ للصيّاد من صحبة الكلب .

مسألة:

يقول الشيعة: يكفي في الدلالة على إمامة أمير المؤمنين آية الغدير ولكنّ جلّ المخالفين لا كلّهم يقولون أنّها نزلت في زيد بن حارثة.

ولكن هؤلاء الجهّال نسوا بأنّ زيداً بن حارثة استشهد في مؤتة قبل نزولها بمدة طويلة ونزلت آية الغدير: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١) في حجة الوداع وهي ختام رسالة النبي ﷺ.

وقال أبو بكر بن مردويه المحدث والمفسر الأصفهاني في كتاب المناقب: كان بين نزول آية الغدير وموت النبي مائة يوم لا زائد ولا ناقص مع أنّه علّق على الآية قائلاً: في هذه الآية جمع قوله تعالى في «ما بلّغت» الرسالة كلّها فينبغي أن يكون ما يقابلها مثلها وهي الإمامة وحفظ الشرع وضبط الدين على طريقة العموم.

مسألة:

إمامة عليّ عليه السلام ثبتت بالنصّ من قبل الله ورسوله كالنصّ على الصلاة والزكاة والصيام إلّا أنّ في هذا الواجبات لم يحدث خلاف ولكن حدث الخلاف هنا من أجل الخلافة فقد للناس رغباتهم فيها وميولهم الخاصّة من ثمّ حدث الاختلاف وليس بسبب أمر آخر.

سؤال:

يقولون بأنّ النبي ﷺ لم ينصّ على أحد رحمة بالأئمّة لئلاّ تخالفه فتكفر: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢).

الجواب:

إنّ رحمة الله بالخلق أكثر من رحمة رسوله ومع هذا فقد أرسل رسلاً وأنبياء

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) التوبة: ١٢٨.

فكفر أكثر الناس بمخالفتهم وكذلك النبي ﷺ دعا الناس إلى الشرائع مع علمه بأن أكثر الخلق لا يعملون بها كما هو الظاهر من تركهم الصلاة والصيام.
مسألة:

ورواؤه أنه: كل ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح^(١).

الجواب:

ومراده الإجماع على إمامة أبي بكر وهذا باطل لأن أمير المؤمنين وجماعة بني هاشم وطائفة من أكابر الصحابة لم يقبلوها بل قبحوها وكذلك الشيعة في الشرق والغرب فكيف تتم هذه الدعوى بأن المسلمين جميعاً رضوا بها وحسنوها.
مسألة:

وقالوا بأن رسول الله قال: لا تجتمع أمّتي على ضلالة^(٢) فلا تجهل الأمة الفرض

(١) المبسوط للسرخسي ١٢: ٤٥ و ١٣٨ و ١٥: ١٦٠، مسند أحمد ١: ٣٧٩، المستدرک للحاكم النيسابوري ٣: ٧٨، مجمع الزوائد ١: ١٧٧، مسند الطيالسي: ٣٣، المعجم الأوسط ٤: ٥٨، المعجم الكبير ٩: ١١٣، شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٩ و ٨: ١٢٣ و ١٢: ٨٦، نصب الراية للزبيعي ١: ٢٠ و ٥: ٢٨٨ بطريقين، كنز العمال ١٢: ٤٨٥ رقم ٣٥٥٩٠، تذكرة الموضوعات للفتني: ٩١ وقال: موقوف حسن على ابن مسعود، وقد رفعه ابن أبي الحديد والزبيعي أيضاً، فيض القدير ٥: ٥٧٧، كشف الخفاء ١: ١٦٩ مرفوعاً عن ابن مسعود ٢: ١٨٨ وقال: رواه أحمد في كتاب السنة وليس في مسنده لعله يريد رواه مرفوعاً، أما المسند فقد ورد الحديث فيه عن ابن مسعود، تفسير ابن كثير ٢: ١٨٠، الدر المنثور للسيوطي ٣: ٤٤، الأحكام لابن حزم ٦: ٧٥٩، المستصفى للغزالي: ١٧٢ رفعه، المحصول للرازي ٢: ٧٩ رفعه ٣: ٢٢٠ مرفوع أيضاً ٤: ٨٠ و ٩٨ و ١١٨ و ٢٤٧ و ٣٢٦ و ٣٩٨، الأحكام للأمدي ١: ٢١٩ و ٤: ١٥٦ و ١٥٩ بطريقين ٤: ٢٤٠ كل ذلك رفعه، علل الدارقطني ٥: ٦٦، تاريخ بغداد ٤: ٣٨٧ والحديث في الأصحاب عنده وقد رفعه، تاريخ مدينة دمشق ٣٠: ٢٩٤ بطريقين، البداية والنهاية ١٠: ٣٦١، سبل الهدى والرشاد ١٠: ٢٧٧.

(٢) المبسوط ١٢: ١٣٨، بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ٥: ٣ و ٦: ٥٨، كشف القناع للبهوتي ٥:

والسنة لكي تجتمع على الخطأ.

الجواب:

الإمامة عندهم لا هي بالفرض ولا بالسنة فاجتماع الأمة لا يعدّ خطأ لأنّ الخطأ في الفرض والسنة هكذا يقولون، أو أن يكون الحديث خبراً بمعنى النهي كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(١).

أو أنّ الإمامة ليست عامّة وإنّما هي خاصّة بأهل البيت عليه السلام، ولو كانت عامّة فإنّ الاجتماع عليها لم يكن عامّاً لأنّ أهل البيت وبني هاشم والخزرج شيعة لم يجتمعوا عليها أو أنّ عين «لا تجتمع» ساكنة والراوي نطقها بالضمّ عفواً أو أنّه لا يعرف علم الإعراب وعنده أنّ معنى السكون في العين والحركة واحد من ثمّ ارتكب الخطأ المنهوي عنه شأنه شأن النواهي الأخرى^(٢).

مسألة:

لا يجب على عليّ عليه السلام الإعلان عن إمامته لأنّ الإمام عليه السلام كالبحر أو كالكعبة يأتيه الناس لا أنّه يأتي الناس، وكان على الله أن ينصب الإمام كما قال لإبراهيم عليه وعلى نبيّنا وآله السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣) فأوكل أمر الإمامة إلى نفسه سبحانه وأبان عن صفة الإمام من كونه غير ظالم، والمخطئ ظالم أي مرتكب الخطيئة، ومن يجوز عليه ارتكابها لاسيّما المشرك وعابد الوثن.

٩، مسند أحمد ١: ٣٩٦، سنن الدارمي ١: ٢٩، سنن ابن ماجه ٢: ١٣٠٣، سنن الترمذي ٣: ٣١٥، المستدرک ١: ١١٥ في طرق كثيرة، مجمع الزوائد ١: ١٧٧.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) يريد المؤلف أنّ «لا» هنا ناهية وليست للنفي ولا الناهية تجزم الفعل المضارع وعلامته السكون.

(٣) البقرة: ١٢٤.

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إِنَّ الله تعالى أُوكل أمر الإمامة والخلافة إلى نفسه، وأهل السنّة والجماعة يردّون عليه حين يجعلونها موكولة إلى خلقه، ألا يرون أنّ الخلافة من آدم إلى الحاتم لم تكن موكولة إلّا إلى الله تعالى، ولا اختيار للناس فيها بل هي بمشيئة الله وإرادته ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^(٢) وهي سنّة بالغة.

مسألة:

وقالوا: لو كان القوم على غير الهدى لنازعهم عليّ عليه السلام ومنعهم من ذلك، وهذا أمر منفيّ، ولا يعلّل النفي، ولا يكون العدم علّة.

الثاني: صالح النبيّ ﷺ عام الحديبيّة بآية: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٣) والصلح يحسن في حال عدم الناصر والعون وانقطاع المدد، ولكنّه حارب عندما تبدّلت الحال بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) وكذلك الإمام عليّ عليه السلام فقد سالم مع فقدان الناصر، ولما ثبت كونه إماماً منصوباً عليه من الله ورسوله فالإنكار على ما فعل أو ما ترك إنكار على الله ورسوله وهو كفر محض.

ومن عجائبهم أنهم يروون عن رسول الله: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(٥) وكذلك رووا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من عصى الله بمعصية؛ صغرت

(١) ص: ٢٦.

(٢) الإسراء: ٧٧.

(٣) الحجر: ٨٥.

(٤) التوبة: ٥.

(٥) المحلّي لابن حزم ٩: ١١١، سبل السلام لابن حجر ٣: ٢٢٣، نيل الأوطار ٨: ٨٥، ذخائر العقبى:

٧٦، مسند الشافعي: ٢٣٩ باختلاف في ألفاظ الحديث، مسند أحمد ١: ٤٧ و ٧٨ و ١٣٠ و ١٦٥ و ١٦٧ و ٢٩٣ و ٣٢٣ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٥ و ٤٥٤ و ٤١٣ و ٥١٩، ومثله الجزء الثالث والرابع

أم كبرت ثم اتخذها ديناً ومضى مصرّاً عليها فهو مَحْدَدٌ بين أطباق الجحيم^(١)، ومع هذا فقد اتفقوا على أن أبابكر لم يكن خليفة رسول الله، وإنما كانت إمامته بالبيعة واختيار الأئمة وإلا لكان قوله: «أقبلوني» كفراً ولم يقل رضيت لكم أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، وهم يسمّونه والحال هذه خليفة رسول الله ﷺ ولم يستخلفه النبيّ باعترافهم، وفتحوا له بسبب هذا الافتراء باباً على جهنّم، وهم يقولون: مات رسول الله ولم يستخلف، ومَثَلُهُمْ كمثل الذي اشترى مملوكاً وبعد شرائه صار حاكماً عليه فهم الذين اختاروا أبابكر وباعوه بأيديهم فينبغي أن يكون الحكم لهم عليه لكن انعكست الآية فصار حاكماً عليهم.

والعجيب في الأمر أنه خليفة لهم ولكن نسبوه إلى رسول الله ﷺ، من أجل تخدير العامة لئلا يطعنوا عليهم عداوة منهم لآل البيت ومع ذلك يأبون اعتباره حاكماً فإذا غضبوا عليه عزلوه كما فعلوا بعثمان ويقولون عنه: إنّ الإمام وكيل عن المسلمين ما داموا راضين بوكالته فإذا لم يرضهم نَحَوّه عن وكالته.

ولا يقولون ولاية عباد الله بيد الله سبحانه وهو أولى بالتصرّف في ملكه وأعلم بما يصلح عباده ولا يعلمون أنّ التصرّف بملك الغير بدون إذنه لا يستساغ، وكذلك التصرّف في عبيده تصرّف بغير إذنه ولا ترخيص منه، ومن فعل لك فهو غاصب وضامن وآثم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾^(٢) ويقولون هذه الآية:

❦ والخامس فقد أخرجه فيها بعدة طرق، صحيح البخاري ١: ٣٥ بثلاثة طرق.. و٢: ٨١، صحيح مسلم ١: ٨، والحديث متواتر ولم يبق حافظ أو صاحب دراية إلا أخرجه سوى النزر اليسير منهم وقد تلقّته الأئمة بالقبول وأجمعت على صحّته.

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام للقرشي ٢: ٢٧٢.

(٢) الأنعام: ١٢.

﴿فَمَآذًا بَغْذِ النَّحْقِ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(١) ومن الواضح أَنَّ الخليفة الذي لم ينصبه النبي وَإِنَّمَا اختاره جماعة من الأُمَّة فينبغي أن يكون على باطل.

سؤال:

وأقوى حجة قال بها القوم: إِنَّ النبي لو كان نصَّ على عليٍّ ﷺ لما خالفتها الأُمَّة برمتها.

الجواب:

وما أكثر النصوص التي خالفتها الأُمَّة خلافاً من بعد خلاف، ثُمَّ إِنَّ موسى استخلف أخاه هارون كما نطق بذلك كتاب الله ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾^(٢) وكان موسى تُرجى عودته بعد استخلافه أخاه وكان هارون عذب الحديث، فصيحاً، مدرهاً، والقوم عبدوا العجل مع وجود هذين النبيين بين أظهرهم فلا عجب من ترك أُمَّة نبي لا تُرجى عودته خليفته والميل إلى السامري وعجله، وهناك: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوزٌ﴾^(٣) أي أَنَّهُ صنع أيديهم وليس فيه إِلَّا خروج الصوت منه على غير ما جرت به العادة وهنا «عجلاً جسداً له كلام» وهناك سامري واحد قام بالامر وهنا مائة سامري.

اعلم بأنَّ عليّاً ﷺ جاهد في سبيل الله بين يدي رسول الله فلم يترك بيتاً ليس فيه واعية على واحد أو اثنين قتلهم عليٌّ بسيفه مِنْ ثُمَّ قاموا ضده انتقاماً لقتلهم وخالفوا النصَّ مع أنَّ النصَّ هنا منقول شفاهاً ولا يحتاج إِلَّا إلى دقة النظر وفي مسألة موسى وهارون خالفوا العقل والنقل وردّوا نبوة النبي وتركوا أقواله وكان

(١) يونس: ٣٢.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) الأعراف: ١٤٨.

النبيان يومئذ حيين ومع وجود هذه الحجج المتعددة فقد ارتدّ قوم موسى ولم يستحل ذلك عليهم فيكون ارتداد قوم لا يرون إلا حجة واحدة من طريق أولى.

مسألة:

يقول المخالفون: لو كان النصّ على عليّ متواتراً لكان العلم به ضرورياً لكلّ سماع كالصوم والصلاة، وهذا باطل إذ لم يحصل به العلم الضروري.

الجواب:

اعلم بأنّ منكري نبوة النبي ﷺ يقولون: لو كانت معجزات محمد متواترة لحصل العلم بها من السماع بالضرورة وليست كذلك هي، وقالوا: وهي وإن صارت اليوم متواترة لكنّها لم تستو أطرافها فقد رواها في أوّل وقوعها فئة قليلة من الناس.

الجواب:

وهذا نفس ما يقوله اليهود والنصارى أنّ معجزات النبيّ وإن تواترت اليوم إلا أنّ رواتها فئة قليلة في أوّل وهلة، وجوابهم جوابنا لأنّ شبهة القوم واحدة.

مسألة:

وقالوا: لماذا خصّ عليّ بالنصّ دون غيره؟

الجواب:

وهذا الكلام باطل ومنقوض بالأنبياء، فإنّ تخصيص محمد بالرسالة كتخصيص عليّ بالولاية، فهاذا امتازا عن سائر خلق الله تعالى ﴿وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) إنّ النبوة والإمامة فضل من الله ومنّة منه على عباده يؤتيها من يشاء والله أعلم.

الباب الخامس عشر

في اختيار الإمام

أجمعت الأمة على أنّ النبيّ لم يعهد إلى أحد اختيار رئيس أو أمير من أمرائه بل كان يتولّى ذلك بنفسه فيرسلهم إلى المدائن وعلى القبائل ، فهو الذي يجيئ الجيش ويختار الأمراء ، كما اختار جعفرأ فائداً حين بعث سرية إلى مؤتة ، وقال : إن قُتل فأميركم زيد بن حارثة ، فإن قُتل فأميركم عبدالله بن رواحة ، فكيف يسوغ عدم نصبه إماماً بعد موته ويترك الأمة هملأ ؟

ثم إن رحمة بالأمة كرحمة الوالد بولده كما قال ﷺ : إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالْوَالِدِ^(١) ، وجاء في القرآن الكريم : ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالنُّفُوسِ زَوْفٌ رَجِيمٌ﴾^(٢) وعلى هذا فكيف يترك أمته بمضيعة دون أن يقيم عليها إماماً بعد موته مع شديد عنايته بها وحبّه لها ومع حكمته ورأيه الوثيق ؟

وهو بالضرورة أعلم بمن يليق لهذا المنصب بواسطة الوحي ، ويصلح به أمر

(١) الغدير للأميني ٧ : ٢٤٢ نقلاً عن تفسير الخازن ٣ : ٣١٤ ، تفسير النسفي في هامش الخازن ٣ :

٣١٤ ، كنز العمال ٩ : ٥١٢ رقم ٢٧٢٠٨ ، الكامل لابن عدي ٦ : ٤٦٥ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

الأمة، وتتنظم شئون حياتها، وهو مؤهل لحمل هذا العباء الباهض، هذا مع علمه بما يجري في الأمة من النزاع والاختلاف لاسيما وقد أخبر الأمة بذلك حين قال: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة^(١)، فلو لم يبين موقع النجاة لعدُّ مقصراً وحاشاه من ذلك في أمر الدين، وتكون آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢) كذباً، وفساد هذا الاعتقاد لا يخفى على العقلاء.

فتبين مما تقدّم وجوب نصب الإمام على النبيّ لئلا يقع الفساد الذي وقع، وأخبر عنه قبل وقوعه، ومن قال: الإمام منصوص عليه، حصر الإمامة في عليّ وأولاده الأحد عشر إلى قائم آل محمد ﷺ.

مسألة:

وقالوا: ليس على الأمة تنفيذ الأحكام الدينية من إقامة الحدود وتجهيز الفيالق والجيوش لكنهم يختارون واحداً منهم يكون ذلك بعهدته. والعجب أن الإمام واحد منهم، وحكم عدم الجواز يشملهم فمن أين أتته الرخصة في تنفيذ الأحكام؟ أمن اختيار الأمة له؟ وهو غير جائز.

مسألة:

وقالوا: يبقى عمل الأمة وتنفيذ الشرع معطلاً حتى يختار أهل الحل والعقد إماماً

(١) روى هذا الحديث غير الشيعة: أحمد في المسند ٢: ٣٣٢، سنن ابن ماجه ٢: ١٣٢١ و ١٣٢٢، سنن أبي داود ٢: ٣٩٠، سنن الترمذي ٤: ١٣٤، المستدرک للحاكم ١: ٦٠ و ١٢٨ بطريقين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، سنن البيهقي ١: ٢٠٨ بطريقين، مجمع الزوائد ١: ١٨٩ و ٧: ٣٢٣، المذكر والمؤثّر لابن أبي عاصم: ٨٦، وكتاب السنّة له: ٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٥، مسند أبي يعلى ١٠: ٣١٧ و ٣٨٢ و ٥٠٢، صحيح ابن حبان ١٤: ١٤٠ و ١٥: ١٢٥، المعجم الصغير ١: ٢٥٦، الأوسط ٥: ١٣٧، الكبير ٨: ٢٧٣ و ١٨: ٥١ و ٧٠.

لهم، وقالوا: فإذا اختير في كلِّ بلاد واحداً لا يبقى أمر الشرع معطلاً ولا مضطرب حبل الدين حتى يختاروا واحداً من هذا المجموع ثم يعملون برأيه .
عجباً، إذا كان ذلك صحيحاً وسائغاً فما بال أصحاب السقيفة لم يصبروا حتى يفرغ بنو هاشم من عزاء رسول الله ﷺ لعلهم يشاركون في الاختيار ويدلّون برأيهم كغيرهم وهم أولى من غيرهم بهذا الاقتراع لو تحقق بيننا سارع القوم إلى خوض غمار هذه اللعبة بلا تمهل أو انتظار، ولم يظهر على الأمة أيّة أعراض لفتنه مقبلة أو إحداث شغب أو خصومة لكي يجعلوا ذلك ذريعة لأعمالهم المرتجلة أو يقولوا إنا عجّلنا لإطفاء نائرة الفتنة .

فظهر أنّ الغرض الوحيد من هذه المسارعة هو اهتبال الفتنة قبل فراغ بني هاشم كي لا تتغيّر الأحداث وتتبدّل وجوهها، فقد لا يرضى بنو هاشم إلا باستخلافهم دون من عداهم وحينئذٍ تفلت الدنيا من أيدي أركان السقيفة، وأخيراً اعترف عمر بن الخطاب بهذا الأمر الذي دلّت عليه قرائن الحال والمقال بقوله: كانت بيعة أبي بكر فلتنة وفي الله المسلمين شرّها؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه... (١) .

وأعجب من هذا كله قوله: إنّ اختيار الإمام بيد علماء الأمة فإنّ اختيار أبي بكر

(١) الاقتصاد للطوسي: ٢٠٨، السقيفة وفدك للجوهري: ٤٦ ونسب القول لأبي بكر بقوله: كانت بيعة، مسند أحمد ١: ٥٥، صحيح البخاري ٨: ٢٥ و٢٦، مجمع الزوائد ٦: ٥ قال ابن حجر: والفتنة ما يُعمل بغير روية، مقدّمة فتح الباري: ١٦٤، المصنّف لعبد الرزاق ٥: ٤٤١ و٤٤٥، مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٦١٥ و٨: ٥٧٠، سنن النسائي ٤: ٢٧٢ و٢٧٣، صحيح ابن حبان ٢: ١٤٨ و١٥٥ و١٥٧ بطريقين وعقب الثاني بقوله: يريد أنّ بيعة أبي بكر كابتدائها من غير ملأ، الخ، الفائق للزمخشري ٣: ٥٠، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣ و٦: ٤٧ ونسبها لأبي بكر.. و٩: ٣١ و١٣: ٢٢٤، كنز العمال ٥: ٦٤٩ رقم ١٤١٣٧.

من أبي عبيدة، وعمر من أبي بكر، وعثمان من عبدالرحمان بن عوف، وليس أحد من العلماء كان حاضراً يوم ذاك، فهل حصلت شروط الاختيار هنا؟ والأعجب من هذا أن الرجل في حياة النبي لم يكن ليستحق الصلاة في الناس جماعة، ولم تكن له أهلية تبليغ آية من سورة براءة لأهل الموسم وقد عزله النبي ﷺ في كلا الحالين فكيف استحق بعد رسول الله إمامة الناس أجمعين؟ ما أشد وقاحة القوم!

مسألة:

وزعموا أن رسول الله قال: اختاروا وليكم فإنهم وفودكم إلى الله^(١)، وكذلك قال: يؤمكم أقرأكم، فقالوا: إن كانوا في القراءة سواء؟ قال: فأفقههم^(٢). وبهذه الرواية التي رووها يعلمون بأن علياً كان حافظاً للقرآن ولم يكن أبوبكر كذلك، وعلي أفقه منه في العلوم الدينية وحل المشاكل وكان مفتي الصحابة ومعهدا فقد قدموا أبابكر لإمامة الصلاة وغيرها نقضاً للحديث المروي عنهم.

ويعلمون أن النبي سد جميع الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب علي ﷺ^(٣).

(١) عثرت على رواية ذكرها أبو الفتح الكراجكي ﷺ: «وإن أنتمكم وفودكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم» (ص ١٥٢) أما الرواية التي ذكرها المؤلف فلم أعثر عليها في مصدر وتركتها على حالها.

(٢) عثرت عليها عند الشيعة وفي السياق اختلاف في صياغة الحديث والمعنى واحد: تذكرة الفقهاء للحلي ١: ١٧٩ وعزاه ﷺ إلى ابن سيرين والثوري وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي وابن المنذر، الشهيد الأول في الذكري: ٢٧٢، مجمع الفائدة ٣: ٢٥٢ وسمّاه طريق العامة، مصباح الفقيه ج ٢ ص ٦٨١ و٦٨٢، التعجب للكراجكي: ١٠، الغدير للأميني ١٠: ٥٣. والظاهر أن الرواية عامية وفيها إضافات وفي قبالتها رواية شيعية في معناها.

(٣) عثرت على هذا الكلام المتقدم في كتاب التعجب لأبي الفتح الكراجكي (ص ١١ طبع سنة ١٤١١

➤ ثانية في مكتبة المصطفوي بقم) وأنا أنقله هنا لتعاضد به عن الترجمة، قال: ومن عجيب أمرهم أنهم يعترفون بأن الأمة ليس لها أن تعضي حكماً ولا تقيم على أحد حداً ولا تنفذ جيشاً ويزعمون أن لها أن تجعل هذه لأحدها وترد إليها ما لم يرد إليها، وتملكه من الشريعة أشياء لا تملكها من غير أن يأذن لها في ذلك مالکها، وهذا من أطرف الأمور وأعجبها.

ومن عجيب أمرهم أنهم فيما ذهبوا إليه من الاختيار قد أجازوا إهمال أمر الأمة إلى أن يختار علمائها واحداً مع أنه لو اختار أهل مدن مختلفة عدة أئمة وجب عندهم أن يقف أمرهم إلى أن ينظروا من الأولى منهم فيقدموه ويبطلوا إمامة من سواه ويسقطوه، فإن كان قد عقد لهم في وقت واحد سقطت إمامتهم كلهم فأباحوا بهذا ترك الناس في هذه المهلة بغير إمام، وربما تراخت وطالت واضطرب فيها أمر الأمة وحدثت أمور لا مدبر لها، وتولد مضار عامة لا مصلح لفسادها.

وقيل لهم على هذا الرأي: لِمَ لَمْ يصبر أصحاب السقيفة عن المبادرة لإمام والمسارة التي انفردوا بها عن الإمام ريشما يفرغ بنو هاشم من تجهيز النبي ﷺ ومواراته وقضاء مفترض حقه في مراعاته حتى إذا تنجزت هذه الحال حضروا معهم العقد لشاركوهم في الرأي والأمر فإنهم إن لم يكونوا أخص بهذا الأمر فيه شركائهم، ونصيبهم فيه على أقل الوجوه نصيبهم؟ فقالوا: إنما فعلوا ذلك مبادرة بالأمر الذي يخشى فواته، ويخاف المضرة بتأخيره مع العلم العام بأنهم ما اضطروا في ذلك الوقت إلى هذا البدار ولم تختلف الكلمة لولا ما فعلوه اختلافاً يعظم به المضار ولا قصدهم من الأعداء قاصد ولا أحاط بهم عدو ومعاند، فما هذه العجلة والبدار مع ما جناه عنهم في شرائط الاختيار لولا أن القوم اغتنموا الفرصة فانتهزوها وبادروا المكنة فاختموها وإن مصوبتهم ناقضوا فعلهم وناصرهم أوضحوا زللهم مع أن رأيهم في الاختيار، وما ساقهم إليه أحكام الثقة في هذا الزمان المخلة بنصبه الإمام قد أذاهم إلى إهمال أمر الأمة وتركهم بغير إمام.

ومن عجيب أمرهم قولهم أن اختيار الأمة إلى العلماء وأن الجماعة يختارهم الذين لا يغفلون في اختيارهم ويعلمون مع هذا أن أبابكر اختاره أبو عبيدة، وأن عمر اختاره أبوبكر، وأن عثمان اختاره عبدالرحمان وليس فيهم من حصل الشرط الذي ذكروا.

فصل: في أغلاطهم في اختيارهم أبابكر

ومن عجيب أمرهم أنهم قصدوا إلى رجل أمر الله بتأخيره ولم يره أهلاً للنباية عن رسول الله ﷺ

وقال ﷺ: إِنَّ الله تعالى أمر موسى بن عمران أن يتَّخذ بيتاً طهراً لا يَجْنِب فيه إلا هو وهارون وابناه شَبْر وشبير، وإِنَّه أمرني أن اتَّخذ بيتاً طهراً لا يَجْنِب فيه إلا أنا وعليّ وابناه الحسن والحسين ﷺ، فاجتمعت الخصال الموجبة لتقدّم أمير المؤمنين ﷺ فياليت شعري بأيّ فضل قدّموا عليه أبابكر.

ولمّا سُئل هو وعمر عن قوله تعالى: ﴿وَأَبَاءُ﴾^(١) فما أحارا جواباً ولم يعرفا لها معنىً.

وأبوبكر هو القائل: وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني ولست بخيركم؛

❦ في تأدية تسع آيات من سورة برائة إلى أهل مكة وهم بعض الأئمة ورسول الله حيّ موجود مع قوله ﷺ: المؤمنون أكفاء؛ تتساوى دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجيز عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، فلا يراه الله مع ذلك أهلاً لتأدية ذمّة ولا منفذاً لأمر فيه مصلحة للأئمة، وعزله عن جيش ظهر فيه غوله وعجزه ومنعه، سكن المسجد وسدّ بابَه وأخره عن الصلاة التي قدّمه بلال إليها بأمر عائشة ابنته فقدّموه بعد رسول الله ﷺ رئيساً على جميع أمته وردّوا إليه أحكام ملّته حيث يكون تميم تنفيذ الأُمر في يديه، وأحكام الشريعة مردودة كلّها إليه، ويكون القائم مقام خير خلق الله تعالى محمّد رسول الله ﷺ والمنفّذ لشرعه، إنّ هذا الشيء عجيب يحار فيه عقل اللبيب.

ومن عجيب أمرهم اعتقادهم أنّ النبي ﷺ أمر الناس أن يختاروا لأنفسهم إذا اجتمعوا إمام الصلاة ويروون عنه أنّه قال: اختاروا أنتمكم فإنهم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ، وقال: يؤمّكم أقرّكم، وفي خير آخر: قالوا له: فإن كانوا في القراءة سواء؟ قال: فأفقههم، وصاحب المسجد أولى بمسجده، ثم يروون مع ذلك أنّ من الواجب تقديم أبي بكر على أمير المؤمنين ﷺ ويرون أنّه أولى منه بالتقديم على الناس في الصلاة مع علمهم بأنّ أبابكر لم يكن حافظاً لكتاب الله وأنّ أمير المؤمنين كان حافظاً بغير خلاف. ومع علمهم بأنّ رسول الله سدّ جميع أبواب الصحابة التي كانت إلى المسجد حتّى سدّ باب عمّه وترك باب عليّ، وقال: إنّ الله أمر موسى بن عمران أن يتَّخذ بيتاً طهراً لا يَجْنِب فيه إلا هو وهارون وابناه شَبْر وشبير، وإنّه أمرني أن اتَّخذ بيتاً طهراً لا يَجْنِب فيه إلا أنا وعليّ وابناه الحسن والحسين ﷺ.

فإن استقممت فاتَّبِعُونِي، وإن اعوججت ففَقِّمُونِي، وإن لي شيطاناً يعتريني عند غضبي فإذا رأيتموني مغضباً فتجنَّبُونِي لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم^(١).

واختاروه مع قلة علمه ونقصان فهمه وفقهه في الدين على عليّ الذي بسط الله يده على العالم كافة مع كثرة العلم والقرابة من النبي ﷺ وزهده وطهارته كل ذلك يعلمونه منه كما يعرفون الجهل من صاحبهم، ولكّهم أخروه رداً على الله ورسوله حيث قال: ﴿لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(٢).

مسألة:

وقال الأنصار: نحن أولى برسول الله ﷺ لنصرتنا إياه، وقال المهاجرون: بل نحن أولى به لقربتنا وهجرتنا، ولم يدر بخلدهم أنّ عليّاً حوى الفصيلتين: فهو أنصاريّ مهاجريّ وقرشيّ هاشميّ، فقال عليّ ﷺ: إنّ المهاجرين حاجّوا الأنصار بقرب قریش من رسول الله فإن كانت حجّتهم ثابتة فقد كنت إذن أحقّ بها لأنّي أقرب منهم، ولما بلغت بيعه أبي بكر قال هذين البيتين من الشعر:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون عُيِّبُ

وإن كنت بالقرى حججت خصومهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب^(٣)

وقال ﷺ: بم احتجّ المهاجرون على الأنصار؟ قالوا: بصحبة رسول الله ﷺ،

(١) راجع التعجّب أيضاً (ص ٩) وليس فيه أقيلوني أقيلوني أثناء كلام الشيخ عن شيطانه، لا يعتريني الشك أنّ المؤلف ﷺ أخذ من الكراجكي لتقدّمه عليه فقد توفي الكراجكي سنة ٤٤٩ (راجع الذريعة للطهراني) ولكنّه لم يشر إليه بل عمد إلى كلام الشيخ الكراجكي فقطع أوصاله وأفقده الوحدة وحشر في أثنائه كلاماً لا يبلغ مستواه ممّا أوقع المترجم بحيرة مدهشة، واستمرّ المؤلف يكيل من كلام الكراجكي كلّما حلّى له، وربما أعرض عنه بكلام ينشأ من نفسه، ولو أنّه أشار إلى كتابه لأراح واستراح ﷺ.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) وقيل إنّ قول قيس بن سعد، التعجّب: ٩.

فقال: يا عجباً! تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة!
ومن عجيب أمرهم دعواهم أن إمامة أبي بكر تثبت عن إذن من أهل الحلّ
والعقد واختيار وتأمل، هذا مع سماعهم قول عمر بن الخطاب: كانت بيعة أبي بكر
فلتة وفي الله المسلمين شرّها، وهذا القول يكذب مزاعمهم، لأنّ الفلته التي هي
العجلة والبدار تضادّ ما يدعون من التأمل والاختيار.
مسألة:

ومن عجيب أمرهم دعواهم أن الأئمة اجتمعت على إمامة أبي بكر مع علمهم
بقلة عدد المعاهد لها وتأخّر من تأخّر عنها، وإنكار المنكرين لها، والخلف الواقع
فيها في حال السقيفة وبعدها، فيقولون: إنّ من خالف من الأنصار وتأخّر من بني
هاشم الأخيار^(١) وما كان مع أبي بكر إلّا نفر من قريش وهم عمر وعثمان
وعبدالرحمان بن عوف وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص القرشي وسعيد بن
العاص القرشي وسالم بن حذيفة الدعي، وجماعة من المجهولين حسباً ونسباً،
وليس من قريش إلّا هؤلاء العشرة ومع ذلك يسمّونه الإجماع.

ثمّ ينكرون أن يكون الإجماع حصل على حصار عثمان وقلعه وتكفيره وقتله،
ولم يكن بالمدينة من أهلها ولا ممّن كان بها من أهل مصر وغيرهم إلّا محارب أو
خاذل، ولم يحفظ عليهم في الإنكار إلّا قول القلقل، ويدعون أنّه وعبيده المحاصرين
معه في الدار ومروان ابن عمّه قادحون في الإجماع، هذا وقد رام قوم من بني أميّة
أن يصلّوا عليه فلم يتمكّنوا وهمّوا أن يدفنوه في مقابر المسلمين فلم يتركوه حتّى
مضوا إلى حشّ كوكب وهو بستان بقرب البقيع ثمّ أتوا ليجزّوا رأسه فصاح نسوة

(١) هذه عبارة الكراجكي في التعجّب (ص ١٣) رأينا أجدد بالعناية من عبارة الترجمة، حيث أنّ
المؤلف أخذها بالترجمة بعد التحوير والتغيير.

من أهله وضربن وجوههن فتركوه وداسه عمير بن أبي صابي فكسر ضلعاً من أضلاعه...^(١) فلم ينكر عليهم أحد، وهذا المعنى أولى باسم الإجماع، فظهر من هذا بأن إجماعهم ربما بني على الباطل والظلم وغضب حقوق المسلمين^(٢).

ومن عجيب أمرهم أن رسول الله ﷺ أرسله إلى خير وأرسل بعده عمر فرجعا منهزمين وكان على رأس الجيش، وأرسل النبي أبابكر مع جيش إلى وادٍ قريب من المدينة ليلاً فرجعوا منهزمين، فلم يحسن أن يدبر الجيش بعقله ويرضي الله ورسوله فكيف يصح تحكيمه بالأئمة وحكمه عليها؟

وقاد الجيش عليٌ بعده فهزم أولئك اللعناء وفرّق جمعهم وبدّد شملهم وكفى الله المسلمين شرّهم به، وإن رجلاً بهذه الصفة من حسن القيادة والحكمة أولى بالتقديم.

(١) هذه عبارة صاحب التعجب (ص ١٣) وفيها عبارة المؤلف وزيادة.

(٢) عبارة الكراجكي: وبقي مكانه مرمياً ثلاثة أيام لم يستعظم في بابه مستعظم ولا أنكره منكر، ومن تأمل هذا الحال علم أنها أحق وأولى بالإجماع (ص ١٣).

الباب السادس عشر

في صفات الإمام

وقالوا: إنّ الإمام قدوة في الشريعة مع جواز جهله ببعضها، ولا يجيزون أن يكون فيها مع جهله بجميعها وقولهم: إنّّه يرجع في البعض الذي لا يعلمه إلى الأئمة ولا يجيزون أن يرجع في الكلّ إذا لم يعلمه إلى أحد من الأئمة ولسنا نجد فرقاً بين حاجته إلى رعيّته في بعض ما لا يعلمه وبين حاجته إليهم في كلّ ما لا يعلمه.

بل من العجب ان يكون الإمام محتاجاً إلى من هو محتاج إليه، ومقتدياً برعيّة يقتدون به، لأنّ هذا عند العقلاء من المناقضة القبيحة وهو دور واضح.

ومن عجيب أمرهم أنّهم يروون عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من تولّى شيئاً من أمور المسلمين فولّى رجلاً شيئاً من أمورهم وهو يعلم مكان رجل هو أعلم منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، أي إنّ من حكم المسلمين لزم عليه إسناد الحكم والرياسة إلى أعلمهم.

مع ذلك إنّ أبا بكر وعمر لم يولّيا أيامهما عليّاً عليه السلام مع معرفتهما بكمال علمه، ويقدمان الجهال في الولايات عليه، ولا يستدلّون بذلك على خيانتها لله ولرسوله

وللمؤمنين^(١) وإنما نحوّه لثلاً يدرك الناس أنّه الأولى بالأمر، ولكن إذا نابتهم نائبة أو أملت بهم مشكلة رجعوا إليه واعتمدوا عليه.. ولو أنّهم دعوه لتولّى شأن من شئونهم لما قبله وحاشاه من قبول ذلك إلا أنّ هذا لا يمنع من نسبة الخيانة إليهم.

مسألة:

ومن عجيب أمرهم قولهم: إنّ علوم الشريعة متفرّقة في الأُمّة وأنّها قد أحاطت بها وهي الملجأ والمفرّج فيها مع ما يدّعون من عصمتها، ويستعظمون قولنا أنّ الإمام هو المحيط بها والعالم بجميعها والملجأ والمفرّج فيها، وهو المسدّد المعصوم دونها (وما انكروه متاً منكر منهم وما أوردوه علينا وارد عليهم في عصمة الأُمّة) وقيمون أنفسهم في ذلك مقام المشركين الذين قالوا فيما تضمّنه الذكر المبين: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِنِّهَا وَاحِدًا إِنِّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾^{(٢)(٣)}.

مسألة:

وروا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: خذوا ثلث دينكم عن عائشة، لا بل خذوا ثلثي دينكم من عائشة.

فيا عجباً كيف يشبّ لعائشة هذا الكمال الذي تميّزت به عن الأنعام واستحال مثله في الإمام^(٤) (وهو مدينة علم النبي).

ومن العجب إنكارهم أن يكون خليفة رسول الله ﷺ على أُمّته والمنفذ بعده

(١) التعجّب: ١٤.

(٢) ص: ٥.

(٣) لمّا ثبت عندي أنّ المؤلّف أخذ نصوصه من كتاب التعجّب ولكنّه حوّر العبارة وغيرها بالحذف والإضافة لتكون له، رأيت نقل عبارة التعجّب أولى وإن كنت لا أهمل زيادات المؤلّف فأضعها بين قوسين.

(٤) نفسه (١٥).

أحكام شريعته حافظاً لعلوم الشريعة محيطاً بأحكام الملة، مستغنياً في ذلك عن الرعية، ويدعون أن شيخهم الجاحظ لعنه الله^(١) على سخافته وهزله وخداعته وصلاعته وقبيح فعله ومشتهر فسقه قد عرف كل علم، وصنّف الرياضيات ورسوم الأدبيات إلا وقد خاض فيه وعرف متصرفاته وعجائبه ومعاييه^(٢) الخ (لأن الجاحظ أظهر عداوة أمير المؤمنين عليه السلام وداوة أهل بيته وكتب في ذلك الكتب منتقاصاً بها علياً وأهل بيته... وقد ذكر في عدة مواضع أن النبي قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها^(٣)) وكذلك قوله عليه السلام: علي مع الحق والحق مع علي، اللهم أدر

(١) اللعنة التي أصابت الجاحظ من الكراجكي المؤلف وأنا أقول: ألف لعنة عليه.

(٢) نفسه: ١٥.

(٣) هذا الحديث أنكره أولاد الزواني والعواهر حتى قال آخرهم وهو نكرة ظهر علينا في أحد مواقع الانترنت «البرهان» بصفحات تافهة جداً سماها مناظرة مجهولة الزمان والمكان والأطراف وكان لا يعبر عن مناظريه بأسمائهم لتلافتضح طبعاً وإنما يسميهم «سيدهم» و«أحدهم» وهكذا، ولو كانت المناظرة صحيحة أو كان هو الغالب فيها كما يدعي لما تردّد في ذكر أسماء مناظريه، وعلى كل حال اسم المناظرة «انتصار الحق» وصاحب القلم الذي خطها خادم السنة (طبعاً سنة معاوية) مجدي محمد علي محمد... وفيها: أحدهم السائل: من أعلم الصحابة؟
العبد لله: أبو بكر أعلم الصحابة.

السائل: ما دليلك على ذلك؟

العبد لله: النبي قدّمه للصلاة بالناس عند مرضه الأخير ومعلوم في الفقه أن الذي يؤم القوم أعلمهم وتقديماً أبي بكر للصلاة بالمسلمين أعظم شهادة من الرسول المعصوم بأنه أعلم الناس وأفضلهم.

السائل: أليس الرسول عليه السلام يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها وهذا أدل على أن علياً عليه السلام هو أعلم الصحابة؟

العبد لله: هذا الحديث لا يثبت عندنا فلا يصح الاحتجاج به.

السائل: لكن هذا الحديث موجود في كتبكم!

❦ العبد لله: علم الحديث عندنا ليس بالسطحية التي هي عليها الآخرون بل هو علم واسع ألقت فيه كتب ومؤلفات لا تحصى لكثرتها، وأفنى فيه علماء كثيرون أعمارهم لجمع الحديث - إلى أن يقول - وحديثك هذا غير ثابت.. الخ، ثم يعلّق عليه في الهامش: بل هو مكذوب موضوع وعند رجوعي إلى منزلي بحثت فيه فوجدته قد أورده ابن الجوزي في الموضوعات... الخ (ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢).

صفة الحديث:

أقول: مجدي محمد هذا قد طبع الله على قلبه فلا حاجة إلى تذكيره لأنّه من الذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، فالحديث معه ضرب على حديد بارد، ولكنّي أخطب أصحاب القلوب الواعية، فأقول: الرواية أخرجها الحاكم في المستدرک على الصحيحين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبّه الذهبي في التلخيص فقال: بل موضوع، قال: وأبو الصلت ثقة، قلت: لا والله لا ثقة ولا مأمون (اه). وإنما ضغفوا الحديث ورموه بالوضع نظراً لرواية أبي الصلت له، وتكلّموا فيه بغير هذا الحديث وكذلك فعل ابن الجوزي فإنّه لم يورد له في الموضوعات سوى حديثين وهو منهم تحامل لا دليل عليه ولا موجب له سوى موالاته لأهل البيت كعادتهم مع غيره، فإنّه لم ينفرد بهذين الحديثين حتّى يتّهم بهما ويتحامل عليه من أجلهما.

قال السيّد الغماري: وأما ابن الجوزي فهو مقلّد لمن سبقه فلا ينبغي أن يعدّ في الحاكمين على الحديث بالوضع لأنّه لم يقل ذلك عن اجتهاد فهو بمنزلة العدم كحال كلّ مقلّد، ولو فرضنا أنّه حكم بذلك اجتهاداً فتساهله وتهوّره معلوم حتّى قال الحافظ فيه: إنّّه حاطب ليل لا يدري ما يخرج من رأسه، وقد كثر اعتراض الناس عليه وتعبّه فيما حكم عليه بالوضع والتحذير من الاغترار به كما بسطته في غير هذا الموضع وقد تعبّوه على هذا الحديث كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

وأما الذهبي فلا ينبغي أن يقبل قوله في الأحاديث الواردة بفضل عليّ عليه السلام فإنّه سامحه الله (بل لعنه وأخزاه - المترجم) كان إذا وقع نظره عليها اعترته حدة أنلفت شعوره وغضب أذهب وجدانه حتّى لا يدري ما يقول، وربما سبّ ولعن من روى فضائل عليّ عليه السلام كما وقع منه في غير موضع

من الميزان، وطبقات الحفاظ تحت ستارة أنّ الحديث موضوع، ولكنّه لا يفعل ذلك فيمن يروي الأحاديث الموضوعة في مناقب أعدائه، ولو بسطت المقام في هذا للذكرت لك ما تقضي منه بالعجب من الذهبي عليه السلام (بل لعنه الله - المترجم) ويكفي في ردّ كلامه أنّه قال في الميزان: عبدالسلام بن صالح الهروي، الرجل الصالح إلا أنّه شيعي جلد، انتهى، فما وصفه بضعف ولا رماه بكذب ثمّ ذكر عند ذكر هذا الحديث في المستدرک: أقسم بالله أنّ عبدالسلام بن صالح ما هو ثقة ولا هو مأمون، فكيف الجمع بين هذا وذاك؟! وقد تعقّب الحافظ في حكمه على هذا الحديث بالوضع في ترجمة جعفر بن محمد الفقيه فإنّه أورد له هذا الحديث، وقال: موضوع، فتعقّب الحافظ في اللسان بقوله: وهذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرک الحاكم أقلّ أحوالها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغي أن يطلق عليه القول بالوضع، انتهى.

وقد سبق قول الحافظ السيوطي في الجامع الكبير: كنت أجيب دهرأ عن هذا الحديث بأنّه حسن إلى أن وقفت على تصحيح ابن جرير لحديث عليّ في تهذيب الآثار مع تصحيح الحاكم لحديث ابن عباس فاستخرت الله تعالى وجزمت بارتقاء الحديث من مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحيح (اه).

ونقل في اللثالي المصنوعة عن الحافظ العلائي أنّه قال في أجوبته عن الأحاديث التي تعقّبها السراج القزويني على مصابيح البغوي وادّعى أنّها موضوعة، ما نصّه: حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» قد ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات من طرق عدّة وجزم ببطلان الكلّ وكذلك قال بعده جماعة منهم الذهبي في الميزان وغيره، والمشهور به رواية أبي الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي عن أبي معاوية عن الأعمش عن ابن عباس، وأبو الصلت مختلف فيه لكنّه توبع فبرئ من عهده، وأبو معاوية ثقة مأمون من كبار الشيوخ وحفّاظهم المتّق عليهم وقد تفرّد به الأعمش فكان ماذا؟ وأيّ استحالة في أن يقول النبي صلى الله عليه وآله مثل هذا في حقّ عليّ عليه السلام ولم يأت كلّ من تكلم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب عن الروايات الصحيحة عن ابن معين في توثيقه وتصحيح حديثه ومع ذلك فله شاهد: رواه الترمذي في جامعه وسنده حسن فكيف إذا انضمّ إلى حديث أبي معاوية، ولم يأت أبو الفرج ولا غيره بعلّة قاذحة سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر (اه) باختصار. راجع: أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، فتح الملك العلي، وهو كتاب جدير القراءة والحفظ، هذا ما يقوله العلماء أصحاب الدين والاجتهاد،

الحقّ معه حيثما دار.

واتفقوا على أنّ عليّاً أعلمهم، وعبدالله بن عباس واحد من تلامذته، فقد كان عمر مع ما هو عليه من جاه الخلافة يفتقر إليه في المسائل ويقول: «غص يا غوَاص»، واعتبر برجل تلميذه غوَاص فإنّه بالأعلميّة أولى.

وقال له عمر بغير خلاف لما رده أمير المؤمنين عليه السلام عن مواضع ظهر منه فيه الأغلاط: لولا عليّ لهلك عمر.

مسألة:

قالوا عن عليّ وأهل بيته المعصومين: إنّ هذه العصمة إن كانت منهم جاز أن يقع في غيرهم فيساويهم في منزلتهم، وإن كانت من الله سبحانه فجبرهم واضطرهم ولم يستحقّوا ثواباً على عصمتهم.

والجواب:

إنّ هذا قول باطل، لأنّها مساوية لعصمة النبي ﷺ وهم مع ذلك معترفون بأنّ النبيّ معصوم في التأديّة والتبليغ ومعصوم عمّا سوى ذلك من جميع كبائر الذنوب في حال نبوّته وقبلها، وما يجيبون به عن عصمة النبيّ فإنّه جوابنا بعينه بلا أدنى فرق.

الجواب:

ومن العجب قولهم أنّ العصمة ثابتة لجميع الأئمة منتفية عن كلّ واحد منها مع علمهم بأنّ أحادهم جماعتها وأنّها إذا كانت مؤمنة بأجمعها كان الإيمان حاصلًا لا حاربًا، ولو كفر جميعها لكان الكفر حاصلًا مع كلّ واحد منها.

وقد قال أحد المعتزلة يوماً وقد سمع هذا الكلام: فرق بين العصمة وما ذكرت

❦ الباحثون عن الحقّ، أمّا أعراب نجد وأتباعهم من أهل العناد كصاحب المناظرة فهم أشدّ كفرًا ونفاقًا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله.

من الكفر والإيمان، وذلك أن ما ثبت لكل واحد منها فهو ثابت لجماعتها، وليس كل ما ثبت لجماعتها ثابت لكل واحد منها، فلذلك إذا آمن آحادها كان جميعها مؤمنين، وإذا كفر آحادها كان جميعها كافرين، وليست إذا ثبت العصمة لجماعتها يكون آحادها معصومين.

فقلت له - الكراجكي -: ما رأيت أعجب من أمرك وانصرافك عن مقتضى قضيتك إذا كان ما ثبت لكل واحد من الأمة ثابتاً لجميعها فقد ثبت عندي وعندكم الحكم على كل واحد منها بجواز الخطأ والنسيان وتعمد الغلط في الأفعال والأقوال فاحكم بثبوت ذلك بجميعها وأسقط ما ادّعت من عصمتها، فلم يدر ما يقول بعدها... (١).

ومع هذا يجيزون الخطأ على الآحاد ويدّعون العصمة للمجموع، وما الفرق بين الآحاد في جواز اجتماعهم على الكفر وتبرئة الأمة من ذلك بادّعاء عصمتها؟ وهل هذا إلا محض عناد.

ومثال ذلك الماء فإن النقطة منه إن كانت رطبة فينبغي أن يكون المجموع كذلك، وكذلك الزنج فإذا كان أحدهم أسود فإن المجموع كذلك، وهذا من صور البسائط كون حكم الجزء والكل واحداً بخلاف المركب، ولما كان آحاد الأمة يجوز عليهم الخطأ فجوازه على الأمة كذلك وهي محتاجة إلى الإمام كآحادها، ولما كان جواز الخطأ في الكل قديماً احتاج الكل إلى إمام معصوم، فإن لم نفترض عصمته احتاج إلى إمام معصوم يكون عليه يرده عن الخطأ وإلا لاحتاج إلى إمام آخر لا يخطأ وهكذا يؤدي الحال إلى التسلسل.

(١) التعجب: ١٦. وهذا الكلام حاوٍ لكلام المؤلف وزيادة، وإنما نقلته بالتفصيل فلأن المؤلف أخذ منه كل أقواله ولم يشر إلى ذلك، ورأيت ما اختزله المؤلف لا يؤدي المعنى المراد لصاحب الكتاب.

وإنهم جعلوا حجّتهم في عصمة الأئمة وفي أنّ إجماعها صواب وحجّتهم خبر نسبوه إلى رسول الله ﷺ وهو أنّه لا تجتمع أمتي على ضلال، وهذا الخبر لا يمكنهم على أصلهم أن يدّعوا فيه التواتر إذا كان غير موجب لسامعيه على الضرورة بصحّته فهو لا محالة من أخبار الآحاد فهم إذا قد جعلوا دليل الدعوى بأنّ الأئمة لا تجتمع على ضلال قول بعضها والحجّة على عصمتها شهادة واحد منها ولم يعلموا أنّ الخلاف في قول جميعها يتضمّن الخلاف في قول بعضها والتخطئة بسائرهما يدخل في التخطئة بواحداهما...^(١). ويمكن أن يكون قول هذا الراوي واجد الخطأ وكذباً فيكون إجماع الأئمة على الكذب.

ومن عجيب أمرهم أنّهم لا يميزون إمامة الفاسق ويجوّزون أن يكون الإمام باطنه فاسقاً، ويحتجّون في نفي من ظهر فسقه بأنّهم لا يأمنونه على إقامة الحدود ولا يثقون به في حفظ الأموال وصرفها في الواجبات ثمّ يأتّمون على هذه الأمور من يجوّزون عليه الفسق والفجور وارتكاب كبائر الذنوب ومن لا يخيلون أن يكون في باطن أمره على ضلال وكفر وإشراك^(٢).

والعجب منهم أن لا يميزوا إمامة الفاسق معن الفسق ويميزون إمامة الكافر في الباطن وبناءً على هذا لا يبعد أن يكون أئمّتهم كافرين باطناً وإذا لم تجز إمامة الفاسق فكيف تجوز إمامة الكافر^(٣)!

مسألة:

وقالوا: يجوز تقديم المفضول على الفاضل، وهذا يستنكره العقلاء ويقبّحونه

(١) التعجّب: ١٧.

(٢) التعجّب: ١٧.

(٣) وعبرة صاحب التعجّب هكذا: ومن عجيب العجيب امتناعهم من إمامة من علموه فاسقاً وتجوزهم أن يكون في باطنه كافراً... الخ (ص ١٧).

وغرضهم من هذا الأمر المخالف للعقل والشرع تقديم أبي بكر الفاقد لكل خصلة حميدة ومزية مجيدة على عليٍّ وهو الأعلم والأشجع والأكمل والأكثر عملاً والأشدَّ خوضاً في ميدان الجهاد ونصر دين الله^(١) ومع ذلك قدّموه عليه على أنه لا نسبة بينه وبين الإمامة، ويلزم أن يكون رعيةً فصيرّوه راعياً، ومن له التقدّم جعلوه رعيةً، ومنعوه من أجل مراتبه وهي الإمامة، ولم يقبلوا أمره ونهيه، وصيرّوه تابعاً للجهال، ومثّلهم كَمَثَلِ الذي أعطى المعلم للمتعلّمين يعلمونه، والنبّي جعله تابعاً للموالي والعبيد، وهذا شأن ينكره العقل ويقبّحه العقلاء^(٢) وقد استغاث فيهم أمير المؤمنين عليه السلام متظلماً وشكاهم إلى الله مستعدياً فقال: اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي واكفوا أثاثي وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه فاصبر مغموماً أو ميت متأسفاً.

ومن عجيب أمرهم تمحلّهم الباطل في الاعتذار لتقديم المفضول على الفاضل، قولهم: إن العاقدين خافوا أن يلي الفاضل عليهم فيرتدّ إلى الكفر قوم منهم لما في نفوسهم عليه من الأحقاد وما بينه وبينهم من الغائل والترات فوجب تأخيرهم وتقديم من دونه ليؤمن من وقوع هذه الحال وتسكن نفس من يخاف منهم الارتداد^(٣).

(١) وجاء في كتاب التعجب: «فصل في أغلاطهم في إمامة المفضول»: فمن عجيب أمر القائلين بإمامة المفضول... الخ، وهو كلام نفيس جداً أخذ منه المؤلف بعض عباراته ومعناه وأضاف إليه كلاماً دون مستواه (ص ١٧).

(٢) أخذ المؤلف عبارة التعجب الجزلة الحاوية للمعنى الدقيق فتصرّف فيها تصرّفاً غير محمود حتّى مثال المعلم والمتعلّمين فقد جاء عند الكراجكي هكذا: وما زلنا نسمع العامة تقول: يأتي على الناس زمان يسلم فيه المعلم إلى الصبيان ويسوق فيه البغل على الطحان... الخ (ص ١٨).

(٣) التعجب: ١٨ - ١٩.

الجواب:

وهذا باطل بإرسال الرسل^(١) فقد نسوا ما قد أجمعوا عليه معنا ولم يخالفونا فيه من أن الحكيم يجب أن يفعل أفضل الأمور وأعلاها وأشرفها وأولاها، وإن ضلّ من ضلّ وكفر من كفر بإرساله سبحانه الأنبياء إلى من يعلم أنهم يقتلونهم ويزدادون في غيهم، وتبليغه أطفالاً يعلم من حالهم أنهم يكونون كفّاراً إذا بلغهم وتكليفه قوماً قد علم أنهم يضلّون إذا كلّفهم فكيف صار من الحكمة والعدل فعل هذه الأمور وإن ضلّ معها الجمهور، ومن الظلم والجور تقديم المفضول على الفاضل خوفاً من ضلال قليل من كثير ولا انقادوا إلى هذا الفاضل واتّبعوا في ذلك الواجب، فيكون الحجّة من خالف وعاند.

(قال المؤلف^(٢)): وعلى هذا ينبغي أن لا يكلف الله عباده بطاعة أمر رسله، لأنّه عند إرسال الرسل عاندهم الناس وكفروا وارتدّوا ومع هذا فقد أرسل الله إليهم أفضل الناس.

وكذلك نقول: لولا التكليف لكان الناس في بال من الأوامر والنواهي ومثله العقل إذ لولا لكان الناس مجانين وعاشوا في أمن من التكاليف وكان الناس جميعاً من أهل الجنة...

جواب آخر:

إن الذي يدرأ الشرّ والخبث والنفاق هو اتّباع الفاضل والانقياد لأوامره ونواهيّه، لكي يمتنع الفساد والارتداد، ألا ترى أن موسى حين أزمع الغيبة نصب

(١) وهنا ينبغي علينا نقل عبارة «التعجب» لأنها أكمل من عبارة المؤلف وأوصل للمعنى، انظر ص ١٩.

(٢) قارن بين العبارتين.

أخاه هارون على بني إسرائيل مع علمه أنّ بني إسرائيل سوف يرتدّون ويعبدون العجل واختار هارون لأنّه الأفضل لا واحداً من بني إسرائيل^(١).

ويزعم الخصم: أنّ الأُمَّة لو قالت لا نُؤمن حتّى تخرجوا هذا المؤمن من بيننا وجب حينئذٍ إخراجه كما فعل عثمان بأبي ذر الغفاري من بين الصحابة من أجل تسليّة خاطره وهو حبيب رسول الله وردّ طريد رسول الله من النبي لكي لا يضلّ الناس بزعمهم «نعوذ بالله من هذه الضلالة»:

لو سلّموا لوليّ الأمر أمرهم يأسل^(٢) بينهم في الأرض سيفان

مسألة:

ومن عجيب أمرهم اعتمادهم على هذا الاعتذار مع علمهم باختلاف الناس بأبي بكر لما تقدّم وكراهيّتهم له مع علمهم ومعرفته بما كان من أهل الإمامة لخالد بن الوليد: والله لا أطعنا لأبي فصيل أبداً، وقول خالد: والله لأرفعن السيف عنكم حتّى تتأمّروا بالفحل لا لأكبر، فكان من أمرهم معه ما قد اشتهر من الحرب المبيرة والفتنة العظيمة وسفك الدم وسبي الحريم وهلاك من لا يحصى^(٣).

وقالوا: السبي غنيمة وهذا الارتداد ما كان لولا تقديم أبي بكر على الناس،

(١) إليك عبارة التعجّب التي أغار عليها المؤلّف: أوليسوا مقرّين بأنّ الله تعالى قد علم من قوم موسى أنّهم يكفرون إذا قدّم عليهم أخاه هارون ويتخذون العجل إلهاً من دون الله تعالى ولم ينهه عن تقديمه ولا منعه من استخلافه وتركه فعل الأفضل في حكمته وليس لهم أن يقولوا بأنّه هو إبي الله دون العباد وتقديمهم الفاضل (ص ١٩) والبيت الذي ذكره المؤلّف مأخوذ من التعجّب أيضاً وهو كما يلي:

لو سلّموا لوليّ الله أمرهم ما سلّ بينهم في الناس سيفان

(٢) كذا. والصحيح: ما سلّ.

(٣) التعجّب: ٢٠.

ومن العجب نسيانهم عند هذا الاعتذار كراهية الناس تقديم أبي بكر عمر عليهم ، ونفورهم من نصبه عليهم حتى حلفوه الله عز وجل وقالوا له : ما أنت قائل إذا لقيتَه وقد وليت علينا فظاً غليظاً ، والله ما كنا نطيعه وهو رعية فكيف إذا ملك الأمر فاتق الله ولا تُسلطه على الناس ، فغضب وقال : أبالله تخوفوني ؟!! أقول : يا رب ، وليت عليهم خير أهلك ^(١) !

وهذا من العجب أن يكون تقديم هذين مع كراهة الأمة لهما لا يقتضي تأخيرهما وكراهية بعضهم لعلّي تقتضي تأخيرهم ... ^(٢) .

ومن العجب اعتذارهم في تأخير الفاضل بما قد اعتذروا به مع سماعهم قصة طالوت المذكورة في القرآن وتلاوتها عليهم ما اتصلت الأيام ولا ينتهون بها من رقدة الضلال حيث كرهه الناس وقالوا : ﴿أَنْتَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ ^(٣) فلم يمنع كراهتهم له من تقديمه ، وأخبر الله سبحانه بما أوجب رياسته عليهم وتقدمه ، فقال : ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ^(٤) فأخبرهم أن الله آتاه من علمه وقوته اقتضى تقديمه في حكمته فكيف لم يعتبروا بهذا من قول الله سبحانه فيعلموا أنهم على ضلال في تقديم من عرف ضعفه في علمه وجسمه على من حصل الاجتماع على أن الله تعالى قد جعله في

(١) التعجب : ٢٠ .

(٢) عبارة التعجب : ومن العجب فضل عمر بن الخطّاب عند أبي بكر يقتضي تقديمه مع العلم بكراهية الناس له ولا يكون فضل أمير المؤمنين عليه السلام عند جميع الأمة تقتضي تقديمه عليهم وإن ظن كراهية بعضهم ، الخ (ص ٢٠) .

(٣) البقرة : ٢٤٧ .

(٤) تنمة الآية ٢٤٧ .

بسطة من العلم والجسم كطالوت في قومه^(١).

مسألة:

ومن عجيب أمرهم أنهم اعترفوا بأن أمير المؤمنين ﷺ الفاضل بحكم الله أعلى الناس قدراً وأرفعهم محلاً وذكراً، وأزكاهم عملاً وأولاهم بالمدح والثناء، وأنه لا يحل استنقاصه ولا يسوغ ذمه ثم أجمعوا مع ذلك على كفر الخارجين من طاعة أبي بكر واستحلال دم ما يعتد (كذا) الزكاة وسبي حريمهم ولم يقيموا للشاك في إمامتهم عذراً، ثم بسطوا عذراً للشاك في إمامة أمير المؤمنين ﷺ والممتنعين عن نصرته الخارجين عن وجوب طاعته كسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت وعبدالله بن عمر ومحمد بن مسلم وأسامة بن زيد القاعدين عن إمامته والخاذلين الناس عن نصرته^(٢).

هؤلاء الذين خرجوا على عليّ الأفضل ﷺ نحتوا لهم الأعذار وأقاموا لهم البيّنات على أنهم مصيبون وتابوا، نعم إنهم تابوا ولكن في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٣) وقال: ﴿أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي

(١) التعجب: ٢١. والعبارة التي أنقلها تزيد على عبارة المؤلف وقد يكون المؤلف اختصرها بسطرين ولكنهما لا يتفان غلّة بل ربما أدّيا إلى تغيير المعنى وتشويهه، اللهم إلا بعض العبارات التي يضيفها من عنده ربما كانت ذات دلالة قويّة ولست أرى مانعاً في نقل العبارة التي اعتمد عليها المؤلف واقتطع أجزاء منها وإن لم ترد في كتابه لأنها أمانة في عنقي وجدت لزاماً على ردّها إلى أهلها والمؤلف أهمل الإشارة إلى المصدر. وكأنّه هو صاحب هذه المعاني التي ألبسها ثياباً فارسيّة فقد تطول وقد تقصر ونسبها إلى نفسه رحمة الله عليه.

(٢) التعجب: ٢٣.

(٣) المؤمن: ١١.

كُنَّا نَعْمَلُ»^(١) وقالوا: إنّ الذين قاتلوا عليّاً هم وإيَّاه في الجَنَّة ومن أعدائه عائشة وطلحة والزبير وحسّان بن ثابت ومحمّد بن مسلمة وأسامة بن زيد وعبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص، ويعتبرون هؤلاء من أهل الجَنَّة وهم مجتهدون في قتالهم لعليّ وتطلّبهم لقتله وقتل أهله وبنيه وهم مصيبون أيضاً.

والعجب أنّ الشاكّ في خلافة المفضول يوجب الكفر وإباحة دم الفاضل والشكّ في خلافة الفاضل وإعلان الحرب عليه شرع ودين «فاعتبروا يا أولي الأبصار من خرافات الأشرار» ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

الباب السابع عشر

في إمامة أبي بكر على عهد رسول الله ﷺ

قال بعض المخالفين عن عائشة أنها قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ وعجز عن الخروج إلى الصلاة أمر أبا بكر بأن يصلي بالناس ، فلما كبر تكبيرة الإحرام سمعه النبي ﷺ فقام ورجلاه تخطآن في الأرض وهو متكئ على رجلين أحدهما الفضل ابن العباس ، فأخر أبا بكر عن المحراب .

وقال بعضهم : أتم أبو بكر صلاته .

وهذا غير جائز بعدد من الحُجج الجليّة :

الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(١) فإذا كان أبو بكر قد تقدّم فعلاً فإنه خالف قوله تعالى .

الثاني : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ ^(٢) فإذا كان أبو بكر إماماً فلا بدّ من رفع صوته فوق صوت النبي ﷺ وهو مخالف لقول الله تعالى وذلك كفر .

(١) الحجرات : ١ .

(٢) الحجرات : ٢ .

ويقول خصومنا: إنها كانت صلاة الصبح.

الثالث: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(١) ولما كان النبي ﷺ عازماً على الخروج فقد كان الأجدر بأبي بكر الصبر حتى يخرج النبي إليهم ولكنه عمل على خلاف قول الله تعالى.

روي أن رسول الله قال: إن الصلاة جائزة خلف البرّ والفاجر ومع هذا لا يميزون للفاجر أن يتولّى الإمامة العامة وإمامة الصلاة داخلية في الإمامة العامة إذن بالنسبة إلى إمامة الصلاة يجوز أن يكون الإمام فاجراً، وبناءً على هذا المذهب يقتضي أن يكون هذا الشخص فاجراً وغير فاجر في نفس الوقت، وحينئذٍ يجب أن يكون الإمام العام غير مقيم لصلاة الجماعة.

قالت عائشة: ولما سمع رسول الله صوت أبي بكر في المسجد يصلي بالناس جماعة قام وهو مريض واتكأ على منكب عليّ والفضل ورجلاه يخطآن في الأرض حتى بلغ المسجد وتقدّم وصلى بالناس وحينئذٍ لما عزله الرسول في آخر أيامه عن صلاة الجماعة فلا تكون إمامته عامة ولا يعلمون بأن النبي حين استأنف الصلاة بعد تنحيته أبابكر دلّ ذلك على بطلان صلاته وصلاة من اقتدى به.

وقول عائشة هنا يدلّ على أنّه تقدّم للصلاة من دون إذن النبي وإلا لما عزله. وحينئذٍ يمكننا الجزم بأنّه تقدّم للصلاة بتدبير عائشة حيث أرسلت إليه بلال وأذنه بالصلاة.

مسألة:

روى هؤلاء أنّه وقع تنازع بين قبيلتين من قبائل الأنصار فذهب النبي ﷺ ليصلح بينهما فتأخّر عن صلاة العشاء، فقدّموا عبدالرحمان بن عوف ليأتمهم في

الصلاة فجاء النبي واقتدى بعبدالرحمان بن عوف ولما سلم لم يرض المسلمون أن يأتّم النبي بواحد من أئمته فلما فرغ، قالوا: يا رسول الله، أتصليّ خلف رجل من أمتك؟ فقال: ما يموت نبي من الأنبياء حتى يصليّ خلف رجل من أئمته... (١).

فإن صحّت هذه الرواية كان عبدالرحمان أولى بالإمامة والخلافة من أبي بكر، لأنّه لم يعزل عبدالرحمان هنا باتفاقهم واقتدى به في الصلاة وأتمّ صلاته وهنا لم يقتد بأبي بكر وقطع صلاته. وهناك أجمعت الأمة على إمامة عبدالرحمان ورضيه رسول الله إماماً، وهنا اختيار عائشة وعزل رسول الله وعبدالرحمان بزعمهم مرضي رسول الله ﷺ، وأبو بكر صلى صلاة متنازعا فيها ولم يتمّها، وعبدالرحمان إمام النبي والأمة ولا شيء من هذا لأبي بكر.

مسألة:

قال الخصم: كان عليّ يعظّم الصحابة وهذا دليل على صحّة إمامتهم.

الجواب:

من الظاهر المعلوم بأنّ الحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد بن الحنفية وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر وجابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهم وغيرهم يعظّمون معاوية من أجل التقية وهذا لا يدلّ على صحّة إمامة معاوية، وحال عليّ مع القوم كحال هؤلاء مع معاوية.. (٢).

(١) أبو الفتح الكراجكي، التعجب: ٢٢.

(٢) من المؤسف حقاً أن يأخذ الشيخ هذا الكلام من كتاب التعجب ويوجزه إيجازاً مخللاً ثم لا يشير إلى الكتاب بكثير أو قليل، ونحن إثباتاً لما نقول نقل لك جانباً من هذا الكلام من كتاب التعجب: فمن عجب أمر المعتزلة وظاهر ظلمهم ودعواهم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يمدح أبابكر وعمر في وقتهم وبعدهما، وأنّ ولده وشيعته كانوا يعظّمونهما ويشنون عليهما، ويجعلون هذه

ولمّا نال عليّ الحكم غيرَ كثيراً من الأحكام التي ابتدعوها في الإسلام وما عجز عنه تركه على حاله كشأن نوافل شهر رمضان وكانوا يصلّونها جماعة فمنعهم عليّ ﷺ من ذلك فصاحوا صيحة واحدة (واعمراه نهينا من سنّة عمر) وسّموا البدعة سنّة.

وقال عليّ ﷺ: لو تشبّثت قدماي لغيرت أموراً كثيرة^(١).

الدعوى دليلاً على صوابهما، ورضاء أمير المؤمنين ﷺ وذريّته بتقديمهم هذا مع المروي المشتهر من ضدّ هذا، فإذا قيل لهم على وجه تسليم الدعوى: ما ننكر أن يكون ما ذكرتموه ورد على سبيل التقيّة منهم مداراة لهما في وقتها واستعظماً لشيعتهم من بعدهم استعظموا هذا القول واستبعدوه وأنكروه وجحدوه، فإذا سمعوا من سواهم من الحشويّة أنّ الدليل على صواب معاوية بن أبي سفيان بعد صلح الحسن ﷺ ما ظهر من الحسن والحسين ومحمّد بن عليّ ﷺ وعبدالله بن العباس وعبدالله بن جعفر وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبي ذر الغفاري وأبي أيّوب الأنصاري وغيرهم من التعظيم له والإجلال وإظهار الأنباغ وترك الإنكار، قالوا لهم: إن كان هذا ممّن ذكرتموه على وجه التقيّة من معاوية لما كانوا عليه في أيّامه من أحكام الضرورة الملجئة إلى الاستعطاف والاستمالة ولما علموه من المصلحة في ترك المشاقّة والمخالفة فيعتمدون نظير ما ينكرون ويستعملون الاحتجاج الذي يجحدون قلّة تأمّل بوجه المناقضة وعدم انصاف وديانة .. الخ.

انظر كيف أخذ المؤلّف بعضاً من هذا الكلام الفاخر النفيس الذي ردّ به المؤلّف على المعتزلة وليس أهل السنّة والجماعة، لأنّ رأي هؤلاء في معاوية كرايهم في الثلاثة بخلاف المعتزلة الذين يكفّرون معاوية ومن ثمّ صخّ احتجاجه عليهم.

(١) وهذا أيضاً أخذ من كتاب التعجّب وإليك العبارة التي اقتطف منها المصنّف عبارته: ومن العجب قولهم: إذا كان أبو بكر وعمر وعثمان قد تركوا كثيراً من الأحكام وأظهروا البدع في الإسلام فلم يغيّر ذلك أمير المؤمنين لما انتهى الأمر إليه بعد عثمان ولا يطلعون أنّهم نهاهم عن الجماعة في صلاة نوافل شهر رمضان ففرّقوا عنه وصاحوا: واعمره نهينا عن سنّة عمر بن الخطّاب، فإذا كانت هذه حاله معهم في النهي عن أمر يعلمون أنّ عمر ابتدعه يتحقّقون أنّ النبي ﷺ نهى عنه وأنكره ويجعلون البدعة من عمر سنّة فكيف لو غير أكثر من هذا بل لو غير بدعهم كلّها ... الخ (التعجّب: ٢٤).

وكذلك قال: فإن ترتفع عتاً وعنهم محن البلوى أحملهم من الحق على محضه، وإن تكن الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون^(١) (ولا تأس على القوم الفاسقين - المؤلف).

ويظهر من هذه الأخبار أنه ﷺ لم يتمكن من التغيير وإنفاذ حكمه، والدليل الأشدّ وضوحاً من هذا والأكثر صراحة من هذه الرواية الخاصة والعامة أنّ علياً عليه السلام قال: والله لو ثبت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطق (يزهد - المؤلف) كل كتاب ويقول: يا ربّ، قضى عليّ فينا (في هذا - المؤلف) بقضائك...^(٢).

ومن هنا يعلم جيّداً أنّه لم يكن قادراً على تنفيذ الأحكام الشرعيّة لذلك كان يقول لقضاته: اقضوا بما كنتم تقضون حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي^(٣).

مسألة:

وهما لا يميزون التقيّة على الإمام ويقولون: هو حجة في الحرام والحلال والخطأ والصواب والأمر والنهي، من هنا لا تجوز التقيّة عليه.

مسألة:

ويقولون: إنّ الأئمة صفة أخيار وطائفة أبرار والتقيّة عليهم جائزة إذا اعترضت الأسباب وإجماع الأئمة حجة، والأئمة معصومة كالإمام عندنا، وما يقولونه في الجواب هنا فهو جواب لنا، ومع هذا وهم يعلمون أنّ النبي ﷺ استعمل

(١) نهج البلاغة ٢: ٦٤ تحقيق محمّد عبده، نشر دار المعرفة - بيروت.

(٢) نفسه: ٢٤.

(٣) رسائل المرتضى ١: ٣٩٣، تحقيق السيّد مهدي رجائي، ط دار القرآن ١٤٠٥ هـ - مطبعة

التقية في الشعب وفي الغار كما أن فرار موسى من فرعون كان محض تقية ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢) كما أن الأنبياء مارسوا التقية كل بحسب ظروفه وما صاحبه من قرائن الأحوال، قال الله تعالى: ﴿لَا إِجْرَاءَ فِي الدِّينِ﴾^(٣) و﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٤) وهذه عين التقية، ولا تنس الصلح يوم الحديبية^(٥).

(١) الشعراء: ٢١.

(٢) القصص: ٢٠.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤) الكافرون: ٦.

(٥) سبحان الله! أخذ المؤلف هذا كله من كتاب التعجب ونحن نذكر عبارة التعجب هنا لتتمكن المقارنة بين القولين، قال الكراجكي: ومن عجيب أمرهم قولهم كيف جازت التقية على الإمام وهو عندكم حجة فيما فعل وقال به يقطع الخطأ من الصواب، وهم يعتقدون مع هذا أن في الأمة جماعة هم الصفوة الأخيار، والحجة لله على العباد، وبهم يعرف الحق والصواب، والتقية عليهم جائزة إذا عترضت الأسباب، فقد أقاموهم في كونهم حجة مع الإمام، وأجازوا عليهم من التقية ما لم يجيزوا على الإمام، وهذا هو جور الأحكام.

وربما قالوا أيضاً: إذا جازت التقية على الإمام فلم لا تجوز على النبي ﷺ فإذا قربنا بينهما في هذا الباب قالوا ليس بصحيح لكم فرق لأن عندكم هما حجتان.

إذا قيل لهم: أليس قد أجزتم التقية على الطائفة الأخيار والصفوة الأئمة الأبرار الذين قولهم بعد النبي حجة في الحلال والحرام فلم لا تجيزونها على النبي ﷺ وهما عندكم حجتان إن تعاطوا الفرق الذي عابوا نظيره واضطروا للتشبه بما أكرهوا إirاده.

ومن العجب إنكارهم جواز التقية على الأنبياء ﷺ في شيء من الأحوال مع علمهم أن النبي ﷺ استتر في الشعب والغار ومن قبله هرب موسى وأخبر الله تعالى أنه قال: ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ وكل قد اتقى غيره من الأنبياء لكن القوم ليس من شأنهم الانصاف (التعجب: ٢٤). فأتى ترى أن المؤلف أخذ عبارات الكراجكي إلا أنه صاغها صياغة جديدة ونحى بها نحو آخر فلم يحظ بإجادته ولا أفاد فائدته.

الباب الثامن عشر

فوائد تليق بهذا الكتاب

روى عبدالله بن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١) قال: نزلت هذه الآية بشأن عليٍّ عليه السلام.

وروى مجاهد عن أبيه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ﴾^(٢) محمد ﴿وَصَدَقَ بِهِ﴾ عليٌّ. وروي أيضاً عن ابن عباس، والاتفاق حاصل على ذلك: الصديقون ثلاثة: حبيب بن مزي النجار وهو مؤمن آل يس، (مؤمن من الحواريين - المؤلف)^(٣) وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم. وأجمع المحدثون على أن النبي ﷺ قال: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر^(٤).

(١) الحديد: ١٩.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) هذه الروايات الثلاث وردت تبعاً في التعجب، وذكرها المؤلف على التعاقب كما وردت في

الكتاب المذكور إلا أن المؤلف خالفه في موضعين، قوله: «مؤمن من الحواريين» وقوله:

مجاهد عن أبيه (ص ٣٤).

(٤) التعجب: ٣٤.

ولا يسمّى أبوذر مع ذلك صديقاً، وجرت عادتهم على الاستهانة بأمر محبّي علي عليه السلام وردّ حديثه^(١)، ويسمّون أبابكر خليفة رسول الله مع اعترافهم بأنّ رسول الله لم يستخلفه، فتبيّن على هذا أنّ في مذهبه يسّمون من ليس بأمين ولا هو بقاضٍ أو عالم ولا رسولاً لرسول الله، أميناً وقاضياً وعالمّاً ورسولاً....

ولمّا خرج النبيّ إلى تبوك، قال: يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، وقال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي^(٢).

ولم يحتلفوا في هذا الحديث بشيء قطّ، ومع هذا لم يستخلف، وقد تعجّب أمير المؤمنين عليه السلام من استقالة أبي بكر ونصّه على عمر حيث قال: فواعجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته (والغافل يعلم أنّ هذين الفعلين في غاية التناقض لأنّ الاستقالة تدلّ على التبرّي والكراهة، والنصّ على الرغبة) وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِيُخَمِّلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣) ... ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(٤).

ومن العجب أن يؤمّر النبيّ ﷺ أسامة بن زيد على جماعة من أصحابه فيهم

(١) أخذه من كتاب التعجّب: إنّ بغضهم لأمر المؤمنين عليه السلام حملهم على تفضيل محاربه وتبجيل أعاديّه ومعانديه، وإهمال ذكر أوليائه والمنسوبين إليه من أصفياه (ص ٣٤).

(٢) سبل السلام ١: ٤٤، ذخائر العقبى: ١٢٠، فضائل الصحابة: ١٣ بثلاث طرق.. وص ١٤ بثلاث طرق أيضاً، صحيح مسلم ٧: ١٢٠ بثلاث طرق.. وص ١٢١، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢ و ٣٠٤ بطريقتين، المستدرک ٢: ٣٣٧ و ٣: ١٠٩ و ١٣٣، السنن الكبرى ٩: ٤٠، مجمع الزوائد ٩: ١٠٩ و ١١٠ بطريقتين.. وص ١١١ بطريقتين، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٨ و ٢٩ بطريقتين..، مسند الصنعاني ٥: ٤٠٦ و ١١: ٢٢٦ بطريقتين، مسند الحميدي ١: ٣٨، مسند ابن الجعد: ٣٠١، مصنّف ابن أبي شيبه ٧: ٤٩٦ بخمس طرق.. و ٨: ٥٦٢، مسند ابن راهويه ٥: ٣٧، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٤ بطرق متعدّدة، خصائص أمير المؤمنين له أيضاً: ٤٨ بطرق كثيرة، مسند أبي يعلى ١: ٢٨٦ وغير ذلك.

(٣) النحل: ٢٥.

(٤) العنكبوت: ١٣.

أبو بكر وعمر، ثم يموت ولم يعزله فلا يسمى أمير رسول الله... وقد روي أن أسامة يوماً غضب على أبي بكر وقال: إن رسول الله ﷺ أمرني عليك فمن استعملك عليّ، فشى إليه هو وعمر حتى استرضياه، فكانا يستميانه مدة حياته أميراً^(١).

وقال النبي ﷺ: هذا فاروق أمّتي يفرق بين الحقّ والباطل^(٢).

وجاءت الرواية عن النبي ﷺ في حقّ عليّ عليه السلام أن محبته علم على طيب الولادة وبغضه علم على خبث الولادة^(٣).

وروي في الصحيح عن رسول الله ﷺ: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلاة الخمس والبغض لعليّ بن أبي طالب^(٤).

وطالما قال عليّ عليه السلام عن نفسه: «أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم».

ومن عجيب أمرهم مثل هذا قولهم أن عثمان بن عفان ذو النورين واعتقادهم من نخله هذا بأنّه تزوّج بابتنتين كانتا فيما زعموا لرسول الله من خديجة بنت خويلد، وقد اختلفت الأقوال فيهما: فمن قائل أنّهما ربيبتاه، وأنهما ابنتا خديجة من سواه،

(١) هذا وما قبله أخذه من التعجّب: ٢٥.

(٢) اختزل المؤلف هذا الحديث من كلام للمؤلف نفيس نذكره لك لتكون على بصيرة من أمره: ومن عجيب أمرهم تسميتهم عمر بن الخطّاب بالفاروق وليس في نخله هذا الاسم لأحد منهم حجة ولا لناصره شبهة، ولا ورد في رواية، ولا أوجبه لعمر دلالة، ولا هو مشتق من بعض أفعاله فيستحقّه على وجه الاستحقاق، ولم يسمّوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الفاروق وقد قال فيه النبي ﷺ ويده في يده: هذا فاروق أمّتي، يفرّق بين الحقّ والباطل (ص ٢٥).

(٣) عبث المؤلف بعبارة الكراچكي فأخذ جزءاً وأهمّل أجزاء، وأضاف إليها جزءاً، وإليك العبارة من كتاب التعجّب: وروي عن ابن عمر أنّه ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلّا ببغضهم عليّاً عليه السلام. وفي رواية أخرى: إن محبته علم لطيب المولد، وبغضه علم على خبث المولد (ص ٢٥).

(٤) وهذا الحديث تناوله المؤلف من كتاب التعجّب، وأضاف إليه الجزء الأخير من كتاب آخر، انظر (ص ٢٥) أوّل الصفحة.

ومن قائل أنها ابنتا أخت خديجة من أمها وأن خديجة ربّتها لما ماتت أختها في حياتها^(١)... (ولا يقولون أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذو النورين وهو أبو السبطين^(٢)).

وسمى الله نساء النبي جميعاً أمّهات المؤمنين وهم خصّوا عائشة بهذا الاسم؛ لأنّ باقي النساء لم يحاربن عليّاً عليه السلام، بينما خديجة أوّل الناس إسلاماً وأنفقت ألوف الدنانير وجملة من الجواهر الثمينة في سبيل الله، وقال رسول الله: ما نفعني مال كمالها، ورزقني الله الولد منها، ولم يتزوّج في حياتها إكراماً لها، وكان يكثر من ذكرها والثناء عليها، ولكثرة ما كان يذكرها قالت له عائشة يوماً: تكثر من ذكر خديجة وقد أبدلك الله من هو خير منها، فقال: كلا، والله ما بدّلت بها من هو خير منها؛ صدّقني إذ كذّبتني الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بما لها، ورزقني الله منها الولد ولم أرزق (الولد) من غيرها^(٣).

(١) نفس عبارة التعجّب (ص ٣٤) إلّا بتقديم بعض العبارات وتأخير البعض الآخر، وكلامي هنا مع الكركي حيث يقول: «قد اختلفت فيهما الأقوال... الخ» كلا، لم تختلف فيهما الأقوال وإنما هي فرية ظالمة أطلقها صاحب كتاب الاستغاثة وأنا أتحدّى اليوم من يأتيني بقول لعالم أو ظالم أو حتّى سوقي قبل صاحب الاستغاثة يقول هذا القول، ولو تبصّروا قليلاً لعلموا أنّه قول واه يحرم على أحد أن يقوله لاسيما من نسبهما إلى هالة أخت خديجة، فإنّ زينب عليها السلام كبراهن تزوّجت أبا العاص بن الربيع وهو ابن هالة أخت خديجة فهل يجوز أن تزوّج ابنة رسول الله أخاها من أمها على شريعة المجوس، وقد عالجت هذه المسألة في كتابي «فاطمة الزهراء» علاجاً كافياً شافياً وبإسهاب أيضاً، فمن أراد فليرجع إليه ليزداد علماً بالموضوع.

(٢) هذه عبارة التعجّب (ص ٣٧) والمؤلف لم ينقلها إنّما نقل جزءاً منها مسخ المعنى، فقال في ختام قوله: ومن قائل: أنّهما ابنتا خديجة من زوج آخر ويسمّون عليّاً أبا السبطين.. الخ، ولا شك أنّه خطأ من الناسخ أمّا إن كان من المؤلّف فقد جاء بجملة من كلام الكراجكي ووضعها في غير موضعها فصارت بلا معنى.

(٣) الحديث موجود في التعجّب (ص ٣٦) كما أنّ معنى الكلام بجملته مأخوذ منه ولكن الاختلاف

وعائشة (وحفصة - المؤلف) مديعة سر رسول الله ﷺ التي شهد القرآن بأنها صاحبتها قد صغت قلوبها وأنها تظاهرتا عليه وتحاملتا^(١) ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾^(٣) ويظهر من مفهوم الآية أنها ما كانتا مؤمنتين، ولا مؤتمنتين، ولم يكن عندهما إيمان وتوبة.

ولما قال لها رسول الله ﷺ: لتقاتلين علياً وأنت ظالمة له (مع قول الله تعالى ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾)^(٤) وكيف استحققت هذه أن يعلن القول بأنها أم المؤمنين وينادى بتفضيلها على رؤوس العالمين، فإننا لا نعرف فعلاً استحققت به هذا التمين اللهم إلا أن تكون استحققت بذلك مجربها أمير المؤمنين عليه السلام ومجاهرتها بعداوته والقدح فيه^(٥) [وعداوتها لفاطمة عليها السلام].

وإنهم يقولون إن معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، ويقولون إنه استحق بذلك بسبب أن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى أزواج النبي الذين هن بنص القرآن للمؤمنين أمهات ولا يسمون محمد بن أبي بكر^(٦) ولا عبدالله بن عمر،

بين المؤلف وصاحب التعجب في الجزء الأخير من الحديث فهو عند الكراجكي: «ورزقه الله الولد منها».

(١) عبارة التعجب نفسها: ٣٧.

(٢) التحريم: ٤.

(٣) التحريم: ٥.

(٤) هود: ١٨.

(٥) حصرنا كلام التعجب بالقوسين وما كان مشتركاً بينهما تركناه بلا حصر، وما جعلناه بين حاصرتين للمؤلف وحده، وراجع ص ٣٧ من التعجب.

(٦) التعجب: ٣٧.

والسبب في ذلك أن معاوية شهر السيف في وجه عليٍّ وأتته قاتله .

وقال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، وبعد ظهور الإسلام استسلم معاوية قبل وفاة النبي بخمسة أشهر أو ستة أشهر، وقد هرب يوم فتح مكة إلى اليمن، يطعن على رسول الله ﷺ ويكتب إلى أبيه صخر يعيره بإسلامه^(١) بعد أن كتب إليه أبوه يستقدمه ويطلب منه أن يسلم، فكان جوابه يذكر فيه أموراً منكراً في حق النبي^(٢) وطرح نفسه على العباس بن عبدالمطلب فسأل فيه رسول الله ﷺ فعفا عنه ثم شفع له أن يشرفه ويضيفه إلى جملة الكتاب فأجاب، وكان أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} وغيره كاتباً للوحي ثلاثاً وعشرين سنة فما ستموه كاتب الوحي وسموا معاوية كاتب الوحي، ولم يزر عليه في الكتابة إلا ستة أشهر، وكان كتاب الوحي أربعة عشر كاتباً أقربهم من رسول الله وأحبهم إليه أمير المؤمنين علي^{عليه السلام}، وقضى معاوية عمره منافقاً ناقماً على الإسلام.

إن مجرّد الكتابة لا يحصل بها الفضل ما لم يقارنها صحيح الإيمان لأنّه قد كتب لرسول الله عبدالله بن أبي سرح ثم ارتدّ مشركاً، وفيه نزل: ﴿وَلَيِّنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صُدْرًا فَعَلَيْنَهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، ومثله النصراني الذي كان كاتب الوحي فارتدّ من الإسلام ومات على الكفر ودفن فلم تقبله الأرض ... فعل به ذلك ثلاث مرّات، ولما طلع الصباح وأقبلوا على قبره وجدوه مرمياً في الصحراء، فقال إخوانه النصاري: هذا من عمل محمد وأصحابه، ولكنهم علموا أنّ ذلك عملي دنيء لا يفعله النبي ولا الأصحاب بل كان على أثر ارتداده وكفره، وتركوه

(١) التعجب: ٢٤.

(٢) وقد ذكر الكراجكي (ص ٣٩) هذه الأمور ومنها أبيات من الشعر أولها:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتضحنا بعد الذين ببدرٍ أصبحوا مزقاً

(٣) النحل: ١٠٦.

بلا دفن حتّى أكلته السباع، وكان معاوية واحداً من هؤلاء^(١).

(والمأثور أنّ رسول الله لعنه على منبره) وأخبر أنّه يموت على غير ملّته.

وروي عن عبدالله بن عمر أنّه قال: أتيت النبي ﷺ فسمعتة يقول: (يطلع عليكم رجل يموت على غير سنّتي) يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل من أهل النار، فطلع معاوية^(٢).^(٣)

وأخذ معاوية بيد أبيه يوماً والنبيّ يخطب، فقال: لعن الله القائد والمقود...

والمشهور أنّه هلك على حالة السكر وشربه سبع سنين، ووضع الصليب في عنقه يتداوى به وكان قد طلبه من يوحنا (كنيسة يوحنا - التعجّب ٣٩) وعلّقه في عنقه. وروي أيضاً أنّه تشافى بلحم الخنزير فأكله قبل موته، وغير ذلك.

وإذا شككت بهذه الأخبار فاعلم يقيناً أنّه قتل في يوم من أيّام صفّين سبعين صحابياً أحدهم عمّار بن ياسر الذي قال في حقّه رسول الله: خالط الإيمان لحمة دمه، وقال: يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية^(٤).

(١) هذا كَلَمَة أخذها المؤلّف من الكراجكي وزاد عليه، وزاد في العبارة ونقص منها، ولست أدري السبب الداعي لذلك لحدّ الآن، راجع ص ٣٩ من التعجّب.

(٢) نفس السياق تقريباً إلّا أنّه قدّم وأخر في الأحاديث وخالف التعجّب في الثالث (ص ٣٩).

(٣) مناقب أمير المؤمنين لمحمّد بن سليمان ٢: ٣١١، شرح الأخبار للنعماني ٢: ١٤٧، بحار الأنوار ٣٣: ١٩٠ و ٢٠٩، مناقب أهل البيت للشيرازي ٤٦٥، الغدير للأميني ١٠: ١٤١، مجمع الزوائد ١: ١١٢ وقد غيّرُوا في ألفاظ الحديث فجاء مكان لفظ «معاوية»، «فطلع غيره»، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦ «فطلع معاوية»، ضعفاء العقيلي ٣: ٣٧٩ وأشار إلى الحديث ولم يذكره، لسان الميزان، وأشار إلى الحديث وقال: في إسناده نظر.. ٤: ١٨٢، تاريخ الطبري ٨: ١٨٦، مؤسسة الأعلمي تحقيق نخبة من العلماء، وقعة صفّين لابن مزاحم المنقري: ٢٢٠، النصائح الكافية لمحمّد بن عقيل: ٢٦١، تقوية الإيمان: ١٣٧.

(٤) المعيار والموازنة: ٣٠٠، وأمّا الحديث الثاني فقد أخرج عدد من الحفاظ من الفريقين منها

وقتل أويس القرني في ذلك اليوم .

وسَنَّ سَبَّ عَلِيٍّ عَلَى المناير في المحافل ، وبرأ من أهل بيت النبوة ، وحمل الناس على البرائة .

أليس شخص بهذه المثابة يكون التظلم منه واجباً ، وقال النبي ﷺ : عليّ سيف على أعداء الله ، ورحمته لأوليائه .

وقال على المنبر : أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه^(١) .

وأما خالد فقد سَمَّاهُ أبوبكر سيف الله يوم قتل مالك بن نويرة وزنى بزوجته ، ومن المعلوم عند العلماء أَنَّهُ كان السبب في قتل المسلمين في يوم أحد ، وما ابتلي به الرسول من الأذى حتَّى كسرت ربايعيته وأُدمي فيه وشجَّتْ جبهته ، وقتل حمزة وسرى القتل في أنصاره ، لَأَنَّهُ هجم على المسلمين بمأتي ركب من ثغرة الجبل ، وكمن للمسلمين حتَّى إذا خلت الثغرة من الرماة ولم يبق إلاّ قائدهم عبدالله بن جبير فقتله واستشهد معه جماعة من المسلمين على يد خالد بن الوليد ، وما دخل على الإسلام من وهن كان من ذلك اليوم المشوم .

وكان سيفه يقتل المسلمين والنبيّ على قيد الحياة وبعد وفاته ، ثمّ لما تظاهر بالإسلام بعثه النبيّ إلى بني خزيمه ليأخذ منهم صدقاتهم ، وكان بينه وبينهم عداوة ، وذحل في الجاهلية ، فخاناه في عهده وخالفه على أمره ، وقتل المسلمين واستعمل في ذلك ترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية حتَّى قام النبيّ خطيباً بالإنكار عليه رافعاً إلى السماء يديه حتَّى رُئي بياض إبطيه ، وهو يقول : اللهمّ إني أبرأ إليك ممّا صنع

❦ ذخائر العقبى : ٣٣٠ ، فضائل الصحابة : ٥١ ، مسند أحمد ٢ : ١٦١ و ١٦٤ ، صحيح البخاري ٣ : ٢٠٧ ،

صحيح مسلم ٨ : ١٨٦ .

(١) التعجّب : ٤٠ .

خالد، ثم أنفذ إليهم بأمر المؤمنين ﷺ ليلاً في فارطه وأمره أن يديني القوم ويسترضيهم، ففعل ذلك إليهم، وبلغ به مبلغاً سرى به عن رسول الله ﷺ (١).
ولما قبض النبي وأنفذه أبوبكر لقتال أهل اليمامة قتل منهم ألفاً ومأتي نفس (ألفين ومأتي نفس - المؤلف) وهم على ظاهر الإسلام، وقتل مالكا صبراً وهو مسلم (٢).

وأراد قتل أمير المؤمنين بأمر أبي بكر حتى كفاه الله شره.
ولما مضى بسوء عمله ورث ابنه عبدالرحمان عداوة أمير المؤمنين ﷺ وبارزه مع معاوية بالحرب وجاهر بسببه.

والعجب من مخالفينا أنهم يروون قول رسول الله ﷺ: من لقي الله وفي قلبه مقت (بغض - المؤلف) لعلي بن أبي طالب لقي الله يهودياً (وهو يهودي - المؤلف) وهم يعلمون بأن خالداً لعنه الله يبغض علياً ﷺ ومع ذلك يسمونه سيف الله.

ومن العجب أن تمنع بنو حنيفة من حمل الزكاة إلى أبي بكر ولم يصحّ عندهم إمامته فيسمّونهم أهل الردّة ويستحلّون دمائهم وأموالهم ونسائهم (ويفعل فيهم خالد ما قصصناه عليك وعلمته - المؤلف) ثم ينكث طلحة والزبير بيعة أمير المؤمنين ﷺ ويخرجان مع عائشة يستنفرون الخلق ويتناهون مع من تبعهم في حربه ولا يسمّون مع ذلك أهل الردّة (ولا يتحمّلون من فعلهم هذا أيّ غرم، وتصبح رمهم مشاهد تزار من أهل السنّة والجماعة، ويسمّونهم مؤمنين، وبنو حنيفة لمنعهم الزكاة عن أبي بكر يستحقّون أن ينزل بهم ما نزل) وقد بلغهم قول النبي ﷺ: حربك يا عليّ حربي، وسلمك سلمي، وقد علمنا أن من حارب

(١) التعجّب: ٤١، وطابقت عبارة المؤلف ما في الكتاب إلا ألفاظاً لم يذكرها المؤلف لا تغيّر المعنى.

(٢) التعجّب: ٤١.

رسول الله ﷺ كافر [فيجب أن من حارب أمير المؤمنين كافر كذلك] (١).

والعجيب من أمرهم أنهم يأخذون الدين وشريعة رسول الله بالقياس واجتهادات الرأي لآحاد الناس وبأهوائهم وفتاوى علمائهم متضادة ومع ذلك يسمّون أنفسهم أهل السنة والجماعة، والشيعية العاملون بنصوص الأئمة المعصومين وبها يفتون ويرفضون القياس واجتهاد أهل السنة والجماعة (٢).

مسألة:

لماذا لم يدعُ عليّ إلى نفسه في خلافتهم وقد كان الدين والأمة معه ؟

الجواب:

لقد جاءه العباس، فقال: يابن أخي، ابسط يدك حتى أبايك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان، فأجابته عليّ ﷺ: إن رسول الله عهد إليّ أن لا أدعو أحداً حتى يأتوني، ولا أجرد سيفاً حتى يبايعوني، فإنما أنا

(١) العبارات كلّها لصاحب التعجب، وقد أدخل بينها المؤلف عباراته فوضعناها بين قوسين، وما انفرد به صاحب التعجب جعلناه بين حاصرتين، وإليك الكتب التي خرّجت الحديث (حربك حربي): رياض المسائل ١: ٤٨١، الأمالي للصدوق: ١٥٦ و٦٥٦، تهذيب الأحكام للطوسي ١: ١٠، شرح أصول الكافي للمازندراني ٧: ١٣٤ و٨: ٣٥٣ و٣٥٤، مستدرك الوسائل ١٩: ١٩، الغارات ١: ٦٢، مناقب أمير المؤمنين ١: ٢٥٠، المسترشد للطبري: ٦٢١، شرح الأخبار للقاضي نعمان ١: ٢١٦ و٣٠٦ و١٠٢ و٣٨٢ و٣٩٧، تفضيل أمير المؤمنين ٢٤: وقال المحقق: انظر سنن الترمذي ٥: ٦٩٩ رقم ٣٨٧، وسنن ابن ماجه ١: ٤٥ رقم ١٥٢، ومسند أحمد ٢: ٤٤٢، والمستدرك ٣: ١٤٩.

(٢) عبارة صاحب التعجب في هذا المعنى أفضل والمؤلف ألمّ بالمعنى وخالف باللفظ، قال (ص ٤١): ومن عجيب أمرهم أنهم يسمّون أنفسهم بالسنة وقد غيروها وبدّلوها واستحدثوها بأرائهم وعقولهم ما ليس منها، ويدعون أنهم أهل الجماعة مع أقوالهم المختلفة وقياساتهم المتضادة، وتكون الشيعة عندهم أهل بدعة وأقوالهم متّفقة ومعهم النصّ في كلّ حاجة.

كالكعبة أُقصد ولا أقصد، ومع هذا فلي برسول الله أسوة حسنة^(١).
ونقول أيضاً: لما علم ﷺ أن القوم بغاة فلا تؤثر فيهم الدعوة لزمه حينئذ ترك
الدعوة كما فعل هارون في قوم موسى أي بني إسرائيل، والدليل على ذلك أنه ﷺ
لما وجد أنصاراً بعد مقتل عثمان دعا إلى نفسه وحاربهم.
مسألة:

أما كونه لم يغير أحكامهم فإنه بسبب عجزه عن ذلك وقد صالح رسول الله ﷺ
المشركين في الحديبية لوم يختلف معهم ولم يخالفهم.
وفي يوم قتل فيه عثمان استخفى الإمام عن الناس في حائط بالمدينة لئلا يقول
الناس أنه راغب في الأمر وطلبه لنفسه، فلما فرغ الثائرون من أمر عثمان أقبلوا إليه
يطلبونه وعلبوه على أمره فأظهر الامتناع من القبول، فهدّوه بالقتل إن أبي، وعبر
الإمام عن ذلك بهذه العبارة: حتّى أتى الحسان وشققت أعطافهم وقيل لي: إن
لم تجبنا لحقناك بابن عفان، والحق أن علياً لم يزل خائفاً حتّى وافاه الأجل^(٢).
مسألة:

حكم عمر في قضية واحدة أحكاماً عدّة لا يشبه الواحد منها الآخر، وقال له

(١) روي هذا القول بسياقات مختلفة وإليك الكتب التي أخرجته من الفريقين: بحار الأنوار ٢٨:
٢٨٩ و٣٢٩، الغدير ٥: ٣٤٣، شرح نهج البلاغة ١: ١٦٠ و٩: ١٩٦، الدرجات الرفيعة لابن
معصوم: ٨٤ وفيه بعض سياق المؤلف ونسبه السيد للخاصة، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢١
و١٢ الأول تحقيق الشري، والثاني تحقيق الزيني، الجمل للشيخ المفيد، النزاع والتخاصم
للمقرئزي: ٧٨، تقوية الإيمان لمحمد بن عقيب: ٢٠٥، وبالطبع اختلفت ألفاظ هذه الرواية
ولم يرد سياق المؤلف إلا بعض منه عند ابن معصوم.

(٢) المذكور في نهج البلاغة: فمارعني إلا والناس عليّ كعرف الضيع حتّى لقد وطأ الحسان وشقّ
عطفاي، والمؤلف هنا غير الكلام ولم نعلم من أين أخذه فصير الشقّ إشفاقاً وترجمه
بـ«ترسيد» والعطف لم يترجمه بل صير الجملة هكذا «وترسيدم از اعطاف ايشان» ولا أعرف
ماذا يقصد بها.

يوماً رجل وقد حكم في قضية: أصبت والله يا أمير المؤمنين، فقال عمر: وما يدريك أنني أصبت فوالله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ^(١).

وقال عمر: إني أستحيي من الله أن أخالف أبا بكر، قال عمر هذه الجملة بعد أن أفتى في الكلالة وقال: هم الورثة غير الأولاد والأبوين، وخالف أبا بكر في ذلك، وخالفه في مائة قضية، كما أنه في أهل الردة كان على خلاف مع أبي بكر ولا بد من كون أحدهما مصيباً والآخر مخطئاً، لأن الحق لا يكون إلا واحداً، ولا حياء في قول الحق أو فعله^(٢).

ولما سئل أبو بكر عن معنى الأب، قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني أم أين أذهب أم كيف أصنع إذا قلت بآية من كتاب الله بغير ما أراد الله^(٣).

ولما سئل عن الكلالة، قال: أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمن قلبي، الكلالة ما دون الولد والوالدين^(٤).

(١) جاءت الرواية في المسترشد للطبري الشيعي على النحو التالي: قدم نصر بن عبدالله الثقفي على عمر من الطائف ومعه ناس من أصحابه، فقال لهم: لا تبدؤوا أمير المؤمنين بشيء حتى يسألكم، فجاءه رجلان يختصمان فحكم بينهما فقالا: أصبت أصاب الله بك، فقال عمر: وما يدريكما فوالله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ.. ص ٥٤١.

(٢) لا حصر في هذين الأمرين إذ قد يكون كلاهما على باطل، كما لو قال زيد: العشرة تنقسم إلى ثلاث خمسمات وقال الآخر لا بل إلى أربعة.

(٣) العين العبرة لابن طاووس: ٩، المستجد من الإرشاد للحلي: ١١٦، تفسير القرطبي ١: ٣٤، ونقل عن أبي بكر الأنباري قوله: وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن الخ، ثم ساق الخبر غير إشارة إلى أبي بكر وعمر، تذكروا الحفاظ للذهبي ٣: ١ وصاغ الرواية صياغة أخرى تحرز كرامة أبي بكر، كشف اليقين للعلامة الحلي: ٦٩.

(٤) الفصول المختارة للشيخ المفيد: ٢٠٦، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٣١٢، بحار الأنوار ٤: ١٤٩.

الباب التاسع عشر

في غلوهم في حب الصحابة

اعلم بأن القوم نسبوا الكفر والزندقة إلى الله تعالى ووضعوا الأنبياء في مقام الفاسقين والفاجرين كآدم ويونس ونوح وإبراهيم ويوسف ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان وإدريس وأيوب عليهم السلام، فقد نسبوا إلى كل واحد من هؤلاء الأنبياء ما قدروا عليه من المعاصي، لاسيما ما نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الهوس الجنسي بالنساء وأشياء أخرى لا يحل ذكرها وهي مستقبحة جداً، وقائلها من أهل السنة والجماعة بجميع أبعاده، وينسبون الرفض إلى من نزه الله سبحانه واعتقد العصمة للأنبياء، ويرونه عدواً لهم، وهذا من فرط محبتهم للصحابة، ويبرؤونهم من الظلم الذي لحق بأهل البيت منهم، ولا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُضْطَفِينَ الْأَخْيَارِ﴾^(٢) وأمثال هذه الآيات، وذلك من أجل الصحابة لأنهم أهل خطأ وعصيان، وكانوا مشركين فرجعوا عن الشرك إلى الإسلام

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) ص: ٤٧.

فينسبون المعصية إلى الأنبياء ليدرؤوا العيب عن الصحابة ويصحّحون أخطائهم، ويهوّنون معاصيهم وذنوبهم، ويتمسّكون بالمتشابه من القرآن لدفع غائلة الشيعة عنهم، وما علموا أنّ الله تعالى قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(١)، ولا يرون العقل حجة ويتمسّكون بآراء الرجال وبالقياس لقصور علمهم وكثرة جهلهم، وقد قال رسول الله ﷺ في شأنهم: إنّ من أصحابي من لا يراني بعد ما يفارقني^(٢).

وهم الذين تركوا خطبة النبي أثناء صلاة الجمعة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ نَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾^(٣)، وكانوا يضحكون ويسخرون وراء رسول الله وهم في صلاة الجماعة.

وتقاعدوا عن حرب بدر وكرهوا القتال حتّى أنزل الله في حقّهم: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ* يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٤).

وكانوا بمكة يستحثّون النبي على الحرب والرسول يأبى، ولما نزل الجهاد في المدينة كرهوه وأبوه حتّى نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبُّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾^(٥).

وكانوا مصداق الآية التالية فقد كانوا أمام رسول الله يظهرهم بمظهر الأمانة

(١) آل عمران: ٧.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث بصيغه المختلفة.

(٣) الجمعة: ١١.

(٤) الأنفال: ٥ و ٦.

(٥) النساء: ٧٧.

ولكنهم يخونونه في السر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وتركوا الجهاد وطمعوا بالغنائم كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَشْرَى حَتَّى يُفْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

وفي حرب الخندق كذبوا بوعد رسول الله وشكوا به، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ وَكُفُّوا مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤).

وعاهدوا الله تحت الشجرة أن لا ينهزموا فكانت هزيمتهم أظهر من الشمس كما فعلوا في حرب خيبر: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُورًا﴾ (٥).

وهربوا عن رسول الله في حرب حنين وتركوه مع سبعة أو تسعة من أصحابه بيد العدو وولوا الأدبار: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذْبِرِينَ﴾ (٦).

وقال النبي ﷺ: لتبعن سبيل الذين من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم، فقالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟ (٧).

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) الأنفال: ٦٨.

(٤) الأحزاب: ١٠-١٢.

(٥) الأحزاب: ١٥.

(٦) التوبة: ٢٥.

(٧) للحديث صيغ متعددة وإليك تخريجه عند الفريقين: الاقتصاد للطوسي: ٢١٣، الرسائل العشر:

وقال في حقّهم أيضاً: سيّجيء برجال من أمّتي فيؤخذ ذات الشمال، فأقول: يا ربي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزلوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، ومنه قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾^(١)، وقال: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢) الآية.

وقال النبي ﷺ: بينا أنا على الحوض إذ مرّ منكم زمر ففترّق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلمّوا إلى الطريق، فنادى مناد: إنهم بدّلوا بعدك، فأقول: ألا سحقاً ألا سحقاً.

وقال قبل وفاته مراراً: جهّزوا جيش أسامة، فلم يفعلوا لئلا تفوتهم فرصة الخلافة.

وقال في مرضه: آتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي، فقال عمر: دعوه فإنّه يهجر في مرضه.

وهؤلاء الذين أظهروا الإيمان والإسلام لم يكونوا في الباطن كما هم عليه في الظاهر، ولما كان عذاب نساء النبي في حال ارتكابهنّ للفاحشة مضاعفاً لقرهينّ

➤ ١٢٧، دعائم الإسلام للقاضي نعمان ١: ١، خاتمة المستدرك ١: ١٥٨، الإيضاح: ٢١٠، المسترشد للطبري الشيعي: ٢٢٩، مسألان في النصّ على عليّ للمفيد ٢: ٣٠، سعد السعود لابن طاووس: ٦٤. ومن كتب السنّة: صحيح البخاري ٨: ١٥١، صحيح مسلم ٨: ٥٨، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٢، المستدرك للحاكم ١: ٣٧ و ١٢٩ و ٤: ٤٥٥، مجمع الزوائد للهيتمي ٧: ٢٦٠ و ٢٦١ بطريقتين، مسند الطيالسي: ٢٨٩، المصنّف للصنعاني ١١: ٣٦٩، بغية الباحث للحارث بن أبي أسامة، كتاب السنّة لابن عاصم: ٣٦ و ٣٧، مسند أبي يعلى ١١: ١٨٢، صحيح ابن حبان ١٥: ٩٥، المعجم الكبير ٦: ١٨٦ و ١٣: ١٧، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٦، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٤٠١، كنز العمال ١: ٢١١ رقم ١٠٥٩ وغيرها كثير.

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الآية نفسها.

من النبي كان عذاب الصحابة كعذابهنّ لأنّ سبب المضاعفة واحد، قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١) ويقولون: إنّ بعضهنّ تُبْنَى مِمَّا جرى منهنّ، ولكن الكفر مشهور، والتوبة مظنونة، والمقطوع به لا يعارضه المظنون.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ردّوا الجهال إلى السنّة وعليكم بالمجمع عليه فإنّه لا ريب فيه^(٤).

وينكرون العقل والشرع في الحكم بالجنّة لعائشة وحفصة بمجرد إثبات الزوجيّة لهنّ، ألا يعلمون ما قاله الله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾^(٥) واسم امرأة نوح والعة، واسم امرأة لوط والهة، ودخل كلاهما النار ولم تغن عنهما نبوة زوجيهما.

وجاءت هذه الآية في حقّ ابن نوح: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٦).

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) الزخرف: ٨٦.

(٤) ورد الحديث في الكافي على النحو التالي: خذوا بالمجمع عليه فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه. وهذا القول من المؤلف مأخوذ من كلام للكراجكي في المعنى، قال: وأحسن أحوالها - ما ورد في توبة القوم - أن توجب الظنّ لسامعها من غير علم ويقين يحصل بها، ويتنقلون بها من اليقين إلى الظنون، وينصرفون من المعلوم إلى المجهول، يوالون بالظنّ من عاداه باليقين (التعجب: ٣٠).

(٥) التحريم: ١٠.

(٦) هود: ٤٦.

وقال النبي ﷺ: يا فاطمة بنت محمد، اعلمي فإنِّي لا أغني عنك من الله شيئاً. يا عباس، يا عم رسول الله، اعمل فإنِّي لا أغني عنك من الله شيئاً^(١).
 وخاطب الأمم وهو على المنبر: أيها الناس، لا يدع مدع ولا يتمنى متمنٌ والذي بعثني بالحق نبياً لا ينجي عمل إلا مع رحمة الله، ولو عصيت لهويت، اللهم هل بلغت - قالها ثلاثاً - وهؤلاء لا تظللهم هذه الآية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ - إِلَى - عَشِيرَتِهِمْ﴾^(٢).

ومن عجب أنهم يكرهون خروج فاطمة ؓ من بيتها إلى مسجد أبيها ولا تعدل المسافة خمسة أذرع، تطالب بحقها في فذك، ويحسنون خروج عائشة مع عشرة آلاف مقاتل من الرجال من اقليم إلى اقليم، ويصوبون فعلها، ويرون أنها تائبة، فبعداً للقوم الظالمين.

ومن العجب قول المعتزلة أن سلمان قبل ولاية المدائن من عمر وهذا دليل على صحة إمامة عمر^(٣).

(١) تجد صيغة لهذا الحديث فيها اختلاف مع صيغة المؤلف؛ أحاديث عائشة ٢: ٢٩٥.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) ورد هذا القول في التعجب بصورة أحلى وأجلى: ومن عجيب أمر المعتزلة وظاهر مناقضتهم أنهم يجعلون تصرف بعض وجوه الشيعة في الصدر الأول من قبل عمر بن الخطاب في الظاهر دليلاً على مولاتهم القوم في الباطن كولاية سلمان المدائن وعمارة الكوفة، ويقولون: لو لم يتوالوهم ويعتقدوا صوابهم ما تصرفوا تحت واحد منهم ولا تولوا عملاً من قتل من هو ظالم عندهم، ولا يلتفتون مع هذا إلى اعتقادهم أن الخيرة من أصحاب رسول الله ﷺ تصرفوا من قتل معاوية بن أبي سفيان وأظهروا أتباعه وسموه بإمرة المؤمنين وعظموه وأجلوه ومعاوية عند جميع المعتزلة ظالم فاسق يستحق الخلود في نار جهنم، ويعلمون أنه عقد لابنه يزيد الإمارة على وجوه الصحابة في حياته. وأنفذهم إلى قتال الروم تحت رايته حتى بلغوا قسطنطينة ممثلين أمره، منقادين إلى طاعته، متصرفين تحت حكمه وتدبيره، منهم عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر.. الخ. (ص ٣٢)

مسألة:

معاوية في مذهبنا كافر وفي مذهبهم فاسق، وكان الصحابة بأجمعهم يعظمونه ويدعونه بأمر المؤمنين، وكانوا يقبلون ولايته على الولايات والأقاليم، وذهبوا إلى قتال الروم تحت إمرة يزيد وبلغوا القسطنطينية منهم عبدالله بن العباس وعبدالله ابن عمر وعبدالله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وأبو هريرة وعمر بن العاص وأمثالهم، وكان أبو هريرة قاضياً لمعاوية ووالياً على المدينة من قبله وغالب بن فضالة والياً على خراسان والمغيرة بن شعبة على الكوفة وسمرة من قبل عبيدالله بن زياد على البصرة^(١)، والعجب أنهم لا يقيمون العذر عن هؤلاء ولا يستدلون بهم على إيمان معاوية وإسلامه لأنه كافر عند جماعة من المعتزلة «وأنا أيضاً على ذلك من الشاهدين» ونستنتج من ذلك أن وضع سلمان مع عمر بن الخطاب كوضع أولئك مع معاوية.

(١) تابع هذا الكلام عند الكركي ثم أعجب من المؤلف الذي لم يشر إلى المصدر بحرف واحد وقد أخذ كل هذا منه: وكذلك جماعة ممن يفضلهم المعتزلة قد تصرفوا من قبل معاوية مثل أبي هريرة في ولايته على المدينة، وغالب بن فضالة الذي تولّى إماره خراسان والمغيرة بن شعبة الذي كان أميراً على الكوفة وسمرة الذي كان أميراً من قبل زياد على البصرة، وكل ما علم من تصرف شيوخ المعتزلة من قبل الولاة الظلمة في قضاء وعمله بل يقيمون لهم المعاذير ويخرجون لهم الوجوه التي لا تجد مثلها في تولي سلمان وعمر بن الخطاب...

الخ. (ص ٣٢)

الباب العشرون في أسمائهم وصفاتهم

وهم يدعون بأنّ ولائهم لأهل البيت أكثر من ولاء الشيعة ، ومودّتهم تزيد على مودّتهم لهم ، ومع هذا فهم ينزّون بالرفض من يذكر منقبة من مناقب أهل البيت أو فضيلة من فضائلهم ، وإذا نسبها إلى شيوخهم صدّقوه وقالوا: حرام ذكر تقديم ذكر عليّ على الشيوخ .

وروي أنّه قال رجل لعليّ عليه السلام : أحبك وأتولّى عثمان ، فقال له : الآن أنت أعور فيما أن تعمى وإمّا أن تبصر^(١) .

وإذا سمعوا من يقول : اللهمّ العن ظالمي آل محمّد ، يغضبون ويقولون : هذا تعريض ورفض وتشترّد وبغض والمسلم لا يكون لعناً ، والأفضل من اللعن التسبيح ، ومع ذلك يلعنون الشيعة اللعن الصريح ..^(٢) (ويقولون اللعن حرام والتسبيح أولى من اللعن ، ويلعنون الشيعة والمعتزلة .. المؤلّف) .

ومن عجيب أمرهم وظاهر بغضهم لأهل البيت عليه السلام أنّهم إذا ذكروا الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام الذي هو ولد رسول الله وريحانته وقرّة عينه والذي نحله

(١) الصوارم المهرقة : ٢٤٨ .

(٢) التعجب : ٤٢ .

الإمامة وشهد له بالجنّة حذف من اسمه الألف واللام ويقال: حسن بن عليّ ولأولاده أولاد حسن استصغاراً له واحتقاراً لذكره، ثم يقولون مع ذلك: الحسن البصري، فيثبتون في اسمه الألف واللام إجلالاً له وإعظاماً وتفخياً لذكره وإكراماً، وذلك أنّ هذا البصري كان متجاوزاً عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وهو القائل في عثمان قتله الكفار وخذله المنافقون، ولم يكن في المدينة يوم قتله إلّا قاتل أو خاذل، فنسب جميع المهاجرين والأنصار إلى الكفر والنفاق^(١).

وحاصل الكلام أنّهم لو كانوا يحبّون أهل البيت لم يحملوا في قلوبهم هذه العداوة لهم ولا بدّ من أن يكون الصديق صديق الصديق وهنا نرى القضية بعكس ذلك «والحسن البصريّ تخلف عن الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام تخلف عن عليّ والحسن والحسين ولما وقف على واقعة الحسين خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجاج إلى خراسان .. المؤلف»^(٢).

ويقال أنّ في ديار العرب مدينة تسمّى قرطبة يأخذ شبابها في ليلة العاشور رأس بقرة ميتة ويجعلونه على عصى ويحمل ويطاف به في الشوارع وقد اجتمع حوله الصبيان يصفقون ويلعبون ويقفون به على أبواب البيوت (ويغنون) ويقولون: يأمره العروسة اطعمينا المظنفة، يعنون القطائف، وأنّها تعد لهم

(١) لما أخذ المؤلف محتوى كلامه كلّ من كتاب التعجب آثرنا عبارة صاحب التعجب لأنّها أكثر تأدية للمعنى، وعبارة المؤلف قاصرة وإليكها: وإذا ذكروا الحسن والحسين حذفوا من اسميهما الألف واللام تحقيراً، فإذا ذكروا اسم الحسن البصريّ ألصقوا به الألف واللام لأنّ الحسن البصري من أعداء أهل بيت النبيّ .. الخ. راجع التعجب ص ٤٣ وقارن بعبارة المؤلف.

(٢) التعجب: ٤٣ ولم يذكر واقعة الحسين التي ذكرها المؤلف وربط بها خروج الحسن مع قتيبة بل قال: ثمّ خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجاج إلى خراسان ... الخ وما الذي يقصده المؤلف في واقعة الحسين: هل يريد واقعة كربلاء فأين هي من زمن الحجاج، والذي أراه أنّ الخطأ من الناسخ وقد سقطت جملة أو جملتان من العبارة.

ويكرمون ويتبرّكون بما يفعلون ... ويعنون به رأس الحسين^(١)، والمشهور أن سنّة العراق وخراسان يكتحلون يوم عاشوراء ويطبخون الحبوب من سبعة أصناف ويطبخون الطعام الفاخر المتنوّع ويتزيّنون بألوان الزينة ويلبسون أفضل الثياب، وهذا هو الحبّ الذي حدّثونا عنه حيث يجعلون اليوم الذي قُتل فيه آل الرسول يوم فرح واستبشار ويسمّونه عيداً مع وجود آية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢) في القرآن يتلوها ولكنهم لا يعملون بها لأنّ أمّتهم لشدة عداوتهم لأهل البيت يزعمون أنّها من المنسوخ وهذه الآية تكذب ما ادّعوه لأبي بكر من أنّه أنفق ماله على رسول الله وعلى أصحابه.

بَيِّنَةٌ:

لا يزال أولاد قتلة الحسين معروفين بالشام إلى اليوم وهم معظّمون ومكرّمون عندهم بمثابة سادات بني هاشم فمنهم في الشام بنو السراويل لأنّ جدّ جدّهم نهب سراويل الحسين عليه السلام.

وبنو السرج وهم أولاد الذين أسرجوا خيولهم وداسوا صدر الإمام وكسروا عظامه، ووصل بعض هذه الخيل إلى مصر فقلعت نعالها من حوافرها وسمّرت على أبواب الدور للتبرّك بها وجرت بذلك السنّة عندهم حتّى صاروا يتعمّدون على نظيرها على أبواب دور أكثرهم.

وبنو سنان وهم أولاد الذي حمل الرمح الذي على سنان رأس الحسين عليه السلام.

وبنو الملحي وهم الذين ذروا الملح على جسد الحسين.

وبنو الطشتي وهم الذين وضعوا رأس الإمام بالطشت.

(١) نفس عبارة التعجّب: ٤٤، والحقّ أنّي أدركني التعجّب من المؤلّف لعدم إشارته إلى الكتاب.

(٢) الشورى: ٢٣.

وبنو القضيبي وهم أولاد الذين أتوا بالسوط إلى يزيد لعنه الله ليضرب ثنايا الحسين وهي مقبل النبي ﷺ.

وبنو الدرجي فأولاد الذي ترك الرأس في درج جيرون.
وبنو المكبري فهم أولاد الذي كان يكبر خلف رأس الحسين وهو بدمشق مع بني الملحي معروفون. ونظم شاعر هذا المعنى فقال:

جاؤوا برأسك يابن بنت محمد مترملاً بدمائه ترميلاً
وكانما بك يابن بنت محمدٍ قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قُتِلَ وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلة

وقد بلغنا أن رجلاً قال لزين العابدين عليه السلام: إنا لنحبكم أهل البيت، فقال عليه السلام: أنتم تحبونا حب السنورة من شدة حبها لولدها تأكله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة..^(١).

ولا يحاولون مسائلة أنفسهم عن هذا الحقد على علي وأهل بيته ما سببه؟ ومن أين أتاهم؟ وما هي دواعيه التي حملتهم على لعنه على منابرهم ألف سنة فلم ينكر عليهم مسلم واحد، ولم يردّ عليهم بقول أو عمل، ولم يسائلهم عن المبررات المبيحة للعنه وكيف استحقها، وهنا من يلعن ظالمي علي أو ينطق به لسانه يهتبون فوراً لخصومته.

فصل

ومن أعاجيبهم أنهم زعموا أن رسول الله ﷺ قال: إن في جنبي عمر ملكين

(١) تجد هذا كله سوى الشعر موجوداً في التعجب (ص ٤٦) فما قبلها، وذكر ابن شهر آشوب أن الشعر لخالد بن معدان (المناقب ٣: ٣٦٣).

يسدّدانه ويتّقيه، وإنّ ملكاً ينطق على لسانه مع أنّهم ينسبون إلى رسول الله وإخوانه من الأنبياء ﷺ ويبرؤون ساحة عمر من المعاصي لحبهم إياه ولأنّهم غاية في الجهل، وتناسوا إسلامه يوم أسلم وهو سكران، وعبادته لثلاثمائة وستين صنماً. وفي يوم الحديبيّه شكّ في نبوّة محمّد - كما مرّ - حتّى أذى النبيّ فاستقبل عمر قائلاً له: أين كنتم يوم أحد إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم (والرسول يدعوكم) ^(١) ويوم الأحزاب: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونًا﴾ ^(٢).

ولما رأى عمر لعنه الله غضب رسول الله قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، والله يا رسول الله إنّ الشيطان ركب على عنقي، فكيف يركب الشيطان على عنق من بيني عينيه ملك (ملكان) يسدّده؟!

فلما كان يوم الفتح أخذ النبيّ ﷺ مفتاح الكعبة وقال: ادعوا لي عمر، فلما أتاه قال: أي عمر، هذا الذي كنت قلت لكم، وكذلك لما عرّف في حجّة الوداع أحضره وقال له مثل ذلك. وروي عن عمر أنّه قال: ما شككت مثل يومئذٍ ^(٣) وهذا من العجب أنّ النبيّ يحتاج إلى الوحي وملكان يلازمان عمر.

(ومن عجب أمرهم في مثل هذا دعواهم أنّ النبيّ قال: إنّ الله ضرب الحقّ على لسان عمر وقلبه، فكيف يصحّ هذه الدعوى وقد تكلم في إمارته في الحدّ بسبعين قضية يخالف بعضها بعضاً، وقال: لا تغلوا في مهور النساء فتجاوزوا أربعمائة درهم حتّى قامت إليه امرأة فقالت: كتاب الله أحقّ أن يُتبع أم قولك؟ قال:

(١) اقتباس من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

(٢) الأحزاب: ١٠.

(٣) التّعجب: ٥٩ و ٦٠.

بل كتاب الله ، فتلت عليه قول الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَتْكُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(١) ، فقال لما استمع ذلك : ثكلتك أمك يا عمر ، كلّ أحد أفقه منك حتى النساء^(٢) (وعند المؤلف أنّ عمر قال) : ما علمت بهذا . فقالت المرأة : ثكلتك أمك يا عمر ، كلّ واحد أفقه منك حتى النساء .

وحكم يوماً بين رجلين فقال أحدهما : أصبت يا عمر ، فقال : لا يعلم عمر أصاب أم أخطأ بل الله يعلم ذلك .

وروا عن النبي أنّه قال : ما من أحد إلّا وله شيطانان يلزامانه^(٣) ، فاستبدلوا الملكين بالشيطانين الملازمين لعمر بن الخطّاب الحاضرين لدى عينيه ، ولكن أين كان هذان الملكان يوم كان مشركاً يعبد اللات والعزّى ؟!

مسألة :

ومما يقدح في عمر ما قاله في أهل الشورى التي لا يقوها أحد في أحد «وقال لكلّ واحد قولاً لا يصحّ معه أن يرد إليه إمارة مدينة ولا تدبير ضيعة...»^(٤)

(١) النساء : ٢٠ .

(٢) التعجّب : ٦٠ .

(٣) المروي عن النبي وجاء في عوالي اللثالي ٤ : ٩٧ : ما منكم أحد إلّا وله شيطان ، فقبل له : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : وأنا ولكن أعاني الله عليه فأسلم ، ونسبه محقّق الكتاب إلى أحمد بن حنبل ١ : ٢٥٧ س ٢ وقال : قيل معناه : إنّ شيطاني أسلم أي صار مسلماً فلم يعارضني في شيء ، وقيل معناه : أنّي أسلم منه بإعانة الله تعالى لي عليه فلم يضرّني بشيء ، وكأنّه أراد بالشيطان هنا القوّة الوهميّة المخالفة لأحكام العقل كما تقول أهل الإشارة ، لأنّهم يقولون أنّ المراد بآدم العقل وبإبليس هو الوهم والمراد بالملائكة باقي القوى الإنسانيّة الظاهره والباطنة ، والمراد بالسجود الإذعان والطاعة (ص ٩٧) . وأقول : فات المحقّق عن أن يسأل أهل الإشارة عن حواء وما من شكّ سوف يقولون : إنّها النفس رجماً بالغيب ، إذ لا دليل على هذا إلّا الأوهام والتخرّصات .

(٤) التعجّب : ٦٠ . قارن بعبارة المؤلف .

(لا يصحّ معه مع وجود هذه العيوب التي نسبها إليه أن يسند إليه إدارة بيت أو خوان طعام أو أتون حنّام، فما بالك بملك العالم - المؤلف). ومع ذلك فقد عهد إليه بإدارة الحكم وإمامة الناس. فدعا طلحة ووصفه بالنخوة والكبر، والوزير بالجفاء، وقال عنه: مؤمن الرضا كافر الغضب، ووصف سعداً بأنّه صاحب مقنب وقتال، وأنّه لا يقوم بتدبير قرية^(١) (وعبدالرحمان بضغفه - التعجّب) ووصف عثمان بأنّه يحمل أهله على رقاب الناس وقال: إنّ روثه خير منه، ووصف عليّ بن أبي طالب ﷺ بأنّه ذو لطافة وفكاهة (وبطالة) يقول هذه الجملة الخبيثة في إمام معصوم مفترض الطاعة على العالم، وكان يقول - وعليّ حاضر والحسنان والعبّاس - دائماً: لو كان سالم مولى حذيفة ابن اليمان حيّاً ما يخالجنى فيه الشك (وبحضرتة أمير المؤمنين والعبّاس فتخالجه الشكوك فيها..) ولم يدركه الحياء من أهل بيت النبي مع عصمتهم وطهارتهم وجعل الأمر شورى بين المسلمين فلا هي من الله ولا من رسوله.

وأعجب من هذا ما قاله في مرشّحه للخلافة: إن اختلفوا ثلاثة وثلاثة فالحقّ في الثلاثة التي فيها عبدالرحمان واقتلوا الثلاثة الأخرى!! (لأنّه يعلم أنّ هوى عبدالرحمان مع عثمان وليس مع عليّ ﷺ لأنّ بين الاثنين عبدالرحمان وعليّ عداوة، وبينه وبين عثمان صداقة وصهر، وقال: اقتلوا التي ليس فيهم عبدالرحمان، فهل هذا إلّا قصد لقتل عليّ...^(٢)).

(١) أخطأ المؤلف في فهم العبارة فترجم المقنب بالمقت أي الكره، والقتال بسوء الأفعال هكذا: «وسعد راصفت كرد به مقت وافعال بد!!!» راجع ص ٨٩ من الكامل وص ٦٠ من التعجّب. والمقنب جماعة الخيل والفرسان، وقيل هي دون المائة، وتُقرأ بالكسر. لسان العرب ١: ٦٩٠ بتصرّف.

(٢) هذه عبارته المؤلف وهي نفس عبارة التعجّب لكن بإجراء شيء من التغيير، راجع ص ٦٠ من التعجّب.

وأعجب منه حين يأمر بقتل جماعة يزعمون أنهم من أهل الجنة بدون ذنب
جنوه ولا جريمة ارتكبوها: إنها الجرأة على الدماء وعلى محظورات الدين.
ومن العجب قوله الحق في الثلاثة التي فيها عبدالرحمان مع سماعه قول
النبي ﷺ: عليّ مع الحق والحق مع عليّ يدور حيثما دار^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٨٨ و ١٨: ٧٢.

الباب الواحد والعشرون

في بعض فوائد كتاب الفتوح لأبي محمد أعثم الكوفي

اعلم: أن ابن الأَعمش من علماء أهل السُنَّة وهو متعصّب لهم إلى الدرجة التي يقول فيها في كتاب الفتوح هذه رواية أهل السُنَّة ولا أروي الروايات الأخرى لأنّي أخشى أن تقع بيد الشيعة فتكون حجة علينا.

ويقول في أوّل كلام السقيفة إسناداً إلى الهيثم مالك بن التّيهان الأنصاريّ^(١) أن رسول الله لما توفّي شمت فيه اليهود والنصارى وأظهر المنافقون الذين كانوا حول المدينة مردوا على النفاق نفاقهم وهبوا لإتلاف الدين ولكن لم يشر إلى هؤلاء المنافقين من أيّ فرقة هم، أمّا عبدالله بن سلول فقد هلك في عهد النبيّ وقد أخبر

(١) يبدأ كتاب الفتوح بقول المؤلّف: الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد خاتم النبيّين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين: إن رسول الله لما توفّي قام بالأمر بعده الإمام أبو بكر الصّدّيق وقد بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه النبيّ بسقيفة بني ساعدة... الخ، ولم يذكر ابن التّيهان الأنصاريّ هذا. راجع الفتوح ١: ٣ ط دار الكتب العلميّة ١٤٠٦ - أوّل، تقديم وتعليق نعم زرزور، والكتاب طالته يد التحريف وغيّرت حتّى عباراته ووردت فيه كلمة مليون وهي كلمة لم تعرفها العربيّة إلا في العصر الحديث.

الله تعالى عن هذا الوضع بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ - إِلَى قَوْلِهِ - فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا﴾^(١) ونظير هذه الآية فتبين من هذا أنَّ ظهور النفاق لم يكن سوى أبي بكر وجماعته، فقال قال: أيها الناس (من كان يعبد الله فإنَّ الله حيّ لم يمِت، ومن كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات)... ألا وإنَّ محمداً قد مضى لسبيله ولا بدَّ لهذا الأمر من قائم يقوم فدبروا وانظروا وهاتوا رأيكم (رحمكم الله) فناداه الناس من كلِّ جانب: نصبه ونظر في ذلك إن شاء الله.

فلما كان من الغد انحازت طائفة من المهاجرين إلى أبي بكر وانحازت طائفة من الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة وجلس عليّ بن أبي طالب مغموماً بأمر النبي ﷺ وعنده نفر من بني هاشم وفيهم الزبير بن العوام^(٢).

ثمَّ قال: وكان أوّل من تكلم يومئذٍ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقال: يا معاشر الأنصار، إنكم إذ قدّمتم اليوم...^(٣) (قريشاً) صاروا مقدّمين عليكم إلى يوم القيامة (وأنتم الأنصار في كتاب الله تعالى وإليكم كانت الهجرة، وفيكم قبر النبي ﷺ) فأجمعوا أمركم على رجل تهابه قريش وتأمّنه الأنصار. قال: فقالت الأنصار: صدقت يا خزيمة، إنَّ القول لعلّ ما تقول: رضينا بصاحبنا سعد بن عباد....

ثمَّ وثب أسيد بن حضير الأنصاريّ الأوسيّ (ونصح نصائحه ثمَّ قال:) إنَّ هذا الأمر في قريش دونكم فمن قدّموه فقدّموه، ومن أخروه فأخروه، قال: فوثب إليه نفر من الأنصار فأغلظوا له في القول وسكّته فسكت.

١٤٤. (١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الفتوح ١: ٣ و ٤.

(٣) قال الناشر: بياض في الأصل.

ثم وثب بشير بن سعد الأنصاريّ الأعور وكان أيضاً من أفاضل الأنصار - فقال: (إنّما أنتم بقريش وقريش بكم، ولو كان ما تدّعون حقّاً لما اعترض عليكم فيه، فإن قلتُم بأنّا آوينا ونصرنا فما أعطاهم (الله) خير ممّا أعطيتُم فلا تكونوا كالذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار جهنّم، الآية. (وكان يميل لتقديم قريش).

ثم وثب عويم بن ساعدة الأنصاريّ - وهو من الذين أنزل الله فيهم في مسجد قباء ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١) - فقال: يا معشر الأنصار، إنكم أوّل من قاتل عن هذا الدين فلا تكونوا أوّل من قاتل أهله عليه، فإنّ الخلافة لا تكون إلّا لأهل النبوّة فاجعلوها حيث جعلها الله (جعلوها) فإنّ لهم دعوة إبراهيم.

قال: ثم وثب معن بن عدي الأنصاري فقال - وكان هواه في أبي بكر -: (يا معشر الأنصار، إن كان هذا الأمر لكم من دون قريش فخبّروهم بذلك حتّى يبايعوكم عليه، وإن كان لهم من دونكم فسلّموا لهم فوالله! ما مات رسول الله ﷺ حتّى صلّى بنا أبو بكر فعلمنا أنّه رضيّه لنا لأنّ الصلاة عباد الدين^(٢)؟

فبينما الأنصار كذلك في المحاورّة إذ أقبل أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح وجماعة من المهاجرين فإذا هم بسعد بن عباد قد زمل بالثياب في سقيفة بني ساعدة من علّة كان يجدها في بدنه، قال: فقعد المهاجرون وسكتوا ساعة لا يتكلّمون بشيء، فتكلّم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري... فقال: يا معاشر

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) أعرض المؤلف عن هذا الكلام ولقد أجاد في ذلك لأنّ أبا بكر لم يأمره النبيّ بالصلاة وهذا كلام موضوع.

المهاجرين ، لقد علمتم وعلمنا أنّ الله تبارك وتعالى بعث نبيّه محمداً ﷺ وكان في بدء أمره مقيماً بمكة على الأذى والتكذيب لا يأمره الله عزّ وجلّ إلّا بالكفّ والصفح الجميل ، ثمّ أمره بعد ذلك بالهجرة وكتب عليه القتال ، ونقله من داره ، فكنا أنصاره وكانت أرضنا مهاجرة وقراره ، ثمّ إنكم قدمتم علينا فقاسمناكم الأموال ، وكفيناكم الأعمال ، وأنزلناكم الديار ، وآثرناكم بالمرافق ؛ فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام . إلى أن قال : وقد خرج من الدنيا ولم يستخلف رجلاً بعينه وإنما وكل الناس إلى ما وكلهم الله إليه من الكتاب والسنة الجامعة ، والله تبارك وتعالى لا يجمع هذه الأمة على الضلال ... (١) .

جواب :

إذا كان النبيّ توفّي ولم يستخلف فكيف صار أبو بكر أولى بها من بني هاشم والأنصار؟! فإن كان قرشيّاً فإنّ عليّاً قرشيّاً وهاشميّ وعالم . وأبو بكر ليس بهاشميّ .
جواب آخر :

فمن دعاه خليفة رسول الله فقد كذب على رسول الله لأنّه خليفة الصحابة فينبغي أن يخاطب بهذا الاسم وإلّا فإنّه مسئول يوم القيامة عن هذه التسمية بالضرورة : ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢) .

نعود إلى قصّة السقيفة : فلما فرغ ثابت بن قيس من كلامه أقبل عليه أبو بكر فقال : يا ثابت ، أنتم لعمرى كما وصفت به قومكم لا يدفعهم عن ذلك دافع ، ونحن الذين أنزل الله فينا : ﴿يُلْقِئَ الْفُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً

(١) الفتوح ١: ٥٤ و٥٦ .

(٢) الصفات: ٢٤ .

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»^(١) وقد أمركم الله في آية أخرى أن تكونوا معنا حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

جواب:

وصف الله تعالى المهاجرين هنا بالفقراء ويزعم الخصوم أن أبابكر لم يكن فقيراً بل كان موسراً متمكناً، ومثله عثمان؛ لأن أبابكر - كما يزعمون - أنفق أربعين ألف درهم في المدينة، وعثمان جهّز جيش العسرة فهبّأ لهم عدّة الحرب من الزاد والراحلة، وعلى هذا فن يملك هذه الألوف من الدراهم وهذه القدرة على تجهيز جيش لا يعتبر من الفقراء، فعلم من هذا أن الآية لا تشملها بناءً على ما ادّعاه الخصم لها.

عجب من هؤلاء ينقلبون عند المباهاة والمفاخرة إلى موسرين وعند طلب الخلافة إلى فقراء؛ إمّا شاكراً وإمّا كفوراً. فينبغي عليهم أن يشتوا على حالة واحدة لكي نجيبهم وإلا فإن الترك للتناقض.

جواب:

قال: «وينصرون الله ورسوله» متى نصر أبوبكر رسول الله ﷺ؟ هل كان النبيّ يأوي إلى بيته مند الصغر حتّى بلغ الأربعين؟ وهل كان في زمن الحصار في الشعب عنده؟ وهل أعان على الحرب كبدر وحنين وأمثالهما؟ حاشا وكلاً بل كان في كلّ الحروب عاجزاً مقهوراً مولياً للدبر هارباً «يولّون الدبر». فإنّ عُدنا إلى طفولة

(١) الحشر: ٨.

(٢) التوبة: ١١٩.

النبي فَإِنَّ كَافِلِيهِ وَالِدَا عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَنْتُمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأَوْيَ﴾^(١) أي - والله أعلم - أَنْ عَمَّكَ أَبَاطَالُ آوَاكَ وَخُطِبَ لَكَ خُدَيْجَةُ لِلتَّقْوَى بِمَا هَا ﴿وَوَجَدَكَ غَائِلًا فَأَغْنَى﴾^(٢). وفي حصار الشعب كان ناصرهُ أَبَاطَالُ وَجَعْفَرُ الطَّيَّارَ أَخَا عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَغْنَى عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ فِي الْحُرُوبِ كُلِّهَا^(٣) ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(٤) بعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ . وإذا أراد بهذه النصرة ما كان بعد وفاة رسول الله ﷺ فَإِنَّهُ ذَهَبَ يَلَاطِمُ عَلَى الْمَلِكِ وَتَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْمَغْتَسِلِ وَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ لِثَلَا تَقُوتَهُ الْفُرْصَةُ ، فَتَى نَصْرَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ وَأَيَّ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ نَصَرَهُ بِهِ ؟

جواب آخر:

وقال: إِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي ، وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَكَيْفَ يَصْنَفُ مَعَ الصَّادِقِينَ مُطْلَقًا ، وَالْمُرَادُ مِنَ الصَّادِقِ مَنْ صَدَّقَ مُحَمَّدًا ﷺ وَهَذِهِ صِفَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُمَّةِ ، وَالْبَارِي تَعَالَى لَا يَأْمُرُ بِاتِّبَاعِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ يَحُوزُ عَلَيْهِمُ الْخَطَأُ لِعَدَمِ الثِّقَةِ بِقَوْلِهِ أَوْ فَعْلِهِ لَطَرُ الْخَطَأِ عَلَيْهِمَا ، إِذْ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا قَالَهُ أَوْ فَعَلَهُ مُحْضُ خَطَأً وَانْحِرَافٌ وَمَعْصِيَةٌ ، وَعَلَى هَذَا لَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ دَائِمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحُكْمُ حُكْمًا مُقَيَّدًا - أَيَّ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ - وَلَا دَلِيلٌ عَلَى تَقْيِيدِهِ بَلِ الدَّلِيلُ قَائِمٌ عَلَى إِطْلَاقِهِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ .

ودليل ما أثبتناه عن أبي بكر كلامه حيث يقول: فَإِنْ اسْتَقَمْتُ فَاتَّبِعُونِي ، وَإِنْ اعْوَجَجْتُ فَقَوِّمُونِي ، وَلَا جَرَمَ أَنْ يَكُونَ عَلَى اعْوَجَاجٍ دَائِمًا لَوْجُودُ هَذَا الشَّيْطَانِ الَّذِي يَعْتَرِيهِ ، فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا أَنَّ الصَّادِقِينَ هُمُ الْمُعْصُومُونَ وَهُمْ عَلِيٌّ وَأَهْلُ بَيْتِهِ

(١) الضحى: ٦.

(٢) الضحى: ٨.

(٣) ذكر المؤلف بأنها أربع وثمانون حرباً.

(٤) الأحزاب: ٢٥.

بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).
 دليل آخر:

الحديث الصحيح: من أراد أن يحيى حياقي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب فإنّه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة.

ومنه: إن وليتموها عليّاً فهادٍ مهتدٍ يقيمكم على الصراط المستقيم^(٢) وأمثال هذه الأحاديث المروية في كتب القوم التي تجلّ عن العدّ والحصر، المعبرة عن عصمة عليّ وطهره.

فلما ثبت أنّ الفقراء المذكورين في الآية ليسوا هم، ثبت أنّهم عليّ (وأولاده) عليه السلام والدليل على ذلك ما ورد عن طريق الخصوم بأنّ عليّاً تصدّق بثلاثة أقراص من الشعير فأنزّل الله تعالى سورة هل أتى في حقّه، وأعطى عشرة دراهم ونزلت آية النجوى فيه، وأعطى أربعة دراهم ونزل قوله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾^(٣) قيل: كان لعليّ أربعة دراهم فتصدّق بدرهم منها ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم علانيةً وبدرهم سرّاً فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الحاكم ٣: ١٢٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المعجم الكبير للطبراني ٥: ١٩٤، كنز العمال ١١: ٦١١ رقم ٣٢٩٦٠، خصائص الوحي المبين لابن البطريق: ٣٠، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ٢: ٣٥٧.

وأما الحديث: «إن وليتموها عليّاً» فقد أخرجه الحاكم في المستدرک ٣: ١٤٢ وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٨٥ وليس فيه صدر الحديث بل اقتصر على الصحيح وهو: «إن وليتموها عليّاً فهادٍ مهتدٍ يقيمكم على صراط مستقيم».

(٣) البقرة: ٢٧٤.

يُنْفِقُونَ﴾ الآية، في حقّه، ولئن كانت الدراهم التي أنفقها يسيرة ولكن الآيات النازلة فيه كثيرة، وكلّها مقبولة عند الله تعالى.

نعود إلى قصّة السقيفة: فقال أبوبكر: وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطّاب أو أبا عبيدة بن الجراح فبايعوا أيّهما شئتم. قال: فقال ثابت بن قيس: يا معشر المهاجرين، أرضيتم بما يقوله أبوبكر؟ فقالوا: قد رضينا، فقال: يا هؤلاء، ليس ينبغي لكم أن تنسبوا أبابكر لعصيان رسول الله ﷺ، فقالوا: وكيف ذلك؟ فقال: لأنكم ذكرتُم أن رسول الله ﷺ اختاره ورضيه لكم في حياته فقدّمه للصلاة ولم يفعل ذلك إلّا وقد استخلفه عليكم فقد عصى أبوبكر رسول الله ﷺ بإخراج نفسه من الخلافة وقوله: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر بن الخطّاب وأبا عبيدة بن الجراح «فكيف لكما قدوة اللتين»^(١) وقد اختاره رسول الله ﷺ وفضّله عليهما، ولعلّكم يا معاشر المهاجرين أنتم الذين عصيتم الله في شهادتكم على نبيّكم أنّه استخلف أبابكر.

(فقال المهاجرون: لقد قدّمه رسول الله ﷺ في أصلاة وهي الإمامة أي إمامة الصلاة.. فقال ثابت: كان رسول الله مريضاً وأبوبكر يصليّ بالناس، فلمّا سمع النبيّ صوته قام من مكانه إلى المسجد وذهب إلى الصفّ الأوّل وتقدّم للصلاة وصلىّ بالناس فكانت تلك الصلاة بإمامة رسول الله ﷺ وليس بإمامة أبي بكر، فصدّقه المهاجرون بأجمعهم)^(٢).

فقال ثابت أو المهاجرون: لقد علمتم يا معشر الأنصار أن أوّل من عبد الله على وجه الأرض وآمن برسول الله ﷺ أوليائه وعشيرته، وهم أحقّ الناس من بعده

(١) قال الناشر: كذا في الأصل.

(٢) هذه الفقرة محذوفة من الكتاب.

بهذا الأمر^(١) (وأولى بالتقديم). وهذه القصة مذكورة في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي وهي حجة ظاهرة على بطلان دعواهم.

قال: فوثب الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري وصاح في بني عمه صيحة ثم قال: يا معشر الأنصار، انظروا لا تتخذوا عن حَقِّكم، فوالله ما عبد الله علانية إلَّا في بلادكم، ولا اجتمعت الصلاة إلَّا في مساجدكم - إلى أن قال - فإن أبي هؤاء القوم ما نقول، فتنأ أمير ومنكم أمير.

قال: فوثب أسيد بن حضير وبشير بن سعد فقالا: بئس ما قلت يا حباب، وليس هذا برأي أن يكون أميران في بلد واحد... فقال الحباب: (والله يا أسيد ويا بشير بن سعد ما أردت بذلك إلَّا عزَّكما... فقال عمر: «الله واحد، والدين واحد، والإسلام واحد، والكتاب واحد، والنبي واحد، فينبغي أن يكون الإمام واحداً...»^(٢) لآته إن جرى اليوم إمامان جرى غداً إمامان - إلى أن قال عمر - لا يصلح لها إلَّا أبوبكر، فأنكر عليه الحباب قوله وراح يحرض الأنصار على أخذها وتقديم سعد بن عبادة الخزرجي، وجرى بين عمر وحباب مهاترات وشتائم، فكان عمر يميل إلى أبي بكر، وهوى حباب في سعد.

إل أن قال عمر: ألم تسمعوا ما قاله رسول الله لكم: الأئمة من قريش، ولا يكون هذا الأمر إلَّا فيهم^(٣)؟ فقال بشير بن سعد: بلى والله قد سمعنا ذلك (ولا نخالفه). فقال أبوبكر: أحسنت رحمك الله وجزاك عن الإسلام خيراً، إنِّي لست أريد هذا الأمر، هذا عمر بن الخطاب (وهذا) عبيدة بن الجراح فأَيُّهما شئتُم بايعوا (عمر أو أبا عبيدة).

(١) الفتوح ٦: ١ و ٧.

(٢) لم يرد كلام عمر في الفتوح بل ورد معناه، راجع ٨: ١، ولذا وضعناه بين هلالين وأما الكلام بعده فهو للفتوح.

(٣) هذا القول قاله معن بن أبي عدي الأنصاري في الفتوح ١٠: ١، والمؤلف نسبته إلى عمر.

فقال عمر وأبو عبيدة: لا يتولّى هذا الأمر أحد سواك، أنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، فمن ذا الذي يتقدّمك ويتولّى هذا الأمر عليك؟ ابسط يدك حتّى نبايعك.

فقال بشير بن سعد الأنصاري: والله ما يبايعه أحد قبلي، ثمّ تقدّم بشير فصفق على يدي أبي بكر بالبيعة، فقال له الحباب بن المنذر: يا بشير، ما الذي أحوجك إلى ما صنعت؟ أنفست على ابن عمّك سعد بن عبادة أن يكون أميراً؟ فقال بشير: لا والله ولكنّي كرهت أن أنزع قوماً حقّاً جعله الله لهم دوني. قال: فضرب الحباب ابن المنذر يده إلى سيفه فاستلّه من غمده وهمّ أن يفعل شيئاً، فبادرت إليه الأنصار فأخذوا بيده وسكّنه، فقال: أتسكّونني وقد فعلتم ما فعلتم؟ أما والله وكأنيّ بأبنائكم وقد وقفوا على أبوابهم يسألون الناس الماء فلا يُسقون.

قال: فقال أبو بكر: وميّ تخاف ذلك يا حباب؟ فقال: إنّي لست أخاف منك ولكنّي أخاف من يأتي بعدك. فقال أبو بكر: فإذا كان ذلك ورأيت ما لا تحبّ فالأمر في ذلك الوقت إليك. فقال الحباب: هيهات ذلك يا أبا بكر من أن يكون ذلك، إذا مضيت أنا وأنت وجاءنا قوم من بعد يسومون أبنائنا سوء العذاب والله المستعان.

قال: وتابعه الأنصار بالبيعة لأبي بكر وانكسرت الخنزرج خاصّة لما كانوا عزموا عليه من أمر صاحبهم سعد بن عبادة. قال: فازدحم الناس بالبيعة على أبي بكر حتّى كادوا أن يطئوا سعد بن عبادة بأرجلهم، فقال رجل من الأنصار: يا هؤلاء، اتّقوا سعداً فإنّه عليل شديد العلة (وحمل سعد من السقيفة إلى بيته. قال: وأقبل عبدالرحمان بن عوف الزهريّ حتّى وقف على جماعة من الأنصار فقال: يا معشر الأنصار، إنكم إن كنتم ما ذكرتم من الفضل والشرف والنصرة فوالله لا ينكر لكم ذلك.. الخ.

فقال له زيد بن أرقم الأنصاري: يا بن عوف! إنّا لا ننكر فضل من ذكرت وإنّ منّا لسيد الخزرج سعد بن عباد.. الخ. يا بن عوف، لولا أنّ عليّاً بن أبي طالب عليه السلام وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي صلى الله عليه وآله وبجزئهم عليه فجلسوا في منازلهم ما طمع فيها، فانصرف ولا تهيج على أصحابك ما لا تقوم له.

قال: فانصرف إلى أبي بكر فخبّره بما كان من مقالته للأنصار وبرّدّهم عليه، فقال أبو بكر: لقد كنت غنياً عن هذا، أن تأتي قوماً قد بايعوا وسكتوا فتذكر لهم ما قد مضى ^(١).

جواب:

هذا الذي قدّمناه هو رواية ابن أعمش الكوفي حرفاً بحرف، وهو مخالف للإجماع المدّعى على خلافة أبي بكر، ومع هذا الجدال العنيف كيف يكون الإجماع حاصلًا، مع أنّ الخزرج أنكروا خلافة أبي بكر حتّى موته ولم يكونوا حاضرين، وحال من حضر قد كشفه ابن الأعمش وقد سمعته وقرأته وحينئذٍ كيف يحصل الإجماع مع كثرة المخالفين.

ودلّ كلام زيد بن أرقم على رجوع الأمر إلى بني هاشم والذين غلبوا الأنصار بدعوى القرب من النبي صلى الله عليه وآله بالقرشيّة لم ينصفوا بني هاشم، ولم يراعوا كونهم أقرب منهم إلى النبي صلى الله عليه وآله.

والذي عليه الشيعة أنّ القوم ائتمروا بينهم متى توفّي النبي فإنّهم يغتفمون اشتغال بني هاشم فرصة ويثبون على الخلافة، وما قاله أبو بكر من رضاه بأحد اثنين: عمر وأبي عبيدة للأمة فإنّه لم يكن رضاً بالمعنى الحقيقي بل القلب كاره لما قاله مع أنّ رضاه لم يرتض لأنّ أبا عبيدة لم ينل الحكم، اللهم إلّا أن نقول بأنّه الرضا لجلب

(١) ابن أعمش، الفتوح ١: ١١ و١٢.

الأتباع وتكثير السواد وتطيبب المخاطر ، وغصب حقّ بني هاشم ، أو أنّه التزوّد للآخرة بهذا الزاد الوبيء . وصدق الله حيث قال : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (١) .

الفصل الأول

يقول ابن الأعمش : ثم أرسل أبو بكر إلى عليّ فدعاه فأقبل والناس حضور ، فسلمّ وجلس ثمّ أقبل على الناس فقال لهم : دعوتوني ؟ فقال عمر : دعوناك للبيعة التي قد أجمع عليها المسلمون . فقال عليّ : يا هؤلاء ، إنّما أخذتم هذا الأمر من الأنصار بالحجّة عليهم والقرابة (من رسول الله (الأئمة من قريش) فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الأمر (وتركوا اللجاج) وأنا أحتجّ عليكم بالذي احتجتم به على الأنصار : نحن أولى بمحمّد ﷺ حيّاً وميتاً لأنّنا أهل بيته وأقرب الخلق إليه ، فإن كنتم تخافون الله فانصفونا واعرفوا لنا في هذا الأمر ما عرفته الأنصار لكم .

قال : فقال عمر : إنّك أيّها الرجل ، لست بمتروك أو تبايع كما بايع غيرك . فقال عليّ ﷺ : إذاً لا أقبل منك ولا أبايع من أنا أحقّ بالبيعة منه . فقال له عبيدة بن الجراح (لعنه الله) : والله يا أبا الحسن ، إنّك لحقيق لهذا الأمر لفضلك وسابقتك وقربتك ، غير أنّ الناس قد بايعوا ورضوا بهذا الشيخ فارض بما رضي به المسلمون . فقال له عليّ كرم الله وجهه : يا أبا عبيدة ، (أنت أمين هذه الأمة (٢) فاتق الله في نفسك فإنّ هذا اليوم له ما بعده من الأيام وليس ينبغي لكم أن تخرجوا سلطان محمّد ﷺ من داره إلى قعر دوركم في بيوتنا نزل القرآن ونحن معدن العلم

(١) الفرقان : ٤ .

(٢) لو كان أمين هذه الأمة لما خانها بهذه المؤامرة الدنيئة ، وهذه الجملة لم يذكرها المؤلف ﷺ .

والفقه والدين والسنة والفرائض ونحن أعلم بأمر الخلق منكم، فلا تتبّعوا الهوى فيكون نصيبكم الأخس.

قال: فتكلّم بشير بن سعد الأنصاريّ، فقال: يا أبا الحسن، أما والله لو أنّ هذا الكلام سمعه الناس منك قبل البيعة لما اختلف عليك رجالان ولبايعك الناس كلّهم، غير أنّك جلست في منزلك ولم تشهد هذا الأمر فظنّ الناس أن لا حاجة لك فيه... الخ. قال: فقال عليّ: ويحك يا بشير! أوكان يجب أن أترك رسول الله ﷺ (من غير تجهيز وأخرج الأظم على سلطانه..)(١).

قال: فأقبل عليه أبو بكر فقال: يا أبا الحسن، إنّي لو علمت أنّك تنازعني في هذا الأمر ما أردته ولا طلبته وقد بايع الناس فإن بايعتني فذلك ظنيّ بك، وإن لم تباع في وقتك هذا وتحبّ أن تنتظر في أمرك لم أكرهك عليه فانصرف راشداً إذا شئت. قال: فانصرف عليّ إلى منزله فلم يبايع حتّى توفيت فاطمة ؓ حتّى بايع بعد خمس وسبعين ليلة من وفاتها، وقيل: إلى بعد ستة أشهر، والله أعلم أيّ ذلك كان. (وتقول عائشة: إنّ عليّاً بايع بعد ستة أشهر)(٢).

أما الصيغة العربيّة لهذا الكلام والتي تحتجّ بها الشيعة فقد رواها ابن الأعمش كما يلي:

قال عليّ ؓ: يا هؤلاء، أخذتم هذا الأمر من الأنصار بالحجّة عليهم بالقرابة، لأنكم زعمتم أنّ محمداً منكم فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الأمر، وأنا أحتجّ عليكم بالذي احتججتم به على الأنصار، نحن أولى بمحمّد ﷺ حيّاً وميتاً، لأنّا

(١) العبارة في الفتوح غير مفهومة وهي: أترك رسول الله من بينه إلى حضرته وأخرج أنازع الناس

بالخلافه. (ص ١٣)

(٢) الفتوح ١: ١٣ و ١٤.

أهل بيته وأقرب الخلق إليه فإن كنتم تخافون الله فانصفونا واعرفوا لنا في هذا الأمر ما عرفت لكم الأنصار^(١).

فقال عمر: أيها الرجل، لست بمتروك أو تبايع كما بايع غيرك. فقال عليّ عليه السلام: إذاً لا أقبل ما يقول عمر، فلما فرغ من عمر أقبل على أبي عبيدة وقال: وليس ينبغي لكم أن تخرجوا سلطان محمد ﷺ من داره في بيوتنا نزل الفرقان ونحن معدن العلم والفقه والسنة، ونحن أعلم بأمر الخلق منكم، فلا تتبعوا الهوى فيكون نصيبكم الخسر.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب بشير: أوكان يجب عليّ أن أترك الرسول ولم أجته في حفرته فأخرج فأنازع الناس للخلافة؟! فقال أبو بكر في هذه الحالة: يا أبا الحسن، لو علمت أنك تنازعني في هذا الأمر لما أردته وما طلبته وقد بايع الناس..^(٢).

جواب:

وهذا الحديث مبطل لما احتج به القوم علينا من أن علياً لم ينفرد عنهم وكان راضٍ بمخلافتهم وكذلك ما احتج به الفخر الرازي وغيره من أن علياً لو كان يعلم بأن الحق حقه لخرج مطالباً به. أجل، طالب عليّ بحقه بشهادة الحديث المتقدم. وما يقوله الشيعة من اغتنام القوم الفرصة بانشغال عليّ وبني هاشم بتجهيز النبي فنزوا على الحكم والسلطان يؤيده الحديث المتقدم.

ويؤيده أيضاً ما قاله الشيعة من غياب القوم عن دفن النبي، ويدفع قول عمر لعليّ: أيها الرجل لست بمتروك حتى تبايع ما زعموه من بيعة عليّ بمحض اختياره

(١) الفتح ١: ١٣.

(٢) مر هذا توأمن الفتوح.

ورغبته وهذا يدلّ على أنّه مكره على البيعة، والشيعّة يذهبون إلى أنّ الإمام عليّاً لم يبايع أبابكر أبداً.

وأما قول أبي بكر لعليّ عليه السلام: لو علمت أنّك تنازعني في هذا الأمر لما أردته، وما طلبته وقد بايع الناس فإنّه من الأعاجيب حيث تقدّم للحكم ارتجالاً وبلا رويّة، ثمّ هو يندم الآن ويطلب الإقالة.

وهذا كلّه يدلّ على صحّة قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، ولو كان الرجل يحسب للآخرة حسابها ويخاف يوم المعاد ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١) لأرجع الحقّ إلى أهله، ولم ينزع أهل بيت النبيّ فيه، وما كان ينبغي لمن يخلف النبيّ أن يعمل عملاً يؤوّل به إلى الندامة في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني

لما طرق النبيّ الوجود استدعى أسامة بن زيد وأمره على القوم وأمره بغزو بلاد الشام وكان ابوبكر وعمر لعنهما الله تحت لوائه، وسوف يأتي بيان ذلك. ولما انتقل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى قال عمر لأبي بكر: أرى أن تترك بعث أسامة لأنّ أعراب المدينة ارتدّوا وأخشى أن نحتاج إليه.

فأجابه: وكيف أفعل ذلك وقد أمر النبيّ ببعثه وعبارته كالتالي: لو علمت أنّ السباع تأكلني في هذه المدينة لأنفذت جيش أسامة كما قال النبيّ: أمضوا جيش أسامة، فقال عمر: لو خففت هذا العام عن كاهل القوم من بعض الزكاة لرجونا عودتهم إلى حضيرة الإسلام. فقال أبوبكر: والله لو منعوني عقال ناقة ممّا كان

يأخذه منهم النبي ﷺ لقاتلتهم عليه أبدأ ولو كره المشركون . فقال عمر : ارفق بهم يا خليفة رسول الله ، فإن النبي ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأمواهم إلا بحقها وحسابهم على الله . وهؤلاء الجماعة يصلّون ولا يزكّون أو يزكّون ولا يصلّون^(١) فأبى أبوبكر وقال : لأقاتلنها ، كما نصّ على ذلك ابن الأعثم في الفتوح .

الجواب :

لقد ظهر الخلاف بين الرجلين الخليفة وظهره .. مسكينة هذه الرعية فألى من منها تميل ؟ فإن مالت إلى أبي بكر وهو محقّ فإن عمر مبطل حتماً والعكس صحيح ، ولما استباح أبوبكر الحرب على عقال ناقة لا بدع أن يستبيح عليّ ﷺ الحرب من أجل ملك الشام مع معاوية (لعنه الله) وكما وجب قتال من خالف أبابكر كذلك وجب قتال من خالف عليّاً فيكون معاوية على الباطل .

وكذلك نقول عن عمر لما أمر بتعطيل جيش أسامة أنه داخل تحت مفهوم هذه الآية : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَكِّمُوكَ فَيَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(٢) ومن لم يرض بحكم النبي فإنه معلوم الحال ولا يحتاج إلى سؤال .

الفصل الثالث

وجاء في كتاب الفتوح أن أسامة بن زيد وجّه جيشه إلى خارج المدينة ولما استخلف أبوبكر قال لأسامة : امضي رحمك الله لوجهك الذي أمرك النبي ولا

(١) أخطأ المؤلف في نسبة ذلك إليهم لأن أبابكر لم يقاتلهم على ذلك ، بل قاتلهم على بيعته لأنهم أنكروها وقالوا : لا نبايع أبا فضيل .

(٢) النساء : ٦٥ .

تقصر في أمورك، وإن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب بالمقام عندي، فإني أستأنس وأستعين برأيه. قال أسامة: فقد فعلت.

الجواب:

فاعتبروا يا أولي الأبصار أن عمر بشهادة الخصم رعية لأسامة بأمر النبي فكيف يتأمر عليه؟ ولو علم النبي بأن عمر أجدر بها من أسامة لم يؤمره عليه ولم يجعله رعية له إلا لكي يرشد الأمة إلى عدم صلاحيته للخلافة.

وإذا كان أبو بكر يطلب الإذن من أسامة لعمر فلماذا لم يطلبه لنفسه، اللهم إلا أن يكون بالحكم المستثنى من الإمارة، ولكن كيف يصح للمتمرّد على حكم النبي والمنتزى على حقّ غيره الخروج من أمر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ أمر أسامة عليهم وحكم النبي وأمره باقيا على حالهما إلى يوم القيامة وكلاهما خالف حكم رسول الله حين أعرضاً عن الطاعة بعدم الخروج مع أسامة...

الباب الثاني والعشرون

في موت الخلفاء وكيفية قتلهم عليهم ما يستحقّون

(من لعائن الله - المترجم)

قال ابن الأعمش في الفتوح: واشتدّ المرض بأبي بكر... ودعا أبوبكر بدواة وبياض فكتب خلافة عمر ثمّ دفع الرقعة إلى رجل من المسلمين فقال: أخرج بهذه الرقعة إلى الناس فخبّرهم بما فيها، وأقبل طلحة بن عبيدالله حتّى دخل على أبي بكر، فقال: يا خليفة رسول الله، تستخلف على الناس عمر بن الخطّاب؟ فقال: ولم لا أستخلفه يا طلحة؟ قال: لأنّك قد رأيت الناس من صرامته وغلظته فكيف إذا مضيت أنت وصار الأمر إليه؟ ثمّ قال: وبعد فإنّك قادم على ربّك فإنّه سائلك عن رعيّتك.

فسكت أبوبكر ساعة ثمّ رفع رأسه إلى طلحة، فقال: أبا الموت تفزعني أم برّبي تحوّفني؟ (نعم إذا أقدم على ربّي وسألني عن رعيّتي أقول: يا ربّ، استخلفت عليهم خير أهللك) ودار بينهما حوار وراح أبوبكر يوصي بوصاياهم وأخيراً قال: فإذا أنا متّ فاغسلوني وكفّنوني وحنّطوني وصلّوا عليّ ثمّ اتّنوا بي إلى قبر حبيبي محمّد فاستأذنوا وقولوا: السلام عليك يا رسول الله، هذا أبوبكر بالباب فإن أذن

لكم في دفني إلى جنبه فادفوني وإن لم يأذن لكم في ذلك فأتوا بي مقابر المسلمين (وإنّا لله وإنّا إليه راجعون)^(١). وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

الجواب :

صدق الله حيث قال : ﴿وَلَكِنْ لَا تَجْبُونَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢) لما أدلى طلحة بحجّته عن عمر وإنّ الرجل لا يليق بالخلافة فكان جوابه فرض خلافة عمر على الأمّة، ولما خوّفه بالله كان جوابه : أبا الله تخوّفني ومعناه أيّ لا أخاف الله، وقال الله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٣)، وقال : ﴿إِنْ أُولِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنْقُوتُونَ﴾^(٤)، وقال : ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٥) وأمثال هذه الآيات كلّها تدلّ على أنّ العبد الصالح هو من خاف الله تعالى، ومن هنا - أي من انعدام الخوف من الله في قلوبهم - ظلموا أهل بيت النبيّ وذلك فعل لا يخفى على أحدٍ لاسيّما ظلم فاطمة وأمير المؤمنين، وينبغي أن يلابسه الخوف ولو قليلاً عند موافاته السياق.

وأما قوله : ادفنوني عند رسول الله إن أذن لي فإنّ الله سبحانه منع من ذلك في حياة النبيّ ﷺ، والعجيب من الرجل حين نسيه فضيّعته فهل أنساه ذلك طول العهد ؟ كلاً فقد خاطب الله المسلمين عن بيوت النبيّ بقوله : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾^(٦)، وقال : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾^(٧).

(١) الفتح ١ : ١٢١ - ١٢٣ بتصرّف من المؤلف.

(٢) الأعراف : ٧٩.

(٣) آل عمران : ٥٠.

(٤) الأنفال : ٣٤.

(٥) الأحزاب : ٣٧.

(٦) الأحزاب : ٥٣.

(٧) النور : ٢٧.

وما قاله من طلب الإذن فإن حصل وإلا فادفوني في مقابر المسلمين ، فلم يردنا في كتاب أو مرجع أن الإذن حاصل له ، وبناءً على هذا فإنه غصب المكان وفعل عمر فعله لأنه وصيته ، بل صنع خلاف صنعه ولم يستأذن ، لعله عرف بأن المكان المغصوب لا يحتاج إلى الاستئذان بل جراً على ارتكابها من دون طلب الإذن (وكم مثلها ارتكبتها وهي تصغر) ومنها غصب الخلافة والتأمر على أهل بيت النبي .
 أم أنه أراد أن يغصب البيت من الأولاد كما غصب فداً من فاطمة لتتم حبكة السقيفة .

وإن أراد بالإذن من عائشة فإنها قالت : ليس لرسول الله ما يرث ولا يورث .
 وإن قصد به آل الرسول فلم يحصل ذلك منهم وماتا ظالمين لهم مانعين لحقهم .
 والعجب أن يلحد أبو بكر إلى جانب النبي وهو البعيد القصي عنه ، ويدفن الحسن بمبعدة عن جدّه وهو ولده وفلذة كبده .

الفصل الأول

في قتل عمر بن الخطاب

كان للمغيرة بن شعبة غلام يدعى أبا لؤلؤة وهو مجوسي ، ولما عاد المغيرة إلى المدينة شكاه فيروز غلامه إلى عمر وقال : إنه يضطهدهني بما يحملني من الغرم الفادح في كلّ شهر مرسوم عليّ دفع مائة درهم إليه وأنا لا أطيق دفع هذا المبلغ الباهض فاشفع لي عنده لتخفيفه .

فأحضر عمر المغيرة وقال : التخفيف من الإنصاف وإن كان عن كافر فخفف عنه بشفاعتي ، ففعل ، ثم قال للمملوك : لقد خفف عنك صاحبك^(١) والآن قل لي :

(١) الظاهر من روايات المؤرخين أن عمر ردّ أبا لؤلؤة ردّاً خشناً ولم يستمع إلى شكواه ولذلك أضمر الرجل قتله .

ماذا تجيد من الصنعة ؟ فقال: إنّي أجيد عدداً منها مثل التجارة وصناعة الأرحية . فقال عمر: هل لك أن تصنع لي رَحَى في بيتي . فقال الغلام: سوف أصنع لك رَحَى تتحدّث عنها الناس في المشرق والمغرب .

فانزعج عمر من قوله هذا وقال لمن حضره: هل سمعتم ما قاله العليج ، فإنّي متى شاهدته يحدث الرعب من مرآه في نفسي ، إلى أن رقى المنبر ذات يوم وقال: رأيت في المنام ديكاً أحمر اللون ضربني بمنقاره مرّتين أو ثلاثاً فعلمت أنّ رجل من علوج فارس يقتلني بطعنة أو طعنتين . فقال الحاضرون: خيراً رأيت يا أمير .

وأما فيروز فقد صنع لنفسه خنجراً بحديّين واندسّ بين الناس ، فلمّا أُقيمت الجماعة أخرج الخنجر من محزمه وحمل على عمر فطعنه ثلاث طعنات في السرة وفوقها وتحتها ثمّ هرب فتعقبه ثلاث عشرة إنساناً فقتل منهم جماعة وأمسك به أحدهم فلمّا شعر بأنّه مقبوض عليه طعن نفسه طعنات حتّى هلك .

وأمر عمر عبدالرحمان بن عوف أن يصلّي في الناس جماعة وبقي عمر حيّاً في بيته ثلاثة أيّام وأوصى بوصاياهم وأمر صهيياً بالصلاة عليه ، واستدعى ولده عبدالله وقال له: إنّي مدين لبيت المال بمقدار من الدنانير الذهبية فاقضها عني . ثمّ قال: يا بني ، لو أنّك رأيت غداً أباك يقاد إلى النار أما تفديه ؟ فقال عبدالله: بلى بجميع ما ملكت . ثمّ قال: إن أذنت لي عائشة فادفني مع صاحبي وإلا فادفني في البقيع . فقالت عائشة: إنّي أدخرت هذا المكان لنفسي ولكن أوثر به عمر . فتوفّي يوم الأربعاء لأربع خلون من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكان عمره ثلاثاً وستين عاماً .

ولمّا طعن عمر حضر عنده طبيب مسلم فقال: أسقوه نبیذاً حلواً ، فلمّا تجرّعه خرج من جرحه فقال قوم ممّن حضره: إنّّه الدم فأحضروا له طبيباً متنصّراً فسقاه لبناً فخرج من جرحه بلون اللبن ، فاتّفق الطبيبان على هلاكه وأمره بالوصيّة .

الجواب:

فيا للعجب كيف يكون البيت لعائشة بدون حبة ولا بيّنة، وتحرم فاطمة من نخلتها في فدك مع شهادة الشهود العدول أصحاب العصمة. سلّمنا فإنّ حقّها التسع من الثمن والباقي مغتصب.

يقول ابن أعثم الكوفي: فدفن عمر إلى جنب أبي بكر فأولّهم النبي ﷺ والثاني أبوبكر ورأسه قريب من كتف النبي ﷺ، والثالث عمر ورأسه قريب من كتف أبي بكر. قال: وقد ضاق البيت لما دفن فيه عمر فصارت رجلا عمر تحت حائط البيت من موضع الأساس^(١).

فخربوا جانباً من حائط البيت، فهل أذن لهم النبي في خراب بيته والله تعالى يقول: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(٢) وكيف يأذن لهم النبي وهو ميت؟ أمّا قوله لولده عبدالله: لو أنّك رأيت غداً أباك يقاد إلى النار أما تفديه.. الخ، ويحه أما سمع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً يُبْصِرُونَ﴾ يُوَدُّ الْمُجْرِمَ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَمُ * نَزَاعَةً لِلنَّسَوَى﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿قَالِ يَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾^(٤) ونسي عبدالله أباه كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٥). وكذلك عبدالله أمّا قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ

(١) الفتح ٢: ٣٣١.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) المعارج: ١٠-١٦.

(٤) الحديد: ١٥.

(٥) الشعراء: ٨٨ و ٨٩.

مَرَّةً وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿١﴾ وحيث قال : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢).

أما ما قالوه عن النبيذ وشربه فإنه يعلم أنه خمر معروف وهذا مسلم ولكن النبيذ الحلو غير المسلم فهو لا يخلو من كونه خطأ، وهذا يصدر أحياناً في الأخبار، وأما كون القائلين به من أهل السنة والجبرية وهم شيعة الخليفة لذلك أرادوا الاعتذار منه بوصف النبيذ بالحلو.

رواية أخرى في قتل عمر

جمع شهر يار بن يزيد جرد ملك العجم ثلاثمائة وثلاثين ألفاً من قوّاته وعزم على مهاجمة المدينة والمصادمة مع عمر بن الخطاب، فلما بلغ عمر الخبر خاف منه وصعد المنبر وخطب في أصحابه وقال في آخر خطبته : إني جئت أستشيركم بأمر «شهر يار» ومحاربتة.

فقام عثمان بن عفّان من بين الجمع وقال : أنت رجل ميمون النفعية، فإذا أردت حربه فاخرج بنفسك إليه وقاتله فإنك تظفر به. فلم يرتض قوله عمر.

ثم قام آخر وقال : أيها الخليفة، أرسل إليه الجيش. فلم يقع هذا القول من نفس عمر موقعاً حسناً، وكان ينظر إلى أمير المؤمنين يلتبس رأيه، فلم يقل عليّ عليه السلام شيئاً في هذا الموقف، فنزل عمر عن المنبر وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : الرأي عندك يا أبا الحسن.

فقال عليّ عليه السلام : إن كنت تخاف على الإسلام فإني أرى أن ترسل إلى الثغور كثر

(١) الأنعام : ٩٤.

(٢) يونس : ٥٤.

الروم وفارس والأهواز وحيث تقاتل عساكر الإسلام فتستدعي من العسكر نصفه وتبقى نصفه الآخر قبالة العدو، وأقم أنت بالمدينة وأرسل الفيالق فإن الله تعالى وعد بقهر الكفر وظهور الإسلام عليه حيث قال: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُفْشِرُونَ﴾^(١) فأعجبه الرأي وعمل به فاستدعى نصفاً من فيالقه واستبقى النصف الآخر تقاتل العدو، فاجتمع عنده ثلاثون ألفاً فأمر عليهم النعمان بن مقرن وقال: فإن قتل فالأمير حذيفة، فإن قتل فأمر القوم جابر بن عبدالله.

قال علي عليه السلام: ابعت معهم عمرو بن معدي كرب وطلحة بن خويلد وليحتالوا ما وسعتهم الحيلة فإن رأيهم إلى صواب.

فلما تقابل العسكران وضع الله الرعب في قلب عسكر شهریار، فأسرع شهریار وأمر قومه بحفر الخندق من حولهم وأجرى فيه الماء خوفاً من عسكر الإسلام ثم بدأت الحرب، فاستشار النعمان عمراً وقال: ماذا نصنع ونحن قلّة والمدد يأتينا من المدينة وقد بعدت شقّتها والعدوّ ما زال يأتيه الجمع بعد الجمع وتصل إليه المؤن والذخائر باستمرار، وقد قارب زادنا النفاد. فقال عمرو: الرأي عندي أن ننادي بموت عمر ملك العرب لكي يجد العدو الجرأة على قتالنا فيخرجوا من خنادقهم لقتالنا فنكشف بين أيديهم لكن بصفوف منتظمة فإذا ما بلغتنا عساكرهم كررنا عليهم وقاتلناهم.

فلما أصبح الصباح أعملوا الحيلة مع العدو فخرج شهریار بجيشه للقائهم ولكن اختطّ الظلام فحجب بين المتقاتلين، فلما أصبح الصباح ركب النعمان فرسه وأقبل وعليه عمامة بيضاء وحام حول العسكر وأخذ يحضّ الناس على الجهاد وقال: أيّها الناس، عليكم بمحيّة العرب فإنّها تأنف من الفرّ دون الكرّ، وقاتلوا في سبيل الله

ورسوله فإنّ بيضة الإسلام بكم قائمة، وإياكم أن تولّوا الدبر لأنّكم إن فعلتم ذلك فإنّكم هالكون حتّى عن بكرة أبيكم، ولن يرجع واحد منكم إلى المدينة لأنّها نائية الشقّة فانهضوا وكرّوا بالخنيل على العدوّ بعد أن تشدّوا حزمها وسرجها، وأقيلوا في ظلّها ساعة حتّى تهب الصبا فعندئذٍ نحمل حملة واحدة وندع ما كان يفعله العرب في الحرب ولناخذ بتقاليد العجم في الحرب فإنّهم يحملون بأجمعهم على العدوّ حملة واحدة ولكن قتالكم كلّكم بالرماح فستكون لكم الغلبة عليهم، فإذا قُتِلت فاكموا خبري عن العدوّ وعموا عليه، فرضوا بقوله، وصادف أن أصيب النعمان يومها فقتل فلبس حذيفة ثيابه وأخفى عن العجم موته وخبأوه عن أعين الناس. ونادى فيهم طلحة بن خويلد: أيّها الأصحاب، هلمّوا ليكون عشائنا في الجنّة، هلمّوا إلى الرواح إلى الجنّة ليضع ثلاثون ألفاً أسنّتهم بين آذان خيولهم وليحملوا على العدوّ حملة رجل واحد، ونضربه في القلب، وكما سوّى العجم صفوفهم وأحكموا موقع القلب صاحوا صيحة قويّة منكرا ارتجف لها جيش الإسلام فهزمهم في الحملة الأولى وأسروا فيروز مرّة ثانية وكان قائد عسكر شهریار، وأسروا ابنة شهریار شاه زنان التي تشرّفت بعد ذلك بالإسلام واقرنت بالحسين، وغيّرت اسمها فكانت شهربانويه.

فقتل من السعكر جماعة وفرّ الباقيون، فبعث حذيفة ببشارة الفتح إلى عمر بن الخطّاب، وكان عمر يخرج كلّ يوم إلى المدينة يتنصّب أخبارهم، فرأى ذات يوم أعرابيّاً على راحلة فأخبر عمر عن الفتح وهو لا يعرفه، فأقبل يركض وراء الأعرابيّ فرسخاً فلما وصل المدينة نزل إليه أصحاب الدكاكين يحيّونه، فنزل الرجل من راحلته وسلّم على عمر واعتذر إلى عمر وبلّغه خبر الفتح، ولما بلغته الغنائم أراد بيع «شاه زنان» فنهاه الإمام وقال: ليس البيع على أبناء الملوك.

فائدة جليلة

في زواج الحسين عليه السلام من شهر بانويه

قال عمر: أجلسوا شاه زنان على قارعة الطريق وأعرضوا المسلمين عليها فمن رغبت فيه فزوّجوها منه ومرّ هو عليها فسألت: من هذا؟ قيل لها: هذا هو الخليفة، فأعرضت عنه وقالت: شيخ لا يليق بي. وأخذ كبار القوم وأعيانهم يعرضون أنفسهم عليها فتأباهم حتى اجتاز بها أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: من هذا؟ فقيل لها: هذا عليّ صهر رسول الله على فاطمة وابن عمّه، فقالت: هذا جدير بي ولكنّي أستحي من فاطمة يوم القيامة، فرّ الحسن من بعده، فقالت: من هذا؟ فسألت عن سائر شئونه فأعلموها ولكنها امتنعت منه وقالت: الحسن كبير الشأن ويحتاج إلى نساء كثر، فرّ بها الحسين عليه السلام فقبلته وقالت: يمكن لهذا الشاب الجميل أن يكون زوجاً لي.

فأمر عمر بإقامة مراسم الزواج في المدينة ثلاثة أيّام، وحملوا الحسين على فرس وقيل: حمل عمر غاشية الحسين على متنه وأقبل بصحبته ينحو المدينة إلى ثلاثة أيّام وفي اليوم الثالث أطلقوا على المرأة اسم «شهر بانويه» وعقدوا عليها للحسين عليه السلام وبنى عليها، وكانت في كلّ ليلة تعود عذراء كالحور العين في الجنة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان من الحسن والحسين زوجته تعود عذراء في كلّ ليلة، فإنّ الأئمة من صلبه لذلك تزوّج الحسن عليه السلام نساءً أكثيرات فلمّا لم يجد عندهنّ السرّ الموعود طلقهنّ وقال الحسين عليه السلام للحسن ذات يوم: لا تحزن يا أخي، فإنّ ما كنت أنت طالبه فإنّي وجدته، فعلم الحسن أنّ الأئمة ليسوا من صلبه^(١).

(١) عفى الله عن المؤلف حين يأتي بخبر موضوع لا أساس له من الصحة ويستخرج منه قاعدة

الفصل الثاني

ولما قسّمت الغنائم صار أبو لؤلؤة فيروز من نصيب المغيرة بن شعبة وكان صيقلاً ماهراً، وصارت له علاقة بأمر المؤمنين عليه السلام فكان يزوره بين الحين والحين، فوضع عليه المغيرة ضريبة ثقيلة إذ كان عليه أن يدفع للمغيرة دانقين من الذهب، ثمّ صيرّهما نصف دينار، فكان يدفع ذلك، ثمّ رفع الضريبة إلى أربعة دوانق فأعطاه، ثمّ خمساً فأعطاه، وان عمر يفعل ذلك وقال له: إن قطعت زيارتك لعلّي حرّرتك من الضريبة، فلم يرض أبو لؤلؤة بذلك. وأقبل يوماً على عمر وقال: أيّها الخليفة، إنّي لأعجب منك ومن عليّ أن يكون له سيف مثل ذي الفقار وإنّي لقادر على صنع ما هو خير منه لك بشرط أن لا تحجبني عنك، فقال عمر: افعّل. وقال: سأصنع السيف من معادن سبعة، وأخذ جملة من الحديد وبدأ بصنع السيف وكان يكرّ إلى عمر في كلّ يوم ويأتيه مراراً ويريه السيف الذي صنعه إلى أن تمّ صنع السيف، وكان ما تزال حرارة الضرب فيه، فأقبل على عمر بعد أن انفضّ المجلس ولم يبق فيه سواه وكان غلاف السيف من الخشب الأبيض، وقد ثقب قريباً من قائمه ثقباً وأثبت فيه مسباراً بحيث لا يستطيع أحد أن يسله إلا صاحبه الذي صنعه،

➤ معرفة الأنمة. أترى أنّ النبيّ أكل إلى الحسين معرفة الصلب الذي يخرج منه الأنمة بهذه اللعبة؟! حاشاه. أليس قد أخبرنا بأسمائهم واحداً واحداً السابق واللاحق، وعندنا مئات الأحاديث حول ذلك وقد أشارت إلى أنّ الأنمة من صلب الحسين فكيف رضي المؤلف بهذا السخف الذي لا يستحقّ الحبر الذي كتب فيه ورجل فاضل مثله يتورّع عن ذكر أخبار مضحكة كهذه الأخبار. ألا يعلم أنّ زواج الحسين من شهربانويه ردّه جلّ العلماء وقالوا قضية مكذوبة لا أصل لها إنّما وضعتها الشعوبية لترمي إلى غرض في نفوسهم، وهو الوراثة التي كانت عند ملوك الفرس ليجعلوا الإمامة بالتوارث أخذاً من الفرس مع أسرته المالكة.

فلما أعطاه عمر أراد أن يجردّه من الغمد فعسر عليه ذلك، فقال أبو لؤلؤة: ناولنيه، فلما تسلّمه أزال عنه المسمار ونظر يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً معها فعند ذلك حمل على عمر وأغمد السيف في بطنه وتركه عليها وهرب.

قيل: أقبل ركضاً إلى بيت عليّ عليه السلام وكان عليّ جالساً على باب داره، فقام من مكانه وقعد في مكان آخر، فلما أقبل الناس يطلبون القاتل أقسم عليّ عليه السلام أنه منذ أن جلس في هذا المكان لم يشاهد أحداً، وحمل الإمام أبو لؤلؤة على دلدل وقال له: أينما وقفت دلدل فقف هناك، ونفس الليلة استدعى امرأة وبعث معها رسالة إلى أهل قم وفيها: إذا بلغت قم فانكحوها منه، ولما حال الحول وجاءوا يطلبونه إلى قم وجدوه قد تزوّج المرأة وأولدها ولداً، فعلموا أنّ هذه من معاجز عليّ عليه السلام.

وهذه الرواية لا صحّة لها، وإنّما بقي أبو لؤلؤة في المدينة ونهى عمر عن قتله وقال: لا يكون العبد ثاراً لي، وأمر بإطلاق سراحه.

وجوهر القول أنّ عمر بقي جريحاً ثلاثة أيّام وهلك في اليوم الرابعة، وكان المغيرة يحضره كلّ ليلة وتأخّر عنه ليلتين، فسأله عمر عن سبب ذلك، فقال: وقع الناس في فتنة من يخلفك، فقال عمر: يا مغيرة، الناس يقولون ماذا؟ فقال: منهم من يراها لعليّ، ومنهم لعثمان، وآخرون يرون طلحة أهلاً لها، وقوم تعلّقوا بسعد وعبدالرحمان بن عوف.

فقال عمر: ماذا يقال في عليّ؟ إلّا أنّ هذا الأمر لا يتمّ به لحداثة سنّه ولعداوة قريش له وهو أيضاً شديد التمسك برأيه، وأراها تتمّ بعثمان لأنّه رأس بني أميّة، أمّا الزبير فرجل جبّار ومن كان مثله لا يليق لإمامة الناس، وطلحة ساقط الهمة لا شأن له، وسعد بن أبي وقاص زئير نساء، وعبدالرحمان مليح الظاهر.

ثمّ أمر بإحضار رجل وأمره على مائة رجل وقال: إنّي أجعل الخلافة شورى بين سنّة، فأحضرهم في المسجد؛ فن بايعه عبدالرحمان فعلى الباقيين مبايعته وإن

لم يفعلوا فاضرب أعناقهم، وكان يعلم أن هوى عبدالرحمان ليس مع عليّ لما بينها من العداوة السالفة.

فلما حضروا في المسجد قال عبدالرحمان لعليّ عليه السلام: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيره عمر بن الخطاب. فقال: بل على كتاب الله وسنة رسوله، ولا أرضى بسيرة عمر لأنه أحدث أموراً لا بدّ من تغييرها، فأعاد القول عليه ثانية فأجابه عليّ بما أجاب به أولاً، إلى ثلاث مرّات، ثمّ أمسك يد عثمان وبايعه..^(١) على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة عمر، وكان هوى عبدالرحمان مع عثمان لأنه صهره على أخته أمّ كلثوم من أمّه، وبايع طلحة والزبير ونهض عليّ بعد أن مسح بيده على أيديهم وخرج من بينهم.

وقال عبدالله بن عباس^(٢): لم دخلت الشورى معهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلك لأظهر كذب عمر لأنه قال: سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث، والإمامة والنبوة لا تجتمع في بيت واحد، فإن كنت لا أستحقّها فلم دعاني معهم، ولا يظهر باطله إلّا بهذا.

وليثبت للملأ كذبه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت مدّة خلافته عشر سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيّام، وقيل: كان عمره ثلاثاً وستين سنة^(٣).

(١) لعن الله عبدالرحمان بن عوف فإنه كان يطمع بها من بعد عثمان لعنه الله، والآن دعني أن أسأل أصحاب الضمان الحرة لو أنّ عبدالرحمان بن عوف لعنه الله قال لعثمان لعنه الله عليه: أبايعك على التلمود وسيرة إبليس أكان عثمان يقول لا؟ كلا والله من هنا يعلم أنّهم تمالأوا على أهل البيت وأوقعوا الأمة في هذا الشقاق الدائم من أجل نزوة في نفوسهم حرّمهم الله منها وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيراً.

(٢) ذكر المؤرخون أنّ القول لأبيه العباس.

(٣) قالوا ذلك ليوافق عمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومثله قالوا عن سنّ أبي بكر، وقد ثبت زيف ذلك عند المؤرخين كافة.

الفصل الثالث

في خلافة عثمان

ولما نال الخلافة أرسل وراء مروان بن الحكم فأقدمه من منفاه وأسند إليه وزارته وكان طريد رسول الله ﷺ، لأنَّ اللعين هجا رسول الله ﷺ فقال النبي: لا أُحِبُّ أن أرى مروان فطرده من المدينة إلى مكان يبعد عنها بعشرين فرسخاً^(١)، فلما استخلف أبوبكر أبعد عشرين فرسخاً أخرى، فلما استخلف عثمان رده وآواه وأعطاه الوزارة حتى قيل عنه: آوى طريد رسول الله وطرده أبادر حبيب رسول الله ﷺ.

(١) بل طرده رسول الله وأباه لحادثة أخرى معلومة.

الباب الثالث والعشرون

في ذكر طرد عثمان (لعنه الله) أباذر الغفاري رحمة الله عليه

قال الإمام الصادق عليه السلام: كان سبب نفي عثمان أباذر أنه حضر عنده فرأى بين يديه مائة ألف درهم، فسأله: ما هذا المال يا عثمان؟ فقال: لبيت مال المسلمين وأريد أن أضيف إليه عدداً آخر ثم أضعه حيث أختار، وكان قد جمع حوله بني أمية. فقال أبوذر: أما تذكر يا عثمان حين دخلنا أنا وأنت على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدناه كثيباً مغموماً ودخلنا عليه في اليوم الثاني فوجدناه مستبشراً مسروراً، فقلت له: روحي فداك يا رسول الله، فيم غمك أمس وسرورك اليوم؟ فقال صلى الله عليه وآله: قسمت بيت المال فبقيت فيه بقية لم أقسمها وهي أربعة آلاف دينار فكان غمي لها أن أكون ملوماً عند الله واليوم قسمتها ففرحت من أجل ذلك، ومائة ألف درهم أكثر من أربعة آلاف دينار.

وكان كعب الأحبار عند عثمان فأقبل عليه عثمان وقال: يا كعب، هل ترى من خرج على المرء إذا أعطى ما وجب عليه أن يستبقي الفاضل من المال؟ فقال كعب: كلا إذا أدى ما وجب عليه فله أن يصوغ الباقي أجراً من ذهب وفضة. فقال أبوذر: أيها اليهودي، ما أنت وهذا الأمر، إنما أنت يهودي، فكيف تفقي في

الإسلام، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَذَبَكَ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَخِزُّونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَعُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَخِزُونَ﴾^(١) ورفع عصاه وأهوى بها على رأس كعب.

فقال عثمان: لو لم تكن صاحب رسول الله وأنت شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فقال أبوزر: كذبت يا عثمان ليس ذلك إليك فَإِنَّ النَّبِيَّ أَخْبَرَنِي بِأَنَّكُمْ غَيْرَ قَاتِلِي وَلَكِنَّكُمْ مَخْرَجِي مِنَ الْبِلَادِ وَإِذَا بَلَغَ آلُ الْعَاصِ ثَلَاثِينَ اتَّخَذُوا دِينَ اللَّهِ دَغْلًا وَفَسَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ بِرَأْيِهِمْ.

قيل: فكذب من حضر من الصحابة أباذر من أجل عثمان، فقال عثمان لعنه الله: أحضروا لي علياً، فلما حضر عنده، قال له عثمان: أسمعت يا عليّ هذا الحديث من النبيّ فقد أجمع الصحابة على عدم سماعه منه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: مَا أَظَلَّتْ الْخُضْرَاءُ وَمَا أَقَلَّتْ الْغُبَرَاءُ عَلَى أَحَدٍ أَصْدَقَ لَهْجَةٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ...^(٢) وأبوزر لا يكذب أبداً.

فصدّق الحاضرون أمير المؤمنين فقالوا سمعناه من رسول الله ﷺ، عند ذلك بكى أبوزر وقال: الحمد لله ما كنت كاذباً.

فقال عثمان: أقسمت عليك بحق رسول الله أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: الحرمان فقد عبدت الله فيها وأخبرني النبيّ بإبعادي إلى الربرة وقال: تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث أمة وحدك وتحشر وحدك وتدخل الجنة وحدك، ويحضرك جماعة

(١) التوبة: ٣٤-٣٥.

(٢) الكليني الكافي: ٢٧، مسند أحمد ٢: ١٧٥ و٢٢٣، سنن ابن ماجه ١: ٥٥، المستدرک ٣: ١٦١، ٣٤٤، ٣٤٤، الفائق للزمخشري ١: ٣٢٨، كنز العمال ١٣: ٣١١ رقم ٣٦٨٨٧، فتح الملك العلي:

من أهل العراق عند موتك فيجهز ونك ويدفنونك، أخبرني بذلك في غزوة تبوك .
فأمر عثمان جلاوزته بترحيله إلى الربذة وهي مكان في البادية موحش تقع بين
الشام وبلاد الروم (كذا) فلم يخرج لتشيعه إلا الإمام أمير المؤمنين والحسنان عليهما السلام
وبقي أبوذر في الربذة زماناً قصيراً ثم مرض ، فقال له بعضهم : ماذا تشتهي ؟ فقال :
رحمة ربّي ، قالوا : ممّن تشكو ؟ قال : مرض ذنوبي ، فقال : أنجيئك بطبيب ؟ قال :
الطبيب أمرضني ^(١) ، فبكت ابنته وهي عند رأسه ، فقالت : ابتاه من لي في هذا القفر
الموحش ؟ فقال أبوذر : بنيت ، إذا أنا متُّ فضعي البساط على وجهي وقني على
قارعة الطريق إلى العراق ، فسوف يصل إليك تجار فأخبرهم بحالي فأتهم يلون
أمرّي ، فامتثلت الفتاة أمر أبيها وإذا بتجار قد أقبلوا عليها فقامت في وجوههم :
أيها الناس ، أبوذر صاحب رسول الله فارق الحياة فأعينوا على تجهيزه .
فلما سمع القوم اسم أبي ذر ترجلوا بجمعهم عن دوابهم وشرعوا في البكاء وكان
أحدهم جاء معه بأربعة آلاف حلّة فانتزع إحداها وكفّنه بها ثم شيعوه إلى قبره
ودفنوه بخير تجلّة . أنظر إلى صنع خليفة رسول الله ، بخ بخ لهذا الخليفة ، وبخ بخ لهذا
الصلاح .

فصل

في قتل عثمان بن عفان

اعلم بأنّ عثمان حين استتبت له الأمرة أرسل عمّاه إلى الولايات والأقاليم في
بلاد العرب والعجم فبعث إلى مصر عاملاً من أقرب قرباء مروان لم يدخل الإيمان
جوفه وكان مدمناً ، كثير الزنا والفجور ، لا يكاد يفارق الثمل ، واسمه عبدالله ، فسكر

(١) تنسب هذه لغیره وقيل هذا الحوار جرى بين ابن مسعود وعائده .

ذات ليلة إلى الصباح فصلّى بهم الصبح أربع ركعات وقرأ مكان الفاتحة :

عشق القلب الربا بعد ما شابت وشابا

ثمّ سلّم والتفت إلى المصلّين وقال: هل أزيدكم^(١) أنا سكران فإن شئتم صليّتها ثمانية، فاجتمع الناس، قيل: ثلاثة وعشرون إنساناً، وقيل: ثمانون ألف رجلاً، وقصدوا المدينة فلما وصلوا إلى المدينة كان عثمان على المنبر فصاحوا بعثان: اعتزل امرنا أو اعتدل وغير عمّالنا. فقال: لا أنزع قيصاً ألبسنيه الله^(٢)، وتشاجر القوم معه وأخيراً قبلوا بتأمر محمد على مصر، وكتب عثمان معه كتاباً بتأمره، وكتب كتاباً آخر سرّاً، وفيه: إذا جاءكم محمد بن أبي بكر فاقتلوه.

وقال أمير المؤمنين لمحمد: كن من القوم على حذر واحتط لنفسك فإنك لا تصل مصر، لأنهم يضمرون قتلك.

وعاد محمد إلى مصر وفي الطريق شاهدوا راكباً مسرعاً، فأحضره محمد وطالبه بالكتاب، فأنكره، فقال له محمد: أخبرني به من لا يكذب، وفئتوه فوجد الكتاب معه وقد وضعه في شنّ بالية، ولما قرأوه عادوا بأجمعهم إلى المدينة فوجدوا عثمان على المنبر، فقرأوا الكتاب على الناس وهو يستمع، فاعتذر عثمان بمروان وقال: هو صاحبها، فقال الناس: ادفع إلينا مروان، فقال عثمان: لا أفعل، فصاحوا

(١) ما قصّه المؤلّف علينا يخالف ما رواه الرواة والمؤرّخون فهذا الذي سمّاه عبدالله ونسبه إلى رحم مروان وولّاه على مصر إنّما هو الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة وأخوه من أمّه وكان معاقراً ومدمناً للشراب ومولعاً بالزنا، ومشهوراً بذلك، فشرب الخمر ليلة ودخل المسجد ليؤمّ الناس لصلاة الصبح، فصلّى بهم أربعاً ثمّ التفت إلى المأمومين فقال: هل أزيدكم؟ حتّى أنّه كان في الصلاة الكذائيّة فأنشد أبياتاً عشقيّة.. الخ. (أضواء على الصحيحين للنجمي: ٢٩٨ عن أحمد ابن حنبل، وشرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣)

(٢) لست أدري كيف ألبس الله هذا الكلب القميص؟ ومتى ألبسه إياه؟ وهل ألبسه القميص ليبيدي سواته لعنه الله؟

به، فزل مسرعاً عن المنبر واختبأ في بيته، فحاصروه ثلاثة أيّام ومنعوا عليه الماء^(١)، وفي اليوم الثالث دخل عليه محمّد وضربه ضربات جارحة وهجم عليه المهاجرون والأنصار مجتمعين واستباحوا دمه وقتلوه، وتركوه ملقًى في بيته ثلاثة أيّام لم يأذنوا بدفنه.

وقيل: ربطوا في رجله حبلاً وسحبوه في الأسواق^(٢) فنع أمير المؤمنين من ذلك وقال: هذا لا يليق بنا فإن أهل الكتاب يعيبننا ويقولون: انظروا إلى ما يصنعه المسلمون بإمامهم ولكنهم لا يعرفون عن ظلمه شيئاً وكيف كانت سيرته، ودفن في مقابر اليهود بالقرب ممّن يدعى كوكب (كذا)، فلمّا استخلف معاوية لعنه الله ألحق المكان في مقابر المسلمين ومن هذه الجهة قال بعض الصحابة: قتلناه كافراً.

والعجب من مقاييس القوم فإنهم يجعلون إجماع أهل السقيفة حقّاً وإجماع يوم الدار على قتل عثمان باطلاً، والحقّ طرح الاثنين واعتقاد الحقّ مع عليّ عليه السلام فنقول: الحقّ مع عليّ عليه السلام في الحالين.

وقيل: لما رجع محمّد وجد عثمان على المنبر فقال: ما قولك فيمن يدّعي الإسلام وإمامة المسلمين ثمّ يأمر بقتل أخيه المسلم من غير ذنب؟ فقال عثمان: يجب قتله إن صحّ الذي تقوله، فأخرج حينئذٍ محمّد كتابه وقرأه على المهاجرين والأنصار، فصاحوا بعثمان وحملوا عليه فقتلوه وقالوا: لا يُدفن في مقابر المسلمين.

(١) تحدّثنا عن هذه المزعمة فيما سبق وقلنا المدينة لا تشرب من نهر تقوم على ضفافه وإنّما تشرب من الآبار وما من بيت إلّا وله بئر يستعذبها لشربه وبئر أخرى لحاجاته الأخرى، وعثمان في بيته آبار لا بئر واحدة فكيف مات عطشاً، وإذا صحّ ذلك فإنّ الله قتله عطشاً حين سلّط النار على جوفه.

(٢) هذا القول لم أعثر عليه عند أحد وقد تظلموا لعثمان كثيراً فلم يذكروا في ظلامته سحبه في الأسواق ولا ندري شيئاً عن مصادر المؤلّف.

وكان الإمام في ذلك اليوم قد اجتنب الفتنة وخرج خارج المدينة، فلما قتل عثمان تجمهروا في المسجد وقالوا: أنتم تعلمون بما جناه عثمان على الأمة ونرى الصلاح في مبايعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنه أهل لها وهو صالح وعالم وعابد، وكان الحقّ حقّه، فقال عمر وأبو الهيثم بن التيهان ورفاعة بن نافع ومالك بن العجلان وأبو أيوب وخالد بأجمعهم: الرأي ما رأيتم ونحن معكم فأخرجوا بنا إلى بيت عليّ عليه السلام، فاجتمعوا على بابه فضجر من هذا الوضع أمير المؤمنين لأنه على علم بعذر طلحة والزبير، فقال له الناس: إن لم تقبل البيعة ألحقناك بعثمان، وأول من بايعه طلحة والزبير (لعنهما الله) وكان طلحة يعاديه إلى آخر حدّ، فالتفت عليّ إليهما وقال: دعوني والتمسوا غيري، وقال أيضاً: لا أرضى ببيعتهم لأنّي غير آمن من شرّكم وبايعه القوم طائعين غير مكرهين.

وكان طلحة خازن بيت المال وصاحب البهيم والصدقات والزكاة أيام عثمان ^(١) ولما قتل عثمان أرسل المفاتيح إلى عائشة ولجأ إليها. وبايع أهل المدينة جميعاً - قلباً ولساناً - أمير المؤمنين وكان اجتماعهم على البيعة لا نظير له حتّى كاد القوم أن يهلكوا، فقال أمير المؤمنين: أرى من الصلاح أن نذهب إلى المسجد ليعلم الناس كلّهم بالبيعة ويرغبوا بها.

الفصل الثاني

في ذكر بعض أحوال أمير المؤمنين عليه السلام

ولما تمّت البيعة لعليّ عليه السلام خطب الناس خطبة بليغة وأمر الناس بطاعة الله

(١) لم يسند إلى طلحة هذا المنصب أيام عثمان والمؤلف يقول من غير علم ويخالف إجماع المؤرخين ولا يرشد إلى المصدر.

ورسوله وطاعته، وقال: إنكم لتعلمون أنّ الحقّ حقّ، وأنّه غضب منّي بالظلم والجور، ثمّ نزل عن المنبر وأوّل خطوة خطاها عزل ولاية عثمان وترك أبا موسى الأشعري لأنّ مالكا تشفع فيه ثمّ ولّى قثم بن العباس على مكّة وولّى (عبدالله) عبيدالله بن العباس اليمن، وولّى عثمان بن حنيف على خراج البصرة والحارث بن قدامة على إمارة صلاتها.

ويقال: إنّه ولّى عبدالله بن العباس على الشام فامتنع وقال: لا أقدر على ذلك، لأنّ فيها معاوية وهو ابن عمّ عثمان وأدنى غدره أن يحبسني، فشاوره أمير المؤمنين في الشام وأهله، فقال: اكتب كتاب تولية معاوية على الشام ليعلم بذلك أهل الشام ثمّ ابعثني إليه أعزله. واستدعى المغيرة وشاوره في أمر الشام، فقال المغيرة: الرأي أن تترك الشام لمعاوية وتولّي طلحه والزبير على البصرة والكوفة، وكان عبدالله بن عباس لا يرى رأي المغيرة وقال: يا أمير المؤمنين، البصرة والكوفة هما السواد الأعظم، وطلحة والزبير عدوّك فليس بعيداً أن يجمعوا الرجال ويخرجوا عليك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الرأي ما رأيت، فاستاء المغيرة من ذلك وقال: لا أشاركك الرأي بعد اليوم ولو كان بمقدار نفس واحد أي لا أشير عليك ما دمت حيّاً.

وعمد عبدالله بن عباس فكتب كتاب التولية إلى معاوية سرّاً فلمّا علم به أمير المؤمنين لاهمه فقال: إن ردّ الكتاب فإنما يردّ كتابي، وإن قبله فإنّ النفع صائر إليك، فكتب أمير المؤمنين كتاباً إليه وقال: بايعني المهاجرون والأنصار وعليك أن تقدم بأهل الشام عليّ للبيعة وولاية الشام لك^(١).

(١) هذا القول لم يقله أمير المؤمنين وما كان لبولّي معاوية الشام وهو يعرفه حقّ المعرفة فإنّه يكون حينئذٍ شريكه في جنائياته التي لا حصر له، وقال أمير المؤمنين لمن أشار عليه بإبقاء معاوية كلمة واحدة «وما كنت متخذ المضلّين عضداً» وهذا هو الموافق لعصمة أمير المؤمنين وإمامته، أمّا

ولما قرأ معاوية كتاب أمير المؤمنين أنكره وقال: لا ولاية لعلّي عليّ، وقال قوم: رضي معاوية بتفويض أمر الشام إليه كما جرت عادة الخلفاء من قبله ولكن الإمام عليه السلام لم يرض بذلك وشفع له عبدالله بن عباس أن يترك الإمام ولاية الشام له ثم يعمل بعد ذلك بما شاء، فقال أمير المؤمنين: ما عذري إلى الله غداً يوم القيامة وما جوابي لرسول الله ﷺ حين أترك على المسلمين والياً مثل معاوية بن أبي سفيان. وأنا - المؤلف - آخذ بهذا القول وأعتمد عليه لأنّه الجدير بالعصمة والتقوى، وأما القول الأوّل فهو المكر والدهاء، وهذه السياسة لا تلائم مقام العصمة، وإن كانت إلى الساسة أقرب، ولما بلغ الإمام عليه السلام إباء معاوية عن بيعته جمع أهل المدينة وحرّضهم على حرب معاوية.

الفصل الثالث

في قتل (شهادة) عليّ أمير المؤمنين عليه السلام

جاء في الروايات أنّه بعد إبرام الصلح بين عليّ عليه السلام ومعاوية (لعنه الله) اجتمع جماعة من الخوارج في بيت الله الحرام وراحوا يتذكّرون قتلاهم في النهروان ويترحمون عليهم ويذكرون مناقبهم ويصلّون عليهم، فقام ابن ملجم من بينهم وقال: أنا أكفيكم عليّاً، وقال عبدالله بن سليمان: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو ابن بكر التميمي - التيمي - اعهدوا إليّ بقتل ابن العاص، واتعدوا مع بعضهم البعض وجعلوا الموعد ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وصلّوا على عثمان والزبير،

❦ إطلاق الشام لمعاوية فهو كذب وافتراء ولا ندري من أين أخذ المؤلف لأنّه لا يذكر المصدر إلّا نادراً.

وقال: سننتقم لدماء هؤلاء^(١).

وحدث لعمر بن العاص ليلة الموعد عارض من علة فاستناب مكانه للصلاة
عبدالله بن خارجة التميمي فقتله عبدالله بن سليمى خطأ كما قيل.

وضرب عمر بن بكر التيمي كتف معاوية - ضربه على عجزه - فلم يعمل
السيف فيه فأرادوا قتل عمرو فقال: يا معاوية أطلقني فإن لك عندي بشارة، فقال
معاوية: ما هي؟ قال: سيأتيك غداً نبأ قتل عبدالرحمان بن ملجم علياً، فقال
معاوية: إن صدقت فإنني مُطلقك وأمر بحبسه، فلما بلغه قتل عليّ أطلق سراحه.

وأما حكاية عبدالرحمان بن ملجم لعنه الله فإنه ذهب إلى الكوفة وخبأ نفسه
فيها وكنى سرّه، وصادف أن جاءت قطام اللعينة إلى البيت الذي فيه عبدالرحمان
ملجم، فلما رآها هويها فخطبها إلى نفسها، فقالت له: إن مهري ثقیل. فقال
عبدالرحمان: وكم عساه يكون؟ فقالت: ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل
عليّ. فقال: ما أسهل المال ولكن ما أصعب قتل عليّ. فقالت: اطلبه حتى تصيب
غرّته فإن قتلته لذكّ لك العيش معي، وإذا قُتلت فلا تعدم ثواب الآخرة. فطلبت له
شبيب وهو من الخوارج ليعينه، وأفضى هؤلاء اللعناء بالسرّ إلى الأشعث بن قيس
وكانت قطام قد اعتكفت في مسجد الكوفة وقد توشّحت بالسواد وكان الإمام
قد قتل أباه وأخاه في النهروان فحقدت على الإمام جرّاء ذلك حقداً شديداً.
وكان حجر مقبياً في المسجد تلك الليلة يصليّ، فارتاب بهم، فخرج مسرعاً
ليخبر أمير المؤمنين، فاختلف معه في الطريق.

(١) أما رأي الخوارج في عثمان فهو على النقيض ممّا ذكره المؤلّف وإنهم ليلعنونه لعناً كثيراً
لاعتقادهم بأنّه أول من أبدع في الإسلام وألحد في الدين ورأيهم في أهل الجمل لا يختلف عن
رأيهم في نعل.

قالت أم كلثوم: إرق أبي تلك الليلة فلم يغمض له جفن، وقضى ليلته مصلياً ويخرج بين فترة وفترة ويقول: ما كذبت ولا كُذِّبت. قالت أم كلثوم: فقلت له: ما الذي جرى لك يا أبتاه لم تتم الليلة؟ فقال: غداً تعلمين ما الذي يجري على أبيك. وكان في رمضان الذي قتل فيه أعرض عن الأكل واقتصصر على ثلاث لقبات، فقيل له: يا أمير المؤمنين، مالك لا تأكل؟ فقال: أشتهي أن ألقى الله ورسوله وأنا خميص البطن، وكان إذا بلغ الألم به أشده من رعيته يقبض على لحيته الكريمة: متى ينبعث أشقاها فيخضب هذه من دم رأسي.

قال أبو صالح: سمعت علياً يقول: رأيت النبي في النوم وشكوت له أمته، فقال لي: لا تحزن فإنك عن قريب تلقيني وتنجو من غدرهم، فما مرّ على تلك الرؤيا ليلتان حتى خضبه ابن ملجم لعنه الله بسيفه.

ولما سمع الأذان أمير المؤمنين عزم على الخروج إلى المسجد، فقالت له أم كلثوم: أرى أن ترسل إلى جعدة بن هيرة للصلاة وتقيم أنت في البيت، فقال: حسناً رأيت ولكن استثنى من ذلك وقال: لا مهرّب من الموت.

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا يترك

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

قيل: لما جاء ابن ملجم للبيعة، أخذ الإمام البيعة منه سبع مرّات، فقال الإمام الحسن: لم تفعل بأحدٍ من الناس ما فعلته بهذا؟! فقال: لو بايع مائة مرّة فإنّه لا يترك فعلته.

وكان هذا اللعين يماشي الإمام عليه السلام فوقفت دابّته، فأمر الإمام بإبداها بأحسن منها، ولما اعتلى ابن ملجم صهوتها وأدبر، قال أمير المؤمنين:

أريد حبابه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

كان عمر بن الخطّاب يروي رواية ويقول: إذا شككت بمولد طفل هل هو

لسفاح أو لنكاح فقد قال رسول الله ﷺ: ضَعَهُ أُمَامَ عَلِيٍّ فَإِذَا تَبَسَّمَ وَضَحَكَ فَهُوَ ابْنُ حَلَالٍ، وَإِنْ بَكَى فَهُوَ لَغَيْرِ رَشَدِهِ.

قال رسول الله ﷺ: قال لي إبليس: قل لعليّ يرد لي حقّي، فقال أمير المؤمنين: وما حقّ هذا اللعين - يا رسول الله - عليّ؟ فقال رسول الله ﷺ: إِنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ عَدُوٍّ لِعَلِيٍّ إِلَّا وَأَشْرَكَتْ أَبَاهُ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾^(١) والحقيقة أنّ عدوّ أهل بيت النبي لا يمكن أن يكون إلّا لغير رشدة.

ولمّا خرج أمير المؤمنين خرج وهو يردّد «اشدد حيازيمك للموت» ولمّا توسّط صحن الدار صَحْنٍ إَوْزٍ أَهْدَيْنَ لِلْحَسَنِ فِي وَجْهِهِ فزجرتهم أُمُ كَلْثُومٍ، فقال أمير المؤمنين: دَعِيهِنَّ يَا بُنَيَّةُ، فَإِنَّهِنَّ يَبْخُنَّ عَلِيًّا.

وجوهر القول أنّ الإمام لمّا بلغ المسجد كان النغل الزنيم راقداً فيه يرقب غرّة الإمام، فأخذه النوم فأقبل الإمام ونادى برفيع صوته «الصلاة أَيْتَهَا الْجَمَاعَةُ» فنهض شبيب حين دخل الإمام محرابه وشرع في الصلاة فضربه شبيب ضربة خفيفة لم تؤثر فيه ولاذ بالفرار، وكان الإمام إذا دخل في الصلاة انقطع عن العالم، حتّى جائه عبدالرحمان بن ملجم عليه اللعنة وضربه ضربة شديدة فخفّف في الصلاة وقد جرى الدم على لحيته الشريفة فكان يأخذ الدم ويمسح به الجدار، يقال: إِنَّ هَذَا الدَّمُ مَا يَزَالُ ظَاهِرًا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ.

ثمّ هرب ذلك اللعين ودخل شبيب بيته وأخذ يحمل الحرير عن صدره وكان له ابن عمّ مسلم، فقال له: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، كَأَنَّكَ قَتَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ لَا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَضْرِبْهُ ابْنُ عَمِّهِ بِالسَّيْفِ حَتَّى أَلْحَقَهُ بِجَهَنَّمَ.

وهرب عبدالرحمان فارتفع النداء في الكوفة بأنّ عبدالرحمان قتل عليّاً عليه السلام،

وجاء حَمَامِيّ وبِيده بساط فلَمَّا رأى ابن ملجم يَعدو هارباً ألقى البساط على عنقه وأخذ يَجرّه حتّى قدّم به على الحسين فأوقدوا مشعلًا وحملوا الإمام إلى بيته وأمر جعدة ابن أخت الإمام أن يصلي بالناس فجاءوا الإمام بشراب من اللبن، فقال: احمّلوا لابن ملجم مثله لأنّه خائف.

فصاح الناس به: أيّها اللعين، لم قتلت الإمام؟ فقال: ما أنا الذي قتلته، وجاءوا بجراح لسبر جرح أمير المؤمنين ﷺ، فلَمَّا أرسل المسبار في جرح الإمام ﷺ وأخرجه قال: يا أمير المؤمنين، أوص وصيّتك فإنّ سيف الملعون نفذ إلى الدماغ، لأنّه قال: اشتريت سيفي بألف، وسمّته بألف، ثمّ أوصى الإمام وصيّة للحسن ﷺ وهي الوصيّة التي أوصاه بها رسول الله ﷺ، وقال: يا حسن، أنت وصيّى، والحسين من بعدك وصيّك، ومن بعده ولده عليّ بن الحسين زين العابدين، وأخيراً قال: إن سلمت من ضربة ابن ملجم فأنا أولى بدمي؛ إن شئت اقتصصت وإن شئت عفوت، وإذا أنا متُّ فاضربوه ضربه بضربه، فإذا قتلتموه فأحرقوا جثّته كقاتلي الأنبياء فإنّ جثّتهم تحرق بعد قتلهم، ثمّ توفّي الإمام بعد ذلك، فعمل الحسن بوصيّة أبيه وضربه ضربة واحدة واستوهبت أمّ الهيثم وهي امرأه مؤمنة جثّته من الإمام الحسن ﷺ وأحرقتها.

وتوفّي أمير المؤمنين في الواحد والعشرين من شهر رمضان وأوصى: إذا غسلتموني فكفّنوني واحملوني إلى الغري، فسيرتفع المقدّم فارفعوا المؤخّر، وحيثما وضع المقدّم فضعوا المؤخّر، وادفنوني هناك، فلَمَّا توفّاه الله إليه قام الإمام الحسن ﷺ بتجهيزه فغسله وكفّنه وتقدّم للصلاة عليه وصلى ورأته مواليه، ولَمَّا حملوا جنازته سمعوا للملائكة دويّاكدويّ النحل، وحملوا النعش إلى الغري، ودفن هناك حيث قبره الآن في النجف.

ولَمَّا بلغوا الموضع لاحت لهم صخرة بيضاء تدلّ على القبر فاشتغلوا بحفره، فلَمَّا حفروا قدر ذراعين ظهر لهم قبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة وكتب عليها:

هذا القبر من نوح لأخيه علي^(١) بن أبي طالب وصي محمد، فدفنوه فيه وضيعوا القبر بأمر الإمام حيث أوصاهم بإخفاء القبر لعلهم أن الحكم يؤول إلى بني أمية وآل مروان وإذا علموا به فإنهم يحفرونه.

ولما رجع المؤمنون من دفنه وشاهدوا معجزة القبر الذي حفره نوح قبل آلاف السنين له، بقي من لم ير ذلك في شوق زائد إليه، حتى إذا ظهر القبر للعيان رغب مواليه في زيارته ورؤية هذه المعجزة فزاروا وشاهدوها.

وقال جماعة ذهبوا لزيارته وتحروا رؤية القبر فلم يقفوا على أثر له لأن الله تعالى أخفاه وبقي مستوراً حتى أيام هارون الرشيد، وذات يوم خرج الرشيد يصطاد فرأى قطيعاً من الضباء تجثم على ذكوة بيضاء فلما بصرت بهم تفرقت يميناً وشمالاً فأرسلوا عليهن كلاب الصيد فإذا بلغن موضع الذكوة تراجعن إلى الوراء. فتحير هارون في أمرهن فبنى أطنا به هناك وأرسل إلى الكوفة وراء شيخ طاعن في السن وسأله عن جلية الحال، فقال: إني سمعت أسلافي يقولون: ها هنا قبر علي بن أبي طالب. فأقام هارون ثلاثة أيام هناك، وشرع في الصلاة والتضرع والزيارة، ومن طلب حاجة من الله هناك فإنها تُقضى له.

وقيل: إن الإمام الصادق عليه السلام في المدينة فاستدعاه^(٢) وأمره بتعيين قبر أمير المؤمنين إلى أن أقام عليه هارون قبّة فأصبح اليوم قبلة ذوي الحاجات. قيل: لما رجع الحسنان من دفن أبيهما سمعا أنيناً عالياً فقصدوا مقصدها، فرأيا شيخاً أعمى عاجزاً، فقالا له: مم أنينك يا شيخ؟ قال: أنا شيخ أعمى كبير عاجز وكان رجل يأتيني ويتعاهدني بالرعاية، فيحمل لي طعامي ومائي، وهذه ثلاثة أيام افتقدته فيه ولست أدري ما الذي حدث له.

(١) فياجباً لهذا المؤلف، أما علم أن علياً ابن نوح وليس أخاه.

(٢) استشهد الإمام الصادق عليه السلام في عصر المنصور جد الرشيد فكيف غفل المؤلف عن هذا.

فقال له الإمام الحسن : أما سألته عن اسمه ؟ قال : سألته ، فأجابني : عبداً من عباد الله تعالى . فإذا جاءني أحس بإشراقه باطنية تستولي عليّ ويدكو هذا البيت بعرف عصمته .

فبكى الحسنان ومواليهما وقالوا : هذه صفة أبينا ، فقال الرجل : من أبوكما ؟ ومن أنتم ؟ فقالوا : نحن الحسنان وأبونا عليّ بن أبي طالب . فقال الشيخ : وما الذي جرى لأبيكما ؟ فقالوا : الآن فرغنا من دفنه وأقبلنا من قبره ، فرفع الشيخ يده وقبض على تلايبه وقال : بحق أمير المؤمنين إلّا ما أخذتموني إلى قبره ، فحملوه إلى القبر ، فوضع الشيخ رأسه على القبر وبكى بكاءً شديداً وقال : اللهم أسألك بعصمة أمير المؤمنين وطهارته إلّا ما قبضت روحي فإني لا أحب الحياة هذه ، دعا بهذا الدعاء ثم أسلم الروح فقام الحسنان على تجهيزه ودفناه عند قبر أمير المؤمنين .

وكان عمره الشريف ثلاثاً وستين سنة ، ولد قبل البعثة بعشر سنين وعاش بعد البعثة مع النبي ثلاثاً وعشرين سنة ، وثلاثين سنة بعد وفاة النبي ﷺ ، ومدة خلافته خمس سنوات وأشهر^(١) . عاش بعد البعثة يعاني الشدائد مع المشركين ، وفي أيام خلافته ﷺ الظاهرية عانى دائماً من خبث معاوية وطلحة والزبير والخوارج وأمثالهم ، ولم يلق أحد قبله ولا أحد بعده بأمر المؤمنين^(٢) ولم يجاهد جهاده نبي ولا وصي نبي ، ولم يكن في شجاعته أحد من الناس .

زوجته فاطمة الزهراء مربية رسول الله محمد المصطفى منذ طفولته إلى يوم وفاته ، أولاده الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، وحياه الله بكثرة النسل بما لم يحب به أحداً من الناس وهم السادات الكبار المعروفون بالاسم والنسب وليس لنبي ما له من الذرية الطاهرة ، ويتصلون برسول الله بواسطة الزهراء فاطمة ﷺ .

(١) المعروف أنّ العام الخامس من ولايته لم يتمّ .

(٢) أمّا الذين تلقّوا به قبل الإمام وبعده فإنهم تلقّوا به ظلماً وعدواناً وزوراً .

الباب الرابع والعشرون

في تعيين تاريخ أعمار الخلفاء الأربعة

اعلم أنّ أبا موسى الأشعريّ كان والياً لعمر بن الخطّاب في بعض النواحي فكتب إلى عمر: إنّ كتبك تصل إليّ ولست عارفاً بتاريخها، فجمع عمر أصحابه وشاورهم في الأمر فقال بعضهم: نجعل أوّل التاريخ مبعث الرسول، فلم يرضى عمر ذلك واستشار عليّاً رضي الله عنه، فقال عليّ رضي الله عنه: خرج الرسول من أهل الشرك وهو يوم هاجر، فرضي بذلك عمر وجعله أوّل التاريخ وكتب إلى الولايات والأقاليم به، فكان يوم الهجرة معتبراً في أوّل التاريخ.

الفصل الأوّل

وذكر الشيخ أبو الحسن الفارسي الناصبي في كتابه تاريخ الخلفاء أنّ اسم أبي بكر عبدالله، واسم أبيه عثمان، ولقب بعتيق وهو عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي، وكنية أبيه أبو قحافة، وأمّه سلمى بنت صخر، ووزيره عثمان بن عفّان في بيت المال وأمثاله، ووزير تدبير الملك والقهر وتولية الولايات والعزل وتعيين النواب على البلاد عمر بن الخطّاب.

واستقال أبوبكر مرّات بقوله: «أقبلوني» فلست بخيركم وعليّ فيكم. ولم يترك عمر الناس كي يقبلوه وقالوا: لا نقيلك، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام، وقيل: ثلاثة عشر يوماً.

أخذ البيعة من الناس في سقيفة بني ساعدة في اليوم الأوّل، وسانده جماعة من أعداء أهل البيت، توفيّ في اليوم السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وعمره ستون سنة^(١)، وكان أبوه حيّاً يوم وفاته، ولم يستخلف أحد من الخلفاء وأبوه على قيد الحياة سواه، وليس ذلك لخير يريد الله به لأنّ أباه امرئ غير معصوم من الخطأ فقد يخطأ ويرتكب معصية توجب عليه الحدّ فإن أقامه عليه ابنه فقد عصى الله فيم قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفْ وَلَا تَنْهَهِمَا﴾^(٢) وإن ترك الحدّ عصى في تركه^(٣).

أمّا يوسف ونظائره من الأنبياء فإنّ نبوتهم أتهم بعد وفاة آبائهم، سلّمنا أنّ منهم من كان نبياً في حياة أبيه، إلّا أنّه من ذوي العصمة الذي لا يظنّ بهم سوء، ثمّ إنّ يوسف وأشباهه نواب آبائهم في حياتهم ولم يكونوا أنبياء على الاستقلال^(٤). أمّا ما يقال من أنّ أبابكر كان في مبعث النبيّ ابن الأربعين عاماً وبقي مع النبيّ

(١) سبق أن ذكر المؤلف عمره ثلاثاً وستين عاماً.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) لا أرى وجهاً لهذا القول لأنّ تحریم «الأف» في الآية لأمر تعود إلى النفس وتدعو إلى التذمّر وإقامة الحدّ يعود إلى حقّ الله فلا يدخل تحت مفهوم الآية.

(٤) سبحان الله! إنّ هذا للرأي بارد أجلّ المؤلف عنه لأنّنا لو سلّمنا له بما قال عن الأنبياء وآبائهم فإنّ الإشكال باقى مع أمهاتهم، وحقوق الأمّ إن لم ترد على حقوق الأب فإنّها لا تقلّ عنه، وكلّ ما قاله من نبوتهم بعد موت آبائهم ونيابتهم عن آبائهم لا اصل له، فمنهم من تنبأ وأبوه حيّ أو ليس بنبيّ أبوه، وحينئذ يبقى الإشكال الذي ساقه على أبي بكر على حاله، اللهمّ إلّا شيء واحد ينبغي أن يقتصر عليه وهو عصمتهم بخلاف ابن أبي حنيفة ذي المعاصي وصاحب الشيطان.

ثلاثاً وعشرين سنة مدّة البعثة وبقي سنتين وثلاثة أشهر وأياماً بعد وفاة النبيّ فكان يوم وفاته له من العمر خمس وستون عاماً وثلاثة أشهر وأياماً فإنّ هذا هو المعتمد لا الرواية الأولى .
وكان أبوبكر من بني «تيم اللات» .

الفصل الثاني

وكنية عمر «أبو حفص» وقالوا: عمر بن الخطّاب بن نفيل ابن عبدالعزيز بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، ووزيره زياد بن مسلم ، دامت خلافته عشرة أعوام وستّة أشهر وأربعة أيّام ، وقتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة في السادس والعشرين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وكان له من العمر ثلاث وستون سنة ، وصلىّ عليه صهيب مولى عبدالله بن جدعان .
سألوا الإمام الصادق عن أبي بكر وعمر كيف استقامت لهما الأمّة ولم تستقم لعثمان ، فقال عليه السلام : عدل الرجلان مع الناس إلّا مع أهل بيت النبيّ ، أمّا عثمان فكان ظلمه عامّاً ؛ لأهل البيت وللناس قاطبة ، من هذه الجهة اجتمع الناس عليه فقتلوه^(١) ، وسلبت ثقة الناس فيه ، اللهم إلّا ما يذاع عنه من أفعال محمودة ليس لها واقع بل أنشئت كراهيّة للشيعّة وأهل بيت الرسول وأذاعتها جماعة تطلق على نفسها العثمانيّة وكان عمر عدوياً .

(١) لعلّ الإمام يريد بعدلها مقيساً إلى ظلم عثمان فهما خير منه سيرة وسلوكاً ، أمّا العدل من حيث هو عدل فلا لأنّ حروب ما يسمّى بالردة وما جناه أبوبكر على يدي السفّاح خالد بن الوليد من قتل الناس وإحراقهم والتمثيل بهم لم يترك للرجلين راحة من العدل .

الفصل الثالث

وكنية عثمان أبو عبدالله وهو عثمان بن أبي العاص بن أمية يعني عثمان بن أبي عاصم بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف^(١)، بويح في أول المحرم سنة أربع وعشرين، ودامت خلافته اثني عشر عاماً إلا ثمانية أيام، وقُتل بالمدينة بإجماع المهاجرين والأنصار لاثني عشر ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وكان عمره ثمانين سنة وهو أول ملوك بني أمية

الفصل الرابع

كانت خلافة مولانا حجة الله على الخلق عليّ^{عليه السلام} أربع سنين وثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً، ودفن يوم الجمعة ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان، وهو هاشميّ الأبوين، عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، ابن عمّ الرسول شقيق والده عبدالله، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وعمره الشريف ثلاثة وستون عاماً، وقيل: خمسة وستون.

الفصل الخامس

قال أبو عنان مالك بن إسماعيل الهنديّ ويسمى الراهب أو الواهب: حضر محمد بن أبي بكر عند أبيه في السياق وهو ينازع سكرات الموت، فقال له: أراك يا أبقى بحال لم تكن عليها من قبل، فقال: يا بني، للرجل عليّ مظلمة إذا حلّني منها رجوت أن أفيق^(٢).

(١) تبعة هذا النسب على المؤلف فإن ورد فيه خطأ فعليه وزره.

(٢) كان عمر محمد^{عليه السلام} عندما هلك أبوه ستين.

وحديثه سقيم، فقال محمد: من ذلك الرجل يا أبتى؟ فقال: علي بن أبي طالب، فقال محمد: أنا الضامن لعلِّي أن يحاللك لأنَّه رجل سليم، ثمَّ أقبل محمد على أمير المؤمنين عليه السلام وقال: تركت أبي على شرِّ حال وضمنت له أنَّك تعفو عنه وتبرء ذمته، إن كان ذلك من رأيك، وترحم عليه وتعفو منه.

فقال أمير المؤمنين: «كرامة لك» ولكن قل لأبيك أن يرقى المنبر ويخبر الناس بهذا ليخرج من ذمامي، فعاد محمد إلى أبيه وقال: قد استجيب الدعاء فقد قال علي: كيت وكيت، فقال أبو بكر: ما أحبُّ أن لا يصلي عليّ بعدي اثنان^(١) فإنِّي إن أقل هذا القول أبق لعنة على ألسن الناس إلى يوم القيامة.

سأل أمير المؤمنين يوماً محمداً بن أبي بكر: أما سمعت أباك يقرأ هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٢) وقال عمر لك أحذر يا بني أن يسمع منك ابن أبي طالب ما قال أبوك فيشمت بنا؟ فقال محمد: صدقت يا علي، وقال: أنا سمعت (أبي) يلغنه ويقول: أنت أوردتني الموارد، فقال: بلى..^(٣).

(١) ينبغي أن تكون العبارة هكذا: أحبُّ أن لا يصلي عليّ اثنان.

(٢) ق: ١٩.

(٣) من أجل الحقيقة وحدها يجب أن لا نمر بهذه الأحاديث من الكرام، فإنَّ اليقين خير من الشك، والصدق خير من تقيضه، ولابدَّ من معرفة العمر الحقيقي لمحمد بن أبي بكر عند موت أبيه، فقد أجمعت كلمة المؤرِّخين على صغر سنِّه عند موت أبيه. قال الخوئي في معجم رجال الحديث عن وعظ محمد لأبيه عند موته: إنَّ عمر محمد وقتئذٍ كان أقلَّ من ثلاث سنين (٩: ٢٣٠)، وقال أيضاً عن رجال الشيخ: محمد بن أبي بكر ولد في حجة الوداع وقتل بمصر سنة ٣٨ من الهجرة في خلافة علي عليه السلام، وإذا كان في وفاة أبيه بهذه السنة التي لا تتجاوز سنَّ اللبن فكيف أمكنه محاورته أو وعظه ونصيحته، والمؤلف يورد الرواية ويتركها مطلقة دون تحكيم العقل بنقدها، وإنَّ هذا الأمر مريب وسرَّ عجيب.

الفصل السادس

وجاء في كتاب «فعلت فلا تلم»^(١) أن أبا بكر وعمر ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح أدركهم الموت وهم في الليل والشور.

وقال محمد بن أبي بكر: قال أبي عند الموت: هذا محمد وعليّ قد حضرا عندي وهما يبشّراني بالنار، وفي يد محمد صحيفة هي التي كتبنا فيها عهودنا وهما يقرءان فيها ويبشّراني وعمر ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح بجهنم، وكانت عائشة وعبدالرحمان بن أبي بكر وعمر حاضرين عند أبي بكر، فقال عمر: إنه ليهجر ولكن اكنتموا هذا السرّ لئلا يشمت بكم عليّ وبنو هاشم.

قال محمد: فقال أبي: يا عمر، إني لا أهرج، ألا تذكر عندما كنت معه في الغار قال لي: إني لأرى سفينة جعفر تجري في بحر الحبشة، فقلت: يا رسول الله، أرنيها، فمسح بيديه على عينيّ فرأيتها، فقلت في نفسي: هذا الرجل ساحر، ولما رجعت إلى المدينة قلت لك بما في نفسي، واتفقنا أنا وأنت في الرأي عمرنا كله على أنه ساحر؟ فقام عمر من عنده وذهب خارج الدار.

قال محمد: فقلت له: يا أبت، قل لا إله إلا الله، فقال: والله لا قلتها ولا أستطيع قولها حتى أدخل النار وأكون في التابوت، فذكر التابوت فقلت في نفسي: إنه ليهجر، فسألته: وما التابوت؟ فقال: إنه تابوت يكوّن تحت طبقات جهنم ودركاتها وفيه اثنا عشر شخصاً: أنا وأبوبكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد إلى أن

(١) كتاب «فعلت فلا تلم» في المثالب، لأبي الجيش المظفر بن محمد البلخي الخراساني المتوفى سنة ٣٦٧. قال في الفهرست: وهو كتاب كبير، وينقل عنه في الكامل البهائي في ٦٧٣ ويقال له: قد فعلت فلا تلم، راجع الذريعة ١٦: ٢٧٧.

عدّ آخرهم، ثمّ قال: إذا أمر الله النار أن تثب فإنّ هذا التابوت يخرج من موضعه المسمّى بالعنق.

قال محمد: قلت له: «يا أبت تهذي»؟ قال: والله ما أهذي، لعن الله ابن (الضحّاك) صهّاك هو الذي صدّني عن الذكر بعد ما جائني فبئس القرين، ووضع وجهه على الأرض ونادى بالويل والثبور إلى أن هلك، فجائني عمر وأخي عبدالرحمان وسألاني: هل قال شيئاً آخر؟ فقصصت عليهما ما قال، فقال: احذر أن تبلغ عليّاً قوله.

قال محمد: وأخبرني عليّ عليه السلام بحالات أبي كائنا النبي صلى الله عليه وآله يأتيه كلّ ليلة في النوم فيخبره بما يكون عليه حال القوم أو أنّه كان يحدثني من الجفر الجامع للعلوم، أو أنّ ملكاً يأتيه فيحدثه كما كان يأتي مريم أمّ عيسى، أو أمّ موسى، أو زوج إبراهيم ساره التي كلّمتها الملائكة ورأتهن، وهذا كلّ مذكور في القرآن.

قال معاذ بن جبل عند موته: اتعدنا في حجة الوداع وتعاهدنا أن لا نترك عليّاً يبلغ الخلافة، وكان بشير بن سعد وأسيد بن حضير في هذا العهد، فلما توفّي النبي صلى الله عليه وآله، قال معاذ: أنا أكفيكم الأنصار وأنتم اكفونا قريشاً.

تنبيه:

قال عبدالله بن عمر: أحضر أبي عليّاً عليه السلام عند موته وطلب منه إبراءً لذمّته، فقال عليّ عليه السلام: أفعل إن رضيت بشهادة عدلين على ذلك، فحوّل أبي وجهه إلى الحائط وسكت ساعة ثمّ أعاد القول ثانياً، فأعاد عليّ عليه السلام قوله، فحوّل أبي وجهه إلى الحائط ثمّ نهض عليّ خارجاً من المكان.

ولما كانت الطعنة شديدة على عمر أوتي بلبن فشربه فخرجه من جرحه، فقصده جماعة وبشّروه بالجنّة، فتنفّس عمر الصعداء حتّى كادت روحه أن تخرج، ثمّ قال: والله لو أنّ لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت بها من هول المطّلع. وهذه رواية ابن عباس.

وروي أنّه قال: لوددت أنّي لا أدخل النار، وأمثال هذه الروايات. ودلائل قول أمير المؤمنين: ما زلت مغصوباً (حقّي) منذ قبض الله رسوله ولقد مات وإنيّ والله لأولى الناس بها مني بمقصي هذا. وكان يقول دائماً: والله لو كان حمزة وجعفر حيّين ما طمع فيها أبوبكر وعمر ولكن ابتليت بحالفين حافيين عقيل والعبّاس^(١) ورواية هذا الخبر أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام.

الفصل السابع

جاء في كتاب «فعلت فلا تلم» أنّ أبابكر ندم في مرض موته وكان يقول: ليتني لم أوّمن الأشعث بن قيس ولم أزوجه أختي. والقضيّة التي ملأت قلب الشيخ بالحسرة هي أنّ الأشعث كان قد ارتدّ وكان قد صدر الأمر بقتله، فاستشار أبوبكر أباه أبا قحافة وكان أبو قحافة قد عرض عليه الإسلام في ذلك اليوم، وقال لأبي بكر: آمنه وزوجه أختك عسى أن ننال بذلك رفعةً وفخراً، ولو كنت في الجاهليّة لما تيسّرت لك هذه الحال، ففعل أبوبكر ذلك طلباً للملك والجاه وأجرى عليه حكم الإسلام، فقال الأصبغ بن حرملة الليثي:

أتيت بكسديّ قد ارتدّ وارتقى	إلى غاية من نقض ميثاقه كفر
أكان ثواب النكث إحياء نفسه	وكان ثواب الكفر تزويجه البكر
فلو أنّه يأتي عليك نكاحها	وتزويجه يوماً لأمهرته مهرا
ولو أنّه رام الزيادة مثلهما	لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر وقد شئت بعدها	قريشاً وأحملت النباة والذكرا
أما كان في تيم بن مرّة واحد	تزوج لولا أردت به الفخرا؟

(١) لعلّهما حليفين حافيين، ولكن المؤلّف ترجمهما بقوله: «دو سوگند خورنده و پابرهنه».

ولو كنت لما أن أتاك قتلته لأحرزتها ذكراً وقدّمتمها ذخراً

فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة عليك فلا حمداً حويت ولا أجراً^(١)

الندم الثاني قوله: «وليتني لم أكشف بيت فاطمة»^(٢).

الجواب:

هذا ليس ذنبه هو بل ذنب صاحبه عمر وخالد بن الوليد لينال عمر المكافأة ثم يقول: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فن عاد إلى مثلها فاقتلوه» أما يوم الجزاء لا ينفعه صاحبه ولا يغيثونه، يوم يفرّ المرء من أبيه.

ومن سترنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده

التأسّف الثالث قوله: ليتني لم أوّل السقيفة^(٣). وهذا يدلّ على ظهور عاقبة أمره لعينه وانكاشفها له بحكم قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٤) ويدلّ أيضاً على أنّ فعله لم يكن بأمر الله ورسوله ولا بمشاورة المؤمنين وإلّا فالنبي ﷺ يقول: «ما خاب من استشار»^(٥) ودليله قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة.. الخ.

(١) الغدير ٧: ١٧٥ نقلاً عن تاريخ الطبري ٣: ٢٧٦، وثمار القلوب للثعالبي: ٦٩، الاستيعاب ١: ٥١،

الكامل لابن الأثير ٢: ١٦٠، مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٤١، الإصابة ١: ٥١ و ٣: ٦٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠: ٤٢٠، ميزان الاعتدال ٣: ١٠٩، لسان الميزان ٤: ١٨٩، تاريخ الطبري ٢: ٦١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦١٩، لسان الميزان لابن حجر ٤: ١٨٩، ميزان الاعتدال ٣: ١٠٩، تاريخ دمشق ٣٠: ٤٢٠.

(٤) ق: ٢٢.

(٥) نور البراهين للجزائري ٢: ٣٣٠، شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القاري: ٥١٧، كشف الخفاء للعجلوني ٢: ١٨٨.

ولقد قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١)
وقوله تعالى : ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٢) .
الندم الرابع قوله : وددت أني لم أكن حرقت (محارب) الفجاءة السلمي وقتلته
سريحاً أو خليته نجيحاً ؛ لأن التعذيب بالنار مخالف لقول الله ورسوله ﷺ^(٣) .

الفصل الثامن

في أنهما دفنا في موضع غصب

ودليله قوله تعالى : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّهُ
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾^(٤) .

الاستدلال :

منع الله تعالى من دخول بيت النبي في حال حياته إلا بإذنه فكيف يحلّ الدخول
وهو في الرفيق الأعلى ، فتكون الحال للرجلين أنهما دفنا في مكان خالفا فيه الله
ورسوله ، والبيوت بيوت رسول الله ﷺ فقد سماها الله «بيوت النبي» فأضاف
البيوت إليه .

وأما قولهم خرج رسول الله ﷺ من حجرة عائشة ، فلا يدلّ هذا القول على
التملك لأن الإضافة بعلاقة التمييز الملابس كما يقولون : خرج من حجرة لأدنى
ملابسة إذ من المقطوع به أن الخارج لم يكن في الحجرة كلّها ساعة خروجه .

(١) المؤمن : ٥٢ .

(٢) فاطر : ٣٧ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٠ : ٤٢٠ ، تاريخ الطبري ٢ : ٦١٩ .

(٤) الأحزاب : ٥٣ .

لا يقال: بأنهما دفنا في حصّة ابنتيهما عائشة وحفصة لما لها من الثمن وسهمها من الثمن «التسع» أي تعطى كلّ واحدة منها التسع منالثن وهو لا يقوم بشبر واحد بل دون الشبر فكيف يتّسع الشبران لقبرين؟

ثمّ ألم يقولوا: إنّ النبيّ لم يورث بل كان إرثه صدقة على المسلمين وحينئذٍ يتّسع الحرق على الرّاقع حيث يكونان قد دفنا في أرض المسلمين ولعلّ من المسلمين من لا يرضى بدفنها في أرضه مع النبيّ ﷺ وقال النبيّ ﷺ: نحن أهل بيت لا يحلّ لنا الصدقة^(١).

لاسيّما إذا مرّ على ذلك سنون عدّة فتبيّن من هذا أنّ الرجلين دفنا في أرض مفسوبة.

وإن قال الخصم أنّ الحجرتين ميراثهما من رسول الله فوهبتهما إلى أبيهما. الجواب: وهذا قول باطل، واعلم أنّهما إن جاز ميراثهما من رسول الله فقد جاز للزّهاء رضي الله عنهم أيضاً ولكنّ الخصم يزعم أنّ النبيّ لا يورث. ما أعجب هذا القول: لا ترث ابنة رسول الله أباهما وترث ابنة عمر وابنة أبي بكر رسول الله، إنّ هذا لمضحك من القول وشرّ المصائب ما يضحك.

وإن كانت حجرتاها ميراثاً ووهبتهما للنبيّ ﷺ فإنّ الهبة لا يجوز الرجوع بها «الراجع في هبته كالكلب يعود في قيئه»^(٢) وبناءً على هذا يكون نقضاً لعهد النبيّ ﷺ.

(١) إن كان غرضه من هذا القول أنّ الشقيتين لا تحلّ عليهما الصدقة فهذا خلاف الواقع لأنّهما كانتا تاكلانهما وتدفع إليهما باعتبار كونهما من غير أهل البيت المحرّمة عليهم الصدقة.

(٢) مسند أحمد ٢: ٢٠٨، سنن النسائي ٦: ٢٦٧، مسند ابن المبارك ١٢٤، السنن الكبرى ٤: ١٢٤، شرح معاني الآثار لابن مسلمة ٤: ٧٨، صحيح ابن حبان ١١: ٥٢٣، المعجم الأوسط ٤: ١٧٣، فيض القدير للمناوي ٦: ٥٠٢، الكامل ٣: ٦٨، إصلاص المنطق ٩٤.

الاستدلال الثاني: إنّ الله لم يأذن لأحد أن يقيم في بيت النبيّ ساعة من النهار ومن فعل ذلك لامة الله وأدبه فكيف يسوغ لها بدون إذن من الله ورسوله النوم هناك وقال الله تعالى في ختام الآية: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾^(١) وقال في حقّ من آذاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢).

وجه آخر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(٣) وبقيت هذه السنّة إلى الآن لا يرفع القراء أصواتهم في مسجد النبيّ ﷺ احتراماً له وامتنالاً لأوامره وهؤلاء فعلوا ما فعلوا في محضر الرسول ووطأوا بساط النبوة وكانت أصواتهم ونعراتهم تحترق المسافات حتّى تغطّي مساحة نصف المدينة، نسأل الله أن يرزقهم الحياة. وكان النبيّ مادام على قيد الحياة فهو في عسر معهم وبعد أن توفاه الله إليه زادوا الطين بلّة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤) إنّ الله لم يرض بمناداة النبيّ من وراء الحجرات فكيف يرضى لهم النوم في حجرته، وتتطلق الأصوات هناك كأنها الصواعق منهم.

بيّنة:

بقي النساء اللواتي كنّ يسكنّ الحجرات في حجراتهنّ بعد وفاته تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٥) ما عدا عائشة فإنّ النبيّ ﷺ أخرجها من البيت. وسرّ هذا الأمر واضح فإن كان يعلم بما يجري منها من ركوب الجمل، وغزوها وقتالها لتنال بذلك الثواب وفضلها القوم على غيرها بقصدها عليّاً وحسناً وحسيناً

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) الحجرات: ٢.

(٤) الحجرات: ٤.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

للقاتل وغيرهم من الصحابة مَن نصرهم، وأبى باقي النساء أن يسلكن مسلكها وينبغي على صاحب هذا المعتقد أن يستحي من الله إن كان يعرف ما هو الحياء.. ولما عرف النبي ذلك بالوحي وعلم أن ذلك على حساب شرفه ﷺ وحيائه حيث تقود زوجه جيشاً وترتب ميمنته وميسرته وقلبه لذلك أوكل أمر طلاقها إلى أمير المؤمنين فامثل الإمام هذا الأمر لأنه إذا فقدت البيت فقد العائل أيضاً^(١).

الفصل التاسع

في إسلام علي عليه السلام

سبق عليّ أبا بكر وعمر وعثمان بالإسلام، وعبد الله بعدهم حيث هلكوا قبله، وبقي يعبد الله بعدهم بل لم يصل العالم إلى العبادة الحقّة إلّا بفضل جهاده عليه السلام. وقال رسول الله ﷺ: «ضربة عليّ خير من عبادة الثقلين»^(٢) وما يقال من أنّه كان طفلاً حين أسلم، الجواب: إن لم يكن لإيمان الطفل اعتبار فإنّ فطرته من نوع العبث ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٣) ومثلها الحديث: «خلقت عبادي كلّهم حنفاء»^(٤) والحديث: ما من مولود إلّا يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه

(١) أنا أتوقّف في هذه المسألة لأنّ ذلك يخفّف من ذنبها حين تخرج من عصمة رسول الله وتكون امرأة عادية بالطلاق أضف إلى ذلك أن الطلاق لا يكون إلّا الزوج على قيادة الحياة والنبي غير مستثنى من هذه المسألة.

(٢) مجمع الفائدة: ٣: ٢١٦، شرح أصول الكافي ١٢: ٤١٢، الطرائف: ٥١٩، عوالي اللئالي ٤: ٨٦، كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي: ٤٢، بحار الأنوار ٣٩: ٢، الغدير للأميني ٧: ٢٠٦، كشف اليقين: ٨٢، وفيات الأنمة: ١٢.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) المحلّي لابن حزم: ٣٨٩، المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ١١: ١٢٠، الأحاد والمثاني للضحّاك ٢: ٤٠١، مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٢٨، تفسير نور الثقلين ٥: ٣٣٨.

أو يَجَسَّاهُ^(١)، مع أنَّ درجة النبوة أعلى الدرجات وكانت للطفل جائزة فيكون الإيمان أقرب للجواز.

أعطى الله النبوة ليحيى وهو طفل وقال سبحانه: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢)، وأعطى عيسى النبوة وهو طفل: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٣) وهذه المعاني يمكن أن تكون بالإيمان، وكانت حال يوسف مشبهة لحال هؤلاء كما خاطبه وهو في البئر: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) وإذا أمكن أن يكون الطفل صاحب وحي أمكن أن يكون صاحب إيمان بطريق أولى.

جواب آخر:

كان عليّ عليه السلام عين الإيمان، والإيمان به واجب بحكم ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥).

جواب آخر:

وعندنا اليوم لا يقال لمن ولد بين مسلمين قد أسلم لأنّه ولد على ذلك، وأشبهت حال عليّ عليه السلام ذلك، لأنّه ولد بين يدي الرسول ولم يسجد لصنم أو يعبد صنماً أبداً، وكان أبوبكر يعبد الأصنام ستاً وأربعين سنة، ومن كان مثله يجب عليه أن يؤمن.

(١) الخلاف ٣: ٥٩١، مختلف الشيعة ٦: ١٠٨، تذكرة الفقهاء ١: ٤٢٥، المبسوط للسرخسي ٥: ٤٤، البحر الرائق ٢: ٣٣١، حاشية رد المختار لابن عابدين ٣: ٢١٦، المغني ٦: ٣٧٧، مسند أحمد ٢: ٣١٥ و٣٦٤، صحيح البخاري ٢: ٩٧ و٩٨ و١٠٤، و٦: ٢٠، و٧: ٢١١، صحيح مسلم ٨: ٥٢ و٥٣، سنن أبي داود ٢: ٤١٦، سنن الترمذي ٣: ٣٠٣، سنن البيهقي ٦: ٢٠٢ و٢٠٣، مجمع الزوائد ٧: ٢١٨، مسند الطيالسي: ٣١١، مسند الحميدي ٢: ٤٧٣، المعجم الكبير ١: ٢٨٣.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) مريم: ٣٠.

(٤) يوسف: ١٥.

(٥) النساء: ٥٩.

جواب آخر:

كان عمر عليّ عند الوفاة خمساً وأربعين سنة سلخ منها ثلاثاً وعشرين عاماً مع النبي ﷺ وتسعاً وثلاثين عاماً سوى خمسة أشهر عاشها بعده، ويصحّ البلوغ في الثالثة عشرة ويبدأ النمو في سنّ العاشرة، سلّمنا أنّه لم يكن بالغاً عند ما أسلم ولكنه لم يكفر كغيره ولم يستظلّ بظلّ الشرك - وحاشاه من ذلك -.

جواب آخر:

سلّمنا بطفولته إلّا أنّ إسلامه بنحو الإلهام أو لا؟ فإن كان الأوّل فيكون إيمانه أعلى مراتب الإيمان، وإن كان الثاني فلا بدّ من كونه بطلب ودعوة من النبيّ والنبيّ لا يفعل ذلك إلّا بأمر الله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) وقال: ﴿مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(٣).

وتخصيصه من دون فتیان العالم بالدعوة لا بدّ من كونه لخاصيّة في شخصه ودرجة عالية له بين الناس. وعندنا أنّ عناية كهذه تختصّ بالأنبياء أو الأئمّة ويظهر الإعلام عند ما يبلغ المعنى به أشدّه كما فعل عيسى عند بلوغه من البشارة بمحمد ﷺ إظهاراً لنبوته، وهذه البشارة من أعلام نبوة المسيح على نبينا وآله وعليه السلام وإلّا لو افترضنا بأنّ إيمان عليّ عليه السلام كان بالوحي أو من تلقاء نفسه فإنّها فضيلة لا تبلغها العقول، ولا يحيط بها خاطر، لأنّ النور ملأ قلبه في بيئته يغمرها الشرك، وتطفئ عليها موجة الكفر.

(١) النجم: ٣ و٤.

(٢) ص: ٨٦.

(٣) الحاقة ٤٦: ٤٤.

جواب آخر:

اتفق المسلمون على أن الله تعالى بعث نبيّه للمكلفين البالغين لا للصبيان دون البلوغ ولا للمجانين، والنبي ﷺ دعاه - باتفاق العلماء - إلى الدين فلا بدّ من كونه واصلًا حدّ البلوغ المكلف.

جواب آخر:

خاطب الله نبيّه بقوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) فكان على النبي أن يبدأ بقومه أولاً بحكم هذه الآية ومقتضاها إذ العادة قاضية بأنّه ليس من الصحيح أن يتطلّب المرء إرشاد الغرباء وهدايتهم بالوعظ والنصيحة ويترك أهله وذويه على طرف الضلال مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٢)، وقال: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٣).

واتفقوا على أن علياً كتب إلى معاوية:

سبقتكم إلى الإسلام طرّاً غلاماً ما بلغت أوان علمي

ونزل الوحي على النبي يوم الاثنين وأسلم عليّ ﷺ يوم الثلاثاء وصلى معه. وقالوا: لما دعا النبي عليّاً ﷺ قال: أمهلني حتى أُشاور أبي، فقال له النبي ﷺ: يا عليّ، إنّها أمانة، فقال عليّ ﷺ: إن كانت أمانة فقد أسلمت.

وقال ابن عباس: لما دعا رسول الله عليّاً إلى الصلاة والإسلام قال: إنّ هذا دين يخالف دين أبي حتى أنظر فيه وأُشاور أبا طالب، فقال النبي ﷺ: انظر واكتم، فكث هنيئة ثم قال: أجيبك^(٤)، وهذا الأمر من التفكير وحفظ السرّ ومشاورة

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) الفصول المختارة: ٢٨٠، سعد السعود: ٢١٦.

الأب، والصبر والتمهل، وإدراك كون هذا الأمر لا ينبغي أن يشاور فيه، دليل على أن إسلام علي لم يكن بالتقليد والاتباع بل بالدليل الملزم والبرهان القاطع، والطفل لا يملك حاسة التمييز بين الحق والباطل.

ولو لم يكن علي بالغاً مبلغ الرجال لما أوصاه النبي ﷺ بكتان السرّ ولم يأتمنه، ولما كان النبي قد ائتمنه فينبغي أن يكون واثقاً به وقد أوضحت ذلك في كتاب «مناقب الطاهرين» وأشبعت هذا الباب بحثاً فاطلبه هناك.

ونتيجة القول: إن علياً عليه السلام كان تحت ضغط المنافقين ولقد قال النبي ﷺ: ما أؤذي نبيّاً كما أؤذي^(١) وهذا يبرهن على أن وصي النبي وهو علي ما أؤذي وصي بمثل ما أؤذي به وصي محمد.

الفصل العاشر

ومن الترهات ما رواه رواههم من أن شاعراً أنشد النبي الشعر فلما طلع عليهم عمر أمره بالإمساك، فلما ولّى أمره بالإنشاد فأنشد وأخذ يتغنّى بشعره، وعاد عمر ثانية فعاد النبي يأمر الشاعر بالإمساك، ولما ولّى قال له: أنشد، فلما عاد قال له: أمسك، فقال الشاعر: من هذا يا رسول الله؟ إذا جاء أمرني بالإمساك، وإن ذهب أمرني بالإنشاد، فقال رسول الله: إنّه عمر وإنّه لا يحبّ الباطل.

لقد حملهم حبهم لعمر على نسبة الباطل إلى رسول الله فكيف يصحّ هذا أن النبي

(١) كتاب التمهيد لمحمد بن همام الإسكافي: ٤، العوائد والفوائد للسيد مصطفى الخميني: ٤٥،

كامل الزيارات: ٢٠١، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٢، بحار الأنوار ٣٩: ٥٦، مستدرک سفينة

البحار ١٠: ١٠٢، فتح الباري لابن حجر ٧: ١٢٦، الجامع الصغير ٢: ٤٨٨، كنز العمال ٢: ١٣٠

رقم ٥٨١٧ و ٥٨١٨ و ١١: ٤٦١ رقم ٣٢١٦٠ و ٣٢١٦١.

يحبّ الباطل وعمر لا يحبّه، وإذا جاز حمل الباطل على النبيّ في مورد - وحاشاه من ذلك - جاز حمله عليه في كلّ الموارد، والذي يهون الخطب أن الله سبحانه وتعالى في مذهب القوم فاعل لجميع القبائح والمظالم، والغرض من هذا كلّّه تنزيه عمر، وإذا نزّهوا عمر ونسبوا الباطل للنبيّ وأسمعوه الباطل فلا عجب من سوء مذهبهم، ومع هذا يروون عن عمر قوله: «أحبّ الأشياء إليّ الشعر»، وقال أيضاً: علّموا أولادكم الشعر فإنّه ديوان العرب ومعرفة أنسابكم وحفظ مناقبكم.

وقيل: إنّ سارية بن درهم^(١) كان يقاتل في نهاوند وهو القائد على جيش المسلمين فأرسله عمر إلى غزاة فغلبه المشركون وهزم عسكره، فعلم عمر وهو في المدينة بما جرى عليه، فناداه: يا سارية الجبل هذا، فسمع سارية والتجأ إلى الجبل^(٢)، فإذا كان سارية سمع صوت عمر مع هذا البُعد الشاسع فإنّه أفضل من عمر حين أوتي حدّه السمع هذه.

والغرض من هذا تشبيه عمر برسول الله لما أخبر عن شهادة جعفر في غزوة مؤتة بوحي من الله وكشف الحجب له وثبّت من بعده يزيد بن حارثة ومن بعده بعبد الله بن رواحة، وهكذا فعل حين أخبر عن سارية وأمره باللجوء إلى الجبل.

وقالوا: سبّح الحصى بكفّ عثمان والغرض من هذا الافتراء مساواة عثمان (البوّال على عقبيه - المترجم) برسول الله ﷺ ولو كذبوا مئات بل آلافاً لما بلغوا

(١) سمّاه ابن قتيبة في مختلف الحديث «سارية بن زهم» ص ١٥٢.

(٢) كنز العمّال ١٢: ٥١٧ رقم ٣٥٧٨٩، فيض القدير ٤: ٦٦٤، كشف الخفاء ٢: ٣٨٠، الإكمال لابن ماکولا ٣: ٣٩٥، تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣٦٦ و ٢٠: ٢٠، أسد الغابة ٢: ٢٤٤ و ٤: ٦٥، لسان الميزان ٥: ٣٠١، ذكر ذلك استطراداً في حوار بين مؤمن الطاق وأبي حنيفة، الإصابة ٣: ٥، معجم البلدان ٥: ٩٩، تاريخ المدينة لابن شبة ٢: ٧٥٤، تاريخ يعقوبي ٢: ١٥٦، تاريخ الطبري ٣: ٢٥٤، البداية والنهاية ٦: ٩٣.

فضل سورة هل أتى وآية المباهلة حيث دعا الله علياً نفس النبي ﷺ وجاء في ذلك أحاديث شتى مع معجزات جليلة صدرت من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولقد بلغت رتبة عليّ عند الله والناس درجة ادّعى بعضهم له الربوبية لعنهم الله وعلى الفرقة التي تعاديه والذين لا يرضون بإمامته بعد الرسول بلا فصل.

ومع ما يسندونه إلى شيوخهم من الترهات إذا سمعوا منّا في مناقب أهل البيت رفعوا عقيرتهم بنبزنا بقول (رافضيّ) فيا للعجب نحن الذين نزرّه ذات الباري من القبائح ونثبت للأنبياء العصمة والأئمة روافض، وهم الذين يخالفون هذه العقيدة يعتبرون أهل السنة خالصين مسلمين وكذلك يتخيّلون.

وقالوا: أنفق أبو بكر على رسول الله أربعين ألف درهم أو دينار.

الجواب الأول:

إن الله أغنى نبيّه بفضله عن مال أبي بكر حيث قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾^(١).

الثاني: أغناه بالأنفال كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٢).

الثالث: بالخمس، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾^(٣) والصدقة محرّمة على رسول الله وأهل بيته كما قال: نحن أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة.

وقال رواهم: كانت لأبي بكر راحلتان فأعطى إحداها لرسول الله في الهجرة فلم يقبلها رسول الله ﷺ وقال: لن أقبلها إلا بشمنها فيما أن تبيعها عليّ أو تؤجرنيها فإنّي لا أركب بغيراً ليس لي.

(١) الضحى: ٨.

(٢) الأنفال: ١.

(٣) الأنفال: ٤١.

ولقد كان أبوبكر أفقر بيت في أهل مكّة، وكان معلماً للأطفال آداب الجاهليّة، وكان سمساراً كما زعم الثعلبيّ ويبيع الكرايس، وأبوه صيّاداً، فمن أين جاءته هذه الثروة ليت شعري. وكان أكثر أهل مكّة قوم من الفقراء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾^(١).

ولما تلى أمير المؤمنين سورة برائة على أهل الموسم ونهى المشركين من الطواف في الكعبة ومنعوا من زيارتها، شكى أهل مكّة الفقر وقالوا: كنّا نؤمن حاجتنا من نفقات الزوّار فأعطاهم الله تعالى الجزية المستوفاة من اليهود والنصارى وجعل ذبح الهدي لازماً، وأعطى للقانع والمعتز من فقرائهم.

وتوجّه المدح من الله إلى فقراء المهاجرين في كلّ موضع أثنى فيه على الصحابة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾^(٢)، وقال: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَافاً﴾^(٣) وقال: ﴿النُّيُومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٤).

وقال رسول الله ﷺ على المنبر في آخر عمره: اللهم هل بلغت، ويظهر من قول النبي ﷺ هنا أنّه لم يتوان عن التبليغ ولقد بلغ الأمر والنهي والحلال والحرام والشرائع بمجملها، فلا مجال حينئذٍ للقياس والاجتهاد والاستحسان وهي أمور باطلة وعلل شرعيّة مندكة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَخُصْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥).

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) الحشر: ٨.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) المائدة: ٤٤.

فالله واحد، والنبي واحد، والشريعة واحدة، ولكن قضى عليهم القياس أن يفرقوا إلى مذاهب كأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ النَّبِيُّاتُ﴾^(١) فأبطلت هذه الآية كل اختلاف جاء بالطوائف والفرق لأن الحق واحد لا يتجزأ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣).

وقالوا: قال رسول الله ﷺ: اختلاف أمتي رحمة، وهذا من العجائب أن يكون اختلاف الأمة رحمة واتفاقها واتحادها ليس رحمة، ولا حرج عليها من الاختلاف، وفي الحديث: من حكم في وزن عشرة دراهم فأخطأ حكم الله يجيء يوم القيامة مقطوعاً يدها..

ونقيض هذه الرواية صحة الاجتهاد: إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإذا اجتهد فأصاب فله أجران^(٤)، وقالوا: كل مجتهد مصيب^(٥)، ولما انكشفت تناقضات أئمتهم للملأ اخترعوا مثل هذه الأحاديث ليغطوا على أخطائهم فأضلوا أنفسهم.

والعجب من هؤلاء أنهم يعتقدون كل من اجتهد في مسألة في العالم مصيباً إلا

(١) آل عمران: ١٠٥.

(٢) يونس: ٣٢.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) الأئمة للشافعي ٦: ٢١٦ و ٧: ٩٩، الرسالة للشافعي: ٤٩٤، مختصر المزني: ٢٩٩، مجموع النووي ٣: ٥٣، مغني المحتاج للشريني ٤: ٣٧٢، فتح المعين للهندي ٤: ٣٩، البحر الرائق ٧: ٧٦، المغني لابن قدامة: ٢٧، المحلى لابن حزم ١: ٦٩ و ٧٠، سبل السلام ٤: ٧٧٨ وقال: متفق عليه، مسند أحمد ٤: ١٩٧، صحيح البخاري ٨: ١٥٧، صحيح مسلم ٥: ١٣١.

(٥) روضة الطالبين ٧: ٤٢١، حواشي الشرواني ١: ٥٠، المبسوط للسرخسي ١٠: ١٩١ و ١٢: ٦٩، المحلى لابن حزم ١: ٧٠، بداية المجتهد لابن رشد ١: ٥١.

الأئمة الشيعة وعلماؤها كالإمام زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى ابن جعفر وعلي بن موسى وأمثالهم عليهم السلام مع أنهم أهل العصمة والطهارة ومن أهل البيت النبوي فإنهم لم يذكروا لهم مسألة واحدة في أصل أو فرع .. ومع علمهم أيضاً بأن علماهم كأبي حنيفة والشافعي من تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء أن يكون اجتهد السقي حقاً واجتهد الإمام الصادق الذي روى عنه أربعة آلاف راوٍ موثق منهم أبو يزيد البسطامي وأبو حنيفة الكوفي، سبحان الله! ما أعظم هذه العداوة لهذه الضلالة مع عترة الرسول، مع أنه ورد في كتبهم بأن النبي صلى الله عليه وآله قال: إني مختلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتما بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وقال عبدالله بن عباس: أول من قاس إبليس، وقال النبي: «أهل بيتي .. الحديث» وكذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي^(١).

ومع ما يروون من هذه الأخبار الآخذة بالأعناق يتمسكون بأذيال الشافعي وأبي حنيفة ومالك وابن حنبل «يُنْسِلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا»^(٢)، ولم يلقوا بالآخبار العترة من الأئمة المعصومين عليهم السلام ويرونها من أخبار الآحاد وما يرويه أبو هريرة أو المغيرة أو أبو موسى الأشعري فهو حق ومتواتر مع أنهم يقولون عن النبي أنه قال لأبي هريرة: إن فيك شعبة من الكفر^(٣)، وزنى المغيرة وشهد عليه ثلاثة عند عمر،

(١) كشف الغطاء للشيخ جعفر ١: ٨، فقه الصادق ٧: ٣٧٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠، مقتضب الأثر للجوهري: ١٥، التعجب: ٦٥، الاحتجاج ٣: ٤٨، العمدة: ٣٠٨، الطرائف: ١٣١، شرح الزيارة الجامعة للشيرازي: ١٨١، خلاصة عبقات الأنوار ١: ٨١ و٤: ٣١٥ و٣١٨، المستدرك للحاكم ٢: ٤٤٨ و٣: ١٤٩، المعجم الأوسط ٤: ٢٣٧.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) جاء الخبر في مجمع الزوائد هكذا: عن أبي هريرة قال: سببت رجلاً في الإسلام بأنم له في

وأخاف عمر الرابع فكتم الشهادة وتلجلج بها لأن المغيرة صاحب عمر واجتمعت... مسلحة الرجلين على بغض عليٍّ عليه السلام، وهدد الشاهد وأرهبه حتى دفع شهادته، وقال النبي عن أبي موسى: إنه إمام الفرقة المذبذبة (كذا).

وهم يروون عن حذيفة وعن سلمان عن رسول الله ﷺ: ستفترق أمتي على ثلاث فرق: فرقة على الحق لا ينقبض الباطل منها شيئاً، يحبوني ويحبون أهل بيتي، مثلهم مثل الذهبية الحمراء أوقد عليها صاحبها فلم تزد إلا خياراً، وفرقة على الباطل لا ينقبض الحق منها، يبغضوني ويبغضون أهل بيتي، مثلهم مثل الحديد أوقد عليه صاحبه فلم تزد إلا شراراً، وفرقة مذبذبة فيما بين هؤلاء وهؤلاء يقولون لا مساس إمامهم الأشعري.

ويروون أيضاً عن رسول الله ﷺ: ما وليت أمة أمرها رجالاً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا...^(١). ومع هذه الرواية فقد تركوا عليّاً وهو الأعلم واختاروا غيرهم وهم جهال وسوف يرجعون في عهد صاحب الزمان إلى ما تركوه.

❦ الجاهلية فاستعدى علي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: فيك شعبة من الكفر. فلما ذكر الكفر اضطربت رجلاي فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أسب مسلماً بعده أبداً (٨): (٨٦).

(١) مستدرک الوسائل ١١: ٣٠، كتاب سليم بن قيس: ٢٠٥، المسترشد: ٦٠٠، كنز الفوائد للكرامكي: ٢١٥، التعجب له: ١٤، الأمالي للشيخ الطوسي: ٥٦٠، الاحتجاج ١: ٢١٩ و ٢: ٨، حلية الأبرار ٢: ٧٧ و ٨٠، مدينة المعاجز للبحراني ٢: ٨٧، بحار الأنوار ١٠: ١٤٣ و ٢٧: ١١٣ و ٣٠: ٣٢٣، الغدير للأميني ١: ١٩٨، ينابيع المودة ٣: ٣٦٩، الأنوار العلوية: ٣٣٦، صحيفة الإمام الحسن: ١٨٤.

الفصل الحادي عشر

في بيان جانب من الوقائع والمظالم التي أنزلوها في آل الرسول ﷺ

اعلم بأن الرجال أكثر عطفاً على النساء في جميع قضاياهم، وبناءً على هذا فإن فاطمة ؑ مع جلالة قدرها وقرابتها من رسول الله وقرب عهدها منه خرجت تستغيث من ظالمهم بهم واحداً واحداً فما أجابها واحد منهم .
ولما خرجت عائشة تريد قتل عليّ والحسن والحسين ؑ اجتمع عليها ألف من المهاجرين، وكان غرضهم من سلب الخمس منهم تركهم فقراء مملقين لئلا يجتمع الناس عليهم .

قال أبوبكر لفاطمة: ايتيني بأحمر أو بأسود ليشهد لك مع أنها صاحبة اليد وهي المتصرّفة، وجاءت أبابكر بعليّ والحسن والحسين وأمّ أيمن يشهدون لها، فقال أبوبكر: عليّ وولده يجرّون النار إلى أقراصهم، وأمّ أيمن امرأه، ولقد سمع رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ اللهم أدر الحقّ معه حيثما دار، وقال في حقّ الحسن والحسين ؑ: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وهما إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما^(١).

وقال في حقّ فاطمة ؑ: فاطمة بعضة مّي، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وإنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها^(٢).

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٩٠، الإمام عليّ للرحماني: ٣٠٦ و ٣٥٠، كنز العمال ١٢: ١٢٢ رقم ٣٤٢٩٣ وجميعها خلت من جملة: هما إمامان قاما أو قعدا، وهي كما أعلم حديث مستقل.

(٢) فوائد الأحكام للحليّ ١: ١٢٢، مسند زيد: ٤٥٩، أمالي الصدوق: ١٦٥، كفاية الأثر: ٣٧ و ٦٤ و ٦٥، ذخائر العقبى: ٣٧، الصراط المستقيم ١: ١٧٠ و ١١٨ و ٢٨٢ و ٢٨٩، فضائل الصحابة

وقال في حقِّ أمِّ أيمن: أنت على خير أو إلى خير.

ولم يمض طويل وقت حتَّى جائه مال من البحرين وكان جابر بن عبد الله الأنصاريّ إلى جانبه فقال له: يا أبا بكر، قال رسول الله ﷺ: إذا أتاني مال البحرين حبوت لك^(١)، فاستدناه أبو بكر وحتَّى له من ذلك المال الذي في كلِّ درهم منه حقٌّ لفقير وسهم لجائع ثلاث حثوات، بلا حجة أو سبب، ولم يطالبه بشاهد واعتقد صدقه.

والعجب أنَّهُم يرون أبا بكر مصيباً ويرون المعصوم وقد شهد له المعصوم مخطئاً وكاذباً مع أنَّ عدداً من الآيات تدلُّ على صدق فاطمة رضي الله عنها وصحة دعواها.

هاهنا أعطى مال المسلمين لآخر بدون بيّنة، وهنا غصب مال المستحقِّ مع وجود البيّنة، وفي كلا الحالين ادّعت فاطمة ملكيّة أرض أنحلها إيّاها رسول الله ﷺ وادّعى جابر وعد رسول الله وطلب إنجازها، وتلك صاحبة اليد ودعوى جابر خارجة عن التصرّف؛ فاعتبروا يا أولي الألباب.

وكذلك لما ادّعى سعد بن زيد زعم أنَّ النبي ﷺ شهد لجماعة بالجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة^(٢) ولم يشهد له أحد من الصحابة بصحة ما قال ولم يصدّقه أحد، ومع كونه

➤ للنسائي: ٧٨، مسند أحمد ٤: ٥، صحيح البخاري ٤: ٢١٠ و٦: ١٥٨، صحيح مسلم ٧: ١٤١، سنن ابن ماجه ١: ٦٤٤، سنن أبي داود ١: ٤٦٠، سنن الترمذي ٥: ٣٥٩، المستدرک ٣: ١٥٩، والمؤلف ذكر حديثين في سياق واحد، والثاني: إنَّ الله يغضب لغضب فاطمة، الحديث وأخرجه زيد في مسنده: ٤٥٩، عيون أخبار الرضا رضي الله عنه ١: ٥١، نايب المودة ٢: ٥٦، اللعة البيضاء: ١٣٣، ونسبه صاحب حقوق أهل البيت الشيخ محمد حسين الحاج إلى كنز العمال ١: ٢١٩.

(١) لعلّها حثوت لك.

(٢) لم يرشح للجنة مثل عمّار والمقداد وسلمان وخباب بن الأرت وسعد بن عباد ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر، ورشح لها هؤلاء، إنَّ هذا الأمر عجيب!

ادّعى هذه الدعوى للحصول على النفع والجاه لأنّه منهم وهو شاهد لنفسه فقبل قوله ولم يردّوا دعواه، وردّوا دعوى فاطمة وما علموا أنّ مال الزوج والزوجة لا يصل إلى الأولاد إلّا بالميراث أو النحلة، وكلّ الناس يرث بعضهم بعضاً.

ويشهد على السابق إلى الإيمان والإسلام الذي لم يشرك بالله طرفة عين، وسبق الناس بالعلم والزهد بعد رسول الله أمام رجل أشرك ستّاً وأربعين عاماً من عمره، وقدم عبادة الأصنام على عبادة الله، وأكل لحم الخنزير طول عمره ولم يكن ذا علم أو عمل صالح أو ورع، وكان يتلکأ عن الجهاد وهو أثقل عليه من الموت، وإذا سيق إلى الجهاد كأنّه ونظرائه يساقون إلى الموت، وتوالت عزائمه ونكت عهد رسول الله ﷺ، ورجل هذه صفاته يردّ شهادة عليّ عليه السلام!!

ولا تعجب منه واعجب من الأوباش الذين يثبتون له الإمامة ويرونه مصيباً، ويرون مثل عليّ مخطئاً، وكذلك يرون أنّ عليّاً طلب ما ليس له. والأعجب من هذا أنّهم يجرّدون النساء من كلّ علم لاسيّما علم الفقه ويقولون لهذا وقعت فاطمة في الخطأ والسهو، يقولون هذا عنها وهي معصومة، ويقولون عن عائشة بأنّ النبيّ قال في حقّها: خذوا ثلث دينكم عن عائشة لا بل ثلثي دينكم لا بل خذوا دينكم كلّهم عن عائشة^(١).

سبحان الله ويا للعجب أن تكون بنت أبي بكر عالمة إلى هذا الحدّ وبنت رسول الله وزوج عليّ وأمّ الحسن والحسين جاهلة - حاشاها - إلى درجة لا تعرف مسألة واحدة، ما أصلف هؤلاء القوم وما أقلّ حياءهم!

ويقول الخصم عن عليّ أنّه باب مدينة علم الرسول، ومع وفور علمه لا يعرف هذه المسألة مع أنّهم يعتقدون فيه المرشد لأبي بكر وعمر وعثمان، ويزعمون أنّ

(١) التعجب: ١٥. وما زال الرجل يغير غارة شعواء على صاحب التعجب فيأخذ منه العبارات الطويلة ويطلع بها كتابه.

النبي لم يعلم فاطمة عن حالها في النحلة والميراث ولا أعلم غيرها من أهل بيته مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، ومن العجب أن يعلم ويؤدّب بنات الأمة ويترك آلّه وذويه على طرف الجهل مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾^(٢) وقال: ﴿أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٣) الآية، وقال رسول الله ﷺ: بعثت إلى أهل بيتي خاصّة وإلى الناس عامّة^(٤). فنسبوه إلى التقصير في تبليغ الوحي مع أنّه جرت عادته إذا أراد سفراً أن يذهب إلى بيت فاطمة ويطلّ المكث فيه، ثمّ يخرج منه إلى مقصده تيمناً وتبركاً به، وإذا عاد من سفر بدأ ببيت فاطمة ﷺ ثمّ يخرج منه إلى باقي نسائه.

والعجب أن الرجل يطلب من فاطمة البيّنة على دعواها ثمّ يأتي بفرية «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» فلا يطالب نفسه بالبيّنة على ما ادّعاه، وفي القرآن عدّة مواضع تردّ هذه الافتراء، وهذا تحامل على أهل البيت وغمز في دين الرجل. ومن عجائب الأمور تأتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ تطلب فداً وتظهر أنّها تستحقّها فيكذب قولها ولا تصدّق في دعواها وتردّ خائبة إلى بيتها، ثمّ تأتي عائشة بنت أبي بكر تطلب الحجرة التي أسكنها بها رسول الله ﷺ وترغم أنّها تستحقّها فيصدّق قولها وتقبل دعواها ولا تطالب بيّنة عليها، وتسلم هذه الحجرة إليها فتصرّف فيها وتضرب عند رأس النبي ﷺ بالمعاول حتّى تدفن تياً وعدياً فيها..^(٥)

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) التعجّب: ٥٤.

(٥) رأيت عبارة صاحب التعجّب أرشق وأجمع والمؤلف أخذ عبارته منه يدلّ على ذلك قوله: «كلنكها كشيدند» قابل بها جملة وتضرب عند رأس النبي بالمعاول، انظر ص ٥٦ من التعجّب.

والأعجب من هذا لما انتقل الحسن إلى الرفيق الأعلى وصّى بحمله إلى جدّه في روضته بعد تغسيله ليجدّد به عهداً ثمّ منه ينقل إلى البقيع ويدفن هنالك عند جدّته فاطمة بنت أسد^(١) ولما حملوا نعشه وأمّوا به روضة النبي ﷺ ركبت الغازية المجاهدة عائشة على بغلتها واستدعت مروان مع جيشه الأمويّ وقالت: لا ندعهم يدفنونه عند قبر جدّه (لا تدخلوا بيتي من لا أحبّ) فقال عبدالله بن عباس: الحسن أجلّ شأناً من ذلك، وأن يؤذى رسول الله وهو في قبره بضرب المعاول عند رأسه ولكنه طلب تجديد العهد بجدّه بدخوله الروضة، فخاصمت عائشة عبدالله على ذلك، وقالوا: إنّ عائشة أخذت من مروان قوسه ثمّ رشقت جنازة الحسن بالنبل.

تَجَمَّلَتْ تَبَقَّلَتْ وَلَوْ عَشْتِ تَفَقَّلَتْ لَكَ التُّسَعُ مِنَ التُّمْنِ فَمَيَّ كُلَّ تَطَعَمَتْ

وأعجب من هذا أنّهم غصبوا نخلة فاطمة التي أعطها رسول الله لها ولأولادها ونهبوا الخمس الذي هو حقّها وحقّ زوجها وأولادها وطعنوا في القرآن الكريم بأنّه منسوخ وتركوا أولاد فاطمة لا يملكون عيشة الكفاف وفي أضيق حال فلم يصلهم أحد على الجوع والعري إلاّ نفر صالح مظلوم مثلهم من المؤمنين وأقرّوا لعائشة وحفصة اثني عشر ألف درهم في كلّ سنة لكلّ واحدة ستّة آلاف، بنخ بنخ لإمام مثل هذا يؤمّ المسلمين وبنخ بنخ لخليفة رسول الله يبيع ابنة رسول الله وأولادها.

(١) هذه العبارة مسلوخة من عبارة التعجّب وإليكها: ثمّ تمنع الحسن بن رسول الله بعد موته منها ومن أن يقربوا سريره إليها وتقول: لا تدخلوا بيتي من لا أحبّه وإنّما أتو؟ به ليرك بوداع جدّه فصّدته عنه (ص ٥٦).

الباب الخامس والعشرون

في ذكر عائشة وطلحة والزبير على طريق الإيجاز

اعلم أنّ ابن وائلة أبا الطفيل عامراً يقول: سمعت من أمير المؤمنين يقول: سمعت رسول الله ﷺ وسمعت عائشة أيضاً: لعن أهل الجمل وأصحاب صفّين وأهل النهروان. قال عمر: سمعت هذا من أمير المؤمنين ﷺ يقول في البصرة بعد ظفره بأصحاب الجمل فخرجت منه ودخلت على عائشة وسألتها الخبر، فقالت عائشة: وأنا أيضاً سمعت ذلك من رسول الله ﷺ كما سمعه عليّ ولكنّي لست من أهل الجمل، وظهر عليها الحياء والانفعال.

وروي عن الإمام الصادق ﷺ^(١) قال رسول الله ﷺ: إنّ امرأة موسى عليه (صفوراء بنت شعيب) خرجت على وصيّته يوشع بن نون، فظفر بها فأشار عليه من حضر بما لا ينبغي فيها، فقال: أبعد مضاجعة موسى لها؟ ولكن أحفظه فيها..^(٢) ثم قال النبي ﷺ: وإني لأخشى أن تخرج واحدة من نسائي على وصيّ من بعدي وتقاتله فيظفر بها ويأسرها فيحسن أسرها. فشاع الخبر بين أزواج

(١) الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ١٧٩، مستدرك سفينة البحار ١٠: ٣٢٨، بحار الأنوار ١٣: ٣٦٩.

النبي ﷺ فذهبت جماعة منهم إلى النبي ﷺ وقلن له: ادع الله لنا أن لا تكون الخارجة إحدانا. وقال: عليكن بتقوى الله ولا تركبن الجمل بعدي وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى.

ثم قال النبي: والذي بعثني بالحق نبياً إن جبرئيل أخبرني بأن أصحاب الجمل ملعونون على لسان كل نبي بعثه قبلي وقد خاب من افترى.

وجاء أمير المؤمنين إلى النبي على الفور فلما رآه النبي ﷺ قال: يا علي، إنك المظلوم بعدي، ثم أقبل على أصحابه وقال: أشهدكم أنني سلم لمن سالمه، وحرب لمن حاربه، وأقبل عليه وقال: من حاربك فقد حاربي ومن حاربي فقد حارب الله، ومن فارقه فقد فارقتني ومن فارقتني فقد فارق الله.

نكتة:

اعلم أن في مذهب الشيعة يكفر من خرج على أمير المؤمنين أو آذاه عامداً قاصداً وهو من أهل النار، والدليل على ذلك أن أهل الإمامة لما خرجوا على أبي بكر حكم عليهم بالارتداد والكفر في مذهب مخالفينا فكذلك الخارج على إمامنا في مذهبنا، والخبر كما يلي:

لما استخلف أبو بكر أرسل الجبابة لجمع الزكاة، فقال الناس: نحن في زمن النبي كنا نطعمها فقراء قبائلنا ومساكينها وسوف نفعل بها اليوم ما فعلناه أمس، ولو أننا أعطيناها لغيرنا فلا ندفعها إلا لمستحقها وهو خليفة رسول الله والقائم مقامه، وأنت لست من ذلك في شيء وإنما تأمرت على الأمة بظلم وبدون رضاها، ولم ينطقوا بأكثر من هذا ولم يحاربوا أحداً ولم يشتموا مسلماً ولم يسلوا سيفاً في الإسلام، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد ومعه عسكر جرار، فلما بلغهم بعسكره خرجوا من بيوتهم ليدفعوا شر خالد عنهم فأذن المؤذن ولما سمعوا الأذان وضعوا السلاح ومالوا إلى أداء الصلاة، فامتنع العسكر من مقاتلتهم فصاح فيهم خالد

وأمرهم بالهجوم على القوم وهم في حال الصلاة، فقتلوا المقاتلة وأكثرهم (راكعين وساجدين ومتوجهين إلى الله وإلى قبلته ..) فاستأصلوهم وقتل خالد مالكا بن نويرة وكان رئيسهم ووضع رأسه أثفية للقدور بين لهب النار، وزنى في تلك الليلة بزوجه، وأسروا النساء والأطفال من تلك القبيلة فلما علم عمر بواقع الحال أشار على أبي بكر أن يحدّ خالداً.. فقال أبو بكر: خالد سيف من سيوف الله^(١).

ونقول هنا: إنّ ما استحقّقه أهل اليمامة على كلمة واحدة قالوها كان أولى منهم بهذا أهل الجمل الذين ساروا من بلد إلى بلد قاصدين حرب إمام المسلمين وحقّة الله على الخلق أجمعين وسلّوا السيوف في وجهه ونكثوا عهده وبيعته، وأنكروا إمامته، فأظفر الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام بهم فقتلهم الله وخذّهم.

إذن كما زعم الخصم بأنّ أهل اليمامة ارتدّوا وهم يقرّون بالتوحيد والعدل ونبوّة محمد ﷺ فإنّ طلحة والزبير وعائشة كانوا كذلك. وقال المعتزلة: لقد تاب القوم ورووا عدداً من الأخبار لا تدلّ على توبتهم.

نكتة:

روي أنّ الشيخ المفيد أبا عبدالله محمد بن محمد بن النعمان حضر مجلس قاضي القضاة في بغداد وكان يستمع إلى درسه، وكان الشيخ صبيّاً، فجاء رجل إلى مجلس قاضي القضاة وقال له: أيّها القاضي، يروى بأنّ رسول الله ﷺ نصّ يوم غدير خم على إمامة علي عليه السلام وخلافته ولكنّ عليّاً لم يقم بالأمر بل قام به أبو بكر أي كان غاصباً لإمامته.

فقال القاضي: أيّها السائل، النصّ على عليّ رواية وخلافة أبي بكر دراية (والعاقل لا يترك الدراية للرؤية).

(١) لم يقصد عمر بذلك وجه الله أو تشييداً وتأييداً للحقّ بل خاف من خالد أن يتقوى به أبو بكر فيعرض عن عمر ويفوته تشطّر الضرع.

فسمع المفيد هذا فصر قليلاً حتّى انفضّ المجلس وبقي القاضي وحده فالتفت إليه الشيخ وقال: ألك حاجة أيّها الصبي؟ فقال: إن أذنت لي، فقال القاضي: هات، فقال الشيخ: روي بأنّ طلحة والزبير حارباً عليّاً في البصرة فكيف كانت الحال وعليّ خليفة؟

فقال القاضي: أيّها الفتى، لا شكّ في وقوع الحرب ولكنهم تابوا. فقال الشيخ: أيّها القاضي، الحرب دراية والتوبة رواية، والعاقل لا يترك الدراية للرواية.

فقال القاضي: من أنت أيّها الفتى؟

فقال الشيخ: محمّد بن محمّد النعمان، فقال القاضي: أنت المفيد حقّاً، فاشتهر الشيخ بالمفيد من يومئذٍ^(١).

نأتي إلى حكايتنا: ولما قتل طلحة في الحرب بيد مروان لعنه الله فيكون تصوّر التوبة له من نوع المحال مع أنّ الخبر اشتهر عن أمير المؤمنين أنّه مرّ على طلحة فأمر بإجلاله فلمّا فعلوا، قال: يا طلحة، وجدت ما وعدك ربّك حقّاً وقد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً.

وقيل: لما مرّ به قال: لقد كان لك برسول الله صحبة لكن الشيطان دخل من منخريك فأوردك النار.

وكتب إلى عمّال الأقاليم عن الفتح بالعبارة التالية: إنّ الله قتل طلحة والزبير على شقاقهما وبغيهما ونكثهما، فهزم معهما وردّت عائشة خاسرة..^(٢). ولو كان للتوبة أثر في نفوسهم لم ينشر أمير المؤمنين هذا الكلام على الملأ.

(١) راجع لهذا كتابنا حجة الشيعة الكبرى: ٣٥-٣٧.

(٢) الفصول المختارة: ١٤٢.

وإذا استطاع المخالف الحديث عن توبة طلحة وهو في حالات النزاع فإنّ خصمه بإمكانه القول بتوبة أبي جهل وإسلامه وهو ينزع سكرات الموت.

ومثله يقال في جميع الكفار والمنافقين والفساق، فلا بدع أن تحدث عندهم حالة التوبة التي حدثت عند طلحة وهو في ساعة الموت يعاني السياق والنزع فلا يمكن الحكم بكفر كافر ولا فسق فاسق بناءً على هذا المذهب.

والمخالف يروي عن النبيّ أنّه قال: يا عليّ، إنّك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين^(١). وهذا دليل على أنّ القوم هلكوا على بغيهم وظلمهم، ومن مات بعد التوبة لا تطلق عليه هذه الأوصاف نظير النكث وما عداه.

واشتهر عند العلماء كذلك بأنّ عائشة امتنعت من الذهاب إلى المدينة وكان الإمام ينصحها فلا تقبل، فأمر عبدالله بن عباس بأن يرحلها إلى المدينة، وما سمّت علياً أمير المؤمنين إلى أن ماتت، ومن سمّاها أمامها بهذا الاسم ظهر الامتناع على وجهها (لعنة الله عليها - المترجم).

روى الواقدي - وهو ناصبيّ عثمانيّ - أنّ عماراً بن ياسر زار عائشة لما عادت إلى المدينة، فقال لها: يا عائشة، كيف رأيت ضرب بنيك على الحقّ^(٢)؟ فقالت عائشة:

(١) رسائل المرتضى ١: ٣٤٥ و ٣: ١١٠، الاقتصاد للطوسي: ١٨١، تذكرة الفقهاء ١: ٤٥٢، المستدرک ٣: ١٣٩ - ١٤٠، مجمع الزوائد ٥: ١٨٦ و ٦: ٢٣٥ و ٧: ٢٣٨ بطريقتين، مسند أبي يعلى ١: ٣٩٧، المعجم الأوسط ٨: ٢١٣ و ٩: ١٦٥، المعجم الكبير ٤: ١٧٢ و ١٠: ٩١ و ٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٠٦ و ١٣: ١٨٣ و ٢٨٧، كنز العمال ١١: ٢٩٢ رقم ٣١٥٥٢، ضعفاء العقيلي ٣: ٤٨٠، الكامل في الرجال ٢: ١٨٨ و ٢١٩، علل الدارقطني ٥: ١٤٨، تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٦٨ و ٤٦٩ بطرق عدّة، أسد الغابة ٤: ٣٣ بثلاث طرق، ميزان الاعتدال ١: ٢٧١، لسان الميزان ٢: ٤٤٦، سبل الهدى والرشاد ١٠: ١٥٠ و ١١: ٢٩٠، لسان العرب ٧: ٣٧٨.

(٢) صحّفها المؤلّف إلى «بنيك» وترجمها هكذا: چون دیدی ضرب پیغمبر تو را بر حق، ولها وجه.

يا عَمَّار، أجل، إنَّكَ غلبت في أصحابك؛...^(١) فقال عَمَّار: استبصاراً من ذلك، والله لو ضربتمونا حتَّى تبلغونا سَعَفات هجر لعلمنا أنَّنا على الحقِّ وأنَّكم على الباطل..^(٢) فقالت عائشة: هذا تخيل إليك يا عَمَّار أذهبت دينك لابن أبي طالب. ذكر الطبري: لما انتهى إلى عائشة قتل عليٍّ عليه السلام قالت:

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالأباب المسافر

فن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاها غلام ليس فيه التراب

وهذه الجملة تدلُّ على إصرارها على ذنبها.

وجاءت الرواية على أنَّها أبت الذهاب إلى المدينة، فقال عبدالله بن عباس: دعها في البصرة، فقال عليه السلام: إنَّها لا تألوا شراً ولكنِّي أردّها إلى بيتها. وروى محمد بن إسحاق أنَّها وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تنزل تحرّض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البحترى تحرّضهم عليه^(٣).

سؤال:

وهذه أخبار آحاد.

(١) الاقتصاد للطوسي: ٢٢٨، الأمالي للطوسي: ١٤٣، ويؤكد أنَّ اللفظة «بنك» جمع قوله من بعدها دون دينهم بالسيف، الصراط المستقيم ٣: ١٦٢، بحار الأنوار ٣٢: ٢٦٦، خلاصة عقبات الأنوار ٣: ٣١، الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي: ١٧٢، الدرجات الرفيعة لعلي بن معصوم: ٢٦٧، تاريخ الطبري ٣: ٥٣٩، الجمل للشيخ المفيد: ١٩٧، بشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبري: ٤٣٤.

(٢) ترجم سَعَفات هجر ترجمة خاطئة.

(٣) الاقتصاد للطوسي: ٢٢٩، الاحتجاج ١: ٢٤١، بحار الأنوار ٣٢: ٢٦٧.

جواب:

وأخباركم ضعيفة أيضاً، بل أضعف منها لأنكم انفردتم بروايتها، أما الشيعة فقد رواها معهم خصومهم النواصب وهي مروية في كتبهم، غاية الأمر أننا نعارض خبراً مع خبر فيتساقطان ويبقى الأصل على حاله وهو فسق القوم ومعصيتهم بل كفرهم عند الشيعة.

ولما جاء ابن جرّموز برأس ابن الزبير وسيفه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنّ الحين ومصارع السوء.

وقال أمير المؤمنين: والله لقد علمت صاحبة الهودج أنّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي وقد خاب من افتري^(١).

وروى البلاذري بإسناده إلى جويرة بن أسماء قال: بلغني أنّ الزبير لما ولّى اعترضه عمار بن ياسر وقال: أبا عبدالله، والله ما أنت بـجبان ولكني أحسبك شككت فقال: هو ذاك، والشكّ خلاف التوبة.

وكذلك قال طلحة في حال النزاع: ما رأيت مصرع شيخ أضيق من مصري.. فلو كان قد تاب لما ضاع مصرعه.

سؤال:

روي أنّ طلحة لما أحسّ بالموت قال:

ندمت ندامة الكسعي لما رأيت عيناه ما فعلت يداه

جواب:

هذا يدلّ على الندم ولا ينفع الندم، إنّما ندم لأنّه استشعر الخسران، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ﴾

(١) الاقتصاد للطوسي: ٢٢٨، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣٥ واقتصر على الرواية الأولى.

﴿الآن﴾^(١)، وقال في حق فرعون: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

والذي ورد عن عائشة لا يدلّ إلّا على شعورها بالذنب وعلى حيرتها وليس على التوبة والرجوع إلى الحقّ كما تمتّ الموت لأنّها رأت بعينها هزيمة جيشها وفقدانها الظفر على حجة الله كما قالت مريم عليها السلام: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مُنْسِيًّا﴾^(٣) وما قالت ذلك مريم لأنّها عصت الله وإنّما قالت ذلك لما يقابلها به الناس من سوء الظنّ والرجم بالغيب ممّا لا أساس له، إذ ليست المرأة تائبة بل قالت ذلك لمّا فاتها ما كانت تحلم به. وقالوا: إنّ الإمام قال يوم الجمل: وددت أنّي متّ قبل اليوم بعشرين سنة^(٤) لأنّي لا أرى من الرعيّة مساعدة أو شدّ أزر وبذل مال وجهد.

وأيضاً طرأ على بال عدد من الجهّال عن هذه الحرب هل هي جائزة ومأذون بها أو لا؟ مع أنّها كانت بإذن النبي صلى الله عليه وآله، وأجمعت الأمة على أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعِمّار: تقتلك الفئة الباغية، وقاتله معاوية.

وأما رجوع الزبير عن الحرب فلا يدلّ على ندامته ولا توبته، لأنّه لو تاب لانضمّ إلى عسكر أمير المؤمنين وقاتل معه بل كان قتاله مع عائشة ولكنّه رأى

(١) النساء: ١٨.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) مريم: ٢٣.

(٤) المستدرک ٣: ٣٧٣ والرواية كما يلي: أجلس علي عليه السلام طلحة يوم الجمل فمسح التراب عن رأسه ثمّ التفت إلى الحسن بن علي فقال: وددت أنّي متّ قبل هذا بثلاثين سنة.. وأنا - المترجم - لا أزيد على قول كلمة واحدة: اللهمّ إنّي أسألك بجلال وجهك الكريم أن تجعل دم طلحة في عنقي؟؟ المصنّف ٨: ٧١٣، أنساب الأشراف: ٣٢٤، تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٤ وهو يروى الكلمة لعائشة والصحيح أنّها لها ولكن القوم بغضاً لعلي عليه السلام ورووا له، اللهمّ العن من يبغض عليّاً وأهل بيته من الأولين والآخرين.

إرهاصات النصر لعلّي لائحة لذلك ولّى الحرب ظهره ولاقى مصيره. وقيل: إنّه نوى اللجوء إلى معاوية ليستسمده ويحدث فتنة أخرى في خلافة الإمام ﷺ فقتله الله قبل بلوغه مراده.

وإذا كان إعراضه عن الحرب يعتبر توبة فإنّ الكفّار الذين انهزموا من كتائب رسول الله وولّوا الدبر يعتبرون تائبين من الكفر، وهذا لا يقول به أحد.

وما قاله المخالف عن الزبير من ندامته بعد نصح أمير المؤمنين له فترك الحرب عند ذلك وقال له ولده عبدالله بن الزبير: يا أبت، أتركنا في هذا المقام بهذه الحالة؟ فقال له الزبير: يا ولدي، لقد ذكرني عليّ أمراً كنت ناسيه، فقال عبدالله: كلاً ليس الأمر كذلك بل خفت من صوارم عليّ، فغضب الزبير وتناول رحمه وانتزع منه زجّه وحمل على عسكر أمير المؤمنين ﷺ، فقال أمير المؤمنين لأصحابه: أفرجوا للشّيخ فإنّه مخرج، وهذه شهادة من قبله تدلّ على عدم التوبة.

ونقلوا كذلك عن ابن جرّموز لما حمل رأس الزبير إلى عليّ ﷺ، قال عليّ ﷺ: سمعت رسول الله يقول: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، فلو لم يكن من أهل الجنة والتوبة لما ثبتت هذه البشارة في حقّه.

جواب:

إن كان رجوعه عن الحرب بنصح عليّ يعتبر توبة فإنّ رجوعه بتحريض ولده على الحرب يعتبر نقضاً لها، وإصراراً منه على الذنب لأنّه عند سماع كلام ولده ترك الذين للحميّة والعصبية وحبّ الرياسة.

ويقول السيّد المرتضى علم الهدى في الجواب: وكيف يجوز من أمير المؤمنين ﷺ أن يميكن عدوّه ويمنع أصحابه من قتله، لأنّ المرء لا يدعو إلى الفسق ولا يبعث إلى خلاف الحقّ مع أنّ كلام ابنه غير مخرج لأهل الإيمان إلى إظهار الضلال ولا ملجأ لأحد من الخلق إلى ارتكاب المعاصي والطغيان، والعبارات واضحة وجملتها لا

تحتاج إلى التفسير ولا يبعد أن يكون هذا الكلام على طريق الاستهزاء كما قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(١) وقال: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾^(٢) وقال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣) (٤) وأمثال ذلك، ومنع أصحابه من التعرض له إما للاحتجاج وتكملة الحجّة أو على طريقة المنة عليه كما فعل النبي ﷺ على أهل مكة يوم فتحها والعفو عن الجاني وترك تعجيل عقابه لا يدلّ على الرضا بمعاصيه بل هو دليل التأليف والاستصلاح أو أنّه لإبلاغ الحجّة والاستدراج له.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُهُمْ عَذَابٌ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُقْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾^(٦).

وبشارة قاتله بالنار لا يدلّ على إيمانه لأنّه قتل المعاهد وقتل الكافر للتشقي وإراحة الغيظ لا لأجل الدين ونصره وإعلاء أمره، بل للتقرب لمخلوق أو للبعث أو لإظهار الفساد والفجور، وقتل المؤمن كذلك، كلّ هذه الأمور موجبة لدخول النار للقاتل، على أن المقتول من المستحقين للقتل وكذلك قتل الكافر الكافر إلّا في صورة المؤمن المقتول بيد غير مؤمنه، كما ذكر المفيد ذلك في كلامه.

(١) الدخان: ٤٩.

(٢) طه: ٩٧.

(٣) هود: ١٠١.

(٤) الذي أظنّه - والله العالم - أن المؤلف لم يدرك عبارة السيّد والعبارة وإن نسبها إليه فإنّها للشيخ المفيد وجاءت كالتالي: أما قول أمير المؤمنين عليه السلام «أفرجوا للشيخ فإنّه مخرج» فإنّه متى صحّ كان على طريق الاستهزاء والذمّ لأنّه لا يجوز أن يأمر أمير المؤمنين أصحابه بالتمكين لعدوه من حربه، الخ. انظر ص ١٤٣ من الفصول المختارة.

(٥) مريم: ٨٤.

(٦) آل عمران: ١٧٨.

حكاية:

كان ابن جرموز في حرب الجمل مع عائشة وقتل جماعة من أصحاب أمير المؤمنين، ولما رأى الدائرة تدور على عائشة وحزبها وأن الأوضاع اضطربت عليها وعلامات الظفر تلوح في جانب أمير المؤمنين عليه السلام تشاور مع أصحابه بني سعد وخرج معهم إلى الأحنف بن قيس وكان قد اعتزل الحرب على بعد فرسخين من البصرة، فجاءه رجل وهمس بأذنه سرّاً بأن الزبير بوادي السباع خرج هارباً وهو يؤم المدينة، فرفع الأحنف عقيرته وصاح: ما عسيت أن أصنع بالزبير إن كان بوادي السباع وقد جاء فقتل الناس بعضهم ببعض، وكان غرضه من هذا التحريض على قتله، فقام ابن جرموز مع رجلين من بني سعد وكانا شريكه في قتال أصحاب أمير المؤمنين وإعانة أصحاب الجمل واسم أحدهما فضالة بن حانس واسم الآخر جميع بن عمير، فرب الثلاثة وأسرعوا العدو للحاق بالزبير، وكان الزبير مترجلاً فلما بصر بهم استوى على فرسه فسبقهم عمير بن جرموز فحذر منه الزبير، فقال له عمير: لا بأس عليك أنا ذاهب لوجهي وسوف أسايرك. فأمنه الزبير فاستغفله ابن جرموز فطعنه بالرمح في صدره وقتله ونزل من فرسه واحتز رأسه وأقبل به إلى الأحنف ومنه ذهب به إلى علي عليه السلام لينال الحظوة والرياسة ولكي يعتذر بذلك عن قتاله مع عائشة وقتله لأصحابه، وقد أخبر النبي وصيته أن ابن جرموز لم يقتل الزبير فقهاً وتديناً بل قتله لنيل الرياسة وطلب الجاه، وهو من أهل النار، وكلّ من قتل آخر بعد إعطائه الأمان فإنه ملعون، وكان هو أيضاً من الخوارج وقتله علي عليه السلام في النهروان، وبشارته بالنار من الرسول إخبار بمصيره وعاقبة أمره.

ومثله فعل مع قرمان حين بشره بالنار مع أنه يقاتل معه ويعين أهل الإسلام والصحابة يشكرونه على جهاده واستأنته، والنبي يقول: إن قرمان من أهل النار،

و ذات يوم جاء الخبر إلى النبي ﷺ بأن «قرمان» استشهد، فقال النبي: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وأخبروا النبي عن جهاده و قتاله العظيم وأنه قتل جماعة من المشركين وقد تحمّل في جسمه ما بين سبع إلى ثماني جراحة شديدة وحملوا من مصرعه إلى منازل بني ظفر، قال المسلمون: ابشر يا قرمان فقد أبلت اليوم، فقال: بم تبشرونني، فوالله ما قاتلت إلا عن أُنساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت. فصعب عليه تحمّل الجراح فانتزع من كنانته سهماً حاداً وقتل به نفسه. ولما كان النبي يعلم عاقبة أمره أخبر المسلمين بما يجري منه لئلا يشتبّه أمره على المسلمين، ولئلا يقال عنه «مؤمن». ومن أجل ذلك قاتل مع النبي ﷺ، وقال النبي فيه: «قاتل نفسه في النار».

فتكون حال ابن جرموز وما أخبر النبي عليّاً عن دخوله النار كحاله. وقال الشيخ المفيد: استحقّ ابن جرموز النار لعصيانه وأمر عليّ حيث نادى مناديه: ألا تتبعوا مدبراً ولا تجهّزوا على جريج، ولكم ماحوى عسكرهم من الكراع والسلاح، وخالف ابن جرموز أمر الإمام مفترض طاعة واتبّع الزبير فاستحقّ النار لهذا السبب وليس لأنّ الزبير من أهل الجنة لتوبته أو ندمه، وعندنا كلّ من خالف الإمام فقد خالف الرسول، ومن خالف الرسول خالف الله، ومخالفة الله كفر والكافر يستحقّ النار.

كان الزبير رأس البغاة وقتله من أعظم الجهاد وأعظم الثواب، وينبغي أن يكون قاتله مستحقاً لأعظم الثواب وأعلى الدرجات بسبب قتله وإراحة الناس من شرّه،، ولكن بسبب كفر القاتل ونفاقه خسر الثواب وبطل منه الأجر ليس هذا فحسب بل استحقّ معه النار أيضاً وكان لازماً على الموحى إليه أن يخبر الأمة بحاله لئلا يغتر به من لا يعرفه ويعتقد له الإيمان والسلامة ويتقرّب إليه.

بَيِّنَةُ:

وأما عصيان عائشة فإنه لمخالفتها أمر ربها وما أمرها به من قوله سبحانه مخاطباً نساء النبي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١) فلم تَقَرَّ في بيتها وتَنَقَّلَت على جملها من حيٍّ إلى حيٍّ ومن بلد إلى آخر، وكذلك قول النبي ﷺ لعليٍّ عليه السلام: يا علي، نفسك نفسي وحربك حربي، وحرب النبي كفر.

وما يقال من أن المرأة لن تَمْسَها النار لأنها لامست نفس النبي ﷺ فإن نوحاً ولوطاً نبيان ولهما ذريّة من زوجتيهما واسم زوجة نوح «والعة» واسم زوجة لوط والهة، وكلتاها ذهبتا إلى جهنم وبئس المصير: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ﴾ إلى قوله: ﴿الذَّاخِلِينَ﴾^(٢) وكلتا المرأتين في النار بنص الآية، ولم تقبل شفاعة زوجيهما النبيين فيها، وأولى منها بالنار عائشة لأنها لم تلد للنبي وأعقم الله رحمها.

بَيِّنَةٌ:

منزلة الولد أعظم من منزلة المرأة لأن المرأة يمكن فراقها بالموت أو الطلاق، أما الولد فلا يمكن إبعاده عن الأب بأي سبب من الأسباب لأنه من صلبه، وبناءً على هذا إذا كان ابن نوح كنعان من أهل النار فإن زوجته أولى بدخول النار، ونزلت سورة التحريم بحق عائشة وحفصة وأبويهما حيث يقول الله تعالى في تالي الآيات: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾^(٣) والخصم يؤمن بدليل الخطاب ويقول به^(٤)، فينبغي أن لا يكونا

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التحريم: ١٠.

(٣) التحريم: ٥.

(٤) دليل الخطاب ويسمى مفهوم المخالفة وهو إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه.

فقوله تعالى: «خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ» الآية، فإن نقيض هذا الحكم أنهما غير مؤمنات ولا مسلمات الخ.

مسلمتين ولا مؤمنتين ولا عابدين ولا تائبين ولا سائحتين وأمثال هذا، وبما أن القرآن أثبت نساءً خيراً منهنّ فإنّ ذلك خلاف ما ذهب إليه الخصم من كونهما أفضل النساء .

بيّنة :

درج القوم على اعتبار من آذى أمير المؤمنين وأولاد فاطمة من الصحابة الإناث أو الذكور في المراتب العليا من الصلبة، وبعكس ذلك من أحبهم ووالاهم فإنهم يصنّفون في أدنى مستويات الصلبة مثل أبي ذر وسلمان والمقداد وأمثالهم فلم يذكرهم بشأن من الشئون ولا ألقوا إليهم بالاً، سبحانه الله ما هذه العداوة مع آل محمد ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١).

فلو أنّ رجلاً تمّده بالكذب ظالمي عليّ مائة عام، دون أن يطري عليّاً بحرف واحد فإنهم يحبّونه ويوالونه، ولو أنّه ذكر عليّ بكلمة دون ذكر خلفاء الجور فإنهم يهدرون دمه لو أمكنهم ذلك، ويسمّونه رافضياً، ولم يعلموا أنّ لهم في مقابل هذا الاسم عشرة أسماء تجري على أسماهم مثل : خارجيّ وناصبيّ ومجبريّ ومروانيّ ومنافق ونعتليّ وحطب جهنّم وإبليسّي وأصحاب النار ونحوها .

الفصل الأول

في بداية وقوع المحاربة بين أمير المؤمنين وبين الناكثين

طلحة والزبير وعائشة^(١)

اعلم لما بايع الناس علياً وتمّ الأمر له أنهى عبدالله بن سلمة خبر قتل عثمان وبيعة علي إلى عائشة فقالت: لانايتها تيم بعد اليوم، ليت هذه أطبقت على هذه، ولم يبايع علي، وكانت عائشة يوم أردى عثمان خارج المدينة وكانت تحرّض الناس دائماً على قتل علي عليه السلام، ولما بلغها أنباء بيعته كتبت إلى معاوية كتاباً وحرّضته على العصيان، وكتب معاوية إلى الزبير ولكن عائشة قالت: لو كان كتب إلى طلحة.

وذا ليلة أقبل طلحة والزبير على أمير المؤمنين وطلبا منه أن يوليها، فقال لهما: إنا لا نولي إلا من ارتضينا أمانته ودينه، وإنكم لا ترضون بعتاء الله إياكما وتطلبا الفضل والزيادة ولما اطلعوا على ما يضره الإمام لهما قالوا: يا علي، إنك لتعلم ما كنتا عليه في أيام الخلفاء الماضية من الاحترام والجاه.

وكان الإمام عليه السلام منصرفاً ساعتها إلى تنظيم بيت المال فلما جلسا عنده وكلّماه نادى قنبر وأمره بتغيير السراج فقالا: يا أمير المؤمنين: ما هذا؟ لماذا رفعت السراج ونصبت غيره؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا سراج بيت المال وكنت أستعمله لتدبير اموال المسلمين، فلما كلمتكم لم يجز لي الاستفادة منها فأبدلتها بما يحل لي استعماله، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقام طلحة والزبير فخرجا من

(١) كتب المؤلف عناوين كتابه باللغة العربية فأبقيناهما على حالها وإن خالفت الجرس العربي، لأنّي أترجم الفارسية إلى العربية ولا أستطيع ترجمة العربية بالعربية لأنّه تغيير لا أرضى إدخاله على أسلوب المؤلف.

عنده وقال أحدهما للآخر: إنَّ رجلاً يضبط الأمور على هذه الشاكلة ما هو بمستعملنا ولا بمعطينا شيئاً نرضاه، إنَّه يترسّم خطي الشرع ويأمرنا بالالتزام بالزهد والصلاح.

فلما أصبح الصباح أقبلنا عليه واستئذنا للعمرة، فقال أمير المؤمنين: إنَّكما لا تريدان العمرة ولكن تريدان الغدرة، فأقسما أنَّها لا نيويان إلَّا الزيارة، وكانا قد كتبنا إلى عائشة مع ابن أختها عبدالله بن الزبير كتاباً يأمرانها بلزوم تحريض الناس على حرب عليٍّ عليه السلام، وتحميلهم على نكث بيعته، وكانت عائشة دائبة على إغواء الناس وحملهم على قتال عليٍّ عليه السلام والطلب بدم عثمان.

وصفوة القول أنَّ الرجلين حلّا في مكّة ودعوا الناس لحرب عليٍّ عليه السلام، وجائهما عبدالله بن عامر والي مكّة من قبل عثمان وقبل دعوتها وقال: أنا أكفيكم أمر البصرة وأجمع لكم من أهلها مائة ألف دينار نفقة لعسكركم.

فقال: إنَّ هذا بحدّ ذاته شيء جميل ولكن لا بدّ من وجود إمام نفيء إليه ويكون رداءً لنا وفئة، ولا يصلح لهذا الأمر إلَّا عائشة، فإنَّ لها شهرة وهي زوج محمّد، وإنَّ أبت ذلك عائشة وقبضت نفسها عن إعانتنا فإنَّ أمرنا لا ينفذ وغايتنا لا تتحقّق، فذهبوا إليها وخدعوها ورضيت بما عرضوا عليها وقالت: «بالرأس والعين» ^(١) ثمَّ أقبلت عائشة وطلحة والزبير إلى الحوآب ^(٢) (الحوارب - المؤلف) على وزن كوكب وهو ماء في طريق البصرة فنبحتها كلابه وأجرا الكلاب في بطون أمّها ^(٣).

(١) كانت عائشة منذ البداية عازمة على الطلب بدم عثمان وهي التي حملتهم على ذلك وليس الأمر بالعكس، بدا منها ذلك يوم أُخبرت ببيعة عليٍّ فصرخت واعثماناه، وهذا مشعر بما تخبئ في سرّها.

(٢) في المناقب: وهو ماء نسب إلى الحوآب بنت كليب (٢: ٣٣٦).

(٣) ترجم المؤلف بهذه الكلمة لفظ «بني كلاب».

فلما رأت عائشة ذلك صاحت: ردّوني ردّوني، فقد سمعت رسول الله يقول: إنّ امرأة من نسائي تخرج لحرب علي، هي ملعونة، وعلامة ذلك أن تنبجها كلاب الحوآب، فشهد عندها أربعون وقيل ستون شهادة كاذبة بأمر طلحة والزبير على أنّ هذا الماء ليس ماء الحوآب، فكذبوا عليها كذباً صريحاً وقلبوا أمرها رأساً على عقب.. (١).

فجاءت أمّ سلمة إلى عائشة وبالغت في نصحتها وقالت لها: ألا تتذكرين حين كنّا يوماً بين يدي النبي نخدمه وكنا على يساره وهو يناجي عليّاً، فقلت أنت لعلّي: يا علي، كلّما كانت ليلتي من رسول الله ﷺ أتيته فشغلته عني ولم تتركه ينصرف إليّ، فغضب رسول الله منك وقال: من عاداك يا علي فهو ابن زنا؟ قالت نعم أذكر ذلك.

قالت: ألا تذكرين يوم حملت قدر الحلوى الذي صنعته إلى النبيّ، فقال النبيّ: يا أمّ سلمة لا تكوني من أزواجي اللواتي يقاتلن عليّاً عليه السلام! فقلت: نعوذ بالله من غضب الله ورسوله ووصيّ رسوله؟ فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

ثمّ قالت: ألا تذكرين يوم اجتمعنا في بيت حفصة فضرب النبيّ بيده على ظهرك وقال: صوني نفسك من أن تنبحك كلاب الحوآب يوماً، فينفر منها جملك؟ فقالت عائشة: أجل لقد كان ذلك.

فقالت أمّ سلمة: يا عائشة، ألا تذكرين يوم أقبل النبيّ من السفر وغسل عليّ ثيابه وخاطها وخصف نعليه، فأقبل أبو بكر وعمر وقالوا: لا ندري من يلي الأمر بعدك، فقال النبيّ: أخشى أن أخبركم فتكونوا كبني إسرائيل وتفرّقون عنه كما

(١) وأقول للمؤلّف رحمه الله: لا تحسن الظنّ بواحد من هؤلاء فإنّ الخبيثة علمت بأنّه ماء الحوآب ولكن على عمد لبست على نفسها.

تفرّقوا عن هارون ، فلمّا خرجا من عند النبيّ قلت : يا رسول الله ، من الخليفة من بعدك ؟ فقال النبيّ : إنّهُ هو .

وجرت مشادة بين أمّ سلمة وبين عبدالله بن الزبير فكتبت أمّ سلمة لعلّي كتاباً وفيه : إنّ عائشه خرجت لحربك بفيالقتها فنصحتها ، فقالت : نحن ذاهبون لإصلاح الأُمّة ، وجاءك عبدالله بن عامر للطلب بدم عثمان ولولا أنّي امرأة والنساء ليس عليهنّ جهاد لخرجت معك .
بيّنة :

كان طلحة والزبير أعظم عدوّين لعلّي رضي الله عنه وهما اللذان أجلبا على عثمان وكانا دائبين في ثلبه ، وطلحة هو الذي حاصر بيته وتولّى قتل عثمان بنفسه ومع كلّ ما جناه على عثمان جاء يطلب بدمه ، وكانا مع عليّ في البيعة ولكنّها نكثا ببيعته وخرجا عليه .

قال عبدالله بن عباس : كنت حاضراً عند عليّ إذ أقبل طلحة والزبير وطلبا من عليّ السفر إلى مكّة لأجل العمرة ، فأجابهما عليّ بأنكما لا تبغيان العمرة ، فتوسّلا به مرّة ثانية فلم يجزهما وتوجّه إليّ وقال : والله ما يريدان العمرة ، فقلت له : فلا تأذن لهما إذن ، فارسل إليهما في الحال وأمر بردّهما ، وقال : ما تريدان إلّا نكثاً لبيعتكما والتفريق - يعني بين المسلمين - فأقسما بالله لا يريدان إلّا العمرة لا نكث البيعة ولا عصيان أمره ، فلم يجزهما في الثانية ، فلمّا خرجا قال أمير المؤمنين مردداً قوله الأوّل : لا يريدان العمرة ولا يريدان إلّا الإفساد في الدين .

فقال عبدالله : مُر بردّهما لئلا يذهبا ، فقال الإمام : إنّهما أقسما فأدركني الحياء منها ، ولكن لا يعدوان ما قلت ، ومن هنا خرجا إلى مكّة وأرسلا بين أيديهما أبا عبد الرحمن مسعود العبديّ وعبدالله بن الزبير إلى عائشة لكي تكون السابقة في هذا الأمر .

فقال عائشة، لا أرضى حتى تخرج معي أم سلمة لأنّ الحياء يمنعها من الخروج، وأرادت أن تغوي غيرها لتكون ضالة مضلة كليهما، ثم قامت إلى أم سلمة، فلما رأتها قالت: مرحباً بعائشة، والله ما كنت لي بزوّارة فما بدا لك؟ قالت: جئتك لتخرجي معي كي ينتظم أمر الإسلام، ونقتل قتلة عثمان ونحارب عليّاً، فقالت أم سلمة: ألا تذكرين يوم كانت ليلتك من رسول الله ﷺ وقد طهوتُ للنبيّ طعاماً.. فقال: لا تمرّ الأيام حتى تنبح إحدى نسائي كلاب ماء بالعراق يدعى الحوآب، فوقع الإناء من يدي، فقال: مالك يا أم سلمة؟ فقلت: يا رسول الله، ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول، ما يؤمنني أن أكون أنا هي؟! فنظر النبيّ ﷺ وقال: بم تضحكين يا حمراء الساقين، إنّي أخشاك هي (كذا) (١).

وأنشدك الله يا عائشة، أذكرين مرض رسول الله ﷺ الذي قبض فيه، فأதாக أبوك يعودُه ومعه عمر، وقد كان عليّ بن أبي طالب يتعاهد ثوب رسول الله ﷺ ونعله وخفّه، ويصلح ما وهى منه، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله ﷺ وهي حضرميّة وهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه، فأذن لهما، فقالا: يا رسول الله، كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله تعالى، قالا: ما بدّ من الموت؟ قال ﷺ: لا بدّ منه، قالا: يا رسول الله، فهل استخلفت أحداً؟ فقال: ما خليفتي

(١) جاءت الرواية في رسائل المرتضى هكذا: قالت: تخرجين معي فلعلّ الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمّد، فقالت: يا عائشة، أخرج وقد سمعت من رسول الله ما سمعت، نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت، أذكرين يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو ﷺ يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوآب امرأة من نسائي في فتية باغية، فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إليّ فقال: ما بالك يا أم سلمة؟ قلت: يا رسول الله، ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن أكون أنا هي، فضحكت أنت فالتفت إليك فقال ﷺ: ما يضحكك يا حمراء الساقين، إنّي لأحسبك هي.. (٤: ٦٧، وراجع أيضاً: بحار الأنوار ٣٢: ١٥٠).

فيكم إلّا خاصف النعل، فخرجا فرّا على عليّ عليه السلام وهو يخصف النعل ^(١).

ونشدتك بالله يا عائشة، أتذكرين ليلة أسرى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين عليّ بن أبي طالب يحدثنا فأدخلت جملك فحال بينه وبين عليّ، فرفع مرفقة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومك منه بواحدة، ولا بليته منك بواحدة، أما إنه لا يبغضه إلّا منافق أو كذاب ^(٢).

هذه الأحاديث نصوص ظاهرة على إمامة عليّ وخلافته، وذكرها نصر بن مزاحم المنقري في كتابه وهو من علماء أهل السنة.

وصفوة القول بأنّ عائشة لما استمعت إلى هذه المواعظ قالت لعبدالله بن الزبير: إنّي عزمت على التوبة ولن أخرج معكم ولكنّها عادت بإغوائهم إلى ضلالها الأول، فلمّا تناصف الليل تحمّلت إلى البصرة ومعها عسكر مجرّ لقتل عليّ، بنخٍ بنخٍ لأمّ المؤمنين.

بيّنة:

اعلم بأنّ الله تعالى سمّى نساء النبيّ أمّهات المؤمنين بعد ما أقسم طلحة أنّهُ سوف يتزوّج عائشة أو أنّ الله حرّم على حفصة العقد وهذه الأمومة مجازيّة ولذلك لا يصدق على أقربائهنّ ما صدق عليهنّ، ألا ترى أنّه لا يقال: جدّ المؤمنين ولا عمّهم ولا أخوهم ولا أختهم ولا جدّتهم وأمثال هذه الاستعمالات في النسب، وبناءً على هذا لا ينبغي أن يقال: خال المؤمنين، على أنّهم لا يقولون ذلك إلّا لمعاوية، وإن كان أولى من معاوية بهذا الاسم محمّد بن أبي بكر وعبدالرحمان أخوه وعبدالله بن عمر إلّا أنّ هؤلاء لم يقصدوا أمير المؤمنين بالحرب ولم يطلبوا قتله، فلم

(١) رسائل المرتضى ٤: ٦٧.

(٢) رسائل المرتضى ٤: ٦٧.

يكن لهم مقام معاوية عند السفينتين واقتصرت الأسماء والألقاب على من بالغ في عدائه لأُمير المؤمنين، والله أعلم.

الفصل الثاني

لما عازمت عائشة على الخروج جاؤوها بجمل صعب وقويّ ضخم عالٍ يُدعى «عسكر»، ولما سمعت عائشة باسمه أبت الخروج وقالت: نهاني رسول الله ﷺ وقال: احذري يا عائشة أن تركبي جملاً اسمه عسكر، وتخرجين إلى الحرب وتنبحك كلاب الحوآب.

فلبس طلحة والزبير عليها وغرّوها وأركبوها عليه فصاحت عند ذلك بأصحابها وأمرتهم بقتال عليّ والطلب بدم عثمان وصاحت أمّ سلمة: لا يخرجن أحد للحرب عليّ، ومن خرج لحربه فهو كافر وعاصٍ لربّه.

وخرج مع عائشة طلحة والزبير بن العوام، وسعد ومروان بن الحكم، وعبدالرحمان ومحمّد بن طلحة، وعبدالرحمان بن أسيد وعبدالله بن حكيم بن حزام، وهؤلاء أولاد الطلقاء، ودعت مروان بن الحكم وسعيد بن العاص إلى الحرب والطلب بدم عثمان، فقال سعيد لمروان: إنّ هؤلاء الذين يرافقونك وترافقهم هم قتلة عثمان، فتركه مروان.

وكتب مالك الأشتر كتاباً إلى عائشة: اتّق الله الذي خاطبك بقوله: ﴿وَقَزَنَ فِي بُيُوتِنَا﴾^(١) ولا تهتكى حجاب رسول الله فإنّ ذلك يغضبه ويؤذيه، إذ تخرج زوجه بين العساكر تحارب. فقالت عائشة: إنّ مالكا يقول هذا لأنّه مطالبٌ بدم عثمان.

فخرج أمير المؤمنين عليه السلام ومعه سبعمائة من الرجال ونزل بذوي قار، ولما علمت عائشة بذلك كتبت إلى حفصة: نزل عليّ بذوي قار؛ إن تقدّم نحر وإن تأخّر عقر. فجمعت حفصة النساء وضربن بالمزامير وقلن:

ما الخبر ما الخبر عليّ في سفر

إن تقدّم نحر وإن تأخّر عقر^(١)

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله: «البغض يتوارث». فعلمت بذلك أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين، فلبست ثيابها ووضعت نقابها وتنكرت وجاءت حتّى دخلت عليهنّ، وسمعت ما هنّ فيه من قول الباطل، فكشفت نقابها وأبرزت لهنّ وجهها، ثمّ قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل أنزل الله عزّ وجلّ فيكما ما أنزل^(٢)، والله من وراء حربكما، وأظهرت حفصة خجلاً وقالت: إنهنّ فعلن هذا بجهل، وفرّقتهنّ في الحال، ثمّ قالت أمّ كلثوم: ظلمك أنت وعائشة ووالداكما لنا قديم.

ولما علمت أمّ الفضل والدّة عبدالله بن العباس بخروج عائشة من بيتها، كتبت للإمام كتاباً وأعطته رجلاً من جهينة وقالت: اخرج مسرعاً واعط هذا الكتاب بيد عليّ، وإن نفق جملك فعليّ منه، فخرج الرجل مجدّاً حتّى سلّم الكتاب لعليّ عليه السلام فأذاع الإمام خروج عائشة على الناس، وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ فصلّى عليه، ثمّ قال:

اعلموا أنّما الخلافه لي وأنا صاحبها ولكن اغتصبها القوم مني وسكتّ حين

(١) كتاب الأربعين للشيرازي: ٦٢٧.

(٢) قوله تعالى: «وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير». (التحريم: ٤). الجمل للمفيد: ١٤٩. واقتضانا نظم العبارة التصرف بسياق المؤلّف وعبارة الشيخ المفيد.

لم آمن الفرقة تحلّ في الأمّة ولهذا كرهت حين رُفِّت إليّ، وأوّل من بايعني طلحة والزبير، واليوم نكثا عهدهما وأركبا عائشة على جملٍ وساقوها لحربي، وينبغي عليكم أن تجتمعوا هاهنا غداً.

فحضر عنده أربعمئة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومائتين وثلاثين رجلاً من الأنصار، وأمروا على المدينة سهل بن حنيف.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يستعدّ يومذاك لحرب معاوية، فخطب الناس ورغبهم في جهاد طلحة (لعنه الله) وأتباعه فصاحوا بجمعهم «سمعاً وطاعة» فقام حجاج بن عريّة الأنصاري فقال: قاتلت بسيفي هذا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم أقاتل الناكثين طاعة لله ورسوله، وأخذ يحرّض الناس على حرب المخالفين، وتلا عليهم شطراً من مناقب عليّ عليه السلام، وتحمل عليّ بن معه حتّى نزل الربرة وهناك عقد لواءً لعمّار ليتقدّم الجيش إلى الشام.

فقال الحجاج: أرسلني يا عليّ إلى حرب أهل البصرة، فقال عليّ عليه السلام: اذهب على بركة الله، فركب الحجاج وساق معه جملاً وأورق وفرساً كميّناً وتوجّه إلى البصرة، فأقبلت عائشة بجيشها حتّى نزلت البصرة وكان عليها عثمان بن حنيف من قبّل أمير المؤمنين، فكتبت عائشة إلى عثمان كتاباً تخيّرهُ بقدمها، فأعطى عثمان الكتاب إلى الأحنف بن قيس، فقال حكيم بن جبلة العبدي: رأيي أن لا تدعهم يدخلون البصرة لأنّهم إن دخلوها كانوا الغالين وكنت أنت المغلوب، فصدّقه عثمان، وكتب عليّ إليه كتاباً أن لا يدخلوها وقال: وأعذر إليهم فإن قبلوا وإلاّ فقاتلهم، فأعذر إليهم عثمان فلم يستكبنوا إلى أن جرّ الأمر إلى الحرب فغلبهم عثمان فشى بينهم جماعة بالصلح بأن تكون دار الإمارة وإمامة المسجد لعثان وبأذن لهم بالمقام في البصرة حتّى قدوم عليّ عليه السلام.

وكان طلحة والزبير يأخذان البيعة على الناس فبايعتهم بعض القبائل^(١) فاجتمع منهم جيش ولبسوا الدروع وعليها الثياب، وحضروا صلاة الجمعة، ولم يطلع عثمان على مكرمهم فأمسكوا به وأوسعوه ضرباً ومنتفوا لحيته وشاربيه، وأرادوا قتله، فقال عثمان: اقتلوني، إن أخي سهلاً في المدينة والله لا يدع من أهلكم دياراً، فأطلقوه وقتلوا سبعين مؤمناً من أهل بيته^(٢)، فخرج عليهم حكيم ابن جبلة العبدي مع جماعة، وقال: أقاتلهم على حب الله ورسوله وأمير المؤمنين ﷺ الذي لا أحد أفضل منه تحت السماء، فمكر به طلحة والزبير وخرجا عليه وضرباه على رجليه حتى فرقوا بينهما وبين جسده، ومات على أثر ذلك.

وكتب سهل بن حنيف إلى عائشة كتاباً شديداً للهجة وفيه الوعيد لخلاص أخيه عثمان من شرّها، فلما قرأت الكتاب أطلقت سراح عثمان فخرج من البصرة ولحق بعليّ ﷺ بذي قار، فخطب عليّ بذي قار خطبة حمد الله فيها وذكر ما جرى من قتل حكيم بن جبلة العبدي وغيره من المؤمنين وبكى بكاءً طويلاً حتى ضجّ الناس من بكائه، ونزل من المنبر وكتب إلى أهل الكوفة كتاباً يستتفرهم، وبعثه مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فلما بلغ كتابه أهل الكوفة كان أبو موسى الأشعريّ (لعنه الله - المترجم) يثبط الناس عن الخروج، فأغلظ له محمد بن أبي بكر ووصل هاشم بن عتبة بعد وصول الكتاب ومعه كتاب آخر من عليّ ﷺ، فاستشار أبو موسى السائب في أمر عليّ ﷺ، فقال السائب: لا بدّ من النفور مع عليّ ﷺ، فانكر أبو موسى ذلك.

(١) جرى تصحيف لأسماء القبائل لذلك لم أذكرهم في المتن وهم كما يلي: قبيلة بنو درد وبنو

صبية قيس سلمان وبنو سليم وبنو عامر، وأحسبهم الأزد، وظنة وقيس عيلان وبنو سليم.

(٢) المقتولون هم السابحة قوم من الرط وعددهم أربعون. (الجمال للمفيد: ١٥٢).

وكان في كتاب عليٍّ لأهل الكوفة :

يا أهل الكوفة، إنكم لتعلمون أنّ الحقَّ حقٌّ ولكنّي سكتُ عنه خوفاً من حدوث الفرقة، واليوم بايعوني (ونافق بعضهم) فאלله الله (بوصي نبيكم) فلا تتقاعدوا عن إمدادي ولا تكاسلوا عن الخروج معي .

وأرسل كتاباً آخر مع الإمام الحسن وعمار بن ياسر، فقال عبدالله بن عباس : يا أمير المؤمنين، أترى أهل الكوفة لا يجيب منهم أحد؟!

وأما الإمام الحسن عليه السلام فقد قرأ عليهم الكتاب واتكأ على عمود هناك وحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة غاية في البلاغة والفصاحة، فعمّ الناس الوله والوجد من فصاحته وبلاغته حتّى أتمّها، ودعا الناس إلى نصرة أمير المؤمنين عليه السلام، فقام أبو موسى الأشعريّ (لعنه الله - المترجم) إلى المنبر وخطب بمن بعده وقال : أيها الناس، أمسكوا فقد سمعت رسول الله يقول : تكون من بعدي فتنة فأيّاكم والوقوع فيها، وعليّ يدعوكم إلى قتل إخوانكم .

فقام عمار وقال : يا أبا موسى، أنت كنت دائماً رأس هذه الفتنة وأنا أشهد الله ورسوله على أنّي سمعت رسول الله يقول : يا عليّ، تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، وشهد أربعون إنساناً لعمار بهذا الحديث، وقال : عليّ سابق الإسلام وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومستحقّ الخلافة وغيره على الباطل وعثمان لا يستحقّها وليس أهلاً ليطلب بدمه لأنّه ظلم المسلمين وأتلف بيت المال ومات على غير توبة، ثمّ سأل أبا موسى : كم هم أصحاب العقبة ؟ قال : ثلاثة عشر ؟ قال : رابع عشر هم أنت ؟ قال : نعم، لقد كنته ولكنّ رسول الله استغفر لي، فقال عمار : أنا أشهد بأنّ رسول الله لعنك .

وقام رجل يُدعى زيد^(١) وذكر مناقب عليّ عليه السلام وفضله من السبق إلى الإسلام والقربة والشجاعة والسخاء، وقال: لا بدّ من وجود إمام على الأُمة يدفع عنها الظلم ويقيم لها صلاتها وصيامها وحجّها وجهادها وباقي أمورها الشرعيّة، ويقوّم أود الشريعة ولا يستحقّ هذا المقام اليوم إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فانفروا معه وأمدّوه بالنفس والمال.

واستأذن مالك الأشتر عليّاً عليه السلام بالذهاب إلى الكوفة وقال: أنا أعرف الناس بهم وأعرف ضرر عداوتهم، فأذن له، ولما وصل الكوفة بالغ في ترغيبهم بالجهاد وتلا عليهم مناقب أمير المؤمنين وقال: إياكم وسماح ترّهات سعد بن العاص (لعه الله - المترجم) والوليد بن عتبة الفاسق الخنّار وأبي موسى.

وقام من بعده حاتم (كذا) عدي بن حاتم ومن بعده حجر بن عدي وغيرهم، وكلّ واحد يدعو الناس إلى الجهاد ويرغب فيه، ويحرّضهم على نصرة عليّ، ودعاهم أبو وهب أيضاً للقتال، فقال أبو موسى: أبو وهب يكذب عليكم، فأمر مالك الأشتر بالقبض على يد أبي موسى وإنزاله عن المنبر إلى الأرض، وهكذا فعلوا وأخرجوه من المسجد إلى خارجه.

وقام عبدالله بن ربيعة ففعل فعلهم ودعا الناس إلى طاعة أمير المؤمنين، وأقام الإمام الحسن الصلاة بهم جماعة، وولّى قرظ بن كعب الأنصاريّ على الكوفة نيابة عن الإمام أمير المؤمنين، وخرج من الكوفة بالجيش وقد اجتمع منهم اثنا عشر ألف مقاتل، وخرجوا تلبية لدعوة أمير المؤمنين ولحقوا به على دفعات، وبقي الإمام مستقرّاً في ذي قار خمسة عشر يوماً بانتظار مجي العسكر، فلما قدموا عليه خطبهم وشرح لهم نكت طلحة والزبير بيعته وقال: إنّما دعوتكم لتعنيوني

(١) هو زيد بن صوحان عليه السلام وليس مجهولاً عند أحد ليعبر عنه المؤلّف بهذا التعبير.

وتتصرونني على بغاة أهل البصرة الذين اجتمعوا على طلحة والزبير وأقدموا عائشة من المدينة على حربي، فصاح أهل الكوفة بأجمعهم: نفديك بارواحنا ولا نخذ عن البصرة وننصرك عليهم.

فقام عمار وقال: يا عليّ، إخواننا وأهل قبلتنا لا يحلّ لنا قتلهم.

فقال عليّ عليه السلام: إنهم نكثوا عهدي وعهد عاملي عثمان بن حنيف على البصرة وقتلوا مائة نفس مؤمنة مصونة الدم فلو أنهم قتلوا واحداً لحلّ دمهم، ولا يكون الحقّ معهم بادّعائه.

فاستحيا عمار وسكت وقيل: إنّه لزم ركاب الإمام الحسين حتّى استشهد في كربلاء^(١).

وتحمّل أمير المؤمنين من ذي قار ولم ينزل إلّا (بزائقة) (كذا) في البصرة وأرسل إلى عبدالله بن عباس وزيد بن صوحان إلى طلحة والزبير فلم يعتذرا وقالت عائشة: لا يجيب عليّاً غيري، وقالت عائشة في جوابها^(٢)... وقد لبسوا جملها بجلد النور ووضعوا عليها دروع الحديد وجأؤوا قاصدين الحرب لله ورسوله وحجّة الله والمؤمنين، فليستحوا من الله تعالى، فأبى رجل يرضى لامرأته أن تفعل هذا الفعل؟!

وأقبل عليّ عليه السلام حاسراً أعزل من السلاح ووقف بين الصّفيّين واستدعى الزبير، فقالت عائشة: لا تذهب فإنّ عليّاً يخذلك أو يريد تخويفك، فلمّا حضر الزبير

(١) في صدر الحديث يخاله القارئ عمار بن ياسر لأنّ المشترك إذا أطلق انصرف إلى أظهر أفراده، ولكنّه بيّن حقيقة عمار هذا بشهادته في كربلاء.

(٢) لا بدّ من وجود حذف هنا تتمّ به الجملة، والمؤلف لم يشر إلى مصادره لرجوع إليها ونستلّفني الحذف، والحديث وفيه الخطب كلّها مترجمة، وعلى القارئ إذا أراد الوقوف على المتن الصحيح البحث عنها في المصادر.

عنده، قال له: أناشدك الله، ألا تذكر يوم قال لك رسول الله ﷺ: أتجبه؟ فقلت: وما يعني من حبه، فقال: يأتي يوم تقاتله مع الناكثين وتخون عهد الله ورسوله ووصيه، ولن تنال الظفر. فقال الزبير: نعم أذكر ذلك.

ثم قال: ألا تذكر يوماً أقبل النبي فيه من بني عمرو بن عوف ويدك بيده، فسلمت أنا على النبي فردّ سلامي وتبسم في وجهي، فابتسمت له، فأنكرت عليّ ذلك وقلت: ما هذا التيه يا عليّ؟ فقال النبي ﷺ: صه يا زبير، فإنّ عليّاً لا يتيه، وسوف تقاتله مع الفئة الباغية وأنت ظالم له وهو مظلوم. فقال الزبير: أجل، أذكر ذلك ولا أنساه.

ثم عاد الزبير إلى فتنه وقال: أنا شاكّ في هذا الأمر ومتحير، فقالت عائشة: لست شاكّاً ولكنك خفت من سيف عليّ، وقال ابنه عبدالله نحواً من مقال خالته، فقال له أبوه: لعنك الله - ثلاث مرّات - وقال: لم يكن بيني وبين عليّ بغضاء حتّى نشأت فظهرت، ولولا وجودك المشؤوم لما كان بيني وبينه إلاّ الودّ، ثم استدعى الزبير طلحة وقال: اترك هذا الأمر وارجع عنه، فأبى طلحة، وخرج الزبير من العسكر إلى أن قُتل مدبراً.

فجعل أمير المؤمنين مالك الأشتر على الميمنة، وعبار بن ياسر على الميسرة، وأعطى رايته محمد بن الحنفية ولده، واستعدّ للحرب فاستعرت نارها، وفي هذه الأثناء حمل محمد بن أبي بكر مع جماعة على جيش عائشة وضرب قائمة جملها بالسيف فلم يقع الجمل، وثبّت بضربة أخرى فما أثرت، فقال له عليّ عليه السلام: يا محمد، اضطرب الثالثة، ففعل محمد متمثلاً أمر الإمام فوقع الجمل لجنبه، وقتل مروان طلحة في الحرب.

فأرسل عليّ عليه السلام محمداً بن أبي بكر إلى عائشة وقال: قل لها: إلى أين تبغي الذهاب؟ فقالت إلى المدينة، فأوكل بها نساءً أوصلنها إلى هناك، وكان مع عليّ من أهل البصرة ثلاثة آلاف مقاتل.

الفصل الثالث

في بعض قصة معاوية ويزيد^(١)

وجاء في الرسالة «الحاوية» أن ركن الإسلام الخوارزمي قال: لما جيء برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله، قام الرجس ووضع قدمه على الرأس الشريف، وكان زيد بن أرقم حاضراً^(٢)، فقال: لا تفعل ذلك يا يزيد، فإني رأيت رسول الله يقبل ذلك الفم.

وأما عندنا فإن اللعين تناول سوطه وضرب ثناياه.

وقال في «الحاوية» أيضاً أن اللعين طلب الساق وهو في تلك الحالة والرأس بين يديه فسقاه، وقال العلماء كان ثملاً ساعتئذٍ، وكان بعد ذلك يرقص على سطح قصره وهو سكران فوق من أعلاه وذهب إلى جهنم وهو سكران كما مات أبوه ثملاً، وقد وضع الصليب في عنقه.

وقال بعضهم: ذهب عدو الله إلى الصيد مع عسكره فعرضت له ظبية، فأجرى فرسه ورائها فأوحى الله إلى الأرض أن ابلعيه «فخسفنا بداره الأرض». وقيل: لما عرفه القوم في دمشق تكأوا عليه وصار لهم ضجيج وعجيج، فهرب منهم ووقع في الكنيف، فأقبل الناس إلى ذلك الكنيف وسدّوا فروجه، وبثر الكنيف هذا معروف في دمشق، وأنشد في مزمّته ومدح علي وآله صلوات الله عليهم وسلامه (شعر):

(١) مرّ على القارئ أنني لا أتصرّف بعنوانين الفصول التي يضعها المؤلف لأنها باللغة العربيّة، ولا يجوز لي تغييرها لأنّ ذلك ليس من الترجمة وإن جانت على خلاف المباني الدستورية للغة.

(٢) تنسب هذه إلى عدو الله عبيد الله بن زياد لعنهما الله وكان ابن أرقم حاضراً عنده ولم يكن في الشام.

يهدى أسارى كربلا إلى الشَّام والبلا
 إلى يزيد الطاغية معدن كل داهية
 حتى رأى بدر الدجى رأى الإمام المرتجى
 يظلّ في بنانه قضيب خيزرانه
 أنامل لجاهد وحاقد مراصد
 طوائف بدرته طوائف كفرية
 شرها جاهلية وت لها الأفاضل
 وبعث يزيد بعد شهادة الحسين عليه السلام جيشاً إلى المدينة وأغار عليها واستباحها
 ثلاثة أيام، فكان يسلب القرشية مقنعتها من رأسها، ومن أغلق بابه واستتر في
 بيته أحرقوا عليه بابه^(١).

قال أبو سعيد الخدري: ما كنّا نسمع الأذان إلّا من قبر النبي صلى الله عليه وآله.
 وقتلوا في المدينة ستّة آلاف إنسان^(٢) ومن هناك قصدوا مكّة ونصبوا
 المنجنقات على أسوار البيت وخرّبوه وأحرقوا أستاره ووضعوا السيوف على
 عواتقهم، والقرآن تحت أقدامهم، وهدموا الكعبة مرّتين وأحرقوا مكّة.
 وقيل: عثروا على الحجر الأسود بعد سنين في اليمن فأخذوه وردّوا إلى مكانه
 وعمروا البيت^(٣)، وهذه هي ستّة معاوية ويزيد وأهل الشام، بخٍ بخٍ لإسلام كهذا،
 وويل لمن يدعو هؤلاء مسلمين.
 وكان غرض يزيد والحجّاج من غزو البيت قتل عبدالله بن الزبير، فقتلوه

(١) هذا درس بليغ تلقاه يزيد لعنه الله من الأستاذ الأكبر أبي حفص عمر بن الخطّاب لعنه الله.

(٢) العدد أكثر من هذا بكثير.

(٣) إن كان يشير إلى أخذ القرامطة الحجر حين غزوا البيت فالأمر على خلاف ما قاله تماماً، وإن كانت حكاية أخرى فإنّي لم أعر عليه في التاريخ ولا بدع فما زال في الزوايا خبايا.

وصلبوه على شجرة في مكّة^(١) فلمّا أنزل من الشجرة كانت قد جفّت، وكانت أمّه أسماء ذات النطاقين^(٢) قد شاخت وأضرّت، ولمّا وقفت على رأس ولدها وجدتهم قد مثلوا به فقطعوا يديه ورجليه وأبانوا شفّتيه، وشقّوا جوفه ووضعوا فيه الحجارة، وهو أوّل مولود في الإسلام من المهاجرين، وقد قتله الحجاج اللعين وقال: طهرت مكّة منه، ومكّن ليزيد معاوية أبوه ففعل ما فعل، ولقد مضى على القوم من هلالك عمر بن الخطّاب إلى هلاك يزيد سبع وأربعون سنة، وهلك يزيد لعنه الله بعد شهادة الحسين عليه السلام^(٣).

وما أعجب قول المخالف: نهى النبيّ عن لعن المصلّين، ومعاوية ويزيد من المصلّين، ومع هذا يلعن علماء المعتزلة علماء الشيعة ويذمّون أهل بيت النبيّ ﷺ مع أنّ الجميع يصلّون ويتّرون عن معاوية ويزيد، أسأل الله أن يحشرهم معها وهو كذلك فعلاً طبقاً للحديث «المرء مع من أحبّه»^(٤)، ويحشر علماء الشيعة مع أهل بيت النبيّ ﷺ.

(١) بل صلبوه في البيت الحرام.

(٢) أخت عائشة وقد لقبت بذات النطاقين زوراً لأنّهم زعموا أنّها قسمت نطاقها قسمين لرسول الله ليلة الهجرة.

(٣) قيل: هلك عمر سنة ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين، وهلك يزيد سنة أربع وستين، هكذا ذكر الطبري في تاريخه عن وفاتيهما، فيكون الحاصل من طرح ثلاث وعشرين من أربع وستين، اثنين وأربعين سنة، أو واحد وأربعين على القول الثاني لوفاة عمر.

(٤) رسائل الشهيد الثاني: ٣١٩، علل الشرائع ١: ١٤٠، أمالي الصدوق: ٢٥٢، مكارم الأخلاق: ٤٥٦، مسند أحمد ١: ٣٩٢ و٣: ١٠٤ بطرق كثيرة و٤: ٢٣٩ بطرق أكثر، سنن الدارمي ٢: ٣٢١، صحيح البخاري ٧: ١١٢ و١١٢ بطريقين، صحيح مسلم ٨: ٤٣، سنن ابن ماجه ٢: ١١٨، سنن أبي داود ٢: ٥٠٤، سنن الترمذي ٤: ٢٢ و٢٣ و٥: ٢٠٥ و٢٠٦، مجمع الزوائد ١: ٢٨٦ و٩: ٣٦٤ و١٠: ٢٨٠، عون المعبود ١٤: ٢٤ و٢٥.

يقول صاحب الحاوية: تدخل فاطمة يوم القيامة عرصة المحشر وعلى يدها حلّة خضراء وعلى يدها الثانية حلّة حمراء وتنادي برفيع صوتها: ربّ احكم بيني وبين قاتل ولدي بأيّ ذنب قتلوهما أحدهما بالسّم والآخر بالسيف بالعبرة التالية: إنّ فاطمة تحيي يوم القيامة بيدها قميص أخضر وبالأخرى قميص أحمر، فتقول: يا ربّ، انتصف لي من قتلة ولدي لم سَم أحدهما وذبح الآخر، فيحكم الله لها أولاً يعني الحسن من معاوية، وثانياً من يزيد لعنه الله.

وقال أيضاً عن العباس: لما كانت ليلة زفّت فاطمة إلى عليّ عليه السلام كان النبيّ ﷺ قدّامها وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من ورائها يسبّحون الله ويقدّسونه حتّى الفجر.

وقال أيضاً: أدخلت فاطمة عليها الحسن عليه السلام على (رسول الله) النبيّ ﷺ هي التي كانت ترضعه أذهب جبرئيل في خيل من الملائكة قد نشروا أجنحتهم ويبكون حزناً على الحسين وأنه علامة المصيبة للملائكة.

وقال أيضاً: إنّ ملكاً في البحار نزل إلى (الهجر الأعظم - كذا) وصاح صيحة وقال في صيحته: يا أهل البحار، البسوا أثواب الحزن فإنّ فرخ محمّد مذبوح، ثمّ جاء إلى النبيّ فأخبره بذلك^(١).

قال الحسام الخوارزمي: لو تصوّرتم مقدار المصيبة للبستم ثياب المصابين أو تغيّرت صوركم سوداً حزناً على قتله.

روى جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ ومعه الحسين عليه السلام، فعطش ولم نجد ماءً، فأعطاه لسانه فصّه حتّى ارتوى، ثمّ فرحوا بقتله عطشان يلوكون لسانه عند الذبح.

(١) مدينة المعاجز ٣: ٤٣٨ وفيه: البحر الأعظم.

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: أُعطي الحسين من الفضل ما لم يعط أحد من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب.

يقول مؤلف الكتاب: المراد من الفضل جمال الصورة وشرف المحتد من الأب والجد والأُم كما كان ليوسف عليه السلام، وثانياً أحسن القصص لأنَّ من قصص الأنبياء وحكاياتهم والأوصياء والأولياء حكاية يوسف والحسين عليه السلام، فإنَّهما ملكا الشهرة في العالم، والجميع يعرفون ذلك ويقرؤونه.. ويحزنون عليه.. وكذلك يقول صاحب الحاوية^(١).

ويقول صاحب الحاوية أيضاً: عن خيشمة، عن النبي ﷺ أنَّه قال: بي أُذرتُم، ثمَّ بعلي بن أبي طالب اهتديتم، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢)، وبالحسن أُعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون وبه تشقون، وإِنَّمَا الحسين باب من أبواب الجنة؛ من عانده حرَّم الله عليه ريح الجنة^(٣).

عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ أنَّه قال: ينادي مناد يوم القيامة من بطن العرش: يا أهل الجمع، نكسوا رؤوسكم وعضوا أبصاركم حتَّى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ على الصراط.

وعن النبي ﷺ أنَّه قال: فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثرة لفؤادي، وبعلمها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربِّي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجى، ومن تخلف عنه هوى.

إذن ظهر من هذه الأحاديث واقع أولئك الذين غصبوا حقوقهم وقطعوا

(١) لم أعر في الذريعة على كتاب واحد للمولى محمد واسمه الحاوية في تحقيق أمر الزاوية.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي: ٢٢.

رؤوسهم ووضعوها على رؤوس الرماح ، وأفتوا بإباحة دمائهم وأشلوا عليهم
 الفساق ، وصاروا مبدء ذلك الظلم ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .
 وروى هذه الأخبار صاحب الحاوية أيضاً بأن الإمام زين العابدين لما حملوه
 إلى يزيد أنشد يزيد لعنه الله هذا البيت :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا

الله يعلم أننا لا نحبك ولا نلومكم ألا تحبونا

وقال يزيد : يا غلام ، ليس لكم فخر علينا ، فقال الإمام عليه السلام : يابن معاوية وهند
 وصخر ، لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد ، ولقد كان جدِّي
 عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية الإسلام وابوك
 وجدك في أيديهما راية الكفر ، ثم أنشد :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

باعتري وبأهلي عند مفتقدي منهم أسارى ومنهم صرّجوا بدم

ثم قال : يا يزيد ، لو تدري ما فعلت وما الذي ارتكبت من قتل أبي وأهل بيتي
 وأخي وعمومي إذن هربت في الجبال وفرشت في الرمال ودعوت بالويل والثبور ،
 ويكون رأس الحسين بن فاطمة وابن عليّ عليه السلام منصوباً على باب مدينتكم وهو
 ودیعة رسول الله ﷺ فيكم فابشروا بالخزي والملامة غداً إذا جمع الناس ليوم
 القيامة .

وجاء في الحاوية أن يزيد شرب خمرأً وسكب فضلته على رأس الحسين عليه السلام
 فغسلت زوجة يزيد الرأس الشريف بالماء وماء الورد فرأت فاطمة بالليل بعالم
 الرؤيا وهي تعتذر إليها ، ثم أمر يزيد أن يحمل رأس الحسين ورؤوس أهل بيته إلى
 أبواب المدينة فتنصب عليها .

وأورد الحاكم في رسالته : قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

وَالْعَشِيَّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»^(١) والنبي طرد مروان من المدينة وهذا دليل على كفره، فلما استخلف عثمان (لعنه الله - المترجم) ردّه وأسند إليه منصب الوزارة، وطرد أباذر بخلاف حكم هذه الآية من المدينة وهو حبيب رسول الله ﷺ، أنصف من نفسك أيها المخالف، إن صنع عثمان هذا لا يدل على صحّة خلافته بل ولا على إيمانه أو إسلامه.

وقال صدر الأئمة البخاري: وأمر يزيد بنصب رأس الإمام الحسين عليه السلام على باب مدينة دمشق وأسكن مخدّرات الرسالة في بيت يجاور بيته، ولما دخل البيت خرجن نساء آل أبي سفيان لاستقبالهنّ ورُحْن يقبلن أيديهنّ وأرجلهنّ وهنّ صارخات باكيات لاطحات، وأقن الغزاء ثلاثة أيّام، ولما رأين بنات النبي بهذه الحالة المزرية خلعن ملابسهنّ ورمينها عليهنّ، وحسرت امرأة يزيد عن رأسها وشقّت جيها وعمدت إلى ستائر بيتها فمزّقتها وأقبلت حافية القدمين إلى مجلس يزيد وقالت: يا يزيد، أنت الذي أمرت بحمل رأس ابن بنت رسول الله على الرمح ونصبته على باب بيتك، وكان يزيد جالساً على عرش الملك وعليه تاج مرصّع بالدرّ والياقوت والحجارة الكريمة، فلما بصرت عينه بزوجه سافرة بادر إليها وسترها وقال: يا هندي، فاغفر (كذا) فاقعري وابكي على بني بنت رسول الله.

وجاء في الحاوية أنّ النساء يتسترن على ما جرى في كربلاء من قتل الرجال والشباب على البنات والولدان، ويعدن الأطفال الصغار بعودة آبائهم من هذا السفر إلى أن أدخلوهنّ بيت يزيد لعنه الله وكان معهنّ بنته لها من العمر أربع سنوات، انتهت من نومها وصرخت تريد أباها الحسين عليه السلام، لقد كان معي الساعة وأنا نائمة، فثارت للنساء والأولاد ضجّة وصيحة، وكان يزيد لعنه الله يغط في نومه

العميق فانتبهه بإنزعاج وسأل: ما الخبر؟ فأخبروه بما جرى، فقال: خذوا لها رأس أبيها، فحملوه إليها ووضعوه بين يديها، فسألتهن: ما هذا؟ فقال لها اللعناء: هذا رأس أبيك، فصرخت الطفلة مرعوبة واستولى عليها الرعب الشديد حتى مرضت وبقيت من بعدها أياماً ثم ماتت وأسلمت الروح إلى ربها.

الفصل الرابع

في أن بني أمية لم يكونوا من قريش

اعلم أن أمية غلام روميّ لعبد الشمس وكان قد اعتقه وتبّاه لما رأى سطوع الذكاء والكياسة مرسوماً على محيّا، وولد له أولاد كثيرون جلّهم لعناء. والعلماء قول واحد أن الشجرة الخبيثة (الملعونة) هم بنو أمية في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ خَلْفَةِ خَبِيثَةٍ كَخَبِيثَةٍ اخْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (١).

الفائدة الأولى

سؤال: عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فكيف يقال لمثله غلام، أو كان غلاماً؟

الجواب: جرت عادة العرب أن المملوك إذا أعتقه وتبّوه يُدعى عندهم بعتيق أو معتق، نظير هذا زيد بن حارثة حين أعتقه النبي ﷺ وتبّاه فكان يدعونه زيد ابن محمّد، واشتهر ذلك بين أهل مكّة والمدينة وكان الله سبحانه يكره ذلك. ولما طلق زيد زوجه زينب بنت جحش وأمر الله رسوله أن يتزوّجها لكي يعلم الناس أنه ليس ولده على الحقيقة ولا هو بوارث له، إنّما ترثه فاطمة وابناها الحسن

والحسين عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾^(١) وكتب المفسرون حكاية ذلك في سورة الأحزاب: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٢)، «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ»^(٣) والمراد بقوله «أبا أحد» دفع هذه الأبوة.

وهكذا كان عبد الشمس وأمية حين اشترى الأخير بابن عبد شمس، والمؤرخون أخذوا ظاهر القول، وهذا التحقيق بلغنا من المحققين الذين كشفوا الواقع وأبانوا عن حقيقة هذه البنوة.

الفائدة الثانية

ولما ثبت كون بني أمية روماً، فقد قال الله تعالى: ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ﴾^(٤) فهذه الآية تعنيهم، ويغلب في مملكتهم أهل الصلاح والدين وهم الغالبون، والمراد من غلبة الروم المذكور في آثار أهل البيت والأئمة الصادقين عليهم السلام.

الفائدة الثالثة

وصف الله الشجرة الخبيثة بقوله ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٥) والمعني بذلك هم، ولا تبقى مملكتهم أكثر من ألف شهر، فإذا انتهت هذه المدّة حلّ بهم الهلاك، وحينئذٍ يسقط نجم آل محمد عليهم السلام، ويظهر المؤمنون الإيمان، ويفشو بينهم لعن الشجرة الخبيثة.

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

(٤) الروم: ١ و٢.

(٥) إبراهيم: ٢٦.

الفائدة الرابعة

سُئِلَ الإمام الصادق عن ليلة القدر، فقليل: يابن رسول الله، أتعرف ليلة القدر؟ فقال: كيف لا أعرفها، إن الله كشفها لنا، في هذه الليلة من كل سنة ينصب كرسي الكرامة لنا ويجلسنا عليه، وتأتي الملائكة المقربون وأرواح الأنبياء والمرسلين زرافات ووحدانا للسلام علينا وتهنئتنا، وتذهب إلى مصافها حتى مطلع الفجر، وهي خير من ملك بني أمية ألف ليلة. وما ناله بنو أمية في هذه المدة من اجتماع الفساق عليهم نحن نناله في كل سنة ليلة القدر وما يضيرنا إذا جفانا الفساق.

الفائدة الخامسة

لما ثبت كون بني أمية ليس من قريش بل من الروم بطلت خلافة عثمان ومعاوية، وهذا على مزعمة القوم أن الأئمة من قريش لأنهم ليسوا منهم.

الفصل الخامس

سبَّ عدي بن أرطاة على منبر البصرة أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسن البصري حاضراً، فقال: والله لقد سبَّ أخا رسول الله.. (١). قال عبدالله بن الحرث: ذهبنا أنا وعمرو بن الحجاج إلى معاوية وثنيينا من بعده

(١) الحسن البصري دجال كبير ولا واقع لما يبدو عليه من حسن السمعة فإنه منحرف عن أمير المؤمنين، ولو صدق هنا لما سبَّه في موضع آخر، فقال عنه: لا أبال لك، والواقع أن هذا الخبيث الدجال كان في عهد أمير المؤمنين ابن سنتين ومن بعده لم يتقدم به العمر ليكون بهذا المستوى من العقل والفهم والدين.

بعبيد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : إن معاوية منعنا من رواية الحديث وقال : والله لئن حدثت لأضربن عنقك بالسيف . قال عبدالله بن الحرث : فقلت : والله لو كانت عنقي لما تركت الحديث عن رسول الله ﷺ .

ثم قال : كنت يوماً عند رسول الله ﷺ فرّ معاوية يقود أباه وكان أرمداً ، ورسول الله على المنبر ، فقال : لعن الله التابع والمتبوع^(١) ثم حضرت عند النبي فأرسل وراء معاوية ، فقبل له : يأكل ، وأعاد الرسول مرّات وهو يأكل ، فقال الرسول : يا رسول الله هو يأكل ، فقال النبي ﷺ : اللهم لا تشبع بطنه فلن يشبع ، هل رأيتموه يشبع^(٢) . قال الراوي : فسألته : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعت أذني ورأت عيني في المرّتين كليهما ، وقال النبي ﷺ : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه^(٣) .

(١) بحار الأنوار ٣٣ : ١٩١ وفيه الجملة بسياق ثانٍ ، مناقب أهل البيت للشرواني : ٤٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٧٩ وفيه : ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الاستاء ، قالوا : يعني الكبير العجز .

(٢) كان سليمان بن عبد الملك ثعبانيّ الاتهام لقمانيّ الانتقام على أنّ جميع المرواتيّة كانوا أمثلاً في الأكل ، إمامهم في الأكل في سبعة أمعاء معاوية (لعنه الله ولعنهم) . (ربيع الأبرار ٣ : ٢٥٣) قال رسول الله ﷺ : الكافر يأكل في سبعة أمعاء . (رواه أحمد في المسند ٢ : ٢١) وأخرجه كثيرون يتعذّر حصرهم .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١٧٦ ، الكامل لابن عدي ٢ : ١٤٦ و ٢٠٩ و ٣ : ٤١٩ و ٥ : ١٠١ و ٧ : ٣١٤ و ٨٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٥٩ : ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ ، تهذيب الكمال ٧ : ١٠٢ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ١٠٥ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٦٩ و ٥ : ٩٦ و ٨ : ٦٥ ، لسان الميزان ٣ : ٥٤ ، البداية والنهاية ٨ : ١٤١ و ١٤٢ ، تقوية الإيمان لمحمّد بن عقيل : ١٣٩ . وعبثت يد الغدر والخيانة لأتباع السنة كما يصفون أنفسهم فحرّفوه «أقبلوه» ولم يفعلوا ذلك إلا لأنّه إدانة لإمامهم الأكبر ابن صهّاك سؤد الله وجهه ولعنه .

الفصل السادس

في فوائد ونكات وردت في كتاب مثالب بني أمية من كلام الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن عليّ السّمان وهو من علماء أهل السنّة ، فنكتب ما هو من خلاصة كتابه ونوادره

قال الحسن البصريّ: كنت لا أستطيع ذكر اسم عليّ في عهد بني أمية ، فأقول: حدّثني أبو زينب ، خوفاً من بني أمية .

قال موسى بن داود: سمعت من عليّ وهو واقف عند أحجار الزيت ، رافعاً يديه يقول: اللهمّ إني أبرأ إليك من دم عثمان ، فحدّثت عبد الملك بذلك ، فقال: ما أراه إلّا بريئاً يا موسى . قلت: فلماذا يلعنونه على المنابر ؟ فقال عبد الملك: لا يقوم الملك إلّا بذلك .

وكان قتل عثمان بسعي معاوية ولكنّه ما فتئ يشنّع على عليّ عليه السلام ويدّعي الطلب بدم عثمان لعنه الله والدليل على ذلك أنّ عبد الله بن سعد أقام بعسقلان بعد مقتل عثمان ولم ير وجه معاوية قطّ وقال: أكتب على نفسي أن لا أرى وجه رجل رضي بقتل عثمان وأعان عليه .

قال محمّد بن عبدالرحمان بن يزيد: قلت لأبي: يا أبتى ، أتغزو في إمارة الحجاج ؟ فقال: يا بني ، إنّ أصحاب رسول الله غزوا في زمن معاوية وهو شرّ من الحجاج .

قال الأعمش: إنّ الحجاج جرّد عبدالرحمان بن أبي ليلى من ثيابه وأمر بضربه حتّى تناثر لحمه وهو يقول: العن عليّاً ابن أبي طالب ، وهو يأبى .
قال عبد الله بن الزبير: أولاد الحكم ملعونون .

وكان رجل يحدث عمر بن عبدالعزيز فقال في أثناء كلامه: يزيد أمير المؤمنين^(١) وكان عمر بن عبدالعزيز في بني أمية كمؤمن آل فرعون. وقال مروان الحويطب: هممت أن أسلم فنعني أبوك مَرَات، وقال: لا تدع دين آبائك وأجدادك فيضيع شرفك، فلما أسلم عثمان وهو عمك ألم أباك كثيراً وعاتبه وقال: إنك فعلت سوءاً.

قال الأحنف بن قيس: حضرت عند معاوية أنا وجماعة من أهل العراق فاختلفت آرائهم في يزيد وكل واحد قال ما عليه وكنت صامتاً لا أنطق بكلمة، فقال معاوية: مالك يا أحنف ساكت أمام الملاء، فقممت وقلت بعد أن حمدت الله وأثنيت عليه: إنك أعرف بيزيد ليله ونهاره، وسره وعلمه، لأنك أبوه، واعلم بأننا شارفنا على النهاية فلا تزوده الدنيا وتمكّنه من رقاب العباد وتذهب إلى ربك فالله سائلك عن ذلك، فاتق الله ولا تصيرّه حاكماً على رؤوس العباد، فبدر ملعون متزلف كان حاضراً فقال: من أنكر ولاية معاوية ولم يقبل حكمه عليه ضربته بحدّ سيفي هذا، وأشار إلى قائم سيفه.

قيل: بلغ الظلم في عهد بني أمية حدّاً أن كان الناس يتمنون الموت وقيام القيامة ليرتاحوا من ظلمهم وجورهم.

وكان سالم بن أبي حفصة يطوف في البيت ويقول: لبيك مهلك بني أمية لبيك، فلما سمعه داود بن علي أرسل إليه ألف دينار مكافئة.

هرب عقبة بن شدّاد من عمر أيام خلافته ونزل الكوفة وحضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام فاستشهد، فلما استولى معاوية لعنه الله أمر بهدم بيته.

ولما ذهب معاوية إلى الميقات لعقد الإحرام وأراد أن يقول لبيك قيل له: هذا

(١) لم يتم الرواية فإن عمر بن عبدالعزيز ضرب هذا القائل خمساً وعشرين سوطاً.

مكان مقدس لأن علياً لبي منه ، فترك معاوية الإحرام تعصياً على عليٍّ عليه السلام وذهب إلى موضع آخر .

قال المصنف : واليوم أهل السنة يتبعون سنته وإنما قيل للسني سني لأنه حافظ على سنة معاوية وتبرأ من عليٍّ وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وإلا فالمسلمون جميعاً شركاء في سنة النبي صلى الله عليه وآله ، وما من حنبلي إلا وهو ينتقص علياً ويبحث عن غمزة يغمره بها^(١) .

وقال ابن المسيب : ولد لأخي ولد من فضل الله عليه فسماه «وليد» ، فلما علم الرسول بذلك منعه منه وقال : هذا اسم الفراعنة «ليكونن في أمتي رجل يقال له الوليد ، ألا هو شر لأمتي من فرعون لقومه»^(٢) وحكم في الإسلام وليدان : الوليد ابن يزيد والوليد بن عبد الملك^(٣) .

جاء أعمى يوماً إلى مجلس الحسن البصري وقال : ارحم أعمى ليس له قائد ، فقال الحسن البصري : هذه السارية أسوء منك حالاً ، هذا عبدالله بن الزبير مع ما

(١) صدقت يا شيخي الكريم ، فهذا مشاهد للعيان معلوم لكل إنسان ، وأنا إزاء هذا لا املك إلا لعن الثلاثة : أبي بكر وعمر وعثمان ، وألحق بهم أحمد بن حنبل لعنه الله .

(٢) أمالي المرتضى ١ : ٨٩ والرواية بصيغة أخرى والولد هو لأخي أم سلمة . (مسند أحمد ١ : ١٨ ، المستدرک ٤ : ٤٩٤ ، والرواية عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، قال : ولد لأخي أم سلمة .. الخ ، والمؤلف خطأ نسبها إلى ابن المسيب ، مجمع الزوائد ٧ : ٣١٢ ، فتح الباري ١٠ : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، المصنف ١١ : ٤٣ ، بغية الباحث لابن أبي أسامة : ٢٥٢ ، القول المسدد في مسند أحمد : ٦ و ١٤ و ١٥ ، كنز العمال ١١ : ٢٥٧ ، فيض القدير ٤ : ١٧٢ ، كتاب المجروحين لابن حبان ١ : ١٢٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٦٣ : ٣٢٢ ، الإصابة ٦ : ٤٨٠ ، البداية والنهاية ٦ : ٢٧١ ، وهناك مصادر أعرضنا عنها لكثرةها ، كل هذا وتجد مدح الوليد والثناء عليه في كتاب «العواصم من القواصم» وعند الخطيب محقق الكتاب وهذا الواقع يكشف لك ما هو دين القوم !؟

(٣) ولا تنس الوليد بن عقبة لعنهم الله جميعاً .

له من الخدم الحشم والمال ليس له من يقوده، وكان هذا اللعين قد أضرب. «الحمد لله على عماه في الدنيا والآخرة واستيصال بني أمية»^(١).

قال داود بن عليّ وهو من أعلام الدنيا يومذاك: كان رجل من أهل العراق يلعن أهل الشام، فقال عليّ عليه السلام: لا تسبوا أهل الشام جمّاً غفيراً فإنّ فيهم قوماً كارهين لما يرون في الشام وفيهم يكون الأبدال^(٢).

يقول أبو حاتم سفيان بن عتبة: لم يكن في عليّ خصلة يقصر بها عن الخلافة ولم يكن في معاوية خصلة يستحقّ بها الإمامة والخلافة.

قال عبید بن شداد (الهار - كذا): لو شئت لصعدت المنبر وذكرت مناقب عليّ من الفجر إلى غياب القرص ثمّ ليأخذوني من هناك وليضربوا عنقي.

وسمع عليّ عليه السلام رجلاً يلعن أهل الشام، فقال: ويحك لا تعمهم فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمعاوية وشيعته وعمر بن العاص وشيعته.

يقال: إنّ أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام ولدت لعمر ولداً وسّمته زيداً فدنّس عبد الملك بن مروان السّم له فقتله لأنّ الناس كانوا يقولون: هذا ابن عليّ وعمر، وكان يخشاه على ملكه، وصلى عليه عبدالله بن عمر.

قال شقيق: كنت أنا ومسروق في سفينة تحمل أصناماً للنجاشي لبيعها في الهند، فقال شقيق: اغرقوا هذه السفينة، فقال مسروق: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فليست هي شرّاً من معاوية بن أبي سفيان إمام المسلمين.

كان عقيل بن أبي طالب ضيفاً على أخيه، جاء يطالبه بالعطاء، فقال له الإمام:

(١) لا أعرف ابن الزبير هذا ولم يتيسّر لي الاطلاع عليه ولا شك في تصحيحه.

(٢) الأبدال في الشام حديث موضوع رده جلّ العلماء إن لم يكن كلّهم بل لا أبدال في البين ليكونوا في الشام أو غيرها.

اصبر حتى يخرج عطاء الناس فأعطيك، فألح عليه عقيل وكان إلى جانبها شخص ثالث، فقال له عليّ ﷺ: يا رجل، خذ بيده إلى هذه الدكاكين وليحمل منها ما شاء، فقال عقيل: يابن أمّ، أتريدني أن أكون لُصّاً بعد الهجرة، فقال أمير المؤمنين ﷺ: وأنت تريد منّي أن أسرق لك أموال المسلمين؟! فقال عقيل: ائذن لي بالمصير إلى معاوية، فقال له: أذنت لك، فأنت وذاك.

فصار عقيل إلى معاوية فلما وصل إليه أعطاه مائة ألف درهم وقال له: اصعد المنبر يا عقيل واذكر عطائي وعطاء أخيك، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: كانت حالي مع أخي ومعاوية كيت وكيت، ولكن أخي اختار دينه عليّ، ومعاوية اختارني على دينه.

قال أبو سعيد الخدري: كان معاوية يخطب على المنبر فسلّ رجل سيفه في الجمع، فقيل له: ما تصنع ويحك؟! فقال: سمعت رسول الله يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد^(١) فاضربوا عنقه، وقال الحاضرون: ونحن أيضاً سمعنا ما سمعته، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب لعنه الله فما ردّ عليهم الجواب إلى أن ذهب إلى جهنّم.

قال أبو سالم: قال رسول الله ﷺ: ويل لبني أميّة، ويل لبني أميّة، ويل لبني أميّة..^(٢)

وكان معاوية يقول: السخاء لبني هاشم، والشجاعة لبني العوام، والحلم

(١) لم يدرك الكلمة فترجمها «بعيدها» أي الأعياد، وجاءت كذلك في الكتاب.

(٢) الغدير ٨: ٢٥٠، الأحاد والمثاني ٣: ٣٠٠. وأبو سالم هذا حمزان بن جابر وهو جدّ عبد الله بن بدر. كنز العمال ١١: ١٦٥ رقم ٣١٠٥٩ و٣٦٣ رقم ٣١٧٥٠، أسد الغابة ٢: ٤٦ و٣٤٣، الإصابة ٢: ١٠٤، تاريخ المدينة لابن شبة النميري ٢: ٦٠٠، ينابيع المودة ٢: ٨٤، النصائح الكافية: ١٣٩، تنبيه الغافلين: ١٠٥.

(الحكم - المؤلف) لبني أمية، فوصل قوله إلى الإمام الحسن عليه السلام، فقال: ما قصد المدح بل ألقى الخبر إلى الناس ليقصدوا بني هاشم فينفقون أموالهم فيحتاجون إليه، ويلقي بني العوام بين لهوات الموت، وأعطى الحلم لبني أمية ليجتمع عليهم الناس ويبلغوا بهم غاية الملك والسلطان.

ونادى منادي معاوية: من جالس أباذر قتلناه، فهرب الناس منه، والقصد من ذلك أن لا يستمعوا إلى ذكر مناقب عليّ منه لأنه طالما كان يحدث بفضائله التي رآها أو سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قيل: زار أبو الأسود معاوية، فلما قام قائماً أنفلتت منه ريح، فقال أبو الأسود: يا معاوية، هذا مقام العائذ بك، وقال: أو يكون غير هذا..^(١). وأشهد أن ما وقع مني يقع منك ومن أبويك، ومن لا يؤمن على ريح كيف يؤمن على أمانة الأمة؟!

سئل الحجاج بن يوسف من أبي سعيد الحسن البصري: ما تقول في عليّ؟ فقال: كان أول من اهتدى، وأول من اقتدى برسول الله، وأول من هاجر الهجرتين، فقال الحجاج: صدقت، هذا من ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مِنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾^(٢) وكان عليّ بن أبي طالب أول من هداه الله تعالى مع الحق وأول من التحق بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال الحسن البصري: عمل معاوية أربعاً كلهنّ بوائق: ادّعائه زياداً، واستخلافه يزيد، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، ومنازعة الأمر^(٣).

(١) إن كانت الريح من معاوية فإنه أهل لها، وإن كان المؤلف يقصد بها أبا الأسود - وحاشاه - فإن ذلك من دس العدو فقد كانوا يعادونه غاية العدا لأنه موال لأهل البيت، وما وجدوا ما ينتقصه إلا هذا وأمثاله، وهل هذا إلا بعض أخلاق فاروقهم!

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) القواعد الفقهية ٤: ٢٥ ولم ينسبها إلى أحد، البداية والنهاية ٨: ١٣٩، كشف الغمّة ٢: ٤٥،

رأى بسر بن أرطاة زيداً خارجاً من عند معاوية، وزيد من أمّ كلثوم بنت الإمام عليه السلام، فشرع يسبّ عليّاً، فسمعه زيد يسبّه فأقبل عليه وقبض على مرق بطنه وحمله ثمّ جلد به الأرض وكسر أضلاعه، فاجتمع الناس وخلّصوه من يد زيد، فبهت معاوية وبقي أياماً لا يعي من أمره شيئاً، وكان السيف لا يفارقه من خوف زيد، ولا يجراً على عتابه، وكان زيد غاية في الشجاعة.

عاد معاوية عماراً فلما قام من عنده قال: اللهمّ لا تجعل موته بأيدينا، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل عمار بن ياسر الفئة الباغية.

ولما قُتل عمار أقبل عمر بن حازم في ذلك اليوم على عمرو بن العاص باكياً، فسأله عمرو: ما بالك؟ فقال: قتل عسكرنا عماراً بن ياسر وقد سمعت رسول الله يقول: يقتل عماراً الفئة الباغية، فنهض عمرو مسرعاً إلى معاوية وحادثه بما سمع، فقال معاوية: على عمار أن لا يأتي إلى هنا، ولقد قتله من جاء به، ولبس عليهم بحيلته ومكره.

ناظر يوماً عبدالرحمان بن أبي بكر مروان بن الحكم في أمر الخلافة، فقال مروان: وهذه تقاليد الأكاسرة والقيصرة إذا مات كسرى قام كسرى مقامه، وكذا القيصر، ولأجل ذلك منعوا أهل البيت حقهم فأوصى بها أبو بكر لعمر وعمر للشورى وعثمان قتل من دون وصية^(١). فلما بلغ الأمر عائشة حوّلت وجهها إلى مروان وقالت: أنت القائل لأخي كيت وكيت، ولكن أشهد الله أن الله لعنك وأنت في صلب أبيك.

➤ والعبارة التي لم يتمّها المؤلف: ابتزائه على الأمة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة. ينابيع المودة ٢: ٢٧.

(١) هذا القول لعبدالرحمان حين انبرى إلى مروان وهو يحثّ على البيعة ليزيد، فقال له: كذبت يا عدو الله، إنكم صيّرتموها قيصرية، ثم اشتدّت الملاحات بينهما حتّى تداركنها عائشة، والمؤلف غير دقيق في الترجمة من العربية ولا هو بصير بما ينقل من التاريخ.

قال الحسن عليه السلام يوماً: يا قوم، لو نظرتم ما بين جابلقا وجابلسا ما وجدتم رجلاً جدّه نبيّ غيري وغير أخي الحسين ^(١) وإني أرى أن تجمعوا على معاوية، وما أدري لعلّها فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وكان الحجاج بن يوسف دائماً في تفضيل عبد الملك بن مروان لعنه الله على رسول الله ﷺ، وكان يعرض بذلك ويقول للناس: أرسولكم أكرم عليكم أم خليفتمكم على أهلکم، فيردّون عليه: بل خليفتنا على أهلنا، يريد بذلك عبد الملك خليفة الله ومحمد ﷺ رسول الله.

وكان معاوية كلّما حزبه أمر أو أملت به معضلة يوجّه لها إلى عليّ بن أبي طالب إلى أن جائته مسألة في الخنثى فلم يعرف لها حلاًّ حتّى سأل عليّ بن أبي طالب فأتاه.

وسئل عليّ عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْنَّوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسِفُ الْفَرَارِ﴾ ^(٢)، قال: الذين بدّلوا هم بنو المغيرة واستأصلوا يوم بدر وبنو أميّة ومتّعوا إلى حين.

وكتب معاوية إلى مروان وهو والٍ على المدينة أن انقل منبر رسول الله من مكانه وابعث به إليّ، فلمّا شرع ذلك الملعون في قلعه من مكانه هبّت عاصفة شديدة اظلمت لها الدنيا وكان الناس من شدّتها لا يرى بعضهم بعضاً، ولا يسمع بعضهم بعضاً، فلمّا رأى ذلك تركه في مكانه فهدأ العالم وسكنت العاصفة، فاستحيا مروان من عمله هذا وقال ما كراً بهم: إنّ معاوية أمرني برفعه عن الأرض، وشنّع عليه الناس فأضاف إليه اللعين ستّ مراقٍ أخرى حتّى صار بتسع مراقٍ.

(١) شرح أصول الكافي ٧: ٢٢٨ واقصر على هذا الجزء ومثله فعل صاحب ينابيع المودة، وزاد عليه أموراً أخرى (٣: ٣٦٩) وأحسب إضافة المؤلف من كلام آخر للإمام الحسن عليه السلام.

(٢) إبراهيم: ٢٨ و٢٩.

قال عبدالله بن الزبير: لعن رسول الله الحكم وما (كذا) يخرج من صلبه^(١).
 قيل: حجّ معاوية ذات عام فلما بلغ المدينة أجلس عن يمينه عبدالله بن عمر،
 وعن يساره عبدالله بن عباس، وأقبل على ابن عباس وقال: أنا أحقّ وأولى بالأمر
 من ابن عمّك، فقال ابن عباس: لماذا؟ فقال معاوية: لأنّي ابن عمّ الخليفة المقتول
 ظلماً، فقال عبدالله بن عباس: فهذا - وأشار إلى ابن عمر - أولى منك بها لأنّ أباه
 قُتل مظلوماً قبل ابن عمّك، فانقطع معاوية.

وكان سعد في المجلس حاضراً، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي، أنت
 مع الحقّ والحقّ معك^(٢)، فقال معاوية: من سمعه غيرك؟ قال: أمّ سلمة، فقام
 معاوية إليها وقال: يا أمّ المؤمنين، كثرت الكذّابة على رسول الله، ويقول سعد كيت
 وكيت، فماذا تقولين أنت؟ فقالت: جرى هذا الحديث على لسان رسول الله ﷺ في
 بيتي وسمعته أنا وسمعه سعد، فقال: لو كنت سمعته من رسول الله ما زلت خادماً لعلّي
 حتّى أموت^(٣).

(١) استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فقال: انذّنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلّا
 المؤمنين وقليل ما هم. (الحدائق الناضرة ٤: ١٩٦، المستدرک ٤: ٤٨١، كنز العمال ١١: ٣٥٧ رقم
 ٣١٧٢٩).

(٢) المحاسن ١: ١٧، تحف العقول: ٦، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢: ٦٧ و ١١٩، بحار الأنوار
 ٣٣: ٣٨ و ٩٣٤٠ و ٧٤: ٦٨.

(٣) ويحسن بنا أن نروي الرواية بطولها فقد اختصرها المؤلف فضيّع كثيراً من فوائدها: حجّ معاوية
 ابن أبي سفيان فأتى مجلس في حلقة فجلس بين عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر بن الخطّاب،
 فضرب بيده على فخذه ابن عباس ثم قال: أنا كنت أحقّ وأولى بالأمر من ابن عمّك، فقال ابن
 عباس: ولم؟ قال: لأنّي ابن عمّ الخليفة المظلوم المقتول ظلماً، قال ابن عباس - وضرب بيده
 على فخذه ابن عمر -: هذا أولى بالأمر منك لأنّ أبا هذا قتل قبل ابن عمّك، قال: فانصاع، أو كلمة
 نحو هذا.

جاء في المنقول عن الرواة: لما عزم أمير المؤمنين على حرب صفين سبق معاوية إلى ماء الفرات، ووضع على مقدمته أبا الأعور السلمي وعدي بن أرطاة، فنسوا أصحاب الإمام من ورود الماء، فبعث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية لعنه الله رجلاً من أصحابه يقول له: إن أصحابك حالوا بين أصحابي وبين الماء، ولو كنت السابق لما منعتمكم، فشاور معاوية عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي سرح وهو أخو عثمان من أمه، فقال عمرو بن العاص: إني أرى أن تتنحى بجيشكم لهم عن الماء، وقال ابن سرح: كلاً دعهم هكذا حتى يهلكوا جميعهم عطشاً كما قتلوا عثمان عطشاً.

فلما أصبح الصباح أقبل على الإمام اثنا عشر ألفاً من الرجال وقال: أمتوت عطشاً ونحن ننظر إليه، فقال الإمام عليه السلام: من فيكم يقوم بهذا الأمر؟ فقال الأشعث:

❦ ثم إن معاوية أقبل على سعد بن أبي وقاص وكان حاضراً أيضاً، فقال: وأنت يا سعد الذي لم تعرف حقنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا؟ قال سعد: إني لما رأيت الظلمة قد غشيت الأرض قلت: هيج، فأنخه، حتى إذا أسفرت مضيت، قال معاوية: والله لقد قرأت المصحف - أو ما بين الدفتين - ما وجدت فيه هيج، فقال سعد: أما إذا انتبهت فإني سمعت رسول الله يقول لعلي ابن أبي طالب عليه السلام: أنت مع الحق والحق معك. قال معاوية: لتجيني عن سمعه معك أو لأفعلن بك كذا (وكذا). قال: (أتم سلمة)، فقال: فقام وقاموا معه حتى دخل على أم سلمة رضي الله عنها، قال: فبدأ معاوية فتكلم فقال: يا أم المؤمنين، إن الكذبة قد كثرت على رسول الله بعده فلا يزال قائل يقول قال رسول الله ما لم يقل، وإن سعداً الآن روى حديثاً زعم أنك سمعته معه، قالت: وما هو؟ قال: زعم أن رسول الله قال لعلي: أنت مع الحق والحق معك، قالت: صدق، في بيته قاله، فأقبل معاوية على سعد وقال: الآن أنت أكرم علي مما كنت (كذا) والله لو سمعت هذا من رسول الله ما زلت خادماً لعلي بن أبي طالب حتى أموت. (منتجب الدين بن بويه: ٢٥، ط مؤسسة الهادي، أولى ١٤٠٨ - قم).

أقول: لعن الله سعداً كما لعن معاوية: أسمع هذا من رسول الله ثم يتردد في نصره الإمام؟! نعم لأنهم خلعت الدنيا بأعينهم وراهم زبرجها.

أنا، وكان الأشعث رجلاً شجاعاً قوياً، يرمي السهم ثمَّ يعدو معه حتَّى يسبقه، ثمَّ إنَّ الأشعث حمل بهم على جيش الشام فأزالهم عن مراكزهم واحتلَّ الفرات وضرب أطنابه هناك، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أما قلت لك لا تمنع الماء منهم، فرددت قولي حتَّى أمكنت العدو من الظهور عليك، فقال معاوية: إنَّ عليّاً رجل حليم وكريم فلا يمنعنا من الماء، وأرسل رسله إلى الإمام، فأجابه مسرعاً، وأرسل إلى الأشعث: خلَّ بينهم وبين الماء.

مادام عليّ حيّاً لم يدع معاوية إلّا بأمر، فلمّا استشهد دعوه «أمير المؤمنين»^(١) ولقبوه بذلك دوناً استحقاق له.

قال حنظلة بن خويلد: كنت عند معاوية فأقبل رجلان ومعهما رأس عمّار بن ياسر وهما يختصمان فيه، كلّ يقول أنا قتلته، وكان رجل حاضراً للمشهد، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمّار: يقتل عمّار الفتة الباغية، فتعساً لكما ولما تختصمان فيه.

وكان النبيّ قائماً على بناء مسجده وأصحابه يساعدونه، كان ينقل كلّ واحد منهم لبنة لبنة وصخرة صخرة إلّا عمّار فكان يحمل اثنتين معاً، فقال النبيّ ﷺ: إنَّك لحريص على الأجر، وإنَّك من أهل الجنة، وإنَّك تقتلك الفتة الباغية^(٢).

قال سفيان بن ليلى: لما صالح الحسن معاوية ذهبت إليه في المدينة ودخلت عليه

(١) بل دعي بذلك بعد التحكيم، لعن الله أبا موسى الأشعريّ.

(٢) بدائع الصنائع ١: ٣٣٣، المحلّي لابن حزم ١١: ٩٧ و٣٠٤، فضائل الصحابة: ٥١، مسند أحمد ٢:

١٦١ و١٦٤ و٢٠٦ وأخرجه في الأجزاء الثالث والرابع والخامس بطرق عدّة، صحيح البخاري ٣:

٢٠٧، صحيح مسلم ٨: ١٨٦، سنن الترمذي ٥: ٣٣٣، المستدرک ٢: ١٤٨ بطرق عدّة.. ٣: ٣٨٦

بطرق عدّة أيضاً، السنن الكبرى ٨: ١٨٩، مجمع الزوائد ٧: ٢٤١ بعدّة طرق.. ٩: ٢٩٥ بعدّة

طرق، سؤالات ابن أبي شيبة: ٨٥، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٧٥، خصائص أمير المؤمنين: ١٣٢.

وقلت: يا مدلل المؤمنين، وعاتبتك على الصلح كثيراً وعلى ترك القتال، فقال: يا سفيان، حملني عليه أني سمعت علياً يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، لا يشبع ولا يموت حتى لا يكون له عاذر في السماء ولا في الأرض، وإنه معاوية، وإني عرفت أن الله بالغ أمره^(١).

ونودي بالصلاة، فقال: هل لك يا سفيان في المسجد؟ قال: قلت: نعم، قال: فخرجنائمشي فمررنا على حالب يحلب ناقة فتناول منه قدحاً فشرب قائماً ثم سقاني ثم أتينا المسجد فصلينا، ثم قال: ما جاء بك يا سفيان؟ قال: حبكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق. قال: فابشر يا سفيان، إنني سمعت علياً يقول: قال رسول الله ﷺ: يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبني من أمتي كهاتين، وسوى بين أصابعه [وسوى بين اصبعين السبابة والوسطى - المؤلف] ولو شئت لقلت: كهاتين السبابة والوسطى، ليس لأحدهما فضل على الأخرى، ابشريا سفيان فإن الدنيا ستستسع على البر والفاجر، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد^(٢).

جرت بين الإمام الحسين وبين مروان بن الحكم لعنة الله مشادة لأن مروان أذن بلعن أهل البيت عليه السلام^(٣)، فقال له الحسين عليه السلام: والله لعنك الله على لسان نبيه وأنت في ظهر أبيك.

ومن جملة المعاصي التي صدرت من هذا العاصي وهي الطامة الكبرى^(٤):

(١) مناقب أمير المؤمنين للكوفي ٢: ١٢٨ وفيه: يأكل ولا يشبع، ولا في الأرض حامد، وراجع: مقاتل الطالبين: ٤٤، بحار الأنوار ٤٤: ٦٠، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٤، كنز العمال ١١: ٣٤٩.

(٢) مناقب أمير المؤمنين ٢: ١٢٨.

(٣) أنا لا ألعن مروان وحده بل ألعن معه عمر بن الخطاب لعنه الله لأنه هو الذي زرع بني أمية في ضلوع الإسلام.

(٤) الحديث عن معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله.

أولها: النفاق وعداوة الله ورسوله وأهل بيت رسوله وحربه لعليّ عليه السلام، وسمّه الحسن، وإذنه بقتل الحسين عليه السلام.

الثاني: استخلافه يزيد الكافر مع علمه بفسقه وفجوره العلنيين.

الثالث: قتله حجر بن عدي مع أصحابه من دون ذنب جنوه بل لأنهم يحبّون أهل بيت النبي ﷺ ويعبدون الله حقّ عبادته، وحجر رجل مشهور عند العرب، قيل: كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.

الرابع: استلحاقه زياداً فصيّرّه أخاه ودعاه يزيد عمّه، وهو زياد بن حسام (كذا)^(١).

الخامس: كان ثملاً عند هلاكه وقد وضع الصنم في عنقه، ومات على كفره القديم، ويزيد لعنه الله قصد تخريب مكّة وأشار على عبد الملك أن يرسل الحجاج إلى مكّة ليقتل أهلها من أجل ابن زبير الذي لجأ من خوفهم إلى حرم الله^(٢). وبعث مسلم بن عقبة إلى المدينة وأمره بقتل الأنصار وأولادهم ثأراً لقتله في بدر وأباحها لهم ثلاثة أيّام.

ولما قتل الملعون الإمام الحسين عليه السلام قال متمثلاً:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وأوعز يزيد إلى ابن مرجانة بخراب مكّة، فقال اللعين: والله لا أجمع له قتل الحسين ابن بنت رسول الله وقتل أهل الحرم وتخريب بيت الله. وقال أبو بكر البخاري: وأيّ كفر أشدّ من ذلك، من مجاهدة الله وغزو بيته

(١) حسام لا ريب أنّه تصحيف من عبيد أو غيره، فلم يعرف لزياد أب بهذا الاسم فيما أعلم، والله العالم.

(٢) إنّما لجأ إلى الكعبة ظناً منه أنّها محترمة عند بني أميّة فلا يقتلون فيها ويظلّ يطاولهم ويجاولهم إلى أن تدور الدائرة عليهم وهو ملعون مثلهم لأنّه استحلّ حرمتها.

الكعبة ولا فرق بينه وبين أبرهة الحبشي.

حجّ معاوية ذات سنة فلماً فرغ من المناسك سأل: كيف حال فلانة، قالوا: هي حيّة ترزق، فقال: احضروها لي، واسمها تلك المرأة (دارميّة الحجونيّة - كذا) وكانت سوداء اللون بادنّة، ولها ثديان كبيران، فلماً أقبلت على معاوية سلّمت، فردّ عليها معاوية السلام وقال: كيف حالك يا بنّة حام؟ فقالت: أنا لست حامية بل أنا امرأة من بني كنانة.

فقال معاوية: أتعلمين لماذا أحضرتك هنا؟ فقالت: لا. قال: أردت أن أسألك بماذا أحببت عليّاً وأبغضتنا، وواليّتيه وعاديتنا؟ فقالت: اعفني، فقال معاوية: كلّاً لا بدّ من ذلك، فقالت المرأة: إذا كنت مُصرّاً فإنّي أحببت عليّاً على عدله في الرعيّة وقسمته بالسويّة، وأبغضك على قتالك مع من هو أولى بالأمر منك، وطلبك ما ليس لك، وواليّت عليّاً على ما عقد له رسول الله من الولاية وحبّه للمساكين وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفك الدماء وشقّ العصي.

ولما سمع معاوية قولها قال: هذا بهند والله يضرب المثل^(١) وهند هي أمّ معاوية، فغضبت المرأة، فقال معاوية: لا تغضبي فما أردت إلّا خيراً، فإذا عظمت العجزيّة استوت الجلسة، وبكبر الثدي يكثر الغذاء للولد.

ثمّ قال معاوية: هل رأيت عليّاً وسمعت كلامه؟ فقالت: نعم، رأيته وسمعت كلامه، فقال: كيف كان؟ قالت: يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت (البيت المظلم)، قال: صدقت، ثمّ قال: ألك حاجة؟ فقالت: إن ذكرت حاجتي تقضيها لي، قال: أجل، فقالت: مائة من الإبل حمراء ومعها رعاتها وما يلزمها، فقال معاوية: وما تصنعين بها؟ فقالت: أجعل من لبنها طعامي وما زاد عليّ أهديه إلى

(١) ينبغي أن تكون العبارة هكذا ليتّسق معناها مع السياق: بهذه لا بهند والله يضرب المثل.

الفقراء والمساكين وأصلح بها ذات البين، وأصل بها الرحم، وأكسب بها الخير ومكارم الأخلاق، وأصلح بها خلل العشائر والفقراء وأمثال هذا، فقال: إن أعطيتك أكون عندك بمنزلة عليّ؟ فقالت: لا يا معاوية، وأنشدته هذين البيتين:

إذا لم أجد بالحكم مني عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحكم

خذيها منيئا واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة والسلام

ثم قال: أعطوها ما أرادت، وقال لها: أما والله لو كان عليّ ما أعطاك شيئاً، قالت: اي والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين يعطيني^(١) لأنه مؤمن والمؤمن لا يعطي مال المسلمين وأنت يا معاوية تعطيني مال المسلمين.

حجّ معاوية ذات عام فأخذ يد سعد بن أبي وقاص وأجلسه معه على السرير وكان هذا دأبه، ثم أخذ يشتم عليّاً عليه السلام، فقال له سعد: ما أعجب أمرك، أدخلتني بيتك وأجلستني معك على سريرك، ورحت تشتم عليّاً عليه السلام، والله إن عليّاً ثلاثاً لو أن لي واحدة منها لكان خيراً لي مما طلعت عليه الشمس وغربت:

الأولى: في غزوة تبوك لما خلفه النبيّ على المدينة فأرجف به جماعة من المنافقين فقالوا: لقد سمّ رسول الله من عليّ وثقل عليه، لما سمع عليّ ذلك كبر عليه ولحق بالنبيّ وقال: يا رسول الله، خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله: يا علي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي.

الثانية: لما كان يوم خيبر وأعطى الراية لأبي بكر وعمر ورجعا بها منهزمين من خيبر، قال: والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله،

(١) راجعها بسياقها العربي في «بلاغات النساء»: ٧٣ مطبعة بصيرتي - قم المقدسة، وسماها «الدارمة الحجونية»، وقد وقع فيها حذف بسياق المؤلف سوف تجده موفوراً في البلاغات ومن الحذف قولها: عاديتك.. الخ، قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك، قالت: يا هذا بهند والله يضرب المثل لا أنا.. الخ.

يفتح الله على يديه، كَرَّار غير فَرَّار.

والثالثة: أَنَّهُ صهر رسول الله على فاطمة، وأولاده من فاطمة، وهذه المناقب أَحَبُّ عندي ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت، ثُمَّ قام ونفض ثيابه وخرج من عند معاوية^(١).

(١) تخريج الحديثين: ١- حديث المنزلة: الهداية للشيخ الصدوق: ١٤٣، رسائل المرتضى ١: ٣٣٣ وسمَّاه متواتراً بين الفريقين، الاقتصاد للطوسي: ٢٢٢، الرسائل العشر له: ١١٤، الكافي ٨: ١٠٧، دعائم الإسلام للقاضي نعمان: ١: ١٦، علل الشرائع ١: ٦٦ و ٢: ٤٧٤، كمال الدين وتعام النعمة للصدوق: ٢٥، معاني الأخبار له: ٥٧، كفاية الأثر للخزَّاز القمِّي: ١٣٥، تحف العقول: ٤٣٠ وكتب كثيرة يتعرَّسُ عندها للشَّيعة أخرجت هذا الحديث.

وأما كتب العامة فهي: ذخائر العقبى: ١٢٠، فضائل الصحابة: ١٣، صحيح مسلم: ٧: ١٢٠، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، المستدرک ٢: ٣٣٧ و ٣: ١٠٩ و ١٣٣، السنن الكبرى ٩: ٤٠، مجمع الزوائد ٩: ١٠٩، مسند الطيالسي: ٢٨، المصنَّف ٥: ٤٠٦ و ١١: ٢٢٦، مسند الحميدي ١: ٣٨، مسند ابن الجعد: ٣٠١، المصنَّف للكوفي ٧: ٤٩٦ و ٨: ٥٦٢، مسند ابن راهويه ٥: ٣٧، مسند سعد بن أبي وقاص: ٥١، الأحاد والمثاني للضحَّاك ٥: ١٧٣، كتاب السَّنة لعمر بن عاصم: ٥٥١، مجلسان من إملاء النسائي: ٨٣، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٤، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٤٨، المعجم الصغير ٢: ٢٢، المعجم الأوسط ٢: ١٢٦ و ٣: ١٣٩، المعجم الكبير ١: ١٤٦ وكتب كثيرة يتعرَّسُ حصرها.

٢- حديث الراية: الكافي ١: ٢٩٤، رسائل المرتضى ٤: ١٠٤ و ١٠٥، الدعوات للراوندي: ٦٣، رسائل الكركي ١: ٦٣، الكافي ٨: ٣٥١، تحف العقول: ٣٤٦، روضة الواعظين: ١٢٧، الإفصاح للمفيد: ٣٤، الإرشاد ١: ٦٤، الاختصاص: ١٥٠، أمالي الطوسي: ١٧١، الاحتجاج ١: ١٩٠ و ٤٠٦ و ٢: ٦٤، الخرائج والجرائح ١: ١٥٩، الأربعون حديثاً لابن بابويه: ٤٢، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٩٥.

وذكر ابن البطريق في العمدة (ص ٩٧) عن ربيعة الجرشي أَنَّهُ ذكر عليَّ عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص، فقال له سعد: أتذكر عليّاً، إِنَّ له مناقب أربعاً لئن تكون لي واحدة منهنَّ أَحَبُّ إليَّ من كذا وكذا وذكر حمر النعم، قوله: لأُعطيَنَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله،

بَيِّنَةٌ:

وفد ضرار بن ضمرة النهشليّ على معاوية، فقال له معاوية: صف لنا عليّاً، وكان ضرار من أصحاب عليّ عليه السلام، فقال: اعفوني من ذلك، فقال معاوية: أقسمت عليك إلا ما وصفته، قال: فإذا لم تقبل استقالتني فأنا أقول:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة على لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان طويل الفكرة، غزير الدمعة، يقلّب كفه، ويخاطب نفسه، كان فينا كأحدنا تقريباً إذا أتينا، ويجيبنا إذا دعوانا، ونحن مع قربه منّا وتقريبه إيانا لا نبتدئه لعظمته، ولا نكلّمه لهيبته، فإن تبسّم فعن أسنان مثل اللؤلؤ المنظوم، ويقدم أهل الدين، ويفضّل المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا يبأس الضعيف من عدله، وأقسم بالله لرايته في بعض أحواله وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه وهو قابض على اللحية في محرابه، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول في

❦ وقوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وقوله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ونسي سفيان واحدة.

الفضائل لشاذن بن جبرئيل: ١٥٢، إقبال الأعمال لابن طاووس ٢: ٣٦٩، الطرائف: ٥٧، المستجاد من الإرشاد للحليّ: ٧٤، الصراط المستقيم ١: ٢٤٩، عوالي اللئالي ٤: ٨٨، الصوارم المهرقة للشهيد التستري عليه السلام: ٨٤ وهذا وكثير غيرها.

وأما كتب العامة: ذخائر العقبى: ٧٣، فضائل الصحابة: ١٦، مسند أحمد ١: ٩٩ و ١٨٩ و ٩٢، صحيح البخاري ٥: ٧٦، صحيح مسلم ٥: ١٩٥ و ٧: ١٢٠، سنن ابن ماجه ١: ٤٥، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣٦٢ و ٩: ١٠٧، مجمع الزوائد ٦: ١٥٠ و ٩: ١٢٣، المصنّف ٨: ٥٢٠، مسند سعد بن أبي وقاص: ٥١، بغية الباحث لابن أبي سلامة: ٢١٨، كتاب السنّة لأبي عاصم: ٥٩٤، السنن الكبرى ٥: ٤٦ و ١٠٨، خصائص النساني: ٤٩، مسند أبي يعلى ١: ٢٩١ و ١٣: ٥٢٢ و ٥٣١، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٧٧ و ٣٨٢، المعجم الأوسط ٦: ٥٩، المعجم الكبير ٦: ١٥٢ و ١٦٧ و ١٣٣ وغيرها كثير.

بكائه: يا دنيا إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّقت، هيهات هيهات لا حان حينك، طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيك، عيشك حقير، وخطرك يسير، وعمرك قصير، آه من قلّة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته وكفّها بكمّ (كفّفها بكمّ) واختنق القوم جميعاً بالبكاء، فقال معاوية: رحم الله أبا الحسن، لقد كان كذلك، فكيف كان حبّك إياه؟ قال: كحبّ أمّ موسى لموسى ﷺ، وأعتذر إلى الله من التقصير. قال: فكيف جزعك عليه يا ضرار؟ قال: جزع من ذُبِح ولدها في حجرها فما تسكن حرارتها، ولا ترقى دمعتها، ثمّ قام وخرج. فقال معاوية: ولكنّ أصحابي لو سُئلوا عني بعد موتي ما أخبروا بشيء مثل هذا^(١).

وهذا الفصل من مختارات كلام أبي سعيد السمان، وكلّ كلمة فيه حجة للشيعّة على المخالفين لأنّه من علماء أهل السنّة ومن رواة أخبارهم وأحاديثهم.

(١) وأنا أسأل ابن آكلة الأكباد لعنه الله ولعنّها: وهل فيك صفة من هذا الصفات ليخبروا بها عنك، وأفضل صفاتك أكلك بمعني الكافر.. شرح الأخبار ٢: ٣٩١، كشف الغطاء ١: ١٦، خصائص الأنمة للرضي: ٧١، شرح أصول الكافي ٧: ٢٠٣، مناقب أمير المؤمنين لسليمان الكوفي ٢: ٥١، الهداية الكبرى: ١١٨، كنز الفوائد: ٢٧٠، الأربعون حديثاً لابن بابويه: ٨٥، العملة لابن البطريق: ١٦، شرح مائة كلمة لابن ميثم البحراني: ٢٢٧، الفضائل لابن شاذان: ٩٧، ذخائر العقبى: ١٠٠، عدّة الداعي لابن فهد الحلّي: ١٩٥، حلية الأبرار للبحراني ٢: ٢١٢، بحار الأنوار ٣٣: ٢٥١، شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٥، نظم درر السمطين ١٣٥، فتح الملك العلي: ٧٩، تاريخ مدينة دمشق ٤٠١: ٢٤.

الباب السادس والعشرون في عداد الأشرار من بني أمية

وهم معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد المخلوع، ومروان بن محمد بن مروان.

وأخذ معاوية البيعة لنفسه سنة أربعين بعد قتله الحسن، ودام ملكه عشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً في دمشق مقرّ حكمه، ووصل إلى الدرك الأسفل من النار وهو سكران من خمر معتقة سبع سنوات، ووضع الصنم في عنقه، وقبره في دمشق، وهلك في رجب سنة ستين من الهجرة وعمره ثمانٍ وثمانون سنة. وكانت البيعة ليزيد في رجب سنة ستين، ودام ملكه ثلاث سنوات وثمانية أشهر، وقيل: أربع سنين وستة أشهر، وهلك في دمشق ودفن بين القذارات، وكان عليه يتبرزون، وإلى الآن هو بادٍ للعيان والناس يتفرّجون عليه. وقيل: خرج يتصيد وجمع به الفرس فألقاه أرضاً فقتل عليه.

وبايعوا بعده ولده معاوية في ربيع الأوّل سنة أربع وستين، ودام حكمه أربعين يوماً.

ثمّ بايعوا بعده عبدالله بن الزبير في مكّة سنة أربع وستّين ودام حكمه شهرين واثني عشر يوماً وقُتل في زمان عبدالملك بن مروان وكنيته أبو بكر.

وبعد معاوية بن يزيد بايعوا مروان بن الحكم لعنهما الله في أوّل محرّم سنة خمس وستّين، وكان مدّة حكمه شهرين وتسعة أيّام، وعمره واحد وستّون سنة.

وبايعوا بعده عبدالملك بن مروان بعد وفاة أبيه مباشرة في النصف من شهر رمضان سنة خمس وستّين، ودام ملكه واحداً وعشرين سنة وشهراً ونصف الشهر، ومات في دمشق يوم الخميس النصف من شوال سنة ستّ وثمانين وعمره ثمان وخمسون عاماً، وكنيته أبو الوليد.

وبايعوا بعده ابنه الوليد بن عبدالملك بن مروان، وكنيته أبو العباس، ومات بدمشق في النصف من جمادى الثانية سنة ستّ وتسعين، وعمره سبع وأربعون سنة.

وبايعوا بعده أخاه سليمان بن عبدالملك وكان يكنّى أبا أيّوب في النصف من رجب سنة ستّ وتسعين، وكانت مدّة سلطانه سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيّام، ومات يوم الجمعة بدابق من أرض قنّسرين سنة تسع وتسعين، وعمره خمس وأربعون سنة، وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز.

وبايعوا بعده عمر بن عبدالعزيز وكنيته أبو حفص، في سنة تسع وتسعين، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيّام، وتوفيّ بدير سمعان يوم الجمعة من رجب سنة أحد ومائة.

وبايعوا بعده يزيد بن عبدالملك وكانت خلافته أربع سنين وشهرين ويومين، وتوفيّ يوم الجمعة بالبلقاء من أرض دمشق في شعبان سنة خمس ومائة، وعمره ثلاثون سنة وثمانية أشهر.

وبايعوا بعده هشاماً بن عبدالملك أبا الوليد الأحول سنة خمس ومائة، وكانت

خلافته تسعة عشر سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفي في (بصاقة - كذا) يوم الأربعاء من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة، وعمره خمسون سنة وأربع سنين.

وبايعوا بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبا العباس، في سنة مائة وخمس وعشرين، وكانت خلافته سنة وشهرين وعشرين يوماً.

وبايعوا بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ست وعشرين ومائة. وبايعوا بعده إبراهيم بن الوليد أبا إسحاق في سنة مائة وعشرين وكانت خلافته شهرين وعشرة أيام، وخلع نفسه يوم الاثنين من صفر سنة مائة وسبع وعشرين. وبايعوا بعده مروان بن محمد بن مروان أخا عبد الملك في صفر سنة مائة وسبع وعشرين ودامت خلافته خمس سنين وشهرين، وقُتل سلخ ذي الحجة سنة مائة واثنين وثلاثين في قرية من قرى مصر وعمره ستون سنة. وعدد ملوكهم خمسة عشر ملكاً أولهم عثمان بن عفان، وكانت مدة ملكهم ألف شهر.

الفصل الأول

ولما عادت عائشة من البصرة واستقرت في المدينة كتبت كتاباً إلى معاوية ترغبه في قتل أمير المؤمنين وتحرضه عليه فجمع معاوية جيشه وأقبل يريد حرب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان مالك الأشتر يحارب مع أمير المؤمنين حتى غلبوا معاوية وأوشك الفأر أن يقع في المصيدة وكادوا يقبضون على معاوية قبض اليد، فلما رأى عمرو بن العاص الواقعة حلت بهم أمر برفع المصاحف على الرماح ونادى مناديه: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فلما رأى أصحاب الإمام ذلك أقبلوا عليه وقالوا: مُر صاحبك الأشتر أن يعود من القتال وإلا قتلناك، فنصحهم أمير المؤمنين عليه السلام وبالف

في نصيحهم وأخبرهم بأن فعلهم هذا حيلة ، فلم يقبلوا قوله ، فأرسل إلى مالك : أوقف الحرب وتعال إليّ ، فقال مالك : قولوا لأمير المؤمنين يمهلي لحظة حتى أقبض على معاوية ، فأرسل إليه أمير المؤمنين : قد أحاط العسكر بخيمتي لقتلي فإن لم تعد فإنّك لن تراني بعد اليوم .

وأخيراً قرّروا أن يحكموا بينهم حكماً ويخلدوا إلى الصلح ، ويأتي من قبل معاوية عمرو بن العاص ، فلم يرتضوا عبدالله بن عباس وقالوا : لن نرضى به ^(١) وقالوا : لا نرضى إلاّ بأبي موسى الأشعريّ ، فلم يرضى به أمير المؤمنين ، فشغب عليه العسكر وأجبروه على الرضا به ولكن على شرط أن يعمل بكتاب الله وإذا ترك العمل بكتاب الله سقط من الحكمة .

وفي الطريق قال له عمرو بن العاص : ادنوا منّي يا أبا موسى حتى أكلمك ، فدنى منه فعلم عمرو بن العاص بأن الرجل أحمق مغفل يدني منه أذنه في صحراء تخلو من المحتشم ، ثمّ قال له : يا أبا موسى ، عليّ ومعاوية كلاهما فتنة للناس فاعزل أنت صاحبك عليّاً وأعزل أنا صاحبي ، ونستخلف ابن أخيك ويكون العالم بين أيدينا ، قال هذا الشيخ الأحمق : وكذلك نفعل . فلمّا وصلوا الكوفة ^(٢) فقال عمرو بن العاص لأبي موسى : تقدّم فأنت صاحب رسول الله وأسنّ منّي ، فرقى أبو موسى المنبر وخطب الناس وقال : أيّها الناس ، ارتضاني أصحاب عليّ حكماً من قبلهم ، فأنا قد عزلته وانتزع خاتمه من اصبع يده اليمنى ووضعه في يده اليسرى وقال : كما نزعتم خاتمي هذا ، ثمّ نزل .

(١) يقول المؤلف إنّ عمراً بن العاص أبا ذلك ولكن التاريخ يرده لأنّ ابن العاص لا سلطة له على مختار أصحاب الإمام .

(٢) لم تكن الكوفة مسرح الأحداث إنّما هي دومة الجندل موعد لقائهم .

وصعد بعده عمرو بن العاص المنبر وقال بعد أن خطب الناس ، قال : كان أبو موسى حكاماً من قبل علي فعزله وأنا عزلته كما عزله ، وأجلست معاوية على منبر الخلافة وأثبتته فيها ، وسلّ سيفه من غمده ثم أغمدته وقال : هكذا ، فوّضت لمعاوية الإمامة والخلافة .

فارتفعت الضجة من الناس ونادى أبو موسى : ما على هذا اتفقنا ، فاقتل الناس بأيديهم وبالحجارة وقبضوا على رجل عمرو بن العاص وسحبوه ، فاستطاع تخليص نفسه ، وقال أبو موسى لعمرو : ويحك أغضبت علياً عليّ فأشركني في الأمر ، قال : سوف أفعل .

وقال بعضهم : إنّ المحادثات وقعت في دومة الجندل ، وقال بعضهم كذلك بعث الإمام أمير المؤمنين أليّ رجل لرصد الحادثة إلى أن كان ما كان ، وبعد هذه الحادثة انشقّ من عسكر أمير المؤمنين ﷺ سبعون ألف فارس وقالوا : أنت عزلت نفسك برضاك بالحكمين ولو كنت مستيقناً بحقّك لما رضيت بهما .

فقال أمير المؤمنين : كنت مع رسول الله في صلح الحديبية وأنا كتبت الكتاب بين رسول الله وبين المشركين وفيه «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله وقريش» فقال (سراقة - المؤلف) سهيل بن عمرو : لو كنت أعلم بأنك رسول الله لما خاصمناك ، فقال لي رسول الله : يا علي ، امسح رسول الله واكتب مكانها محمد بن عبدالله ، فأبيت أن أفعل ذلك تأذّباً منّي ورعاية لمقام النبوة ، فحأها النبيّ بيده ، فهل كان شاكاً برسالته ؟ وهل قدح هذا الحوفيها ؟ فقالوا : لا . فرجع إلى صفّ أمير المؤمنين ثلاثون ألفاً من المخالفين وبقي من عداهم على كفرهم وتبرؤوا من عليّ وعثمان ، وقتل جميعهم في النهروان بيد أمير المؤمنين إلّا عشرة أنفس منهم هربوا ، ولأذا اثنان منهم بجزيرة العرب ، واثنان بكرمان ، واثنان بعمّان ، وأربعة منهم بسيستان .

الباب السابع والعشرون

في أحوال معاوية بن مسافر الذي اشتهر بين الناس

بمعاوية بن أبي سفيان بن حرب

الفصل الأول

في ولادته

قال الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن عليّ السَّمَّان - وهو من علماء أهل السنة ومحدث مشهور من الطبقة الأولى - في كتاب «مثالب بني أمية»: كان مسافر بن عمرو يخالّل هنداً أمّ معاوية آكلة كبِد حمزة عمّ رسول الله، وقد زنى بها مراراً، وكانت هذه الصلة الحرام بينهما سنين طويلة، وكان يعدّها الزواج بها ولكنّ التقدير حال دون ذلك إلى أن اشتملت منه على جنين، ومَرَّ عليه في بطنها ستّة أشهر فخاف مسافر من الفضيحة فهرب إلى النعمان في الحيرة.

وزوّجت هند من أبي سفيان بسعي بعض الناس وزفّوها إلى بيتها بعد أن عقد عليها وتعلّلوا بشقّي العلل حتّى إذا مرّ عليها ثلاثة أشهر في بيت أبي سفيان ولدت معاوية على فراشه، ولمّا بلغت أخبار هند مسافراً، قال :

فأصبحت كالمسلوب جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما^(١)
 ويشهد بهذا عداوتهم البالغة لأهل البيت ولرسول الله وعلي وفاطمة والحسن
 والحسين عليهم السلام، وقال النبي ﷺ: يا علي، لا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا
 منافق شقي.

ومن سرنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده

ذكر علي بن نصر المعروف بأبي الحسن البغدادي الحنفي في تصنيفه عن
 النبي ﷺ أنه كان ذات يوم يطوف فأقبل عليه شيخ بيده عصى وعلى رأسه عمامة
 من صوف ويرتدي جبّة صوف، فسلم على النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، استغفر
 الله لي ليرحمي الله تعالى، فقال النبي ﷺ: أغرب يا ملعون عن وجهي، إنّ عملك
 إلى ضياع، وأنت من أهل النار، فلما خرج من عند النبي ﷺ ذلك الشيخ قال
 علي عليه السلام: لم يخرج أحد قبل هذا من حضرتك محروماً من أهل الحاجات، فما بال
 هذا الشيخ قد طرده؟ فقال: يا علي، هذا إبليس طريد الله سبحانه.

فركض علي وراء إبليس ليقته، فلما رأى إبليس بأنّ علياً يقصده بالقتل لاذ

(١) جاء عن النوفلي عن أبيه: إنّ مسافر بن عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جالاً وشعراً
 وسخاءً، قالوا: فعشق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشقه، فأتهم بها وحملت منه. قال بعض
 الرواة: فقال معروف بن خربوذ: فلما بان حملها أو كاد، قالت له: اخرج، فخرج حتّى أتى
 الحيرة، فأتى عمرأ بن هند فكان يناديه، وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان
 يأتياها فلقي مسافراً فسأله عن حال قريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوجت هند
 بنت عتبة فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتّى استسقى بطنه، قال ابن خربوذ: فقال مسافر في ذلك:

ألا إنّ هنداً أصبحت منك محرّماً وأصبحت من أدنى حموتها حمى

وأصبحت كالمقهور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما

قال: وخرج يريد مكة فمات بموضع يقال له هباله ودفن بها، انتهى. (النصائح الكافية لمحمد بن
 عقيل: ١١٣).

بالفرار ثم وقع، فلحق به عليٌّ عليه السلام فجلس على صدره ليقتله، فضحك إبليس بوجه الإمام، فقال له عليٌّ: لم تضحك يا عدو الله؟ فقال: لن تستطيع قتلي لأني من المنظرين ولكني أبشرك بشارة عظيمة، فقم عن صدري، فقام عليٌّ عليه السلام عن صدره، فقال إبليس: ما تركت من أعدائك أحداً لم أشرك أباه في أمه.

يقول مؤلف هذا الكتاب: صدق قوله تعالى لإبليس: ﴿وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١) وأمثال هذا، والله أعلم بالصواب.

الفصل الثاني

في ذكر الفرق الذين يختلفون فيه

ينقسم الناس الذين يدينون بالإسلام إلى خمس فرق: الفرق الأولى الجليّة^(٢) هم النواصب، وهؤلاء أهل البغي وأشدّ الناس بغضاً لأهل بيت النبي ﷺ. الثانية الجليّة، الخوارج وهم القائلون: لا حكم إلا لله، وهؤلاء يدعون المحكّمة، وهذه الفرقة تلعن معاوية أيضاً. الثالثة الجليّة، المخطئة وهم الذين يرون التحكيم خطأ ولكنهم لا ينكرون إمامة عليٍّ عليه السلام.

الرابعة الجليّة، المرجئة وهم الذين يتوقّفون في الحكمين فلا ينسبونهم إلى حق ولا إلى باطل، وهذه الطائفة يهبطون بمنزلة عليٍّ عليه السلام إلى الموضع الأدنى إلا أنهم لا يكفرونه.

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) «أول جلي» هذا قول المؤلف ولم أدرك معنى جلي وترجمتها إلى ما فهمته «الجليّة» ولست واثقاً من معناها، فعلى القارئ أن ينتبه لذلك.

ويقول أحمد بن الحسن بن الحسين البهقي: إِنَّ معاوية أخطأ ولم يخرج عن الإيمان لعداوته لعليٍّ عليه السلام وحربه إيَّاه.

ويقول مصنف هذا الكتاب: إِنَّ معاوية لم يؤمن لكي يخرج من الإيمان وإنما خرج من عالم الكفر إلى عالم النفاق ورجع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى كفره، ثمَّ إِنَّ عليّاً نفس الرسول وحرب رسول الله صلى الله عليه وآله كفر وكذلك الحرب على عليٍّ عليه السلام، وكما حلَّ قتال أهل اليمامة بمنعهم الزكاة عن أبي بكر وأُغير عليهم وسببت ذرايرهم وسمّوا كُفَّاراً ومرتدين فكذلك الحال مع محاربي أمير المؤمنين عليه السلام فإنَّهم كُفَّار مرتدون. الخامسة الجليّة، المعتزلة، وهؤلاء افترقوا فرقتين: فرقة تفسق معاوية وفرقة تكفره، والحاكم صاحب الرسالة المفسر يلغنه مع إبليس وإخوانه المجبرة.

الفصل الثالث

في الآيات التي تدلّ على أن معاوية واجب اللعن

اعلم أن معاوية كان ظالماً وغاصباً حقّ أهل البيت وقال الله تعالى: ﴿أَلَا نَعْنُ اللَّهَ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١) وثبت أيضاً وقد تقدّم ذكره: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) وأولوا الأمر هنا عليٌّ عليه السلام وبمقتضى العطف تكون طاعته واجبة كطاعة الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله كفر، واستحقّ اللعنة، وانظر إلى معاوية أين بلغ بمخالفته عليّاً عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا

(١) هود: ١٨.

(٢) النساء: ٥٩.

أَيْمَاءٌ^(١) وهؤلاء هم الذين كانوا يخذّلون الناس عن عليّ في حرب معاوية ولم يخرج أحد منهم معه كما فعلوا مع رسول الله في تبوك والحديبية، فقال الله تعالى عن لسان النبي ﷺ: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾^(٢).

والدليل على كونه ظالماً ما يراه فقهاء العامة من جواز تولّي القضاء الظالم ويجوز حكم الكاذب نظير أبي هريرة وغيره كمعاوية فقد بلغ هذان الاثنان الولاية والقضاء، فظهر من هذا التمثيل أنّ معاوية كاذب وظالم، وقال رسول الله ﷺ: معاوية فرعون هذه الأمة، وعمر بن العاص سامريها، وأبو موسى الأشعري جاثليقها، وإنّه سفير بين اليهود، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٣)، ﴿وَأَضَلُّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾^(٤).

واستحقّ اللعنة بادّعائه الكاذب للإمامة والخلافة، قال في آية المباهلة (عن سبيل المفهوم - كذا): ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٥)، وقال في آية الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٦) وإفكهم على عليّ عليه السلام اتّهامهم إياه بدم عثمان لعنه الله وأنه قاتل له.

ولقد أجمعت الأمة على كفر النصارى بقولهم حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٧) وقال المجسّمة: إنّ الله جسم فكفروا أيضاً بقولهم

(١) الفتح: ١٦.

(٢) التوبة: ٨٣.

(٣) المؤمن: ٣٧.

(٤) طه: ٧٩.

(٥) آل عمران: ٦١.

(٦) النور: ٢٣.

(٧) المائدة: ١٧.

هذا واعترفوا بالحجج المناقضة لمذهبهم لكنهم قالوا: بآتنا نقول أنه جسم لا كالأجسام.

وكتب معاوية الحق عن أهل الشام وستر مناقب عليّ الواردة في القرآن والسنة عنهم، وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا غَفَرُوا بِهِ﴾^(١) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَعَذَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٤) الآية.

عن أبي زر - كما ذكر صاحب الكشف - أنه قال: قام رجل بعد الصلاة وسأل الناس فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع يده وقال: أشهد أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطيني أحد شيئاً، وكان عليّ عليه السلام راکعاً فأشار إليه بخنصره فأخذ السائل من خنصر يده اليمنى خاتماً فلما فرغ النبي من الصلاة، قال: اللهم إن أخي موسى سألك فأعطيته سؤله، قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(٥) الآية، فقلت: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(٦)، وقلت: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾^(٧) ثم قال: اللهم وأما محمد صفيك يقول: رب اشرح لي صدري واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أخى، اشدد به

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) البقرة: ١٥٩.

(٣) النور: ٥٥.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) طه: ٢٥.

(٦) طه: ٣٦.

(٧) القصص: ٣٥.

أزري، الآية^(١)، فلم يتمّ دعائه حتّى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الآية.

روى صدر الأئمة موفق بن أحمد وهو من علماء أهل السنة بإسناده عن سلمان، عن النبي ﷺ أنّه قال: عليكم بعليّ بن أبي طالب فإنّه مولاكم فأحبّوه، وكبيركم فاتّبِعوه، وعالمكم فأكرموا، وقائدكم إلى الجنّة فعزّزوه، وإذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه، وأحبّوه بحبيّ، وأكرموا بكرامتي، ما قلت لكم في عليّ إلا ما أمرني ربّي جلّت عظمته، وكاتم هذا النصّ (كاتم الحقّ).

قاضي القضاة ذكر في كتابه «المحيط» أنّ خلافة عليّ أثبت وأحكم من خلافة الشيخين لأنّ خلافته بالنصّ والاختيار وخلافة الخلفاء قبله بالاختيار وحده وأمّا فضائله في سورة هل أتى فهي مرتكزة على تلك الحال.

وذكر الطحاويّ في مشكل الآثار، والحاكم المفسّر في جلاء الأبصار: لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ما كان عليّ معه بل كان في اليمن، فتوقّف النبيّ في الغدير حتّى لحق به عليّ ﷺ فتثنّى رداؤه أربع ثنيات ووقف هناك وبعد الخطبة قال: من كنت مولاة فعليّ مولاة، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وقال عمر: بخ بخ يا عليّ أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات.

وكان حسام الدين من «العدليّة» وقال أبو القاسم بن إبراهيم بن أحمد المؤدّن: كانت الواقعة يوم الخميس فقد دعى النبيّ عليّاً ﷺ وأخذ بضبعه ورفعته حتّى بان بياض إبطيها ويقال بأنّه ألبسه عمامته وأرخصى لها رغزتين على كتفيه وقال: هكذا نزلت الملائكة، ثمّ قال: من كنت مولاة فعليّ مولاة.. الخ، ولم يفترقا حتّى نزلت

(١) راجع الآيات ٢٥-٣٦ من سورة طه.

الآية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١) فقال النبي ﷺ : شكراً لله على إكمال الدين ورضى الرب برسالتي والولاية لعليّ عليه السلام ، وأنشد حسان شعراً يطابق مقتضى الحال بعد أن أذن له النبي وقد مرّ شعره ، وقال النبي ﷺ : من كتم علماً علمه ألجم بلجام من نار^(٢) . ومعاوية كتم عدداً من النصوص فكانه معلوم أين يكون .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾^(٣) ومعاوية قتل الإمام الحسن ، وقتل أربعين ألفاً في صفين من المهاجرين والأنصار ، وقاتل المؤمن ملعون بنص القرآن وإجماع الأمة .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤) وقال : ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٥) واتفقت الأمة على أن معاوية باغ فحلّ دمه حينئذ .

وقال رسول الله ﷺ : من أعان على قتل امرئ مسلم ولو بسطرك كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله .

وقال : من أخاف أهل المدينة إخافة ظلماً فعليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٦) .

وأرسل معاوية (عدي - المؤلف) بسر بن أرطاة من قبله إلى المدينة ليأخذ منهم

(١) المائدة : ٣ .

(٢) مسند أحمد ٢ : ٢٦٣ و ٣٠٥ ، المستدرک ١ : ١٠١ ، المعجم الأوسط ٤ : ١٨٣ ، تاريخ بغداد ٢ : ٣٢ ،

لسان الميزان ٦ : ٦٦ .

(٣) النساء : ٩٣ .

(٤) الثوري : ٤٢ .

(٥) الحجرات : ٩ .

(٦) ترجم المؤلف «الصرف» بركشتن وهذا يدلّ على أنّه لم يعرف معناه لأنّ الصرف والعدل ،

الواجب والمندوب .

البيعة، فلما صعد المنبر قالت أم سلمة: هذه بيعة ضلالة، وأذنت لولدها عمر بن أبي سلمة أن يبايع خوفاً من القتل.

روى عین الأئمة أن لعن معاوية جائر بعشر وجوه:

الأول: خروجه من طاعة أمير المؤمنين.

الثاني: سلّه السيف بوجه أمير المؤمنين.

الثالث: غصبه حقّ الإمام الهمام.

الرابع: إنكار أهل البيت.

الخامس: ادّعائه الإمامة.

السادس: كتمان فضل عليّ.

السابع: لعن عليّ على المنابر.

الثامن: اتّهامه بدم عثمان وهو منه بريء.

التاسع: توليته يزيد الكافر.

العاشر: قتل الحسن بن عليّ عليه السلام، والوصيّة بقتل الحسين عليه السلام.

فتبين من ذلك أنّه يستحقّ اللعنة بما فعل ولم يتب قبل الموت كسائر المؤمنين والمؤمنات كما قال أبو هاشم: ما فتئ معاوية يقول: لولا هواي في يزيد، لأبصرت رشدي وعرفت قصدي.

وقال أبو علي بلغنه ظاهراً، لأنّ محبّته ليزيد وتوليته على الناس تنفي توبته.

الفصل الرابع

في الأخبار التي تدلّ على أن معاوية ملعون

قال عبيد الله بن عمرو بن العاص: ذهبت إلى خدمة النبي صلى الله عليه وآله، فقال: ليدخل

النار من مات على غير ملّتي، فطلع معاوية.

قال صاحب المصاييح: يطلع عليكم رجل من أهل النار فطلع معاوية^(١).
وقال رسول الله ﷺ: معاوية في تابوت من نار مصمت عليه^(٢).
ذكر الحافظ عن ابن مسعود: لكل شيء آفة وآفة هذا الدين بنو أمية.
عن ابن عباس: لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار، وهذا دليل
على أن مبغضه في النار ومحبه في الجنة^(٣).

(١) مجمع الزوائد ١: ١١٢ فطلع فلان ولم يسمه. وبتز العقيلي لعنه الله الحديث وقال: عن عبدالله
ابن عمر بن العاص قال: كنت عند النبي ﷺ فقال: أول من يطلع عليكم من هذا الفج، وذكر
الحديث ولا يتابع عليه (٣: ٣٨٠). أما عبدالله بن عدي في الكامل فقد قلب الحديث أو رواه
مقلوباً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع معاوية
٢: ٣٣١. وأنا أقول: لعن الله هذه الجنة ولعن الله من يدخل فيها، ومثله فعل ابن عساكر في تاريخ
مدينة دمشق ٥٩: ٩٨، ميزان الاعتدال ١: ٤٩٥ و٢: ٦٢٣، وفيه: الآن يطلع عليكم رجل من أهل
الجنة فطلع معاوية، فقال: أنت يا معاوية مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين، وأشار
بإصبعيه.

أقول: لم يتعقب هذا الحديث الذهبي ابن الزانية لعنه الله، وإذا أدخل الله معاوية الجنة فينبغي أن
لا يدخل أحد النار حتى فرعون وهامان لأنه ظلم والله منزّه عنه. توضيح ذلك أن قاموس جرائم
معاوية لو جمعناه لكان أضخم حجماً من تاج العروس للزبيدي ولسان العرب لابن منظور، ثم
هو مع هذه الجرائم كلها يدخل الجنة ثم يأتي الله إلى عباده فيدخل هذا على زينة زناها وذاك على
خمر شربه أو نفس قتلها النار، إن هذا الظلم عظيم ولو حابا أحدنا من الخلق معجراً فأكرم لبصقنا
في وجهه ونتفنا لحيته فكيف يحابي الخالق الرحيم هؤلاء القساء المجرمين الظالمين لعنهم الله.
(٢) شرح الأخبار ٢: ٥٣٦، بحار الأنوار ٣٣: ٢١٠، مناقب أهل البيت: ٤٦٦، الغدير ١٠: ١٤٢،
وسمى مولانا الأميني الحديث مرفوعاً مشهوراً، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦، تاريخ الطبري
٨: ١٨٦، النصائح الكافية: ٢٦١ وليس في هذه الأحاديث الجملة: مصمت عليه.

(٣) الرسالة السعدية للحلي: ٢٣، كشف الغطاء ٨: ٧، أمالي الصدوق: ٧٥٥، عوالي اللئالي ٤:
٨٦، الجواهر السنية للحر العاملي: ٢٣٦، بحار الأنوار ٢٩: ٤٢ و٣٩: ٢٤٨ و١٠٩: ٣٢، مقام
علي لنجم الدين العسكري: ٣٩، ينابيع المودة ١: ٢٧٢ و٣٧٦ و٢: ٢٩٠ و٢٩٣، الإمام علي في
آراء الخلفاء: ٦٨.

وروي عن صاحب المصاييح عن النبي ﷺ قال: يموت معاوية على غير ملّتي^(١).
وقال أبو علي: حكم المجبرة والمجسمة حكم من ارتدّ، وقال أبو هاشم: حكم
أهل الكتاب وهم كفّار على كلا القولين، وكان معاوية لعنه الله رئيس المجبرة.
وقال صاحب المصاييح: مات معاوية والصليب في عنقه.

وقال الأحنف بن قيس: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: يموت معاوية على غير دين
الإسلام فتخالج في قلبي شيء من ذلك - يعني حين قال عليّ كلمته - قلت في قلبي:
كيف يكون ذلك إلى أن قصدت الشام فسمعت عن مرض معاوية، فذهبت إلى
عيادته فرأيت أنه قد أسند ظهره على الحائط، فوضعت يدي على صدره فرأيت
الصنم معقوداً إلى عنقه ثم حوّل وجهه إليّ فرآني أبكي، فقال: أنا اليوم أمثل...
فقال الأحنف: فأجبت: أنا لا أبكي عليك بل أبكي لما سمعته من عليّ أنّه قال:
يموت معاوية والصنم في عنقه.. فقال: لعلك استعظمت هذا يا أحنف، أمرني
الطبيب بهذا فإنّه صنيّ إنّه نافع. قال الأحنف: فخرجت من عنده فما بلغت المنزل
حتّى سمعت الصراخ عليه وقائل يقول: مات معاوية.

وقال قاضي القضاة: إنّ معاوية مات مستشفياً بالصنم.
ويقال: إنّ أهل اليمن على هذه العقيدة بأنّ معاوية وأباه كافران ويقولون: لقد
تقمّص الكفر هؤلاء وتسربلوه.

وقال عبدالله بن عباس: كنت في مسجد المدينة يوماً وكنت أصليّ صلاة
بالإخفات، وقد تفرّق الناس وبقي أبو سفيان وابنه معاوية، وكان أبو سفيان قد
أضرّ، فقال لمعاوية: يا بني، هل في المسجد أحد؟ فقال معاوية: لا يا عبدالله،

(١) مناقب أمير المؤمنين ٢: ٣١١، المسترشد: ٥٣٤، شرح الأخبار ٢: ١٤٧ و ١٥٣ و ٥٣١، بحار
الأنوار ٣٣: ١٨٧ و ٢٠٩ وغيرها من الكتب.

وكنّت وراء السارية، قال: انظر بالمصباح، فتناول معاوية المصباح وأخذ يسلمه على الأطراف والأكناف وكنّت أدور حول السارية حيثما دار، فقال: ليس في المسجد أحد، فقال أبو سفيان: يا بني، أوصيك بدين الآباء والأجداد، وإيّاك ودين محمّد فإنّه سبب فقرنا، ولا يهولنك قول محمّد من البعث والنشور. وقال معاوية: ذاك رأيي يا أبتاه.

وجاء في الرواية أنّ النبي ﷺ قال: اللهم العن معاوية ومروان وأولادهما وأولاد أولادهما، وهذا المعنى علمه النبي بالوحي كما علم نوح حين قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١).

وذكر أحمد بن الحسن البيهقي في كتابه فضائل الصحابة عن نصر بن عامر، قال: دخلت المسجد وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فقلت: ممّن ذاك؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع، ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الاستاء، قالوا: يعني الكبير العجز^(٢).

وقال البيهقي: قال مسلمة: كان النبي ﷺ جالساً فاجتاز به معاوية ومعه أبو سفيان وأخو معاوية أحدهما يسوق البعير والآخر يقوده، فقال رسول الله ﷺ:

(١) نوح: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ١٩١ ولم يعرف المؤلف معنى ذي الاستاء فترجمها هكذا: «وذي الاستاء عبارات از شخصی است که بر مال غیرى متصرّف شود و با ارباب رد کند... الخ» الترجمة: «وهو الذي يستولي على مال الغير ويردّه على الأغنياء...» (ص ٢١٦)، شجرة طوبى ١: ٩٥، أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢: ٢٣٥، مجمع الزوائد ٥: ٢٤٢، وأبهم اسم معاوية لعنه الله وأباه وبتر الحديث وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، المعجم الكبير ١٧: ١٧٦، شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٩ وصرّح باسم معاوية، الطبقات الكبرى ٧: ٧٨، أسد الغابة ٣: ٧٦ وقال: أخرجه الثلاثة، الإصابة ٣: ٤٦٥.

لعن الله القائد والراكب والسائق .

وقال البيهقي: كان عليّ عليه السلام يقنت بلعن معاوية ^(١).

وروى صاحب المصباح عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم التيمي: وقع يوماً خصام بين معاوية وأبي ذر، فقال أبوذر: يا معاوية، إن أحدنا فرعون هذه الأمة، فقال معاوية: أمّا أنا فلا.. وصدق بالحديث.

وخاطب أبوذر معاوية لما هو عليه من الخبث بما خاطب به النبيّ أهل مكة: أنا وإياكم على هدًى أو في ضلال مبين، وبالطبع هذا القول مع كفّار مكة، وأمّا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله فهو: معاوية فرعون هذه الأمة.

وروي أيضاً عن رجل قال: ذهبت إلى مكة لأسلم فلما دخلت المسجد سمعت رسول الله يقول: أربعة في الدرك الأسفل من النار: نمرود بن كنعان، وشداد بن عاد، وفرعون موسى، ورجل يبيع بعدي بباب بابل، ولولا مقالة فرعون أنا ربكم الأعلى لكان أسفل منه - وفي رواية الحافظ: لكان تحته - فلما استشهد أمير المؤمنين قصدت العراق فلما بلغت باب بابل رأيت معاوية على المنبر يأخذ من الناس البيعة له، فعرفت من هو الرابع أنّه معاوية وكان من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ ^(٢).

سُئل الإمام زين العابدين عليه السلام: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال: أصبحت في أمتنا كبنّي إسرائيل في أيدي الفراعنة؛ يذبحون أبنائهم ويستحيون نساءهم، وليس أدنى شرّ من يزيد فإنّه أعظم شرّاً منه.

(١) كشف الغطاء ١: ١٩، مجمع الزوائد ١: ١١٣ وأبهيم أسمائهم.. و ٥: ٢٤٢، الأحاد والمثاني ٢:

١٩٢، المعجم الكبير ١٧: ١٧٦، أسد الغابة ٣: ٧٦، الإصابة ٣: ٤٦٥.

(٢) النساء: ١٤٥.

قال كافي الكفاة أحمد بن عباد (الصاحب بن عباد):

قالت تحب معاوية قلت اسكتي يا زانية
قالت أسأت جوابيه فأعدت قولي ثانية
يا زانية يا زانية با بنت ألفي زانية
أحب من شتم الوصي أخا النبي علانية
فعلى يزيد لعنة وعلى أبويه ثمانية^(١)

وقال مالك الأشتر وعبدالله: الشجرة الملعونة والظالم في قوله تعالى: ﴿الْأَنْعَمُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) بنو أمية ومعاوية منهم.

يقول مصنف الكتاب: وعثمان بن عفان أول ملوك بني أمية (لعنه الله - المترجم). وقال رسول الله لعلي: يا علي، ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين...^(٣) الناكثون هم طلحة والزبير وأتباعهما بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ثم نكثوا البيعة وقال الله تعالى: ﴿فَقَنْ نَكْثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٤) والقاسط معاوية ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا ابْجَهَنَّمْ خَطْبَاءً﴾^(٥) والمارقون: الخوارج.

قال الصاحب الكوفي:

قالت فمن قائد الأقوام إذ نكثوا فقلت تفسيره في وقعة الجمل
قالت: فمن حارب الأنجاس إذ قسطوا فقلت صفني تبدي صفحة العمل
قالت: فمن قارع الأرجاس إذ مرقوا فقلت معناه يوم المهرجان علي

(١) وعلى عمر بن الخطاب ألف لعنة لأنه هو الذي زرعه في ضلوع الإسلام.

(٢) هود: ١٨.

(٣) سبق تخريج الحديث.

(٤) الفتح: ١٠.

(٥) الجن: ١٥.

وهذا الشعر يشير إلى الوقائع الثلاثة: الجمل وصفين والنهروان، والطائفة الأولى هم الناكثون، والثانية الظالمون وهم نجس، والثالثة الخارجون وهم نجس أيضاً ولذلك وصفهم بالأنجاس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُفْسِرُونَ نَجَسٌ﴾^(١) ووصفهم بالإرجاس، والرجس هو الخبث، ويقال: رجس ورجز وكلاهما واحد ﴿فَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٢) (وفيه ما فيه)^(٣). وكلا هذين القولين للمخالفين.

وفي كتاب «الرسالة الحاوية في مذمات معاوية» ذكر الشيخ الفاضل زين العابدين الواعظ والقاسم بن محمد بن أحمد المأموني وهو من علماء أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم الغالي ما هو حجة عليهم «والفضل ما شهدت به الأعداء» والأحاديث التي أخرجوها جاء كل حديث منها بطرق عدة وأسانيد متعددة أقرها علمائهم الكبار، وعبد أهل البيت - المؤلف - قد اختصرها ولكنه في أثناء ذكرها حاول سرد أمور مفيدة تعين على فهمها كما ذكر الوجوه والتأويلات التي ذكرها المؤلف حين تتبعه لمعاني الحديث، وصرف مصنف هذا الكتاب معانيها لتنسجم مع توجهاتنا في هذا المؤلف.

الفصل الخامس

في ذكر الأصحاب الذين لم يشهدوا حرب صفين

سمى أصحاب رسول الله معاوية لعيناً كما ذكر ذلك صاحب «الرسالة الحاوية» أي الملعون الأبدى، وهم قد سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بواسطة الوحي. قال أبو محمد بن أحمد بن أعثم الكوفي في الفتوح: إن معاوية وعمر بن العاص

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) وكان المؤلف لم يرتض هذا التفسير.

كتبوا إلى أهل المدينة: «أجيبوا إلى حرب عليّ رحمكم الله» والسلام، فكتبوا إليه في الجواب: «أما أنت يا معاوية فطليق لعين، وأما أنت يا عمرو فخائن في الدين، فكفّا عن المكاتبة وليس لكما في المدينة وليّ ولا نصير»^(١).

وأهل المدينة حكام أهل القبلة وقد لعنوه وهذه المكاتبة كانت قبل حرب صفّين، فلعنه بعد وقوعها أولى وأوجب.

قال المأمونيّ: كتب خالد بن الوليد إلى معاوية: «أما بعد، فإنّك وثن من أوثان أهل مكّة دخلت في الإسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً»^(٢).

قال المصنّف: المراد من قوله: «وثن» كأنّه ناظر إلى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٣) فكما أنّ اجتناب الأوثان واجب فكذلك اجتناب معاوية لعنه الله ومحبّته وموالاته حرام.

وجاء في الفتوح بأنّ معاوية كتب إلى عبدالله بن عمر كتاباً ودعاه إلى نفسه ووعدّه بجعل الخلافة له، وذكر في الكتاب محمّد بن مسلمة وسعد بن مالك في شعر كتبه في أسفل الكتاب:

ثلاثة رهط من صحاب محمّد نجوم ومأوى للرجال الصعالك ..^(٤)

(١) انظر عزيزي القارئ كيف لعبت يد الخيانة بالنصّ فصيرته هكذا: «أما أنت يا معاوية فطليق

العيس، تجنّباً منهم لكلمة لعين حذار من أن تصيب معاوية اللعنة، راجع ٢: ٥٤٢ من الفتوح.

(٢) رحم الله المؤلّف كان عليه أن يتحرّى الحقيقة فيما يكتب ولا يقنع بما يرسله الرواة من دون تبصّر، فخالد بن الوليد لعنه الله هلك في عهد عمر بن الخطّاب لعنه الله وهذا الكتاب جرى بين قيس بن سعد وبين معاوية وكان البادئ بالسبّ معاوية، وسماه يهوديّ بن يهوديّ، فأجابه قيس: إنّما أنت وثن ابن وثن .. الخ.

(٣) الحج: ٣٠.

(٤) جاء البيت الذي ذكره ابن الأعمش هكذا:

ألا قل لعبدالله واخصص محمّداً فأرسلنا المأمون سعد بن مالك

ثمّ ذكر محقّق الكتاب بقيّة الشعر وفيه البيت الذي ذكره المؤلّف. (الفتوح ٢: ٥٤٤)

فكتب عبدالله بن عمر في جوابه : يا معاوية ، إن نفسك حدّثتك أنّي أترك عليّاً والمهاجرين والأنصار - في المهاجرين والأنصار - وأتبعك ، وأجاب عن شعره :

أُتِطْمَعُ فِينَا يَا بَنَ مَسْدِ سَفَاهَةٍ عَلَيْكَ بَعْلِيَا حَمِيرٌ وَالسَّكَاسِكُ ..^(١)

والسكاسك جمع سكسك وهو ابن حمير ابن سبأ يضرب به المثل لكلّ كريم . وقوله سفاهة إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ السُّفَهَاءُ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا هُمْ فِي شَيْءٍ فَعَانِيَ لَهُمُ﴾^(٢) . وقال المأموني : أعطى النبيّ عبدالله بن عمر سيفاً وقال : سلّه من غمد ، على الكافرين ، فوقع في شبهة من أمره ولم يعلم أنّ أهل البغي بحكم الكفّار وقال عند موته : ما شيء فأتني من الدنيا إلّا أنّي لم أقاتل مع عليّ أهل البغي^(٣) .

وسئل الأحنف بن قيس : أكان معاوية حليماً ؟ فقال : لو كان حليماً لما سفّه الحقّ ، وأشار إلى هذه الآية : ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾^(٤) .

وكذلك قال - يعني المأموني - أنّ القاضي شريح سُئل عن حلم معاوية ، فقال : هل كان معاوية إلّا سفيهاً بل كان معدن السفاهة . ثمّ قال : لما بلغه مقتل أمير المؤمنين استوى جالساً وكانت له جارية تغتّبه وكانت تخفي إيمانها ، فاستدعاها وقال : يا جارية غنّ اليوم قرّرت عيني ، فقالت الجارية : ما الخبر السعيد اليوم ، فقال معاوية : قُتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، فقالت الجارية : لا غنّيت بعد اليوم ،

(١) أمر ابن أبي عزة أن يجيب عنه بأبيات وأولها :

معاوي لا ترجو الذي لست نائلاً وحاول بصيراً عند سعد بن مالك

نفسه (ص ٥٤٤ و ٥٤٥) .

(٢) البقرة : ١٣ .

(٣) الفضل بن شاذان ، الإيضاح : ٣٦٩ ، المسترشد : ٦٦٤ ، شرح الأخبار ٢ : ٥٢٦ ، النصائح الكافية :

٤٠ ، قال : ما أسى على شيء إلّا أن أكون قاتلت الفئة الباغية .. علي الشهرستاني ، وضوء النبي :

٢٤٣ .

(٤) البقرة : ١٣٠ .

فأمر بضربها ضرباً مبرحاً بالسوط، إلى أن قالت: كفّوا عني ثم أنشأت تقول:

وكنّا قبل مهلكه زماناً نرى نجوى رسول الله فينا
ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قُرت عيون الشامتين
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طُراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا وأكرم كلّ من ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثنائي والمثينا
فلا والله لا أنسى عليّاً وطول صلّاته في الراكعينا
فلا تفخر معاوية بن حرب فإنّ بقية الخلفاء فينا
لقد علمت قريش حيث كانت بأنك شرهم حسباً وديناً

وكان إلى جانب معاوية عمود فضرب رأس المسكينة حتّى استشهدت رحمة الله عليها^(١).

وجاء في رسالة الحاوية: إنّ أعرابياً سأله: أتحبّ معاوية؟ فقال: وجدت له أربعاً فكيف أحبه؟ قيل: وما تلك الأربعة؟ قال: سلّ أبوه السيف على رسول الله في ثمانين حرباً، وأكلت أمّه هند كبد الحمزة، وقطع ابنه رأس سبط النبيّ الحسين عليه السلام، وقتل هو الحسن بالسمّ وحارب وصيّ رسول الله ﷺ.

وذكر صاحب الحاوية الحكاية التالية أنّ جنّة أسلمت فكانت تأتي مجلس النبيّ كلّ يوم فغابت ثلاثة أيّام سوياً، فلمّا عادت سأها النبيّ ﷺ: ما أبطأك عني منذ ثلاثة أيّام؟ فقالت: نفست ابنة عمّ لي في الظلمات فذهبت لأقضي ما يجب من حقّها، فقال النبيّ ﷺ: وماذا عرض لك في الطريق؟ فقالت: اجتزت بالبحر

(١) الشعر لأبي الأسود الدنلي، وقيل: لأروى بنت أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فكيف بلغ المغنّة قبل أن يقتل الإمام وقد قيل الشعر بعد شهادته لست أدري.

السابع فرأيت إبليس جالساً على صخرة رافعاً يديه وهو يقول: اللهم إنك أقسمت على نفسك لتعذبني بالنار، اللهم فخذ رضاء نفسك من نفسي وأدخلني في عظيم عفوك، اللهم بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين افعل بي ذلك، فقال النبي ﷺ: سلوا بنا فلو أن أحدكم حين يدعو السماوات والأرض فيقول لهما: آتينا طوعاً، فقالت السماوات والأرض: آتينا طائعين.

قال صاحب الحاوية: ما أعجب حال إبليس وهو أخبث مخلوق حين قال: ﴿لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُفْضِلِينَ^(١) إلا معاوية فإنه أخبث من إبليس فإنه صحب الفساق والمجان وأصحاب الدعارات وعادى أوصياء رسول الله وحاربهم وآذاهم.

قال الحاكم المفسر^(٢) في كتابه «الكشاف» عن أبي أمامة: إن المراد بقوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٣) معاوية وجنوده.

ومذهب أهل الأصول: إن جوار أهل الكتاب جائز وجوار أهل البغي لا يجوز. وقول القائل: اللعنة على معاوية ومن بايعه وشايعه ونصره فإنها أوكد وألزم من لعنة الكفار لأن الشبهة في الكفار مرتفعة فيجوز ترك لعنهم، وأمّا أهل البغي وخصوم أهل البيت (والسلفية والوهابية وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأحمد ابن حنبل وأئمتهم الثلاثة في الحكم والثلاثة في الفقه - المترجم) فإن ترك لعنهم يوجب حصول الشبهة فيجب إظهار لعنهم حينئذ يعلم الناس شقاوتهم (وهو

(١) ص: ٨٢ و٨٣.

(٢) لم يسمه المؤلف ولكن بقوله «المفسر» موزه عن الحاكم المحدث صاحب المستدرک.

(٣) آل عمران: ١٠٦.

أفضل الصدقات ..^(١) قال رسول الله ﷺ: من ليس له صدقة فليعلن اليهود^(٢) فتبين أن لعنهم أفضل الصدقات .

قال قاضي القضاة في أحكام البغاة: كما أن الاقتداء في أحكام الكفار برسول الله ﷺ لأنه الأمين الثقة فكذلك في أحكام البغاة الاقتداء بعلي ﷺ لأنه الأمين الثقة، فإن فعله وحكمه وتقريره مصدر أحكامنا عليهم وفيهم، لأنه كان على الحق لأن الرسول قال فيه: إن علياً مع الحق والحق مع علي يدور كما دار، لا يفترقان حتى يردا الحوض .

وجاء في الرسالة الحاوية، في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾^(٣) وهي: يا حامد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، ويا محسن بحق الحسن، ويا قديم الإحسان بحق الحسين ﷺ فاغفر لي، فتاب عليه .
وقال أيضاً: إن النبي ﷺ بعث علياً مع سعد بن مالك بصدقات، فاستأذن سعد علياً في ارتحال إبل الصدقة فأبى عليه ذلك، ثم غالب علي ﷺ الحاجة واستتاب عنه رجلاً، فلما عاد رأى ظهر ناقة منها قد مسه الرجل، فقال: من ركبها؟ فقال: «أنا»، فقال: بإذن من؟ قال: بإذن خليفتك، فغرمه أمير المؤمنين ﷺ، فشكى سعد علياً إلى رسول الله ﷺ، ضرب رسول الله ﷺ بيده على فخذ سعد وقال: لا تكره أخاك لدينه .

(١) وهذا هو مذهبي الذي أدين به ربي لأننا حين تركنا لعنهم صارت لهم نوع هيبة في القلوب فلا بد من إعادة لعنهم لتكسر هذه الهيبة الكاذبة .

(٢) كنز العمال ١٥: ٤١٤، تاريخ بغداد ١: ٢٧٤ و ١٤: ٢٧٢، تهذيب الكمال ٣٢: ٣٧١، تهذيب التهذيب ١١ لله ٣٤٨، لسان الميزان ٣: ٣٣١، تاريخ جرجان: ٣٢٣، ميزان الاعتدال ٢: ٤٨٦ و ٤: ٤٥٤، الكشف الحثيث: ١٥٩ .

(٣) البقرة: ٣٧ .

جاء إلى المدينة إمام أهل الشام شرحبيل تلميذ معاذ بن جبل برسالة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ونزل ضيفاً على الإمام الحسين عليه السلام، وكان في أيام عيد الأضحى، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام للصلاة وعليه قميص بلا جيب، قصير الكُمين، وعليه عمامة رسول الله ﷺ، وفي يده القضيب المشقوق، فقال شرحبيل في نفسه: اليوم أرى خوان عليٍّ ما لونه؟ فلمَّا حضر الخوان وجد فيه خبز شعير بنخالته لم ينضج تماماً، فأكل منه أمير المؤمنين عليه السلام، فأشار أمير المؤمنين إلى الحسن قائلاً: أطعم ضيفك بما تطعم به الناس، فما كان في بيته شيء، فاستعار من بيت المال قليلاً من العسل، ففنعه أمير المؤمنين عليه السلام منه، فقال الحسن عليه السلام: أخذته من حصّتي.

فقال شرحبيل: حضرت يوماً مع الحارث بن الأعور عند معاوية، فأحضروا له أربعين لوناً من الطعام، فعجب الحارث من ذلك، وأخيراً حضروا طبقاً من البلور مليئة بالطعام فأكل الحارث منه لقمة فلم يدر ما هو؟ فقال معاوية: هذا مخّ العصافير فيه دهن البلسان فكلّ منه فإنّه طيّب نافع للباه، فحسب شرحبيل أنّ خوان عليٍّ كذاك الخوان ولكنه رأى ما رأى.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام وهو في حرب صفّين يحمل معه أربعين منّاً من دقيق الشعير، ولما عاد فضل منه الكثير.

وروى بعض الصحابة أنّ أمير المؤمنين كان يصليّ معظم الليل في صفّين وكذلك أكثر أصحابه، وكنت في جوار خيمته حتّى فرغ من الصلاة وصليّ صلاة الصبح، اعتلى صهوة جواده فتقدّمت إليه فقال: هل عندك طعام قليل؟ فقدّمت له قليلاً من خبز يابس وتمرّاً ووضعته على عنق فرسه حتّى أفطر، وكان عليه قبل اليوم صائماً دائماً إلّا اليوم فقد حملته الضرورة على الإفطار لأنّه لم يذق طعاماً ليلاً، وكانت سيرته على هذا المنوال فكيف يقال عن حربه أنّها كانت من أجل الدنيا أو الحكم والرئاسة؟!

وكتب أمير المؤمنين إلى معاوية: أتدعوني يابن آكلة الأكباد إلى كتاب الله وأنتم به كافرون؟

وجاء في كتاب الفتوح أنّ الإمام عليّاً عليه السلام: بقيّة الأحزاب، أي البقيّة الباقية من جيش مكّة الذي حارب في الخندق، واعتبرهم بمثابة قوم عاد وثمود الذين حاربوا أنبيائهم عليهم السلام. وقال أبو علي: يريد عليّ عليه السلام بذلك بقيّة أصحاب الخندق.

ولما كتب عبدالله بن أبي رافع عقد الصلح معهم كان كما يلي: هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين عليه السلام أبا الأعور السلمي، فقام من أصحابه قوم وقالوا: لو عرفنا أنّك أمير المؤمنين ما قاتلناك، فأمر أن يكتب الكتاب باسمه، وقال عليّ عليه السلام: صدق رسول الله ﷺ، لما كان يوم الحديبية كتبت: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: لو أقرنا بأنك رسول الله ما قاتلناك، فأمرني أن أكتب: محمد بن عبدالله، وقال: يا علي، إنّ لك يوماً كيومي، واتخذ رسول الله عليّاً كنفسه وأصحابه كأصحابه.

وإنما سمّاهم أمير المؤمنين عليه السلام بقيّة الأحزاب لأنّه كان متقلّداً في صفين سلاح رسول الله ﷺ ومعه سبعون ألفاً من الصحابة والتابعين مثل أويس القرني والربيع ابن خيثمة.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: سيروا إلى بقيّة الأحزاب، سيروا إلى أهل الشام العماة الطغام، سيروا إلى أولياء الشيطان وأعداء السنّة والقرآن، فقد أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال عمّار:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سيروا بخير الناس أتباع علي

وكانت أعداد بقيّة الأحزاب مائة وثمانين ألفاً.

وجاء في الفتوح بأن أصحاب عليّ عليه السلام عطشوا وهم في طريقهم إلى صفين واحتاجوا إلى الماء، وإذا براهب في صومعته، فدنا منه عليّ عليه السلام وصاح به فأشرف عليه، فقال له عليه السلام: هل تعلم بالقرب منك ماءً نشرب منه؟ فقال: ما أعلم ذلك، وإن الماء ليل إلينا من قريب من فرسخين. قال: فتركه عليّ عليه السلام وأقبل إلى موضع من الأرض فطاف به ثم أشار إلى مكان منه فقال: احفروا هنا، فحفروا قليلاً وإذا هم بصخرة صفراء كأنما طليت بالذهب وإذا هي على سبيل الرحي لا ينتقلها إلا مائة رجل، فقال عليّ عليه السلام: اقلبوها فالماء من تحتها، فاجتمع الناس عليها فلم يقدروا على قلبها.

قال: فنزل عليّ عليه السلام عن فرسه ثم دنا من الصخرة وقال: بسم الله، ثم حركها ورفعها فدحاها ناحية، قال: فإذا بعين من الماء لم ير الناس أعذب منها ولا أصفى ولا أبرد، فنادى في الناس أن هلمّوا إلى الماء. قال: فورد الناس فنزلوا وشربوا وسقوا ما معهم من الظهر وملأوا أسقيتهم وحملوا من الماء ما أرادوا ثم حمل عليّ الصخرة وهو يحرك شفثيه بمثل كلامه لأوّل حتى ردّ الصخرة إلى موضعها..^(١) [فدّهم الراهب على حين ماء «فاستخرجها عليّ عليه السلام» فأعطاه الراهب كتاباً بخطّ عيسى وقيل بخطّ شمعون وإملاء عيسى وقيل ليس في الدنيا من هو أملك خطاً من عيسى عليه السلام، لأنّ معلّمه الله تعالى، والرسالة هي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قضى فيا مضى واطر فيها سطر أنّه باعث في الأمّيين رسولا منهم يتلو عليهم الكتاب والحكمة ويدهم على سبيل الرشاد

(١) هذا ما ذكره صاحب الفتوح (٢: ٥٧٥) وأنا ما ذكره المؤلّف فيختلف تماماً عن هذا لأنّه زعم أنّ الراهب هو الذي أرشد الإمام إلى الماء، وعند صاحب الفتوح أنّ الراهب نفسه كان يشرب من مكان يبعد فرسخين عن ديره، ولست أدري إن كانت الرواية محذوفة من الفتوح أم أنّ المؤلّف تساهل بالنقل، وانظر الرواية التي ساقها المؤلّف في المتن.

ولا يكون فظاً غليظاً ولا سخاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أمته (الحمّادون) لأنهم الذين يمدّون الله على كلّ حال في هبوط الأرض وصعودها ، ألسنتهم مديدة بالتسبيح والتحميد ، ينصرون الله على من ناوأه ، فإذا توفاه اختلفت أمته من بعده ، فيمرّ بهذا النهر صالح يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فمن أدرك هذا النبيّ فليؤمن ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّه وصيّ خاتم النبيّين والقتل معه شهادة ^(١).

والشهيد في الحقيقة من قتل بأيدي الكفار ، فظهر من هذا بأنّ معاوية وجيشه من الكفار .

فأسلم ذلك الراهب وسار مع أصحاب رسول الله إلى حرب معاوية واستشهد في صفّين فطلبه الإمام من بين القتلى فلمّا وجده صلىّ عليه ودفنه وقال : هذا منّا أهل البيت .

وكان مالك الأشتر يبكي في صفّين ، فلمّا سئل عن الأسباب قال : أخشى أن لا أنال درجة الشهادة .

وجاء في الفتوح ، قال : وأصبح الناس وطلعت الشمس وذلك في يوم الخميس ، ودعا عليّ عليه السلام بدرع رسول الله ﷺ فلبسه ، وبسيف رسول الله ﷺ فتقلّده ، وبعمامة رسول الله ﷺ فاعتجبر بها ، ثمّ بفرس رسول الله ﷺ فاستوى عليه ، وجعل يقول : أيّها الناس ، من يبيع نفسه يربح هذا اليوم فإنّه يوم له ما بعده من الأيام ، أما والله أن لولا أن تعطلّ حدود الله وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه ، ألا وإنّ خضاب النساء الحناء ،

(١) ما وضعناه بين حاصرتين هي رواية المؤلّف والكتاب وصحبة الراهب للإمام وشهادته مروية في الفتوح ص ٥٧٧ و ٥٧٨ مع اختلاف يسير بينهما .

وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأمور، ألا إنها إحن بدرية وضائن أحدية وأحقاد جاهلية وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر^(١) بها ثارات بني عبد شمس.. فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون^(٢).

ولما اشتد القتال صاح صيحة واحدة: الفرار من الحرب ارتداد عن الحق رغبة عن الإسلام، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مَنْ خَرَفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٣).

وتلى أمير المؤمنين في صيحة القتال هذا الدعاء وهو مناجات شعيب النبي ﷺ: اللهم إليك نقلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب ورفعت الأيدي ومُدت الأعناق وطلب الحوائج وشخصت الأبصار، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

وقتل في هذا اليوم من الجانبين ستّة وأربعون رجلاً.

وذكر قاضي القضاة في كتاب المحيط: إن علياً ﷺ لم يبدأهم بقتال حتى قُتل عمار ابن ياسر رضوان الله عليه، فلما قتلوا عماراً يوم السادس والشعرين أجرى عليهم حكم الكفار وصار يبدأهم بالقتال، فقتل في ليلة واحدة خمسمائة وثلاثين من أصحاب معاوية، وفي كلّ ضربة يكبر تكبيرة واحدة كما هو الشأن في قتال الكافرين.

وقال عليّ ﷺ: من أصابه سيفي فهو في النار.

وجاء في الفتوح: إن علياً خرج بين الصفين فبارزه واحد فصرعه، ثم آخر حتى

(١) أجدر بها أن تكون «ليدرك بها ثارات» الخ.

(٢) الفتوح ٣: ١٧١ و ١٧٢.

(٣) الأنفال: ١٦.

أهلك أربعة منهم، ثمّ صاح: يا معاوية، أخرج إلى مبارزتي فيسرّ به الناس، فقال معاوية: أوما يكفيك أربعة فتطلب خامساً.

فقال رجل: إذا أباهها معاوية فأنا أخرج إليه، ثمّ خرج ودعا إلى المبارزة، فقال الأصحاب: يا أمير المؤمنين، نحن نكفيك هذا الكلب، قال: يريد القتل منّي، فصرعه، وقال: انطلق يا عدوّ الله فأخبر قومك بما رأيت، فوالذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً إنّهُ عاين النار وأصبح من النادمين، وحكم هذا اللعين حكم عاقر ناقة صالح ﴿فَعَقَرُوهَا فَأُضْطَبِحُوا نَادِيبِينَ﴾^(١) وحكم قاييل بن آدم، ولم يقل ذلك عليّ غضباً لنفسه إذ أنّ عليّاً لم يقاتل لنفسه بل لم يفعل شيئاً لها.

وقال معاوية يوماً لعمر بن العاص: إنّ ما بينك وبين عليّ من الخصومات يحملك على مبارزته، فخرج عمرو بن العاص وطلب البراز من عليّ عليه السلام، فخرج إليه أمير المؤمنين وقال: أتحمل عليّ أم أحمل عليك؟ فقال عمرو: بل أنت فاحمل عليّ لأنك عليّ بن أبي طالب، فلمّا حمل عليه رمى بنفسه إلى الأرض وكشف عورته، فوالى الإمام عليه السلام وجهه عنه، وقام عمرو بن العاص هارباً هارباً إلى خيمة معاوية، فلامه معاوية على فعلته، فقال: إنّني فعلت فعلاً أوقفني قبالة عليّ حتّى كشفت له سوّتي، فافعل أنت فعلي إن قدرت على ذلك، وفعل بسر بن أرطاة نفس الفعل، فقال غلام من أهل الشام:

أفي كلّ يوم فارس ذكريه له عورة وسط العجاجة باديه

يكفّ بها عنه عليّ سنانه ويضحك منها في الخلاء معاويه

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كان الحقّ يدور مع عمّار حيثما دار.

وكان عمّار يقول يوم شهادته: أنا مقتول في يومي هذا، وودّع أصحابه وأوصى

بوصاياه، وكان عمره يوم مقتله أربعاً وسبعين سنة.

ولما رأى عمار رضي الله عنه راية معاوية، قال: إن هذه الرايات قاتلناها مع رسول الله وهذه رابعة وما هي بخيرهن ولا أبرهن^(١)، ألا وإني مقتول في يومي هذا فالحقهم بالأولين، ثم إن عماراً ألحقهم بالكفار الذين قاتلوا النبي في أول الدعوة.

قصة قيس بن سعد بن عبادة

كان سعد الرجل الذي فضله الأنصار على أبي بكر وقدّموه عليه، أمّا قيس ولده فكان من عمّال النبي صلى الله عليه وآله وأرسله رسول الله يوماً مع أبي رعال^(٢) لجمع الصدقة إلى الطائف وقال: اللهم اجعل بركاتك على آل سعد بن عبادة. فقال قيس: نحن بين يدي أعلام جبرئيل عن يمينها، وعن يسارها ميكائيل، وأنتم بين يدي أعلام عن يمينها أبو جهل وعن يسارها أبو لهب، وكان اصحاب عليّ من هذا الطراز.

ولعن أمير المؤمنين معاوية بهذه الأرجوزة، فقال:

ما كان يرضى أحمد لو خبراً أن تعدلوا وصيه والأبتر

شاني النبي ولعيناً آخراً كلاهما في جنده قد عسكرا

قد باع هذا دينه وافتخرا من ذي بيعة قد خسرا..^(٣)

أشار بلفظ الأبتر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٤) النازلة في شأن

(١) لم تمكن قراءة الكلمتين عند المؤلف فصحّحتها من شرح ابن أبي الحديد ٥: ٢٥٧.

(٢) لم يرد فيمن عرف بكنيته من أصحاب النبي أحد بهذه الكنية.

(٣) أحسبها هكذا: «من باع ذا دينه قد خسرا» وقد جانت عند محقق ابن أبي الحديد هكذا: «من ذا

بدينه قد خسرا» راجع ١: ١٤٨ من شرح ابن أبي الحديد.

(٤) الكوثر: ٣.

العاص بن وائل وآله عمرو بن العاص واللعين الآخر معاوية .
وقد كان عمرو بن العاص لعنه الله هجى رسول الله بسبعين بيتاً من الشعر ، فقال
رسول الله ﷺ : اللهم لا أحسن الشعر ، فالعنه بكل بيت ألف لعنة .
قال بشر بن المعتمر :

تبراً من عمرو ومن معاوية ومن بغاة في الزمان غاليه

تبراً أولاً بن الأصنام وثانياً من معاوية الوثن وعمرو بن العاص الوثن
وعابدي الوثن ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(١) .
وذكر صاحب الفتوح قال : خرج رجل من أهل الشام حتى وقف بين الصقيين ثم
نادى بأعلى صوته : يا أبا الحسن ، إني أكلمك ، قال : فخرج إليه عليّ عليه السلام حتى
اختلف أعناق فرسيهما ، فقال له الشاميّ : يا أبا الحسن ، إن لك فضلاً وقدماً في
الإسلام وهجرة وسابقة وإخوة وقربة من رسول الله ﷺ ، فلا يساميك أحد
ولا يدانيك ، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن دماء هذه الأمة وتأخير
هذه الحروب إلى أن ترى في ذلك رأيك ؟ فقال عليّ عليه السلام : وما ذاك ؟ قال : أن ترجع
إلى عراقك ونرجع إلى شامنا ، فنخليّ بينك وبين العراق ، وتخليّ بيننا وبين الشام ،
فقال عليّ عليه السلام : لقد علمت أنك إنما عرضت هذه نصيحة وشفقة ولكن قد أهمني هذا
الأمر وأسهرني ، وضربت أنفه وعينه ، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله
عز وجلّ أو يرضى من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوت ؟ مدعنون
لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فوجدت القتلا أهون عليّ من معالجة
الأغلال في نار جهنم . قال : فرجع الشاميّ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ^(٢) .

(١) الممتحنة : ٤ .

(٢) الفتوح ٣ : ١٥٤ و ١٥٥ .

والدليل على ذلك أن الله تعالى لعن أهل الكتاب بتركهم الأمر بالمعروف حيث قال : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾ .
وجاء في الحاوية : ولما كان ترك عليّ حرب معاوية يؤدي إلى الكفر فما حال من يرتكب هذا الفعل معه .

قال محمد بن الحنفية : خاطبت معاوية وقومه وأشرت إليه بقولي : حثوا يا ذرية النفاق وحثوا النار ويا حطب جهنم عن الأسل النافذ والنجم الثاقب والقمر الباهر والصراط المستقيم ، تدررون ويلكم بأيّ عقبة تسيمون ؟ وأيّ واد تقترحمون ؟ وبصنو رسول الله تستهزؤون ، كلاً سوف تعلمون ، كلاً سوف تعلمون .
واستأذن عمرو بن العاص عماراً أن يكلمه ، فأعطاه الأمان ، فابتدأ قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال عمار : اسكت ، فلست من أهل الشهادة ، فقد تركتها على عهد رسول الله ﷺ واخطب خطبة الجاهلية وقل قول من كان في الإسلام ذنباً وفي الكفر رأساً ، وهذا الكلام من عمار دليل على نفاق ابن العاص ، واقتدائنا بأصحاب النبي الكبار (المنزهين) من الواجبات .

الفصل السادس

في إقرار أهل البغي ببغيهم

لما أعطى معاوية الحسن ثلاثة آلاف درهم أنكر عليه ذلك يزيد ، فقال معاوية : يا بني ، الحقّ والله حقهم فلا نردفهم على ركوبهم .
ولما ضربت معاوية اللقوة ، قال : عقوبة عجلت ، إني دفعت عليّاً من حقه .

وقال ليزيد: إِنِّي دفعت علياً عن حقّه وحملت الوزر على ظهري.

كان لابن العاص جار أمويّ فسأله عن حال عليّ حين راسله معاوية ودعاه إلى نفسه، فقال: إِنَّ معاوية يدعوني إلى أمر عظيم فإنّه يدعوني إلى قتال عليّ، ومن حاربه فكأنما حارب رسول الله، فإنّه أخوه ووزيره ووصيّيه وأحقّ الناس بالخلافة، وفي قتاله هلاك الدين، ولا عوض من ذلك ولو كانت الدنيا كلّها.

فأجاب: فأما دعوتي إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي والتهوّر في الضلالة معك وأعانتني إياك على الباطل واختراط السيف على وجه عليّ عليه السلام وهو أخو رسول الله ومنجزه وعده ووصيّيه ووارثه وقاضي دينه وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين وأبو السبطين سيّدي شباب أهل الجنّة. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بني النضير: عليّ إمام البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول من خذله^(١). ونزل في حقّه آيات كثيرة، وذكرها ابن العاص، ولكنه لما أطمعه بمصر نسي هذا كلّه ووعظه ولده عبدالله وغلّامه وردان فلم يتعظ، وقال له وردان: يا مولاي، إنّ مع عليّ الآخرة ولا دنيا معه، ومع معاوية الدنيا ولا آخرة له ولا لمن معه، والآخرة تبقى لك والدنيا لا تبقى لك فاختر أيّهما شئت^(٢). فقال عمرو بن العاص:

(١) الإمامة والتبصرة لابن بابويه القميّ: ١٥١، بحار الأنوار ٣٣: ٥٣، الجامع الصغير ٢: ١٧٧، كنز العمال ١١: ٦٠٢ رقم ٣٢٩٠٩، مناقب ابن شهر آشوب: ٢٠٠، نهج الإيمان: ٤١٦، كشف اليقين للعلامة الحليّ: ٢٣، ينابيع المودة ٢: ٧٨ و ٩٦ و ٢٣٨ و ٢٨٥ و ٤٠١، النصائح الكافية لابن عقيل: ٩٥.

(٢) جاء الخبر في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١١٦ على النحو التالي: ثمّ دعا غلاماً له - عمرو - يقال له وردان وكان داهية، فقال له عمرو: يا وردان، احطط، يا وردان ارحل، يا وردان احطط، يا وردان ارحل، فقال وردان: أمّا إنّك إن شئت نباتك بما في نفسك، فقال عمرو: هات يا وردان، فقال: اعتركت الدين والآخرة على قلبك، فقلت: مع عليّ الآخرة بلا دنيا، ومع معاوية الدنيا بغير

قاتل الله ورداناً وفطنته ، لقد أصاب الذي في قلبه (قلبي) فقال وردان :

أما عليّ فدين ليس يشركه دنياً وذاك دين وسلطان (كذا)

فاخترت من طمعي دنيا على بصر وما معي بالذي اخترت برهان

إنسي لأعرف ما فيها وأبصره وفي أيضاً لما أهواه الولدان

لكن نفسي لحب العيش في شرف وليس يرضى بذل النفس إنسان^(١)

ولما وصلوا إلى مفترق الطريق ، قال له غلامه : يا مولاي ، هذا طريق الدنيا ، وهذا طريق الآخرة .

وكتب أمير المؤمنين في صفين إلى ابن العاص :

لأصبحن العاص وابن العاص سبعين ألفاً عاقدي النواصي

مستقبحين خلق الدلاص قد جنّبوا الخيل مع القلاص

أسأ وقيل حين لا مناص

فأجابه ابن العاص :

ما أنا بالعاصي ولا ابن العاص خوّفتني بلباسي الدلاص

بل مشعر من غالب مصاص وقائدي الخيل مع الدلاص

أهون بقوم في الوغى نكاص إذا رأونا ننفض النواصي

هذا قوله ! وفي الحرب يكشف عن سوأته خوفاً من سيف عليّ عليه السلام .

وجاء في الفتوح : إن النعمان بن جبلة قال لمعاوية : رميتنا بين السيوف الحداد والسمر الصعاد من أجل دنياك ، وإنّا اخترنا النار على هواءك طلباً للدنيا ، وأخذ

❦ آخره ، فأنّي واقف بينهما . فقال عمرو : ما أخطأت ما في نفسي ، فما ترى يا وردان ؟ فقال : أرى أن تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك ... الخ .

(١) الشعر لركاكته لا يستحقّ التصليح .

يقاتل وهو يقول: إِنَّا سنقاتل عن الغوطة إن حررنا الجنة .

قال مصنف هذا الكتاب: وإِنَّمَا ترك بعض الصحابة الإمام أمير المؤمنين وأتجهوا وجهة أخرى طلباً للدنيا لا للجنة، وقال الباقر عليه السلام: إِنَّمَا سُمِّيت الغوطة غوطة لأنَّ آدم يغوط بها^(١).

قال عمرو بن العاص يوماً لولده عبدالله: هل ترى عليّاً؟ قال: ذاك عليّ على فرس رسول الله صلى الله عليه وآله، فتنفّس الصعداء وقال: يا بنيّ ليس هذا بذات السلاسل ولا بكذا وكذا، يا ليتني كنت عن هذا المجلس بعد المشرقين. فقال ابنه: وما يمنعك؟ قال: حبّ الدنيا.

قال داود البكري: كنت مع عتبة بن أبي سفيان ولَمَّا رأى رايات علي وأهل بيته عليهم السلام قال: هذه رايات رسول الله صلى الله عليه وآله فلا حاربت هؤلاء أبداً فعيره رجل فقال له عتبة: كأنك لست من الإسلام في شيء....

وجاء في الفتوح: إنَّ رجلاً طلب مبارزة عليّ عليه السلام، فقال له الإمام: لأدخلنك النار يا ابن آكلة الأكباد، فقال ذاك اللعين: ستعلم من منّا يدخل النار، فتناوله عليّ عليه السلام برمح وعلّقه في الهواء، فصاح ذاك اللعين: يا أمير المؤمنين، لقد رأيت نار جهنم فأصبحت من النادمين.

قال صدر الأئمة الماوراء النهرية: إنَّ عليّاً عليه السلام قال: أنا قاضي دين رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى كان عليه دين ثمانون ألف دينار فاستعنت الله على أدائها فأدّيتها إلا قليلاً منها أوصيت الحسن بأدائها بعد وفاتي، وهذا معنى قول رسول الله: قاضي ديني.

(١) أجل الإمام الباقر روجي فداء من هذا القول، والغوطة هي الأرض المنخفضة ومنها أخذ الغائط والمتغوط وما شابه ذلك أكرمك الله.

الفصل السابع

في البدع التي أحدثها معاوية

ورد في الحديث: لعن الله من غير منار الأرض^(١). قال الحاكم المفسر: يعني بمنار الأرض أحكام الشرع.

قال أبو يوسف بن إبراهيم بن جنيس الأنصاري صاحب أبي حنيفة في مجلس فقهه ودرسه: أول من قاد الفئة الباغية معاوية لعنه الله، وأول من حكم بخلاف حكم رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، لأجل زياد نسيبه إلى أبيه أبي سفيان من فراش أبيه الذي ولد عليه.

وقاتل أول مؤمن، لم يكفر بالله طرفة عين بعد إسلامه ولا زنا بعد إحصانه وهو حجر بن عدي أخو الطرمّاح^(٢).

ومعاوية أول من أهدي إليه رأس مسلم وهو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي، وأول من جلس على العرش في الإسلام كالأكاسرة والفراغنة^(٣)، وأول من صالح المشركين من غير أن يأخذ الجزية، وأول من باع الأصنام وجعل للأصنام ثمنًا، وأول من استعمل الحرس وباع أسرى المسلمين، وأول من جعل الحكم وراثته وأورثه إلى ولده، وقتل ولدي قثم بن العباس بيد بسر بن أرطاة لعنها الله، وهذا ما

(١) السنن الكبرى ٦: ٩٩، فتح الباري ١٠: ٣١٤، مصنف عبد الرزاق ١١: ١٣٧، أصول السرخسي ٢: ٣٠٤، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤: ٣٦٨ و ٥: ١٢٧، تاج العروس للزبيدي ٣: ٥٨٨ ومعنى منارها: أي أعلامها أراد من غير تخوم الأرضين وهو أن يقطع طائفة من أرض جاره ويحول الحد من مكانه. وقال ابن الأثير: المنار جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدّين.

(٢) لم أعر على قاتل لهذا القول لأن الأول كندي من اليمن والثاني طائي... فكيف يلتقيان.

(٣) عمر بن الخطاب لعنه الله شجعه على ذلك.

أملاه أبو يوسف كما ورد في الحاشية .

أما قوله : أوّل من قاد الفئة الباغية ، قال ابن عباس : كنّا في حائط أبي سعيد الخدريّ وجرى حديث بناء مسجد النبي ﷺ ، قال : كنّا نحمل لبنة لبنة وكان عمّار يحمل اثنتين اثنتين ، فجاء النبيّ ونفض التراب عن ظهر عمّار ونظفه له وقال : ألاّ تحمل كما يحمل أصحابك ؟ فقال عمّار : أريد الأجر من الله ، فيجعل رسول الله ينفض التراب عنه ويقول : ويحك تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار .

وكان عمّار من أولئك الذين قال الله فيهم : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) ، ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٢) الآية ، وقوله : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾^(٣) وقوله : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(٤) وقوله : ﴿إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٥) وقوله في حكاية : ﴿أَهْؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(٦) ، وقال : ﴿وَإِذَا زَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾^(٧) كما قال المفسّرون وهو رابع أربعة أسلموا وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وأمّه أوّل شهيد في الإسلام واسمها سمّية ، وقال رسول الله ﷺ في حقّها : أوّل من استشهد في

(١) الواقعة : ١٠ و ١١ .

(٢) التوبة : ١٠٠ .

(٣) النحل : ١١٠ .

(٤) الأنعام : ٥٢ .

(٥) الأنعام : ٥٤ .

(٦) الأنعام : ٥٣ .

(٧) المطففين : ٣٢ .

أُمِّي امرأة - ويعني بها سميّة عليها السلام - ﴿إِلَّا الْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ ^(١) النساء :
أُمِّ عَمَّار سميّة ، والرجال ياسر أبوه .

وعَمَّار استشهد على يد كافر ليس أقلّ من أبي جهل الذي قتل والذي عَمَّار
واستشهدا على يديه وسبب ذلك : لما هاجر النبيّ إلى المدينة تبعه أصحابه فلما علم
المشركون بذلك أخذوا عليهم المراسد والطرق ، فمن قبضوا عليه خارج مكّة
أوسعوه ضرباً حتّى يسبّ النبيّ ويرجع إلى مكّة فقبض عليهم أبو جهل لعنه الله
وطلب منهم أن يلعنوا النبيّ فأبوا ذلك أشدّ الإباء ، فجرّد ياسر وسميّة من ثيابهما
وراح يضربهما حتّى اختارا الشهادة ولم يطيعاه فيما طلب وقال ياسر : بحقّ نبيّك
محمّد عليه السلام إذا خرجت روحي من بدني فحوّل وجهي إلى القبلة ، فوضعوا في عنق
ياسر وسميّة حبلين علّقوهما فأرسل الله الملائكة حوّل وجهيهما إلى القبلة عند
الموت وأخبر نبيّه بما جرى عليهما ^(٢) .

وقبض على عَمَّار بعد شهادة والديه وقال : العن ... وإلّا فعلت بك ما فعلته
بأبويك ، فقال عَمَّار ما أرادوه منه ونجى من قتلهم ، واختار الطريق الملتوي على
الصراط المستقيم وأقبل ينحو المدينة ، ولما دنى من المدينة هبط جبرئيل على
النبيّ عليه السلام وأخبره بأنّ عَمَّاراً قادم ، فخرج النبيّ بأصحابه يستقبلونه وقال النبيّ : إنّ
الملائكة وضعت أجنتها على الأرض لعَمَّار وخرج الصحابة حفاة لاستقبال عَمَّار
ولما رأى عَمَّار رسول الله انخرط بالبكاء ، فقال النبيّ عليه السلام : ما بك يا عَمَّار ؟ فقال
عَمَّار : يا رسول الله ، أبكاني الفراق والبعد عني ، فقال رسول الله عليه السلام : وجدت قلبك
مطمئنّاً بالإيمان ، ثمّ قال رسول الله عليه السلام : إن عادوا فعُد أنت ، ونزل في حقّه قوله

(١) النساء : ٩٨ .

(٢) المعروف عن شهادتهما غير هذا ولا ندرى عن مصدر المؤلّف شيئاً .

تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(١) وليست لأحد من الصحابة هذه الفضيلة من كونه وأباه وأمه شهداء في الإسلام.

قيل : إن أبا جهل لعنه الله كان يعذب سميّة عليها السلام وكانت لا تطيق العذاب ، فشتمت أبا جهل وكلمته بكلام خشن ، فغضب لعنه الله وأوجر بطنها بالحربة حتى أسلمت الروح (صلّى الله عليها وعلى بعليها وولدها).

وقيل : كان في مكّة لكلّ مستضعف مجير إلّا عمّار وأبوه ياسر لذلك كانا يتجرّعان أشدّ العذاب ، ولما كان يوم الهودج كما جاء في الفتوح غلب الناس على الهودج فسلب عمّار سيفه وهرع نحو الجمل وهو يرتجز :

إنّي لعمّار وشيخ ياسر صاح كلانا مؤمن مهاجر

إنّي لأصبحت فيه حافر لا تبلى بعد الممات عامر

إنّي إلى خيرى وضيرى صابر ومالك حرماً ليس فيها عاذر^(٢)

طلحة فينا والزبير غادر والحقّ في كفّ عليّ ظاهر

ولما علم الصحابة بما دار بين عمّار وأبي جهل لعنه الله ، قال الصحابة : يا رسول الله ، كفر عمّار ، فقال النبي ﷺ : خلط الإيمان بعمّار ما بين قرنه وبين قدمه ، وخلط بلحمه ودمه يدور مع الحقّ حيث دار ، فليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

ولما كان يوم صفّين ووقعت الحرب وارتفعت الأصوات كوساتها وأبواقها ، وقرعت طبوها ، وصدحت سيوفها ، وغنّت في الجاهم والرؤوس ، وتمازجت بها أصوات السلاح ، وعلت همهمة رجالها وصهيل خيولها ، إلى الحدّ الذي يذوب معه قلب الشجاع الحليم ، فكان عمّار يقاتل قتالاً دونة قتال شابّ جلد قويّ ، وكان

(١) النحل : ١٠٦.

(٢) كذا.

عمره في ذلك اليوم أربعاً وسبعين سنة، إلا أن يكون عمّار أشجع الشجعان وفي هذه الأثناء رفع يديه وقال: اللهم إناك تعلم أنّي لو كنت أعلم أنّ رضاك في وضع سيفي على بطني حتّى يخرج إلى ظهري لفعلت، وإنّي لأعلم شيئاً هو خير لك من جهاد هؤلاء.

ثمّ قال: أيّها الناس، هذه الراية التي يحملها معاوية هي الراية ذاتها التي كان يحملها أبوه إمام المشركين في بدر وحنين وأحد في وجه رسول الله ﷺ، واليوم هي المرّة الرابعة، وهو اليوم قاتليّ، فإذا قُتلت فادفوني بشيabi المزملة بدمي، وإياكم وترك نصر أمير المؤمنين لأنّ يوم القيامة شيعته هم الفائزون. ثمّ قال: أنا أوّل من يختصم يوم القيامة بين يدي الله. وفي رواية: فإنّي مخاصم.

وتقدّم معاوية فارتجز عمّار:

نحن ضربناكم على تنزيله فانيوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ثمّ صاح بأهل الشام: إن هزمتونا كلّ الهزيمة فإنّا على الحقّ وأنتم على الباطل، وكان يدمن الصوم نهراً والقيام ليلاً لهذا ضعف بدنه.

وحملت عليه خيل معاوية بفرسان كثيرة فطعنه اللعين أبو الغادية فأمضه، فحمل إلى الإمام وطلب ماء فلم يكن الماء حاضراً، وكان أشعث أغبر فمزجوا له اللبن بالتمر، فلمّا شربه سال من الجرح الذي سدّده له أبو الغادية لعنه الله^(١). قيل: صاح ثلاث مرّات: الله أكبر، وقال: أخبرني رسول الله آخر شرابي من الدنيا اللبن والتمر، ويذر على وجهي ورأسي الخطمي، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

(١) سمّاه المؤلف: ابن حوي وهي تصحيف لاشك فيه.

فلما وصل أمير المؤمنين وجد عمّاراً قتيلاً مزملاً بدمائه مرملاً بالتراب عفيراً، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرئ لم تدخل عليه مصيبة من قتل عمّار فما هو من الإسلام في شيء. وجمهور العلماء على أن عمّاراً قُتل في المعركة، وأنشد الإمام عند قتل عمّار:

أيا موت كم هذا التفرق عنوة فلست تبقي للخليل خليل^(١)

أراك بصيراً بالذين أحبهم كأنك تمضي نحوهم بدليل

يقول مصنف هذا لكتاب: إن ما أوردناه من الآيات والأخبار رويناهما من كتب الخصوم والمخالفين، وكل ما نقلناه مما جرى في حق عمّار وما جرى أضعافه في حق فاطمة عليها السلام وفي هاشم وأبي ذر الغفاري فقد أجراه الصحابة معهم ولم يبقوا عليهم.

قال المأموني: ولما رأى عليّ عمّاراً قتيلاً، قال: رحم الله عمّاراً يوم قتل، رحم الله عمّاراً يوم يبعث، رحم الله عمّاراً يوم يُسئل، والله لقد رأيت عمّاراً بن ياسر وما يذكر من أصحاب رسول الله ثلاثاً إلا كان رابعاً، ولا أربع إلا كان خامساً، ثم قال: إن عمّاراً أوجبت له الجنة فلقد قيل له: مع الحق والحق معه، كان الحق يدور معه حيث ما دار، فقاتل عمّار في النار، وسالب عمّار في النار. ثم تقدّم عليه السلام وصلى على عمّار مع من استشهد معه من أصحابه ودفن حيث أوصى أن يدفن.

وقال الحجاج بن عرفة الأنصاري:

اليوم لمظم الهم أرقني وماج حزني أبو البيقطان عمّار

(١)

ألا أيها الموت الذي لست تاركي أرحني فقد أفنيت كل خليل
كفاية الأثر للخزاز القمي: ١٢٤، بحار الأنوار ٣٣: ١٩. وفيه الروايات ما ذكره المؤلف وما ذكره صاحب كفاية الأثر.

أهوى له ابن جوى في فوارسه من السلون في الهيجاء أعصار
فاختل صدابي التقضان مفترضاً بالرمح قد وجبت فيه له النار
كانت علامة بني القوم مقتله ما فيه شك ولا ما فيه إنكار
قال النبي له يقتلك شرذمة سبط لحومهم بالبني فجار

وصفة القول: إن حديث «ستقتلك الفئة الباغية لعمّار» اشتهر في عسكر العراق والشام ووقف جيش الشام عن القتال لسامع هذا الحديث، فجاء عمرو بن العاص إلى معاوية ليردع معاوية، فقال له: قتل عمّار، لعلّ معاوية يكفّ عن الحرب ويتذكر حديث النبي ﷺ، فقال معاوية: إنّما قتله الذي جاء به، لو لم يأت به عليّ لما قتلناه، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص واقفاً على باب الخيمة فصاح قائلاً: فحمزة بن عبدالمطلب يوم أحد ما قتله الوحشيّ وإنّما قتله النبيّ، فقال معاوية: نخّ هذا الموسوس عنّا، فلا يدري ما يقول، فقال عمرو بن العاص لابنه: اذهب إلى قاتل عمّار وقل له: خذ الحرب ولك النار، فقال الناس: إذا كان نصيبنا النار فإنّنا لا نقاتل، وأخيراً تمكّن عمرو بن العاص أن يردهم إلى الحرب بالمكر والحيلة والتأويل. قيل لعائشة: إنّ فلاناً لا يأكل اللحم ولكنّه يحسو مرقه، فقالت: كان بنو إسرائيل محرّماً عليهم صيد السبت فلمّا كثر السمك يوم السبت في البحر فكانوا يحفرون الحفر العميقة فتجتمع فيها الأسماك فيصدّونها يوم الأحد وقال: منع الله من صيدها يوم السبت لا يوم الأحد، فحال اللحم والمرق كحال صيد اليهود إلى أن مسخهم الله كما مسخ معاوية فقد ضربته اللقوة وكان ثلماً بجمر معتقة في دنّها سبع سنين، والصنم معلق في عنقه، وذهب إلى جهنّم على هذه الحالة كما ذكر ذلك المأمونيّ في «الحاوية» بأسانيد صحيحة.

ونظم بشر بن المعتمر إمام المعتزلة في حبس هارون أربعين ألف بيت من الشعر،

قال:

تبراً من عمرو ومن معاوية ومن بغاة في الزمان غاليه

يقول المأموني: لا تجوز الصلاة على البغاة بعد قتلهم ولا بعد موتهم لاسيما الباغي الذي بغى على خير من في الأرض وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا ناظر إلى أن معاوية مات كافراً فلا تصح الصلاة عليه.

يقول مصنف هذا الكتاب: وأما الطائفة التي سبقت معاوية بالبغي وبغوا على علي عليه السلام وخرجوا في ذلك اليوم مع قرب عهدهم برسول الله ومعرفتهم بعلي الحقيقية واعترافهم بمناقبه التي لا تنكر وما خرجوا إلا بتأويل وحيلة كتأويل معاوية واعتذاره عن قتل عمّار، ولو كان مقدوراً لهم لشاركوا في حرب كربلاء وحرب الجمل وصفين بل هذه الفتن والحروب كانت ثمرة ذلك الخروج على أمير المؤمنين عليه السلام لأن في تلك الأيام الثلاثة وغرسوا شجرة عداوة أهل البيت في القلوب بالترغيب والترهيب وأثمرت بعدهم ثمرة حملوا بها رؤوس أهل البيت على رؤوس الرماح، والحمد لله الذي لم يجعلنا من تابعيهم.

أما قول أبي يوسف: معاوية أول من أخذ الخلافة بالسيف وكانت خلافة غيره كذلك لأن الخلافة إما بالنص كما يعتقد الشيعة أو بالإجماع كما يعتقد المخالفون، ولا يصح أن تكون بالسيف والظلم كما قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١).

يقول المصنف: وكانت خلافة أبي بكر وعمر بالإجماع لا بالنص وإلا لما قال أبو بكر: أقيلوني، ولم يجعلها عمر شوري، ولم يقتل عثمان على أمور لا طائل ورائها، ولم تكن خلافة الخلفاء بالإجماع أيضاً لأنها لو لم يعارضها إلا بنو هاشم لكان قادحاً بها بل لو لم يعارضها إلا علي لكان خرقاً للإجماع المزعوم، وكانوا ظالمين بادعائها، وهذا كلام علي وأولاده عليه السلام مازال يتماوج في أسماع الناس نظماً ونثراً.

وأما قوله: هو أوّل من استأثر بالغيء، وهذا مخالف لحكم الله حيث قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾^(١). وزعم أبو يوسف أنّ النبيّ يورث، وهذا طعن منه بمعاوية والعجب أنّ الحديث عندما يكون عن فذك وفاطمة يدخل إلى الميدان الفرية القائلة «نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث» وبه يستلبون حقّ الزهراء ويردّون به آيات القرآن، وعندما يكون الخصام مع معاوية يثبت الميراث للنبوّة مع أنّ معاوية اقتدى بمن كان قبله من الأصحاب وهم أيضاً فعلوا فعله بل أدهى وأمرّ من فعله وحينئذٍ لا فرق عندنا بين معاوية وأسلافه.

وأما قوله: هو أوّل من قضى بخلاف رسول الله حين ألحق زياداً بأبي سفيان بناءً على دعوى ادّعاها لا تثبت، وقال النبيّ: من نكاح أو من سفاح، وقال: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فأبطل معاوية حكم رسول الله وألحق زياداً بالدعوى بأبيه، وصدق الله: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾^(٢) لأنّه كان مثله ابن زنى، وأخاً من سفاح «كلّ طائر يطير مع شكله»، وكفر برّدّه حكم النبيّ وعدم رضاه به، وأراد زياد أن يدعى ابن أبي سفيان وعسر على الناس قولهم خلاف حكم رسول الله ﷺ فعرضوا الأمر على عائشة، فقالت: سمّوه ابن أبيه، فعرف بهذا الاسم من يومئذٍ.

يقول المؤلف: إنّ تصديق رسول الله ﷺ عامّ يشمل جميع الصور، وحكم رسول الله ﷺ على مروان بالنفي وحكمه حكم الله ولكن عثمان لعنه الله أعاده، وأدنى رسول الله ﷺ أبأذر بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

(١) الحشر: ٧.

(٢) النور: ٢٦.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»^(١) ولكن عثمان نفاه.. وقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٢) فأعطى رسول الله لفاطمة فداً، فصادرها منها أبو بكر، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣) وعداوة عمر لعلي أظهر من الشمس. وصفوة القول أن القوم كمعوية جملة وتفصيلاً، فما نسبوه إلى معاوية وما احتجوا به من كفره، واستدلوا عليه من نفاقه واستحقاقه اللعنة به فإن الكثير من أئمتهم شاركه به وأشبهه عليه.

وأما قوله: وأول من قتل مسلماً لم يكفر بعد الإسلام ولا زنى بعد الإحصان. يقول المأموني: سمّ معاوية الإمام الحسن عليه السلام قتلته، وقال: ذلك معروف. قال المصنّف: يقول أصحابنا أن عمر لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام على بطنها وقتل المحسن في بطنها، ولما أخذ معاوية البيعة من أهل الكوفة استعمل عليهم المغيرة بن شعبة وهو عدو لأهل البيت عليه السلام. وقيل: إن المغيرة مات هناك، وأعطى زياداً الكوفة لأنه كان والياً على البصرة.

وقتلوا حجر بن عدي الذي كان مسلماً لم يكفر فيستحقّ القتل، ولا زنى بعد إحصانه.. وكان على الكوفة في ذلك اليوم أربع حكّام: على ربع منها أبو بردة ومعه مذحج، وأسيد وعمرو بن حريث المخزومي على اليمامة، وخالد بن عرفطة العذري على تميم وهمدان، وقيس بن الوليد المخزومي على كندة وربيعه، وحين أراد زياد لعنه الله قتل حجر بن عدي أحضر هؤلاء الرؤساء فشهدوا جميعاً على أنه خارج على معاوية.

(١) الأنعام: ٥٢.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

وكتب أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري محضراً وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد عليه أبو بردة لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعى إلى الحرب والفتنة وجمع إليه الجموع بدعاهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفره صلعاء...^(١) فأمر زياد أن تثبت شهادتهم في محضر خاص، وبهذه الحجّة الواهية قتل معاوية لعنه الله حجراً وخمسائة من أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأما قوله - يعني قول أبي يوسف -: وأول من أهدى إليه رأس مسلم ذلك هو رأس عمرو بن الحقيق الخزاعي (الأنصاري - المؤلف) وكان النبي ﷺ يحبه، وكان عمرو يقول: ما زينت قبل الإسلام قط، ولم أظلم أحداً، وكان قد حمل كتاباً إلى معاوية فأنعم عليه معاوية لعنه الله بحلل مصريّة وأموال طائلة فردّها عليه وقال: عندي خمسة وعشرون درهماً تكفيني إلى أن أبلغ الكوفة، ومن بعده أهدى رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد لعنه الله، ورأس عمرو بن الحقيق أهدى إلى الأب، وكذلك أهدى رأس يحيى بن زكريّا إلى جبار من بني إسرائيل.

يقول القاسم المأموني: على يزيد نصف عذاب أهل الدنيا.

قال البيهقي: ولما رأى عمر بن الخطّاب سرير معاوية وتاجه قال: هذا كسرى العرب^(٢) يعني جبارها.

قال المصنّف: إن كان معاوية كسرى العرب فإنّه صنيعه عمر بن الخطّاب، وإن

(١) الغارات ٢: ٥٦٥. وعند المؤلف: خلع أمير المؤمنين معاوية كفراً صريحاً وهو خطأ طبعا. وفي الطبري ٤: ٢٠٠: كفره صلعاء ويعني بذلك ما لا أجرأ على التصريح به، ولكنني أجراً مثاباً إن شاء الله على لعن عمر بن الخطّاب الذي زرع معاوية في ضلوع الإسلام لعن الله معاوية.

(٢) نعم بهذا وشبهه أمّ له ابن صهّاك بالطغيان حتّى تجاوز الحدود فكان شريكه في جرائمه ومآثمه، ولعن الله الشريكين المشركين.

كان قال ما قال خوفاً على الدين فلماذا لم ينه عنه ، هل كان يخاف أحداً إن ردعه أو منعه ، ولقد فصل معاوية الشام واستقل به عن عمر بن الخطاب كما فعل مع الإمام أمير المؤمنين ، وهذا باعث على نقصان ملك عمر بن الخطاب ، وكان غرض عمر اللطم على خلافة الدنيا ولم يغلبه هم الدين .

يقول حسام الدين الحنفي : ما فعله يزيد مع الحسين كان بتمهيد وإعداد من أبيه وتجربة عمل أبيه .

ويقول المصنّف هذا الكتاب : وما فعله معاوية إنما كان بتمهيد وإعداد ونصيحة وإشارة من الصحابة وذلك أن سكوت القوم عن ظلم فاطمة وعدم نصرتهم لها شجّع الناس على ظلم أهل البيت والعدوان عليهم^(١) .

وأما قول أبي يوسف : وأوّل من صالح المشركين من غير جزية بخلاف قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٢) هذا ما أمر الله به الجزية أو القتل ، أما الكافر فلا يحبّه إلّا الكافر .

وأما قوله : وأوّل من باع أصناماً تعبد من دون الله ليزاد في إثمها . روى ركن الإسلام عن مشايخه إلى صاحب أبي الإبل^(٣) أنّه قال : يا مسروق ، كتّا في «سلسلة» فاجتازت بنا سفينة محمله بالأصنام يرسلها معاوية إلى الهند لبيعها . قال مسروق : فقلت : لا يخلو هذا الرجل من أن يكون زُين له سوء عمله فرآه حسناً أو يكون آيساً من الآخرة فهو يتمتع بالدنيا وهذه صفة المشركين : ﴿ أَفَقَنْ زُيْنٌ لَهُ سُوءٌ

(١) أشهد أن المؤلف قال الحق ونطق الصدق وهكذا ينبغي أن يكون رأي الموالين في القوم وإلا فلا .

(٢) التوبة : ٢٩ .

(٣) لا زلت ارتطم بأعلام في الكتاب غير مأنوسة ويعجز علمي عن التعرّف عليها وأحيل القارئ على كتب الأعلام إن كان يريد ضبطها فإنّي لا أجد غضاضة أن أثبتها كما رأيته عند المؤلف .

عَنْهُ فَرَأَهُ حَسَنًا^(١) والثانية صفة الكافرين: ﴿قَدْ يَنْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْئَسُ الْكَافِرُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(٢)، ومن هنا مات والصليب في عنقه. ويقول القاسم المأموني: قد حصل الاتفاق على هذا من المتقدمين والمتأخرين وذكره محمد بن الحسن في السير الكبير على هذا الوجه.

يقول القاسم: وما يقال من أن أبا حنيفة رخص في بيع الأوثان وشرائها فهو كذب محض افتراه عليه النواصب كقدم القرآن وخلق الكفر، وهذا هو مذهب المرجئة والمجبرة، وأبو حنيفة بريء من هذا. إلى أن قال: فإنه كان يعين زيدا بن عليّ على الخروج على بني أمية وكان شيعياً محباً لآل النبي ﷺ^(٣) وكان يقول: خروج زيد كخروج محمد يوم بدر، وبعث إليه جراباً من الورق له على الخروج، فقيل له: هلا نصرته، قال: أخاف ضيعة الودائع، هذا كلامه بأسره.

وأما قول أبي يوسف: أول من اتخذ حرساً في الإسلام لأنه لما كان ظالماً للأمة بمثابة الفراعنة والقيصرية احتاج إلى من يحرسه.

وأما قوله: أول من جلس مجلس رسول الله بغير رضا من صحابة رسول الله ﷺ، فقد رأى رسول الله رؤياً في المنام كأن بني الحكم وبني مروان ينزون على منبره نزو القردة فلم ير ضاحكاً حتى مات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. وروى صاحب

(١) فاطر: ٨.

(٢) الممتحنة: ١٣.

(٣) إن تحديدهم التشيع من المضحكات لأنهم قالوا: الشيعي هو الذي يفضل عليّاً على عثمان، والرافضي هو الذي يفضل على الثلاثة، وهذا القول إلى الهراء أقرب منه إلى أقوال العلماء.

(٤) الإسراء: ٦٠.

المصاييح: ولقد أذهم الله حين فعلوا ذلك.

قال محمود بن لبيد: إنَّ النبي ﷺ قال: هذا سيريد هذا الأمر بعدي - يعني معاوية - فمن أدركه منكم فليشقْ بطنه.

وقال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية يطلب الملك فاضربوا عنقه^(١).

وأما قوله: قتل ابني قثم بن عباس، فإنَّ معاوية لعنه الله أرسل بسر بن أرطاة لعنه الله في ثلاثة آلاف إلى الحجاز وفي المدينة طلب أبا أيوب الأنصاري مضيّف رسول الله ﷺ وهو من كبار الصحابة وإلى الآن يستسقون بقبره فيسقون، فهرب أبو أيوب إلى الكوفة فانتضى بسر اللعين سيفه ورقى منبر رسول الله ﷺ وقال: لولا أنَّ معاوية عهد إليّ لما تركت فيها رجلاً واحداً ولا طفلاً حيّاً، وأرسل إلى بني مسلمة أحضروا لي جابراً بن عبد الله وإلاّ ضربت أعناقكم جميعاً. واستجار جابر بأمّ سلمة، فقالت أمّ سلمة: هذه بيعة ضلالة يا جابر، اذهب وباع فأنا أمرت ولدي عمر بن أبي سلمة بالبيعة ومثله صهري.

واستقرَّ يزيد بن معاوية لعنها الله بسنة أبيه فأرسل مسلم بن عقبة المريّ إلى المدينة فجاء اللعين إليها وقتل هناك ثلاثة آلاف من أولاد المهاجرين والأنصار وشيوخ الصحابة وثلاثة آلاف من غيرهم من الأجانب ولكنهم كانوا من الأخيار والمؤمنين وحفاظ القرآن، ثمّ قصد مكة لحرب ابن الزبير فيها، وقيل: هلك ما بين مكّة والمدينة وذهب إلى جهنّم واستخلف الحصين بن نمير، فنصب هذا اللعين المنجنيق على الكعبة فنزلت صاعقة فأحرقتة، وبقي يقاتل هناك أياماً على أبواب مكّة حتّى جاءه نعيّ يزيد ودام ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر.

(١) وينبغي كذلك أن تضرب عنق ابن صهّاك عمر بن الخطّاب لعنه الله الذي أمّد له بالطغيان وأعانه حتّى تسنم غارب الحكم.

وقيل: إنَّ اللعين قذف دماً من فمه بلغ عشرين طستاً حتَّى مات، وقيل: وقع في الكنيف ميّتاً، وقيل: مكان موته ظاهر لحدِّ الآن، وقيل: ذهب يصطاد فضل في البداء «خسر الدنيا والآخرة».

وقبل هذا كان بسر قد قصد اليمن وعليها عبيد الله بن العباس من قبل عليٍّ عليه السلام، ولما دخل اليمن هرب منها عبيد الله بن العباس إلى أمير المؤمنين لأنَّه لا طاقة له ببسر، واستخلف على اليمن شخصاً آخر فقتل أولاد العامل المستخلف وولدين لعبيد الله بن العباس وكان الطفلان قد أودعا عند رجل، فقال ذلك الرجل لبسر: يا أمير، إنَّهما لا ذنب لهما فاقتلني مكانهما، فقتله وقتل الطفلين وعاد إلى الشام وأوقع في طريقه بكلِّ من له هوًى في أمير المؤمنين عليه السلام.

ولما بلغ أمير المؤمنين الخبر بعث محارب بن قدامة في ألفين وسرَّحهما في طلب بسر ليقبضوا عليه أو يقتلوه فلم يدركاه، وهرب إلى الشام وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عقد للإمام الحسين عليه السلام على عشرة آلاف ولقيس بن سعد مثله، ومثلها أبو أيوب الأنصاري وأمرهم بقصد الشام، ولكن ابن ملجم لعنه الله لم يمهل أمير المؤمنين عليه السلام حتَّى قتله، ولما بلغ الحارث مكَّة ليأخذ منهم البيعة بلغه خبر قتل أمير المؤمنين عليه السلام فنفَّرَق الناس عنه، وذهب عبيد الله بن عباس إلى مكَّة وشكى إليه بسرًا وأخبره بقتل ولديه، فقال له معاوية: إن ظفرت بابنيه فاقتلها - ساخرًا به - وإلا فدونك الرجل.

وهرب ولدا جعفر الطيّار من كربلاء كما روى المخالفون فأدركهما صفوان الملعون فقتلها وبعث برأسيهما إلى عبيد الله بن زياد لعنها الله، فقال له عبيد الله: إنَّ هذين الطفلين لا ذنب لهما فلم تقتلتهما، وأمر بضرب عنقه.

وكان عبيد الله رجلاً فاضلاً شجاعاً وصاحب سخاء وبذل وجائه رجلٌ من الأنصار فقال: وضعت امرأتِي البارحة ولدًا وسمَّيته باسمك، فأمر في الحال بشراء

مرضة له، وأعطاه مأتي دينار وأوقفها عليه مادام حيّاً، وكان يتعاهد سمّيّه الطفل، وما فتى يردّد: لا أضيع سمّيي.

الفصل الثامن

ومعاوية أوّل من سنّ الغارة في الإسلام، فيقال: إنّه سرّح الضحّاك بن قيس إلى «الواقفة»^(١) في ثلاثة آلاف مقاتل ليغيروا على من كان فيها على طاعة أمير المؤمنين، فأكثر الملعون الغارة وقتل كثيراً من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وخرج منها إلى الثعلبيّة وأغار عليها ونهب ما فيها.

وبلغ عمر بن عمير محاطاً بخدمه ومواليه وكان قاصداً حجّ البيت ومعه عياله وأهل بيته فأغار عليه ومنعه من الحجّ.

وكان معاوية يغير على قوافل الحجّاج كلّما سنحت له الفرصة، ولقد ذكر الإمام كثيراً من ذلك في نهج البلاغة.

وفي الليلة التي رجع أمير المؤمنين عليه السلام فيها من حرب الجمل تقدّم إليه مالك الأشتر وقيس بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعدي بن حاتم وعبدالله بن بديل ابن ورقاء وأمّثالهم وقالوا: أئذن لنا أن نكون الليلة عندك فنعبد الله تعالى، وقال لمحمّد بن الحنفية وللعبّاس السقاء: قفا هذه الليلة واحرسا المدينة فقد بلغني أنّ جيش معاوية بلغ القطقطانة لينهبها ماشية الناس.

وذهب قيس في الليلة الثانية لحراسة الكوفة فلمّا تناصف الليل سمع صوتاً عالياً فأصاخ السمع له وإذا هو صوت صعصة بن صوحان وهو يقول: سمعت أنّ

(١) أقول للقارئ العزيز: كن على حذر دائماً من أسماء الأعلام التي لم يحقّقها المترجم لسبب من الأسباب، ولا تطمئنّ إلى صحتها حتّى تقف على ذلك بنفسك إمّا بإشارة من المترجم أو بتحقيق تقوم به أنت نفسك.

أصحاب معاوية قادمون بخمسمائة مقاتل ومعهم السلاح ابتاعوه وحملوه على أربعين حملاً من بني فزارة، وذهب صعصعة إلى الكوفة ليخبر الإمام عليه السلام بواقع الحال، فاستقبله في الطريق مالك الأشتر فأخبره، فعجل مالك بالخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام واستأذن أمير المؤمنين وأخذ معه أربعمئة رجل وذهب يتعقب السلاح، ولما فرغ الإمام عليه السلام من صلاة العتمة رأى قيس بن سعد بن عباد قد عاد بأصحابه وبعد أن حيوا الإمام أمير المؤمنين واستأذنوه لقتال القوم وإعادة السلاح، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : سبقك بها الأشتر .

وكان أمير عسكر معاوية مسعدة الفهري ومعه ثلاثمئة وقد نزلوا على «رغاله» ولما رآهم مالك الأشتر فظنّوهم من الأعراب فهبوا للإغارة عليهم، قال عبدالله بن عاصم : كنت مع الأشتر، فقال : أيها الناس، هؤلاء جمع الفساق والظالمين فإذا تفعلون لينصركم الله عليهم، ثمّ حمل عليهم الأشتر بأصحابه فصاح مسعدة : من أنتم وما تريدون ؟ فقال مالك : أنا الأشتر النخعي ومعني أصحاب أمير المؤمنين، فهرب القوم وأسر الأشتر مسعدة .

وأسر أخ مالك عبدالله بن الحارث إلى خيمة الأريقط وكان الملعون نائماً وقد ثل، فلما أحسّ بقرب عبدالله منه استوى على ظهر فرسه واستلّ عبدالله سيفه، وأقبل تحبّ به فرسه فاقتتلوا قتالاً شديداً، فجاء الأشتر مدداً لأخيه، وحمل على الأريقط وأسرّه، فهرب أصحاب معاوية وأقبل مالك بالسلاح إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شدّ مسعد والأريقط بالوثاق، فسأل عليّ عليه السلام عن وضع السلاح، فقالوا : ابتعناه بالمال، فقال : هذا من بيت المال ونحن أولى به، ثمّ وضعه في بيت المال، وقالوا : إنّما أخذنا ماله نهباً من الناس الذين أغرنا عليهم، فأمر بالبحث عن أصحاب المال وردّه عليهم، ثمّ أطلق الأسرى بلطفه وعدله وذهبوا إلى الشام . ومنه كلام عليّ عليه السلام : فتواكلتم وتحاذلتم حتّى شنت عليكم الغارات .

الفصل التاسع

في أن معاوية أول من زور الكتب في الإسلام

كان قيس والياً على مصر من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكتب إليه معاوية أن أقبل إليّ حتّى نطلب بدم عثمان وأعطيك ولاية العراقين وأقضي لك حاجاتك وحاجات أهل بيتك، فكتب إليه قيس: أمّا بعد، فالعجب من اغترارك وطمعك فيّ وأمرك إيتاي أن أترك وصيّ النبي والإمام الهادي وجنّة المأوى وأدخل طاعتك طاعة الحبّ والطاغوت، هذا ممّا لا يكون. وأمّا قولك أنّك تملأ مصر خيلاً فوالله إنّني أشغلك عن ذلك وإنّك لذو كيد وخدع، فكد كيدك فإنّ الله لا يهدي كيد الخائنين.

ولمّا قرأ معاوية كتاب قيس بن سعد أيس منه شرع يزور محضراً على قيس وافترى عليه بالوجه التالي: من قيس بن سعد الأنصاري إلى الأمير معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد، فإنّ قتل عثمان كان في الإسلام عظيماً وقد نظرته لنفسي وديني فصدّني عن مظاهرة قوم قتلوا عثمان إمامهم مسلماً تقياً نقيّاً من الآثام بريئاً طاهراً من الأجرام فليستغفر الله لذنوبنا ونساله العصمة لأدياننا، ألا وإنّي قد ألقيت إليكم السلام وأجبتكم إلى قتال رجل قتل إمام الهدى المظلوم في حرم رسول الله، فحوّل عليّ بما أحببت من الأموال والرجال أعجل بها إليك أيّان شئت، والسلام.

واشتهر بين العرب أنّ قيساً صالح معاوية، وكتب معاوية بذلك إلى المدينة إلى أخته أمّ حبيبة، فسمع أولاد عليّ هناك فأبلغوا عليّاً به، فبعث أمير المؤمنين محمّداً ابن أبي بكر مكانه إلى مصر، ولم يكن محمّد في شجاعة قيس لأنّه كان من شجعان العرب، ولمّا فرغوا من حرب صفّين أرسل عمرو بن العاص معاوية بن خديج إلى

مصر ليقا تل محمداً بها، ثم قبضوا عليه ووضعوه في جيفة حمار وأحرقوه. الغرض: كان قيس يرى معاوية بمنزلة اليهود ويدعوه بالجبت والطاغوت، وكان تحريفه الكتب من صفات اليهود «يحرّفون الكلم عن مواضعه». قال أحمد بن أعثم الكوفي: إنّ معاوية أرسل إلى شرحبيل والي ابن السمط في حمص ومعه رؤساء الشام وقال: اشهدوا من الذي قتل عثمان، فشهد بسر بن أرطاة وجابر بن سعد الطاريّ ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك وأبو الأعور السلمي والضحاك بن قيس الفهريّ وذو الكلاع الحميريّ وحوشب ذو الظلم وغيرهم بقول واحد لفظاً ومعنى بأنّ عليّاً قاتل عثمان.

ثمّ قال معاوية: لولا أنّ عليّاً قتل عثمان لما خالفناه، فخدع بقوله شرحبيل وبايعه وخرج منه إلى ولايات الشام ومدنه وجمع رجالاً كثيراً لحرب عليّ، وكتب إليه جماعة من أصحابه يسألونه فقال: أنا لا أردّ شهادة الشهود فإنّ كذبوا ففي أعناقهم والسلام^(١).

ولو كان معاوية مسلماً لما شهد شهادة الزور، والزور أخو الشرك كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٢).

المعروف عن أمير المؤمنين أنّه أمر بأن لا يسدّوا طريق الماء على وارد، فلمّا أقبل معاوية ولم يجد على الماء أحداً أمر باحتلاله ومنع عليّ وأصحابه منه، فأرسل الإمام عليه السلام إليه رسولاً يدعوه إلى ترك احتلال مورد الماء، فلم يفعل واستشار جماعة من أصحابه فأشاروا عليه بمنع الماء حتى يموتوا، فقال عمرو بن العاص: إنيّ

(١) تناول المؤلف من الفتوح جملاً وعبارات ليست منتظمة على شكل رواية لذلك أثّرنا الإرشاد إلى الجزء والصفحات التي يوجد فيها نقل المؤلف الجزء الثاني ص ٥٣٩ إلى آخره.

(٢) الحج: ٣٠.

لست أرى أن تمنعهم عن الماء، افتح لهم طريق الماء وإلا أخذوه منك قهراً، فما اتنى معاوية لقول ناصح وبات الناس والكراع والماشية على حرارة العطش، وقد أمض بهم ذلك وأجهدهم، فلما أصبح الصباح شكوا أمرهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأمر علي عليه السلام باستنفار عدة آلاف من المقاتلين ليعدوهم عن شاطئ الفرات، ثم اقتتلوا حتى أبعدوا أولئك الكلاب عن مراكزهم ونزل أصحاب الإمام فيها وصار الماء في قبضة أيديهم. فقال عمرو بن العاص: ألم أقل لك لا يظماً عليّ وسيفه على عاتقه فما ارعويت، فقال معاوية سوف نهلك نحن وما شيتنا، فقال عمرو بن العاص: إن علياً رجل حلیم وكريم ولن يقابلک بالمثل، فأرسل إليه جماعة وطلب منه فتح طريق الماء، فلما عاد الرسل إلى معاوية بعد أن تضرعوا لطلب الماء أمر عليّ حالاً أن يخلى بينهم وبين الماء، بينما لم يمرّ يومان على ما قاله الأشتر للإمام علي عليه السلام: إننا يا أمير المؤمنين نشترى قربة الماء بثلاثة دراهم، وقال الأشعث: يا أمير المؤمنين، أو نموت عطشاً وبأيدينا رماحنا وسهامنا ومنتكبين أقواسنا، ائذن لنا في الحرب، فأمر أن يخرج مع الأشتر والأشعث اثنا عشر ألفاً وأيديهم على مقابض سيوفهم، ودخلوا ميدان الحرب.

قيل: إن فيّاض بن الحارث قال لمعاوية: لو أن كفّاراً من الروم جاؤونا يستقون الماء لما حلّ لنا منعهم ووجب سقيهم فكيف وهؤلاء صحابة رسول الله وفيهم وصيّ وختنه وأولاده، فليس من الدين منع الماء عنهم، فلم يقبل قوله معاوية، واقتدى عبيد الله بن زياد بمعاوية فنزع الماء على الحسين وأهل بيته.

قال القاسم المأموني في كتاب الحاوية: إن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص: وما يمنعك من سب عليّ؟ فقال: ثلاثة أحاديث تمنعني من سبّه:

الأول: إن النبي قال له يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، فدفعها إلى عليّ.

والثاني: لما خرج النبيّ إلى تبوك وأعلمه الوحي أنّ الحرب لا تقع هناك، وترك المنافقين حول المدينة، قال لعليّ: لا يسدّ أحد مسدّك ولا يقوم مقامي غيرك في الحفاظ على النساء والأطفال، فخلّفه في المدينة وأقامه مقامه، فلمّا سار عن المدينة فراسخ أُرجم به المنافقون وقالوا: استنقله رسول الله فتركه في المدينة واستخلفه عليها، فتبعه عليّ وقال: أتركني مع النساء والصبيان؟ فقال النبيّ ﷺ: أما يرضيك أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.

والثالث: يوم غدير خمّ، قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله.

يقول المأموني: لذلك عمد إلى قتله بالسّم بعد سمّه الإمام الحسن ﷺ.

وروى أيضاً بأسانيده عن أنس أن النبيّ ﷺ قال: خُلِقَ من نور وجه عليّ ﷺ سبعون ألف ملك يستغفرون له ولحبّيه^(١).

وجاء في الفتوح أنّ عليّاً أعطى الراية لهشام وقال: اخرج إلى عدوّي القرآن وحزب الشيطان، فخرج عليه رجل من أهل الشام وشرع بشتم أهل البيت، فوعظه هشام وتلا عليه مناقب عليّ، فقال الشاميّ: أو تقبل توبتي؟! فقال هشام: أجل، وأقبل به إلى الإمام فبالغ بإكرامه.

وذكر أهل النقل أنّ عبيد الله بن عمر لمّا هرب من عليّ ﷺ ولجأ إلى معاوية خوفاً من القصاص لدم الهرمزان لأنّه قتله بظلم فأكرمه معاوية وأعطاه عشرين

(١) مائة منقبة لمحمّد بن أحمد القميّ: ٤٢ و ١٤٨ و ١٦٩، مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٧٩ وعزاه إلى عمر بن الخطّاب، المحتضر: ٩٥، مدينة المعاجز ٣: ٣٥ و ٣٦ و ١٣٥ و ١٣٦، بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٠ و ٢٧: ١١٨ و ٣٩: ٢٧٥ و ٤٠: ١٢٥ و ٦٥: ١٤٢، مقام الإمام عليّ لنجم الدين العسكري: ٢٥ و ٤٥، مستدرک سفينة البحار ٩: ٤٢٦، المناقب للخوارزمي: ٧١ و ٣٢٩، تأويل الآيات ٢: ٦٧٠، مجمع النورين للمرندي: ٢٤٥.

ألف درهم وفرساً وكسوة، وكان معاوية يببالغ في رفعه والتنويه فيه ويأمره أن يسب علياً ويتبرأ منه، فكان عبيد الله يأبى ذلك. إلى أن قال له يوماً ليتحنه: ماذا تقول في حق علي عليه السلام؟ فقال: وماذا أقول في حق؟ أبوه أبو طالب، وأمه فاطمة بنت أسد، وهو في نفسه غني عن التعريف، والناس وأنا وأنت نعلم ذلك.

وأمره معاوية يوماً أن يعتلي المنبر ويشتم علياً، فلما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، سكت فلم ينطق ببنة شفة، فخاف منه معاوية، فقال عبيد الله: كرهت أن أقطع شهادة الله بشهادة الزور، فاستحيا معاوية وقال: الرجل أحصر عن سب علي، فلا بيان له، وليس من أهل الفصاحة، فقال عبيد الله أبيتاً منها:

معاوية لم أحبس لخطبة خاطب ولم أك عيًّا في لوي بن غالب

وكفر معاوية عبد الله بن بديل وأنكر صحبته وصحبة أبيه، بينما هو من الصحابة وشأنه شأن موسى وفرعون حين قال فرعون لموسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

ومعاوية أول من أعلن سب أهل بيت محمد ﷺ وصيرها سنة، فكان مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاجِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) قال النبي ﷺ: من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها^(٤).

(١) الشعراء: ١٩.

(٢) البقرة: ٤١.

(٣) الأعراف: ٨٠.

(٤) التحفة السنّة لعبد الله الجزائري - مخطوط: ٣٣، كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ٢: ٤١٦، روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ١: ٧٣، حاشية رد المختار لابن عابدين ١: ٦٢، نيل الأوطار

يقول مصنف هذا الكتاب: ذكر صاحب الحاشية هذا الحديث ونسي أن يتذكر بأن أول ظلم وقع على أهل البيت كان من الصحابة وظلّ هذا الظلم سارياً فيهم إلى يوم القيامة، فكلّ ظلم جرى عليهم بعد ذاك الأول فهو من سنتهم وسنة الشيخين لعنهما الله.

وصفة القول: خرج في اليوم الخامس عشر عبدالله بن بديل وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مع أصحابهما والحفاظ بإذن أمير المؤمنين عليه السلام فكسروا جفون سيوفهم واستشهدوا بأجمعهم في ذلك اليوم، فلمّا رأى معاوية عبدالله بن بديل قال: من قتل هذا فله عندي ما أحبّ من أموالى أحكمه فيها ياخذ منها ما شاء، فقال قاسم بن مسعدة: إن جئت بك برأسه تعطيني ولاية مكّة؟ فقال معاوية: نعم هي لك، فخرج ذلك اللعين إليه، وقال عليّ عليه السلام لملك الأشتر: صر إلى جانب عبدالله وكن رداء له حتّى إذا احتاج إليك أعنته، وأرسل عبدالله في أول حملة القاسم بن مسعدة إلى نار جهنّم، وخرج سهل بن عبيدالله وكان نديماً لمعاوية لعنه الله فقتله عبدالله بن بديل، وصاح بهم معاوية: احملوا عليه من كلّ جانب، واقتدى به عبيدالله بن زياد في حربه لمسلم بن عقيل عليه السلام وكذلك عمر بن سعد الذي نادى بالإحاطة بالحسين عليه السلام.

ولمّا رأى مالك تفاقم الوضع حمل حملته فثارت غبرة عظيمة سدّت الأفق واطلمّ الهواء من العثير، وكسى التراب الرايات ولم يسمع إلّا وقع السيوف على الهام وعلى الدرق والأسلحة، وجرح عبدالله، فقال معاوية: ارموه بالحجارة،

❦ للشوكاني ٧: ١٩٨، شرح أصول الكافي ١٢: ٣٨، مستدرک الوسائل ٢: ٢٢٩، المسترشد: ٥١١، الفصول المختارة: ١٣٦، الاختصاص: ٢١٥، منية المرید للشهيد الثاني، بحار الأنوار ٢: ٢٤، مسند أحمد ٤: ٣٥٧، صحيح مسلم ٢: ٨٧ وتركنا أكثر الكتب.

وكانت هذه السنة لعمر بن سعد مع الحسين عليه السلام، ولم يرضه هذا حتى فرّق بين رأسه وبدنه، وأوطأ صدره الشريف الخيل ^(١) وأهدوا رأسه إلى الشام وكلّ ما جنوه سببه معاوية ^(٢).

وصفوة القول: ولما قُتل عبدالله بن بديل تمّنى أن يلحق به الأشعث الكندي ومالكاً الأشر، وكان في كلّ يوم يتحدث عن كفر وبغي صحابة الرسول وهذه هي حاله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ^(٣) وهذا الجحد نابع من ظلمهم وتكبرهم.

قال صاحب الكشاف: سرق طعيمة بن الأهرق من أولاد بني ظفر درعاً من جاره قتادة بن النعمان وخبأه في عنبر الدقيق ثمّ سربه إلى اليهود سرّاً وقبضوا على طعيمة واتهموه بالدرع فأقسم بالله أنّ الدرع ليس عنده ولم يكن قد سرقه، ورفعت عنه التهمة ليمينه التي أداها، من ثمّ أطلقوا سراحه، وذهبوا إلى بيت اليهوديّ فوجدوا الدرع عنده، فساقوه إلى النبي صلى الله عليه وآله فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَخْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ^(٤) وشهد اليهود عند رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ هذا الدرع خبأه طعيمة عند صاحبنا ولم يسرقه من أحد، فلم يقبلوا قوله، وخلاصة الحديث أنّ معاوية في كلّ يوم يعيب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويبهتهم.

روى زين الأئمة إسماعيل البراري بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: ستّاق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، ويوسف بن حبيب

(١) وهنا لا خيار لي إلا لعنهم وعلى رأسهم ملهمهم ومعلمهم عمر بن الخطّاب لعنه الله.

(٢) ومعاوية صنعة ابن الخطّاب لعنهما الله.

(٣) النمل: ١٤.

(٤) النساء: ١١٢.

النجار، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم^(١).

قال أنس: قال رسول الله ﷺ: ما من أحد أفضل من إمام إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن استرحم رحم. قال المأموني: وهذه الخصال اجتمعت في علي عليه السلام.

الفصل العاشر

في إظهار إسلام معاوية

شهر معاوية لعنه الله إسلامه يوم فتح مكة. وقال بعضهم: كان ذلك قبل فتح مكة، وإن صحّ ذلك فينبغي أن يكون قد ارتدّ بعده لأنّه من المجمع عليه أن المهاجرين والأنصار كانوا يخاطبونه بالطلاق، ولم ينكر عليهم.

أما كيف أطلق عليه هذا اللفظ فإنّ صاحب الفتوح ذكر أنّ ابن عباس كتب إليه جواباً عن كتابه وفيه: أمّا أنت يا معاوية فطلق بن طليق رأس الأحزاب، ابن آكلة الأكباد.

دخل أبو هريرة وأبو الدرداء على معاوية كما ذكر ذلك صاحب الفتوح، فذكرا مناقبه من السبق إلى الإسلام وغيرها، وقالوا: أنت طليق ابن طليق وأبوك من الأحزاب، فقال: بلى صدقتهما ولكن لا أطلب الخلافة بل أطلب بدم عثمان^(٢).

(١) الكافي ٢: ٢٥٤، وفي السياقين اختلاف، و٣: ٣٢٧، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٩٠، مدينة المعاجز ٦: ١١٠، بحار الأنوار ١٣: ٥٨ وسياقه سياق المؤلف، و٦٤: ٢٠٥، مناقب الشيرازي: ٤٣، مستدرک سفينة البحار ١: ٥٠٩ و٤: ٤٠٥، ألف حديث في المؤمن: ٤٢، الصافي ٤: ٢٥١، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٨٣، تفسير الميزان ١٧: ٨٣، قصص الأنبياء: ٤٦٥.

(٢) أقول: كيف يقول أبو هريرة هذا لمعاوية وهو من أنصاره وعشاق مضيرته، ومن شأنني أمير المؤمنين وناصبي لعين، ويطيب للرواة دائماً أن يحشروهما معاً أبو الدرداء وأبو هريرة، فما هو السبب؟

قال حسام الدين وأبو القاسم ابن أحمد المؤذني: قال الحسن: سمعت النبي يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء، وإذا رأيتم أحداً منهم على منبري فابقروا بطنه^(١).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لعمر بن العاص لما رمى بنفسه وكشف سوئته: أنت طليق دبرك أيام عمرك^(٢).

والمهاجر كل من أسلم قبل الفتح، والأنصاري كذلك، والطلاق أولئك الذين ساقهم رسول الله يوم فتح مكة لقتلهم وهم ألف وخمسمائة مابين رجل وامرأة، ثم عفى عنهم وأطلقهم ولم يقتلهم، من ثم يدعون الطلقاء، وكان الفتح سلخ شهر رمضان، وتوفي النبي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة، وكان معاوية قد قضى أكثر أوقاته في مكة بعد الفتح، فتى وجد الأهلية للخلافة؟ وأين وجدها بل متى كتب الوحي للنبي ﷺ؟!

وذكر أصحاب المغازي أن النبي ﷺ كان يريد مكة فقال وهو سائر: سيوافينا معاوية رسلاً من أهل مكة بطلب الأمان، فبينما هم كذلك والنبي يحذّثهم إذ طلعت عليهم كوكبة وفيها أبو سفيان، فهرع نحوه الأصحاب فصاح: يا محمد، إني مقتول، مرهم ليوصلوني للعبّاس، وكان العبّاس وكيله في الجاهلية، فأشار النبي إلى أصحابه أن خذوه للعبّاس، فاستقبله العبّاس وعرض عليه الإسلام فلم يرض، وعرض عليه النبي ﷺ الإسلام وقال: أما آن لك يا أبا سفيان أن تسلم؟ فقال: أمهلني أربعة أشهر، وقال بعضهم: إنه أسلم ساعتها.

(١) كلمات الإمام الحسين: ٢٨٥ وفيه: إذا رأيتم معاوية، الحديث. حياة الإمام الحسين للقرشي: ٢.

٢٧٥، وكل الأحاديث المروية تذكر آل أبي سفيان وليس الطلقاء إلا هذان المصدران.

(٢) الغدير ٢: ١٦١، المناقب للموفق الخوارزمي: ٢٣٦.

وصفوة القول: فلما أصبح الصباح أذن المؤذن فهب المسلمون للوضوء، فخاف أبو سفيان ﴿يَخْسَبُونَ كُلَّ صَنِيعَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعُدُو﴾^(١) فقال للعبّاس: وما يصنع هؤلاء؟ فقال له العبّاس: إنهم يتطهّرون للصلاة، فقال أبو سفيان: إنهم يطيعون كلّ ما يقوله محمّد. فقال العبّاس ﷺ: نعم، فقال أبو سفيان: إذا نهاهم عن الأكل والشرب؟ فقال: نعم يتركونها ويفعلون ما يؤمرون. ثمّ قال: يا أبا سفيان، إنّي لأراهم سيهلكون قومك غداً.

فلما أصبح الصباح جاء به العبّاس إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أترك اللات والعزّى، فقال: ما أصنع بهما إن تركتهما؟ فقال أحد الصحابة وكان حاضراً: تحروا عليه، فلما ركب الجيش أُرِدِف العبّاس أبا سفيان خلفه فرّرت عليه الكتائب كتيبة كتيبة إلى أن رأى راية رسول الله والسواد الأعظم، فقال: ما هذا السواد؟ فقال العبّاس: هذه كتائب ابن أخي، فقال أبو سفيان: ما أعظم ملك ابن أخيك! فقال: ليس هو بملك ولكنّه النبوة.

وصفوة القول: إنّ النبيّ لما أمر مناهيه فنادى: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فلما سمعت هند قالت: والله لحري أوسع من دار أبي سفيان. وجاء أبو سفيان إلى مكّة وصاح: اسلموا تسلموا، وقالت هند: هذا قول من صبا فجرته، وقيل: قبضت عليه من لحيته وجرّته من ثيابه ورأسه وقالت: صبوت؟ وأنكر عليه معاوية ذلك وحدث تغيير كبير في الإسلام.

قيل: وفرّ معاوية ذلك اليوم ولما عاد النبي ﷺ إلى المدينة كتب معاوية كتاباً إلى العبّاس أن يأخذ له الأمان من رسول الله ﷺ، ففعل العبّاس وجاء معاوية حتّى دخل على النبيّ وبقي النبيّ حيّاً من بعد ذلك ستّة أشهر.

قيل : إنّ معاوية استشار يزيد في البيعة لأُمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له :

معاوي إنّ الشام شامك فاحترس وإياك أن تدخل عليك الأفاعيا

وحام علينا بالصوارم والقنا ولا تك مقصور الذراعين وانيا

وإنّ عليّاً ناظر ما تحجيه فاهد لنا حرباً تشيب النواصيا^(١)

وكان مالك بن خالد القرشي حاضراً ، فقال : يا معاوي ، إنّك من أهل مكّة وابنك شرّ منك ، يا معاوية إنّ أباك قد أسلم وهو كاره ، وإن كنت نسيت ذلك فإني أذكرك حين ذهبت تلومه وتقرعه على الإسلام وتعيّره بهذه الأبيات :

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

خالي وجدّي وعمّ الأمّ بالهم قتلى وحنظلة المهدي لنا الأرقا

لا تـركنن إلى أمر تكلفنا والراقصات به من مكّة الخرقا

فالموت أيسر من قول العصاة لنا خيل ابن هند عن العزى كذا^(٢) فرقا^(٣)

قال معاوية : يا عجباً منكما أكرمكما وأموالكما وأنتم على عداوتكما إيتاي وبغضكما ، وأورده بلفظ التشنية والخطاب لمالك بن خالد على عادة العرب في إجراء الواحد مجرى التشنية عند استعظام الشيء .

قال أبو سفيان ذات يوم وهو مختل بهند : العجب من الله حين أنزل القرآن على

(١) الشعر للوليد بن عقبة أخي عثمان من أمّه ، كتبه إلى معاوية ومنه :

وإلا فاسلم إنّ في السلم راحة لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا

الغدِير : ١ : ٣١٧ ، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٨٤ ، تاريخ دمشق ٥٩ : ١٣١ و ١٣٢ ، سير أعلام النبلاء ٣ :

١٤٠ ، أنساب الأشراف : ٢٨٩ ، البداية والنهاية ٨ : ١٣٧ ، وقعة صفّين لنصر بن مزاحم : ٥٢ .

(٢) لنا .

(٣) التعجّب : ٣٨ ، الغدير ١٠ : ١٦٨ و ١٦٩ ، شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢٨٩ ، النزاع والتخاصم

للمقريري : ٢٢ ، جواهر المطالب في مناقب عليّ بن طالب لابن الدمشقي ٢ : ٢٢٣ .

يتيم أبي طالب ولم ينزله عليّ أنا أو على عبدالله بن سلول المدني . ولما دخل على النبي في اليوم الثالث قرأ عليه النبي هذه الآية : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (١).

وجاء في كتاب الحماوية : ولما بايع الناس عثمان قال أبو سفيان : قد عاد ملكنا فخرجوا أن يعود ديننا ، وكان الملعون يتمنى عودة الشرك .

يقول مصنف الكتاب : إن الشرك لم يعد ولكنهم انتقموا له وأخذوا بثأره ، كما قتل النبي من المشركين وأخافهم ورؤّعهم فأظهروا الإسلام رهبة قاموا بعد وفاة النبي بأخذ الثأر منه للشرك فأخذوا نحلة ابنته وعزلوا وصيه عن خلافته المنصوص عليها وإمامته الموروثة ومنعوا ثياب الإسلام وحمل شعار النبي على الرأس ودفنوا أصول الدين بنفاقهم ، وغيروا معالم الدين وبدّلوها .

في كتاب «الإنسي في قتل آل النبي» أورد المأموني أن النبي ﷺ لعن معاوية في سبعة مواطن وردّها الإمام الحسن عليه في بعض محاوراته معه كما رواها حسام الدين القاسم من علماء أهل السنة .

الموطن الأوّل : يوم خرج من المدينة ويوم عسير ، ويوم الأحد ، ويوم الأحزاب ، ويوم منع الهدى أن يبلغ محله ، ويوم غطفان ، ويوم العقبة إذ همّ بالمرور إلى يثرب مع اثني عشر رجلاً ولم ينكر معاوية ما قاله .

خرج عبيدالله بن عمر يوم صفين يطلب المبارزة فخرج إليه الحسن ، فقال : يا بن رسول الله ، خالف أباك نولك هذا الأمر فأنت خير منه ، فقال الحسن عليه : لا تكفر بالله ورسوله فإن النبي ﷺ قال حيث مدحنا : «أبوها خير منها» وأمّا

معاوية وأبوه فلم يسلمها لكتّهما استسلما، وأنه خدعك عن دينك^(١)، فضحك عبيدالله وعاد إلى معاوية وقال: خدعت الحسن فلم ينخدع، وهذا الكلام يدل على أنّ التقدّم على عليّ كفر.

وقال رسول الله ﷺ: يا علي، لا يتقدّمك بعدي إلا كافر.

قال مصنّف الكتاب: والعجب من مؤلّف الحاشية المأموني وغيره حيث يروون هذا الحديث ومع ذلك يرون شيوخهم الذين تقدّموا على عليّ مصيبين، مع أنّ الإطلاق ظاهر الحديث.

الفصل الحادي عشر

ولما هلك يزيد لعنه الله وذهب إلى جهنّم ساءت مستقرّاً ومقاماً، انتقل الأمر إلى ولده معاوية، وكان وليّ عهد يزيد ولكنّه أعلن البرائة منه فرقى المنبر ولعن يزيد أباه ومعاوية جدّه، فقالت له أمّه: يا بنيّ، ليتك كنت حيضة في خرقة، فقال: وددت ذلك، وحكم أربعين يوماً ثمّ قضوا عليه بالسّم وقتلوا معلّمه بدفنه حيّاً. ذكر يوماً عند معاوية شجاعة عليّ والأشتر، فقال معاوية: فامتنا واحد إلا وهو واتر له، فإذا اجتمعتم عليه فعسى أن تدرکوا ثأركم منه، وشفيتم صدوركم، فأنكر عليه الوليد بن عقبة وقال: تقدّم الشيخين عليه، كان انتقاماً من الله ورسوله لواقعة بدر وحنين.

(١) سبق وأن ذكرها المؤلّف للحسين عليه السلام.

الفصل الثاني عشر

في خطبة ضرورة معاوية^(١)

يقول المأموني السنيّ في كتابه «الحاوية» بأسانيد صحيحة أنّ معاوية خطب يوم الجمعة فأفلتت منه ريح عاصفة، فبان الانكساف في وجوه الحاضرين وسببه أنّ صلف معاوية حمله على عمل هذا الفعل القبيح على منبر رسول الله ﷺ^(٢) فقطع هذا الوكح الخطبة وقال: الحمد لله الذي خلق أبداننا وأسكنها أرواحنا، وجعل فيها رياحاً وجعل خروجها للنفس راحةً، فربّما اختلجت في غير أوانها وانقلبت في غير وقتها فلا جناح على من جاء منه ذلك، والسلام.

فقام صعصعة بن صوحان العبدي وقال: صدقت يا معاوية، إنّ الله خلق أبداننا وأسكنها أرواحنا وجعل فيها رياحاً وجعل خروجها للنفس راحة، ولكن جعل إرسالها في الكيف راحة وعلى منبر رسول الله بدعة (وقباحة) ثمّ قال: يا أهل الشام، قوموا فقد خراً (أحدث) أميركم فلا صلاة لكم^(٣) ثمّ خرج وتوجّه إلى المدينة.

(١) بيّنت للقارئ الكريم أنّي أذكر العناوين التي وضعها المؤلف على ما هي عليه بدون أدنى تغيير لوضعها بالعربيّة وأنا أنترجم الكتاب من الفارسيّة إلى العربيّة فإلى أيّة لغة أنترجم العربيّة هذا وإن خالفت القواعد أو اللياقة.

(٢) لا شك أنّ الرجل اقتدى بأستاذه في الظلم وبغض أهل البيت والغشم والغصب والضراط عمر بن الخطّاب لعنة الله فقد كان يفعلها على منبر رسول الله ﷺ.

(٣) شجرة طوبى ١: ٩٥، مواقف الشيعة ٣: ٢٥٧.

الفصل الثالث عشر

جلي^(١)

في اشتقاق اسمه

قيل: اختلف شيعي وسني في عليّ ومعاوية، فحكموا أعرابياً، فقال الأعرابي: أنا لا أعرف أيّاً منها ولكن من حيث الاشتقاق فعواوية مشتق من «عوى الكلب عواءاً»، ومعاوية يقال لأنثى الكلاب التي تعاوي غيرها، واشتقاق عليّ من «علا يعلو علواً فهو عال، وعليّ فها هنا كريم عال وثمة كلب، وعمته حمالة الحطب وهي أمّ جميل بنت الحرب أخت أبي سفيان وزوجها أبو لهب، والشجرة الملعونة في القرآن معاوية وسائر بني أميّة.

في بيان مذهب معاوية

اعلم بأنّ واضع عقيدة الجبر معاوية.

في المصاييح عن عبيدة بن الجراح عن الرسول ﷺ: لا يزال أمراء أمّتي قائمين بالقسط حتّى يكون أوّل من ثلمه رجل من بني أميّة.

وقال أبو عليّ: أوّل من وضع الجبر معاوية بن أبي سفيان. يقول:

وجدنا معاوية بن البغي أكذب قولاً من الفاختة

لقد أحدث الجبر في ديننا وأحيا به البدع المائتة

متى ما أتى ما يزور الحجيج أتينا به بالحجج الثابتة

(١) هكذا هي مسطورة في العنوان ولم أرد حذفها وأحسبها مشتقة من الجلاء وأضعها بيد القارئ ليحتال لفهمها.

وَأَذَى النَّبِيِّ وَسَبَّ الْوَصِيِّ وَسَمَّ ابْنَ فَاطِمَةَ الْقَانِئَةَ
لِذَلِكَ يَلْعَنُهُ اللَّاعِنُونَ وَأَنْكَرَ لِعَنْتِهِ الثَّابِتَةَ

الفصل الرابع عشر

الجلي

في وفات معاوية

في آخر مرض مرضه حيث انتقل إلى دار البوار وجهنم القرار خطب هذه الخطبة: أيها الناس، إن من زرع قد استحصد، وإني وليتكم يزيد ولن يليكم أحد بعدي ألا وهو شر مني كما كان من قبلي خير مني، وذكر أوضاعه وأوصى بوصاياه وأخذ البيعة ليزيد الكافر من أهل العراق والحجاز والشام، وقال: ولن أقدر على ابن العاص في أخذ البيعة منه - قال هذا ليزيد - فإذا فرغت من جهازي فأخبره بأن أبي أمر أن تنزله حفرة فإذا وضعني في القبر فجرّد السيف عليه وخوفه بالقتل حتى يبايع^(١).

ولما نزل عمرو بن العاص في حفرة معاوية ليودعه لحده سلّ يزيد سيفه وقال: بايع وإلا ضربت عنقك وأدفنك مع أبي في حفرة واحدة، وكما أوصى معاوية يزيد بهذه الطريقة حمّله على البيعة، فركل عمرو معاوية برجله مرّة أو مرّتين وقال: أقسم بالله بأنّ هذا النغل لا يهتدي إلى هذه الطريقة لولا ما علّمته «هذا أيضاً مكرك عشت لعيناً ومثّ لعيناً سحر الله لك نار جهنم».

(١) كانت وفاة عمرو بن العاص قد سبقت هذا التاريخ بوقت طويل حيث توفي بعد صفين بستين ولهذا يظهر أنّ الحكاية موضوعة وكنت أسمعها تتردّد على الألسن ولا أعرف مصدرها حتى عثرت عليها هنا.

وصعد يزيد المنبر بعد دفنه أباه وقال^(١): إِنَّ أَبِي أَوْصَانِي أَنْ أَحْذَرَ مَنْ آلَ أَبِي تَرَابٍ .

وقال معاوية ليزيد: يا يزيد، لا تقتل حسيناً، لأنّ قتله خطيئة ولكن لتشنيع أهل العراق عليك ولكن احبسه حتّى يموت في الحبس وهذا دليل على أنّ معاوية مات على الكفر .

ودعا معاوية خطباء الشام ومؤذنيها وقال لهم: العنوا عليّاً بعد كلّ أذان وخطبة ليكون ذلك سنّة في الناس، ورفع عمر بن عبدالعزيز بعد أن كان سائداً، وقال عامّة الناس يومذاك غيرت السنّة وبدلت السنّة .

يقول صاحب كتاب الفردوس: أوّل من يختصم يوم القيامة بين يدي الله عليّ مع معاوية^(٢) كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(٣) .

الفصل الخامس عشر

في سَمِّ معاوية الحسن عليه السلام

ولمّا انتقل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الرفيق الأعلى صعد الإمام الحسن عليه السلام المنبر وقال: قبض البارحة رجل لم يفتر من ذكر الله طرفة عين، لم يسبقه السابقون ولم يلحق به اللاحقون، وكان والرسول حيّ طوع أمره ونهيه، واستقام الإسلام بجهاده، وكان النبيّ إذا أرسله على رأس جيش يكون جبرئيل عن يمينه وميكائيل

(١) من المعلوم بأنّ يزيد لم يكن حاضراً في دمشق مهلك أبيه وتولّى جهازه الضحّاك بن قيس وصعد المنبر وأكفان معاوية على ذراعه وهنا ينبغي أن ينظر إلى روايات المؤلّف بحذر شديد .

(٢) طبقات المحدثين باصفهان ٢: ٣٠١: أوّل من يختصم من هذه الأُمّة بين يدي الله عليّ ومعاوية .. الخ .

(٣) الزمر: ٣١ .

عن يساره ، ونصر الله تعالى بين يديه ، ولم ينهزم بحرب قط ، ومات في ليلة فيها رفع عيسى بن مريم ، وتوفي يوشع بن نون ، ولم يترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم اقتطعها من عطائه وأمرني أن أشتري بها خادمة لأهله ، ثم اختنق بعبيرته فأبكي من حضر وقال :

أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، ابن الداعي بإذنه ، أنا ابن السراج المنير ، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم فقال عز من قائل : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(١) والحسنة مودتنا أهل البيت .

ثم قام عبدالله بن عباس وقال : أيها الناس ، هذا ابن رسول الله ووصي إمامكم فبايعوه ، فبايعه الناس ، وأقبل عليه الحاضرون ورضوا بقتال عدوه معه ، فاجتمع حوله خمسون ألف رجل .

ولما بلغ معاوية نبأ شهادة الإمام عليه السلام شمت به وبشّر الناس بذلك ، ثم أرسل رجلين لاغتيال الإمام الحسن ، أحدهما : من قيس ، والآخر من حمير ، فانكشف أمرهما فقبض عليهما وقتلا في الحال .

فأقبل معاوية يريد العراق فاستقبله الحسن عليه السلام وقدم أمامه عبيدالله بن العباس وقال عن طريق المعجزة : فإن جرى له أمر فأمر الناس قيس بن سعد . فأغوى معاوية عبيدالله بالمال فلما جنّ عليه الليل تحمّل إلى معاوية مع خاصّته ، فكتب قيس إلى الإمام الحسن فوراً يعلمه بواقع الحال ، وكتب رؤساء الجيش وأمراء الولاية إلى معاوية كتاباً : إن شئت أوثقنا الحسن كتافاً وأرسلناه إليك ، وإن شئت بعثنا إليك برأسه ، فجمع معاوية الكتب وبعث بها إلى الحسن ، وقال له : أهبذا

الجيش تحاربي، وأقبل الإمام الحسن إلى ساباط وخطب الناس في اليوم الثاني من نزوله بها فقال:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بالحق، وأمينه على الوحي، أما بعد، فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّته، وأنا أنصلح خلق الله بخلق الله بخلق الله وما أصبحت متحملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة (ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبون في الفرقة) ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة الرضا^(١).

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنّه والله يريد الصلح مع معاوية ويسلم الأمر إليه فشدّوا على فسطاطه فانتهبوه حتّى أخذوا مصلاه من تحته، ونزعوا مطرفه من عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بلا رداء.

وركب الحسن وقال: مروا ربيعة وهمدان أن يسكتوا هؤلاء الغوغاء وكانت هاتان القبيلتان من أوليائه، ولما بلغ ساباط وقد خيم الظلام عمد رجل ويدعى جرّاح بن سنان لعنه الله وضرب الإمام ﷺ بمغول بيده في فخذه حتّى بلغ العظم ورمى بنفسه عليه ليغتاله وأحرق به جماعة من المؤمنين فضربه عبدالله بن حنظلة بالسيف حتّى برد.

وحمل الإمام الحسن ﷺ بمحقّة إلى المدائن، ونزل في بيت سعيد بن مسعود الثقيّ وتفاقم الوضع في معسكر الإمام الحسن ﷺ وتواتر الكتب من قادة عسكره على

(١) مقاتل الطالبين: ٤١، الإرشاد: ١١، مناقب ابن شهر آشوب: ٣: ١٩٥، بحار الأنوار: ٤٤: ٤٧، شرح ابن أبي الحديد: ١٦: ٤٠، الأخبار الطوال: ٢١٦.

معاوية يوماً بعد يوم ليأذن لهم بقتل الحسن عليه السلام أو بأسره أو إرساله إليه ، وطلبوا حلوله في العراق ، وأقبل معاوية إلى العراق وكتب بينه وبين الإمام الحسن عهداً أن لا يسبّ عليّاً وأصون مواليه ، ولا أخيف شيعتكم شريطة أن تقبّع في زاوية وكتب في هذه الوثيقة أن لا يعهد في الأمر إلى يزيد من بعده .

وخرج الإمام الحسن إلى المدينة ومنع مروان من الخطبة ، فذهب مروان إلى الشام وحرّض معاوية على قتل الحسن عليه السلام ، فقال له معاوية : اذهب وافعل ما تراه ممكناً ، فأقبل مروان إلى المدينة وجائته ذات يوم وهو في بيته جارية عبيد الله بن عمر وكانت مشاطة تتردّد على بيوت الأعيان لتزيّن نسائهم ، وكان محمّد بن الحنفية قد قتل سيدها عبيد الله بن عمر في حرب صفين وسأها عن حالها ثم قال : إنّ عندي سرّاً إن عاهدتيني على كتمانها أفضيت به إليك ، فأقسمت له يميناً غموساً أنّها تكتّم السرّ إذا كان الأمر كذلك ، فينبغي أن توعزي إلى جعدة بنت الأشعث أن تدسّ السمّ إلى الحسن ، وهي زوجته وبإمكانه ان تفعل .

فذهبت تلکم اللعينة إلى جعدة وطلبت منها ذلك وقالت لها : إنّ معاوية يريد أن ينكحك ابنه يزيد ويعطيك ملك العرب ، فوافقتها على ذلك فأرسل مروان مملوكه إلى معاوية وأخبره برضا جعدة بسمّ الحسن عليه السلام ، فدفع لها معاوية ألف دينار وكتب إلى مروان أن يتمّ القضية ، فأرسلت جعدة تطلب السمّ ، فأرسل مروان ولده عبد الملك إلى معاوية ليأتي بالسمّ ، وجاء معه هدايا كثيرة إلى جعدة مع خاتم يحمل شعار الملك .

وكان الإمام الحسن يستطيب العسل الأبيض ، فلما جاء إلى البيت كانت اللعينة قد وضعت ذلك السمّ في العسل وقدمته للإمام الحسن عليه السلام وحضر عنده محمّد بن الحنفية فنهاه الإمام عن شرب العسل وقال : إنّ لا يلائم حرّ مكّة وأنت قادم منها وقد أثر فيك حرّها ، وحضر الحسين فأرسلت اللعينة عسلاً آخر إضافة على

الأول بدون سَمٍّ للحسين عليه السلام، ثم شرب الإمام الحسن العسل المسموم ولما جنَّ على الإمام الحسن الليل شعر بآلام السمِّ، فقاء كثيراً فسقوه لبناً قد غلي وفي اليوم الثاني ألمه السمِّ فصنعوا له شراباً من العسل فوضعت جعدة في العسل سماً آخر فلما شرب الإمام شراب العسل ازداد الألم في أحشائه فقام من مكانه إلى قبر رسول الله ﷺ وحمل من تراب قبر النبي ذرةً وأمر أن تذوّب في شرابه ويسقاها، فسكن الألم عنده أربعين يوماً.

وجاءوا للإمام الحسن بطعام من بيت الحسين، وقالت جعدة ذات يوم: أتخفونا برطب من حائطنا أتأذن أن أجيئك بشيء منه، فقال الحسن عليه السلام: افعلي، فأقبلت بالطبق وسمّت جانباً وتركت جانباً آخر، ووضعت الجانب المسموم قبالة الإمام الحسن، فاكل الإمام من الطبق رطيبات مسمومة فازداد ألم السمِّ، فقالت جعدة: كان الرطب في الطبق وهو مكشوف لعلّ أفعى أو عقرباً سمّت الرطب، فأبهمت الأمر على الإمام الحسن عليه السلام وغابت عن البيت أربعين يوماً وكان طبيب نصرانيّ يعالجه، فقال ذات يوم: الهواء هنا لا يطاق وينبغي عليّ أن أذهب إلى الموصل.

وكتب مروان إلى معاوية أنّ الحسن سُمّ مرّات فما أثر السمّ فيه فلا تغفل عنه، فاستدعى معاوية واحداً من أهل التصوّف أعمى، وأعطاه مالاً عدداً من الدنانير وأعطاه عصي فيها زجّ مسموم، فجاء الإمام الحسن وأظهر محبّته وكان لا يفارق الإمام عليه السلام، وعزم يوماً على زيارة الإمام الحسن كما هي عادة المتصوّفة حيث يقبلون يد الشيخ، فتقدّم إلى الإمام بحجّة تقبيل يده فوقع الزجّ على قدمه واتكأ عليه بكلّ قوّته، فأراد الناس قتل الصوفيّ ومنعهم الحسن عليه السلام فخرج من هناك وركب إلى دمشق فأمر عبدالله بضرب عنقه في الطريق.

وكان رجل يدعى إسماعيل يخدم الإمام الحسن فأعطاه يوماً بطيخاً قد أعدّه للأكل بسكين مسموم وأطعم منه الإمام الحسن عليه السلام وان يقطع لنفسه بسكين

أخرى غير مسمومة، فأحسّ الإمام بالمرارة وعلم بذلك فأراد الناس البطش بإسماعيل فتنعهم الحسن عليه السلام منه، وقال: إسماعيل خدمنا وختمها بذهابه إلى النار. وكان سعد مولى أمير المؤمنين في الشام، ولما عاد رأى في موضع من الطريق شخصاً قتيلاً وجلاً نافقاً، وأمام القتيل آثار البطيخ مطروحاً، فترجّل إلى الأرض ورأى في تلك الرسالة ما كتبه معاوية إلى إسماعيل ومعها زجاجة السمّ التي أرسلها معها، ولما وصل سعد إلى المدينة رأى الإمام الحسن عليه السلام عليلًا فبكى وأعطى الكتاب إلى الإمام الحسن عليه السلام فقرأه وخبأها تحت جناحه.

ولم توات الفرصة مسعوداً الثقيّ ولا المختار ليتحدّثوا مع الإمام الحسن عليه السلام فأشاروا إلى عبدالله بن عبّاس فتعجّل عبدالله وأخذ الكتاب ودفعه إلى مسعود، فقال: نحن مع العدو ليلنا ونهارنا ولا نعلم بخبره، فرام المختار قتل إسماعيل فقال له الإمام الحسن عليه السلام: كلّاً فأنت رجل ثائر وقتله يهيج العامة ولكن ليذهب عون ويحضر لنا إسماعيل، فذهب عون وأقبل بإسماعيل، فقال الحسن عليه السلام: يا إسماعيل، من هم آل يس في هذه الأمة؟ فقال: عليّ وفاطمة وأنت وأخوك الحسين، فأعطاه الحسن كتاب معاوية، فنهض المختار وضرب عنق ذلك اللعين ونهب متاعه وقتل ولده، عند ذلك غادر الإمام الحسن ذلك المكان إلى الكوفة وزار قبر والده وعاد إلى المدينة.

وأعاد معاوية الكرّة فأرسل السمّ ثانيه إلى مروان مع مسحوق من ألماس، فبعث مروان به وبالسمّ إلى جعدة مع هدايا وعهود ومواثيق جديدة، فأصلحت جعدة من نفسها وأقبلت إلى الإمام الحسن عليه السلام وقالت في نفسها: إن بصرى أحد فأنا ذاهبة إلى زوجي، وإلاّ فسوف أعمل ما أريد، ووضعت اللعينة سلماً وارتقت إلى سطح الدار فرأت القوم نياماً، ورأت الكوز الذي يشرب منه الحسن مغطئاً، فوضعت مسحوق ألماس في الكوز ومسحت يدها به ونزلت من أعلى الدار

وخبأت السِّلَم، ولَمَّا استيقظ الإمام وجد الكوز على حاله وكان محتاطاً من غدر جعدة، ولَمَّا شرب جرعات من الماء عاوده الألم بأكثر ممَّا كان، فصاح بأعلى صوته يريد حسيناً عليه السلام، فأوصاه بوصاياه وسلَّمه سلاح رسول الله وأمير المؤمنين التي أودعاه عند الإمام، وحَوَّل إليه الإمامة ومقاليد الشريعة، وقال: أنا أعرف من هو الذي سَمَّني ولكن احذر أن تأخذ بريئاً بدمي وأن تريق من أجلي محجمة دم، وخذني إلى قبر جدِّي بعد تجهيزي، فإن منعوك أن تدفني هناك عنده خذني إلى البقيع عند قبر خالي إبراهيم بن محمد رسول الله ﷺ وجدِّي فاطمة بنت أسد، وأراد الحسين عليه السلام أن يشرب ماءً من ذلك الكوز فانزع الحسن عليه السلام من يده وضرب بها الأرض فتكسَّرت، ولَمَّا انفلق عمود الصبح ترك الوجود الفاني إلى الوجود الباقي، وفارق الدنيا إلى الرفيق الأعلى.

ولَمَّا فرغ الإمام الحسين عليه السلام من تجهيزه ووضعه على السرير، عزم على حمله إلى روضة النبي ﷺ وهنا أحضر مروان من جند الشام الموجودين في المدينة خمسين ألفاً من الرجال وأرسلهم إلى عائشة حتَّى ركبت البغلة وتقدَّمت الجيش وجرت بينها وبين الحسين عليه السلام وعبد الله بن عباس مناظرات حادَّة، فقال لها عبدالله:

تَجَمَّلْت تَبَغَّلْت ولو عشت تَفَتَّلْت لك التُّسع من الثُّمن وفي الكَلِّ تَمَلَّكْت

يوماً على جمل تخرجين لحرب أبيه، ويوماً تخرجين غلى بغل لحرب الولد، وما نلتيه من اسم وشرف هو من عندنا كما قال الله تعالى: ﴿وَقَزَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(١)، فتناولت عائشة القوس من مروان، ورمت الجنازة بسهم، وقالت: لا تُدخلوا بيتي عدوِّي وابن عدوِّي وأبعدوه عني، وفعل الحسين عليه السلام بوصية الحسن فحمله إلى البقيع وقال: لولا وصية سبقت منه لدفتته مع جدِّه وليكن ما يكون، فلجأت تلك

اللعينة جعيدة إلى بيت مروان وحملها إلى الشام، فسأها معاوية عما جرى وقال: أما استحييت أيتها اللعينة من الله ورسوله مما فعلت بسبط رسول الله؟! فأمر بأخذها خارج بيته وقتلها، فخرست الدنيا والآخرة لعنة الله عليها.

الفصل السادس عشر

قتل معاوية عائشة

ولما وصل معاوية إلى مكة لأخذ البيعة ليزيد وقد بايعه أهل العراق وأهل الحجاز، فهدّته عائشة لقتله أخاها محمداً بن أبي بكر وأرسلت له: إنك قتلت أخي وتريد أن تأخذ البيعة لولدك يزيد، وخوفه عمرو بن العاص قائلاً: إن سلّطت عائشة عليك لسانها فستهييج عليك العامة فانظر لنفسك.

فبعث إليها بهدايا عدة بيد أبي هريرة وشرحبيل على دفعات ووعداها بالمصالحة وتولية أخيها عبدالرحمان بن أبي بكر ونظير هذه الوعود وقال: نحب أن تزورنا أم المؤمنين في يوم من الأيام بنفسها وعمد إلى برّ فاحترها وملأها بالنورة ووضع عليها فراشاً غالي الثمن ونصب عليه منبراً ودعاها وقت الصلاة وقال: لأجعلن آلاف الدنانير نثاراً لقدومك، فخرجت عائشة ومعها غلام هنديّ على حمار مصريّ، فبالغ معاوية بإعزازها وإكرامها وأومأ إليها بالجلوس على الكرسيّ، وما أن جلست عليه حتّى انهار بها داخل البئر وأمر معاوية فوراً بقتل المملوك والحمار ورموهما في تلك البئر وساووه بالارض.

اختلف الناس فيما بينهم فمن قائل أنّها ذهبت إلى المدينة، ومن قائل بأنّها ذهبت شطر اليمن، وكان الحسين وحده يعلم واقع الحال وجماعة من أصحاب معاوية،

وأعطى الإمام الحسين ميراثها إلى ذويها^(١).

الفصل السابع عشر

في يزيد اللعين وقتله للحسين ﷺ وأصحابه

ولما هلك معاوية جلس يزيد في عزائه أياماً سبعة وخطب في اليوم السابع ودعا الناس إلى تجديد البيعة ونزل من المنبر وخلع على الأمراء وشاور وزرائه وكتابه في الحسين بن عليّ ﷺ وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وعبدالرحمان بن أبي بكر، فقالوا له: أرسل إلى المدينة لكي يأخذوا البيعة منهم لك وإن يفعلوا فليسلوا برؤوسهم إليك، فكتب يزيد كتاباً إلى الوليد بن عتبة وكان عامله على المدينة، وحين بلغه الكتاب بعث مروان بن الحكم رجلين في طلب الحسين ﷺ فوجدوه وعبدالله بن الزبير في مسجد النبي ﷺ، فقال الحسين ﷺ: أظنّ طاغيتهم قد هلك وبعث ورائنا الوالي لأخذ البيعة ليزيد، ولما عاد عبدالله بن الزبير إلى البيت هرب مع أخيه ابراهيم تحت جنح الظلام إلى مكة فخرج في طلبه في اليوم الثاني ثمانون رجلاً فلم يعثروا له على عين ولا أثر.

وأقبل الحسين ﷺ إلى البيت واصطحب معه إلى ديوان الوالي خمسين رجلاً من أقربائه ومعهم سلاحهم، وقال: كونوا على الباب فإذا جرى عليّ أمر وسمعت صوتي قد علا فاهجموا عليه وخلصوني من بين يديه. فدلف الحسين ﷺ إلى دار الأمير وسلّم، وكان مروان وابن عتبة على السرير وإلى جانبهم قوم وقوف، ولما

(١) لست أدري ما الحاجة إلى نقل هذه الغرائب التي تسيء إلى المذهب وأهله، وكيف التصديق برواية ليس لها سند ولا هي معزوة إلى مصدر حتى بالوجادة، والمؤلف فاضل ورائد للتشيع ولكن له ولع خاص بمثل هذه الروايات المستغربة.

أخذ مكانه من المجلس رمى إليه الأمير كتاب يزيد فقرأه وقال: أمهلوني هذه الليلة لأخذ لأمر أهبتة وغداً يكون الجواب، ونهض الحسين عليه السلام من فوق السرير. وقال مروان للوليد وألح عليه أن لا يترك الحسين يفلت من يديه، وقال: لا تدعه يخرج وإلا تعرضت لعتاب يزيد، وإنك لا تقدر على مثلها منه بعد اليوم حتى تسيل الدماء بينك وبينه. وأقبل يلحوا الأمير وينحي عليه باللائمة ويأمره بالقبض على الحسين عليه السلام، فأمسك الحسين عليه السلام كرسيّاً من الحديد كان مسنداً إلى الجدار ورمى به مروان فهرب مروان إلى داره ووقع الكرسي في الحائط وتخلع الكرسي.

وكانت الواقعة في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، ولما عاد الإمام إلى البيت أعدّ مائتين وخمسين بعيراً للسفر وحمل عليها الأهل والأقارب من بني هاشم من الرجال والنساء ما عدا محمداً بن الحنفية بقي في المدينة، وقال لقيس بن سعد بن عباد: تعقبني ومعك من الرجال مائتان لئلا يخرج أحد في طلبنا، فإن خرج أطبقنا عليه نحن الاثنين أنا وأنت ونقضي عليهم جميعاً^(١).

وقال له أصحابه وأهل بيته: لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير وأخوه إبراهيم، فقال الحسين عليه السلام: أعوذ بالله من أن أذلّ، لا أمشي إلا بالجادة العظمى، خلق المرء للموت. وانطلق من المدينة ووصل إلى مكة سلخ شعبان^(٢)، ولما وقعت عينه على بيوت مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهْتُ بِلِقَاءِ مَدِينِ﴾^(٣) الآية، ولما دخل مكة نزل في

(١) أقول: كيف يكون الطلب بينهما وهو إن خرج وراء الحسين فإنما يخرج بعد لحوق قيس له اللهم إلا أن يترتب به قيس الخروج ثم يتعقبه.

(٢) وهذا لا يصح لأنه إن خرج صبيحة لقائه مع الوليد فهو اليوم السابع والعشرون من رجب والمسافة لا تقتضي هذه المدة وإنما وصل إلى مكة في الخامس من شعبان وهذا هو المؤكد من الرواة.

(٣) القصص: ٢٢.

بطحائها، وثقل قدومه على ابن الزبير لأنَّ أهل مكَّة من بدو وحضر تركوا ابن الزبير وأقبلوا عليه يسألونه عن الحلال والحرام ومناسك الحج، وكان عبدالله بن الزبير يزوره بين الحين والحين.

الفصل الثامن عشر

الجلبي

في أهل الكوفة ودعوتهم للحسين عليه السلام

اجتمع في بيوت القاضي شريح سبعون رئيساً فتعاهدوا بينهم وأقسموا بالأيمان المغلظة أن يمدّوا الحسين عليه السلام بالمال والنفس والنفيس، وكتبوا إليه: ليس علينا إمام وليس لنا جمعة ولا جماعة، وكانت الكتب تردّه أسبوعاً بأسبوع يدعونه إليهم ويوفدون إليه الرسل على التوالي والتواتر حتّى وصل إليه في أيّام معدودة مائة كتاب، ولما تمّت الحجّة للإمام عليه السلام ووعدته الرعيّة بالنصرة وإظهار الحقّ والدعوة وإقامة قواعد الدين، وكان الإمام الحسين عليه السلام في مكّة والمدينة يعيش في أجواء التقية واضطرّه إليها ظروف الخوف المحيطة بجنابه عليه السلام.

ودعا مسلماً بن عقيل عليه السلام وكتب معه كتاباً إلى أهل الكوفة وأوفده إليهم وكان رجلاً أميناً جلدأ ثقة، وفيها: بعثت إليكم مسلماً الأمين الثقة من أهل بيتي، ابن عمي، ليطلعني على أمركم واجتماع ملائكم ويكتب إليّ بذلك، وأنا على أثره إن شاء الله.

فاستأذن مسلم عليه السلام وخرج من طريق المدينة وزار قبر النبي وقبر الحسن صلى الله عليهما وآلهما، وقال: عسى أن لا أعود بعد سفري هذا، وأحيا ليال ثلاثاً بالعبادة في مسجد رسول الله ﷺ ثم ودّع عياله وأخذ دليلاً يدلّه على الطريق،

وتجنّب الطريق العام، فعطشوا في الطريق ومات الدليلان ونجى بحشاشة نفسه إلى أن وصل إلى موضع يقال له: المضيق من بطن الخبت، وكتب من هناك كتاباً إلى الحسين وأرسله مع قيس بن فهر وأعلمه بحاله وما جرى عليه وقال: إني تخوّفت من وجهي هذا واستعفى الحسين ﷺ، وجائه الجواب: لا سبيل إلى ترك ذلك فهذه كتب أهل الكوفة لا تكاد تفارقنا وهي حجة الرعية علينا، وقد تمّت.

فسار مسلم إلى الكوفة ونزل بدار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فاجتمع حوله الرؤساء والأمرء وقاموا بإعزازة وإكرامه، وحملوا كتاب الحسين ﷺ على رؤوسهم وبلغ النعمان بن بشير محييء مسلم وهو في قصر الإمارة عامل على الكوفة من قتل يزيد، وبايع مسلم من أهل الكوفة ثاني يوم من نزوله فيها ثمانية عشر ألفاً على أنهم ينصرون الحسين ويحمونه من العدو، وإن أراد قتلاً قاتلوا معه. وأقبل النعمان بن بشير من قصره وصعد المنبر وشرع بتهديد القوم، وقال: إن جيش الشام على الأعتاب وهو حمل ثقل عليكم، ويزيد هو ولي المسلمين اليوم فأخشى أن ينالكم بأذى، فقال له عبدالله بن الحضرمي: الملك عقيم فاقبض على مسلم واقتله، وكان النعمان حسن السيرة فأبى عليه ذلك، وكتب إلى يزيد كتاباً يعلمه فيه بحال مسلم، فلما قرأ كتابه أسرع إلى نصب عبيدالله بن زياد مكانه، وكان هذا اللعين حاكماً على البصرة، فولّاه يزيد على العراق كلّهُ، فاستخلف عبيدالله أخاه عثمان على البصرة وسار إلى الكوفة ومعه عسكر مجر، ولما وصل الكوفة وصلها ملتماً على عادة العرب في أسفارها، فظنّه الناس الحسين بن عليّ ﷺ فرحبوا به وما مرّ على ملاً إلاّ خفّوا في وجهه قائلين: مرحباً بك يا بن رسول الله، وكان اللعين يردّ عليهم بإشارة السوط، فقال بعضهم: ليست هذه أخلاق الحسين. فلما وصلوا إلى باب القصر حسر عن لثامه وقال: كم تقولون: ابن رسول الله، أنا عبيدالله بن زياد، أمرني يزيد على مصركم هذا ودخل قصر الإمارة ومعه

رؤساء الولايات وقال: سأفعل بكم ما تريدون فعله فيّ، فبايعه الجميع من شدة خوفهم ثمّ خطبهم وقال في خطبته: إنّ يزيد ولّاني على العراق وأمرني بالإحسان إلى المطيع وقطع رأس العاصي وأن أبعثه إليه، ونادى مناديه: من كان في بيته من طلبة يزيد أحد فليوجّه به إلينا وإلاّ أحرقنا داره وقتلناه على بابها ونهبنا ماله.

فانتقل مسلم من بيت المختار إلى بيت هاني بن عروة وهو وإن كان على خوف شديد من عبيد الله ولكن حسن الرأي حمّله على استضافة مسلم ﷺ، ودعا عبيد الله مملوكاً له اسمه معقل وأرسله للتجسّس عليهم ومعرفة أخبار مسلم من شيعته، ولما علم بمسلم في بيت هاني أخبر بذلك عبيد الله فاستدعى هاني وهدّده بأنزال العقاب الشديد به، فخرجت مذحج وراء هاني وهي قبيلته تثير الشغب ولكن القاضي شريح لعنه الله استطاع أن يخمد هذه الفتنة.

وخرج مسلم من دار هاني وقد دار به أربعة آلاف رجل، ولما بلغ باب المسجد تناقص عددهم فلم يبق معه إلاّ خمسمائة رجل وهرب الباقون، وقصد بهم مسلم باب قصر الإمارة ولم يكن معه إلاّ شزيمة قليلون، فخاف عبيد الله وأقبل الكوفيّون يدخلون القصر من درب الرومي، وصعد لعينان منهم على السطح فنادى مناديهما: أيّها الناس، احذروا الأمير يزيد فإنّ جيش الشام على الأبواب، فكان الناس يأتون إخوانهم وأقربائهم ويأخذونهم من الجمع إلى بيوتهم، وكان مسلم رجلاً شجاعاً فلم يثن ذلك من عزمه وبقي يقاتل حتّى غابت الشمس واجتمع حوله الهمج الرعاع من السكك والحارات ثلاثون ألفاً، ولما ذهب إلى المسجد ووقف للصلاة هربوا بأجمعهم إلاّ ثلاثة، فلما هوى إلى سجدة الشكر رفع رأسه فلم يجد هؤلاء الثلاثة فبقي وحيداً فريداً. فخرج من المسجد يتلدد في الطرقات إلى أن وصل إلى باب امرأة مؤمنة من شيعة أهل البيت تُدعى «طوعة» فطلب مسلم منها ماءً، فلما شرب وعادت بالقدر رجعت وإذا مسلم ما يزال على

الباب واقفاً، فقالت: يا رجل، سقيتك ماءً فأذهب راشداً من هنا، فإنّ وقوفك على بابي في هذا الليل يدعو إلى الريبة، ونصحته ثلاث مرّات كلّما دخلت وخرجت، وكان مسلم ساكناً لا يحير جواباً، إلى أن قال لها: أنا غريب في هذا البلد، فهل لك في أجر وثواب تبتيّنني عندك هذه الليلة، فقالت طوعة: من أنت؟ فأخبرها بأمره، فأدخلته طوعة دارها ومهدت له فراشاً وآتته طعاماً، فاعتذر عن الأكل، وطلب ماءً للوضوء وقال: هذه الليلة آخر عمري، وأحيا الليل كلّهُ. وكان لطوعة ولد اسمه بلال من أصحاب عبيد الله بن زياد، فمضى هزيع من الليل حتّى رجع إلى البيت، فلامته طوعة على تأخّره في العودة، وقال: إنّ الأمير وعد بجوائز سنّيّه لمن وجد مسلماً وكنت جاداً في طلبه، وكانت طوعة تكثر من التردّد على مسلم، فاتّهمها بلال في وضعها المريب، فألحّ عليها لتخبره، فامتنعت أولاً، وما زال يلحّ عليها حتّى أخذت عليه العهود الموثّقة والمواثيق المغلّظة أن يكتم سرّها، ثمّ قالت له: أبشرك بأنّ الله تعالى ساق لنا الخير كلّهُ، فهذا مسلم بن عقيل في بيتنا، وقد قسم الله لنا الشرف كلّهُ، فخبأناه في دارنا وسوف نسعد غداً يوم القيامة بشفاعته المصطفى والمرضى وفاطمة الزهراء، وننجو من عذاب النار.

فلما أصبح اللعين خرج مبادراً إلى عبيد الله بن زياد فأمر محمّداً بن الأشعث على سبعين رجلاً وقال له: اذهب وأتني بمسلم، فقصد ابن الأشعث دار المرأة طوعة، فلما سمعت صهيل الخيل وكان مسلم يعبد الله ويدعوه فعجّل في دعائه وأفرغ عليه لامة حربه وقال لها: لقد نلت شفاعته النبيّ ﷺ - يا طوعة - بإحسانك هذا، ولقد سنح لي عمّي أمير المؤمنين هذه الليلة وقال: إنّك قادم علينا غداً.

وبلغ الجيش باب الدار، فخاف مسلم أن يحرقوه عليهم، فأسرّع مبادراً للخروج من الدار، وقتل من الأوباش اثنين وأربعين رجلاً وهرب الباقيون، وكان يدهم عبيد الله بن زياد ساعة بعد ساعة بالخيّل والرجال، وصاح بهم عبيد الله بن

زياد: أما تستحون! تفرّون من واحد وأنتم جماعة! فقال له محمد بن الأشعث: لعلك جهلت سواعد بني هاشم.. ووردت على مسلم جراحات كثيرة، فعجز عن الحرب ولم يسعفه أحد من الناس، فأعطاه ابن الأشعث الأمان وأخذه إلى عبيد الله بن زياد لعنها الله، وقال اللعين: ما بعثتك لتأمنه بل لتأتيني به، ولما أوقفوه بين يديه أعرض عن السلام عليه، فقال عبيد الله لبكر بن حمران الأحمري: اصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه، وكان مسلم يحمد الله ويشني عليه ويصلي على النبي وآله ويتشهد الشهادتين حتى استشهد.

وقتل عبيد الله هاني ابن عروة في نفس اليوم الذي قتل فيه مسلماً، وقتل الرجلين اللذين كانا مع مسلم، وأرسل الرؤوس إلى الشام، وأمر بملاأفواه السكك بالرجال، ومنع الدخول والخروج لئلا يصل الخبر إلى الحسين عليه السلام.

الباب الثامن والعشرون

في خروج الحسين عليه السلام من مكة

وأرسل يزيد لعنه الله إلى رؤساء الحجاز من يأمرهم بطلب الحسين عليه السلام وأرسل إلى حكام مكة للقبض عليه، فكان الحسين عليه السلام خائفاً، فلما أقبل ذوالحجة أحرم بالحج فلما شعر بالطلب أبدل حجّه إلى عمرة مفردة وحلّ من إحرامه وعزم على الفراق، وكان الفرزدق الشاعر من موالي علي عليه السلام وكان حاجاً بأُمّه في ذلك العام، فلما وصل إلى مكة ذهب إلى حضرة الحسين عليه السلام وسأله عن بعض المسائل الأخرى التي تعمّ بها البلوى، وقال: يا بن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟ قال: لو لم أُعجل لأخذت. فقال الفرزدق: فسألني: من أين أنت؟ قلت: رجل من العرب، قال: أخبرني عن الناس خلفك، قال الفرزدق: من الخبير سألت، أصدقك، قال: الصدق أريد، فقال الفرزدق: أمّا القلوب فمعك وأمّا السيوف فمع بني أميّة، فقال الحسين عليه السلام: ما أراك إلّا صادقاً، إنّ الناس عبيد المال وإنّ الدين لعقٌّ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت لهم معائشهم فإذا مُحّصوا للابتلاء قلّ الديّانون^(١). فودّعه

(١) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي: ١٠٢، لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ١٠٢،

الفرزدق وسار بأهله .

وتحوّل الإمام الحسين عليه السلام من منزله ، ولما بلغ «ذات رمل» أرسل عبدالله بن يقطر وقيل قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة ليخبرهم بقدمه عليهم ، ولما بلغ القادسيّة كان الحصين بن غير ومعه الجيش هناك يحرس الطريق ، فقبض عليه وأرسله إلى الكوفة إلى عبيدالله بن زياد ، فقتله عبيدالله بن زياد لعنه الله ، ولم يعلم به الحسين عليه السلام حتّى بلغ زباله ونزل فيها وكان في تلك الليل يحيل الفكر مهنوماً ويقول :

فإن تكن الدنيا تعدّ نفية فقد رثواب الله أعلى وأجزل

وإن تكن الأموال للترك جميعها فما بال متروك به المرء يبخل

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً فقلّة حرص المرء في الكسب أجمل

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ في الله بالسيف أفضل

عليكم سلام الله يا آل أحمد فإني أراني عنكم سوف أرحل

وأخذ ينتقل من منزل إلى منزل ، إلى أن كبر أحد أصحاب الحسين عليه السلام فكبروا معه وكبر الحسين عليه السلام ، وقالوا للأول : ما الذي عرض لك حتّى كبرت ؟ فقال : رأيت نخل الكوفة ، وكان مع الإمام رجлан من بني أسد ، فقال : ما تزال الكوفة بعيدة لا تبصر معالمها وليس هاهنا نخل ، فقال الإمام عليه السلام : دقّقوا النظر باحتياط تامّ ، ففعلوا ، وقال قائلهم : إنّنا نشاهد أسنّه الرماح ، وطلب الإمام الحسين الماء من الأسديّين فأرشداه إليه وسار نحوه ونزل عليه .

وإذا بالحرّ بن يزيد الرياحيّ ومعه ألف فارس ، وكان وقت الصلاة قد دنا ،

➤ الدرجات الرفيعة لابن معصوم : ٥٤٨ ، حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي : ٢٢٥ ، صحيفة الحسين :

فصلّى الإمام صلاتي الظهر والعصر بالفريقين ثمّ وعظهم وقال: أنتم دعوتوني فإذا بدى لكم فإني أعود من حيث أتيت، قال الحرّ: بل أرسلت لقتالك، وأرسلني الحصين بن نمير وأمرني أن لا أفارقك حتّى أضعك بيد ابن زياد، فقال الحسين عليه السلام بطريق المعجز: الموت أقرب إليك من ذلك.

وكلمّا سار الإمام الحسين قطع الحرّ عليه دربه، وكتب الحرّ من هناك كتاباً إلى عبيد الله بن زياد بأنّ الحسين عنده وأنه يقول: إن أباني أهل الكوفة فإني عائد إلى قبر جدّي في المدينة، فكتب إليه الجواب: لا تفارق الحسين وجعجعه به وأنزله في أرض عراء في غير ظلّ وماء، فلمّا وصله الكتاب ناوله الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: دعني أنزل في هذه القرى القريبة من الماء لأنّ معي عيالاً وأطفالاً وهم لا يستطيعون تحمّل مسّ الظماء، فقال: إنّ أمر الأمير معك وقد قرأته، فعاد الحسين عليه السلام ونزل بكرلاء ونزل الحرّ بأزائه.

فلما أصبح الصباح كان يوم الخميس الثاني من المحرم، ووصل رسول عبيد الله ابن زياد إلى الحرّ وقال: شدّد قبضتك على الحسين حتّى يخرج وحين يصلك كتابي فلا تنزله إلّا في أرض جرداء ليس فيها نبات وشجرة في غير ماء ولا كلاء، وإني أمرت رسولي أن لا يفارقك حتّى تعود إليّ وقد نفذت أمري، والسلام.

الفصل الأوّل

في نزول الحسين عليه السلام بكرلاء

ولما نزل كربلاء أتاه عمر بن سعد بأربعة آلاف مقاتل ونزل نينوى، وكان ذلك في سنة إحدى وستين للهجرة، وجمع الرؤساء حوله وأمرهم بمناشدة الحسين عليه السلام عن سبب مجيئه، فلم يرض منهم أحد فعل ذلك، وقالوا: نحن ممّن كاتبه ورضي

بآخره كثير بن عبدالله الشعبي وكان من فتّاكي العرب وكان من ألد أعداء أهل البيت وقال: إن شئت جئتك برأسه، ولما وصل إلى مضارب الإمام عليه السلام استقبله أبو ثامة وقال: أعطني سيفك وادخل على الإمام، فقال: لا ولا كرامة، إنما أنا رسول، فقال: أقبض على سيفك وتتكلم أنت؟ فقال: لا ولا هذه، فعاد اللعين من حيث أتى، فأرسل عمر قرّة بن قيس الحنظليّ إلى الإمام الحسين عليه السلام، فقال: كاتبني أهل مصر كم هذا فإن كرهني رجعت إلى موطني.

فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد ما دار بينه وبين الحسين عليه السلام، فأرسل إليه بجواب:

والآن إذ علقت مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إليه: خذ البيعة من الحسين وأصحابه ليزيد، وأرسله إليّ سلماً لأرى فيه رأيي، وإلا فابعث إليّ برأسه ورؤوس أصحابه، وصعد عبيدالله بن زياد المسجد الجامع وأمر بالنداء لحرب الحسين، بأن يخرج الرجال بأسلحتهم ومن وجد بعد النداء في المدينة قتل، فخرج من الناس سبعون ألفاً ونزلوا وادي كربلاء ما بين فارس وراجل، واستعرض عمر بن سعد قوّاته في كربلاء وكان مصرّاً على العجلة لينال ما وعد به من ولاية الري وقزوین والديلم جزاءً أعلى قتل الحسين، ولكنّه قبل أن يشاهد هذا الحلم ذهب إلى نار جهنّم.

وأمر ابن سعد عمرو بن الحجاج الزبيري بالنزول على شاطئ المستاة ومعه خمسمائة فارس ويمنعون الحسين وأصحابه من شرب الماء، فطلب الحسين عليه السلام في تلك الليلة الاجتماع مع ابن سعد ونصبت لهما خيمة ما بين العسكرين، وحضر فيها، فقال له الحسين: ارفع الحصار عني لأعود إلى مدينة جدّي أو أذهب إلى مدينة من

مدن الإسلام أو أذهب إلى يزيد^(١).

ولما كتب ابن سعد بهذا الأمر إلى عبيد الله أجابه أن يزيد بن معاوية أقسم أن لا ينাম على الوثير ولا يشبع من خبر الفطير ولا يضع تحت رأسه وسادة حتى يؤتى برأس الحسين، وكان شمر بن ذي الجوشن لعنه الله حاضراً، فقال: يا أمير، وقع الصيد في الفخ فلا تتركه يفلت، وكتب عبيد الله كتاباً: إني سرحت الشمر ومعه عدة آلاف فإن اخترت قتل الحسين فقد أحسنت وفعلت الصواب وإلا فخل بين الشمر وبين العسكر وأعطه عهد الري، ولما قرأ عمر بن سعد كتاب ابن زياد أمر بضرب الطبول وحمل على معسكر الحسين بسبعين ألفاً، وكان الحسين عليه السلام متكئاً على قائم سيفه وقد أخذته سنة، فرأى النبي في المنام وهو يقول له: أنت غداً عندنا بعد أن تستشهد.

ورمى ابن سعد عسكر الحسين بسهم وقال: أيها الناس، اشهدوا لي عند الأمير بأي أول من رمى الحسين بسهم. فأرسل الحسين إلى ابن سعد: أمهلنا سواد هذه الليلة حتى نعبد الله فإنها آخر ليلة من ليالينا، وكانت الحادثة هذه يوم التاسع من المحرم، فأبى عليه عمر بن سعد، فقال عمر بن الحجاج بن سلمة بن يغوث الزبيدي: سبحان الله! لو كانوا من الكفار من الروم أو الخزر ثم استمهلونا

(١) وهذه طائفة كبرى من المؤلف لأنه يكتب من غير تحقيق، ولو دقق بالمسألة قليلاص لعلم أن بيعة الحسين ليزيد وهو في كربلاء أهون عليه من ذهابه إليه فكيف يطلبه ولو كان هذا شعاره لأراح واستراح وهو في مكة وهل نهضة الحسين إلا بسبب ولاية يزيد، وكيف يصفه للوليد بشارب الخمور وفاعل الفجور ثم يلجأ إليه؟ وما أدراه أن لا يفعل به ما فعل أبوه بالحسن من السم القتال وهل يؤمن يزيد على أرنب أو قطاة أو دجاجة ليأتمنه الحسين على نفسه وحرمة، قبح؛ الله ابن سعد أراد أن يستريح من الحرب فافتري هذه الفرية على الحسين، ولقد قال عقبة بن سمعان صاحبت الحسين فيم حلّه وترحاله حتى استشهد، والله ما سمعته قال: أذهب إلى يزيد.

لأمهلتهم فكيف وهم ذرية رسول الله وأنتم تدعون الإسلام! فأذن ابن سعد بالمهلة، ودخل الحسين عليه السلام خيمته وأحاط به أصحاب الشبب والشبان، فقال عليه السلام: هذا الليل قد غشيكم فليأخذ كل واحد منكم بيد زوجه وأولاده وتفرقوا في البلاد فإنّي طلبة القوم، فأجابوه بأجمعهم: ما جوابنا إلى الله ورسوله وإلى علي المرتضى وفاطمة والحسين عليه السلام غداً يوم القيامة، فلم يضرب معك بسيف ولم نرم بسهم ولم نطعن برمح، لا والله لا يصل إليك سوء وفينا عين تطرف، فأنت إمامنا وابن نبينا ﷺ. فدعاهم الحسين وجزّاهم خيراً، وقال: هذه آخر ليلة من حياتكم فقصّوها بحمد الله والثناء عليه حتى يصبح الصباح.

قال زين العابدين عليه السلام: كنت يومئذ مريضاً، فجاء أبي إلى خيمتي وبعد أن صلى صلاة المغرب والعشاء دعا مولّي لأبي ذر وكان عارفاً بصقل السلاح، وقال له: اصلح لنا سلاحنا، وكانت عمّتي حاضرة لديه وقد تناهبتها الأفكار والهواجس، وسمعت أبي ينشد:

يا دهر أُنْ لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل وكلّ حيّ سالك سبيلي

فعلمت أنّ البلاء قد نزل، فخنقتني العبرة وصبرت، أمّا عمّتي فلم تصبر ومن شأن النساء الرقة والجزع، فأقبلت على أخيها الحسين^(١) وهي باكية ونادت: اليوم ماتت أُمّي فاطمة الزهراء وأبي عليّ وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمان

(١) قال المؤلف كلمة تحرّجت من ترجمتها في المتن ولكنّي أشير إليها في الحاشية ليعرف القارئ عوارها، قال: «سر برهنه كرد» أي حسرت عن رأسها، وهل يعقل هذا بينت عليّ وفاطمة أن تفعله سامح الله المؤلف، إنّي وجدته حاطب ليل.

الباقى، ليتني وسدت أطباق الثرى، وأخذت تندبه بهذا ونحوه، فقال الحسين عليه السلام: يا أختاه، لا يذهبنّ بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: يا أختاه، لو ترك القطا لنام، وأُغمي عليها فنضح أبي على وجهها الماء حتى عادت إلى وعيها، وقال: أخيه، أخيه اتقي الله وتعزّي بعزاء الله، إنّ أهل الأرض والسماء لا يسبقون، وإن كلّ شيء هالك إلّا وجهه الذي خلق الخلق بقدرته وإليه يعود وهو واحد، أبي خير منّي وأمي خير منّي، فهما ماتا، وما زال بها حتى هدأ روعها، وخرجت من خيمته وأمر أن تقرب المضارب بعضها من بعض لئلا يهاجمهم العدو ليلاً، ثم أمرهم بالاستغفار وقرائه القرآن لأنّها ليلة آخر العمر.

الفصل الثاني

في صفة الحرب

وكان عسكر الحسين عليه السلام ثلاثين فارساً وأربعين رجلاً، فجعل زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة، وأعطى رايته أخاه العباس وقال: نحن فئة قليلة وليس بمقدورنا الحرب من جهتين فأمر بحفر خندق وراء المضارب وملأه بالحطب، فلما أصبح الصباح أوقد فيه النار ليحول بينهم وبين العدو، وكان اليوم يوم جمعة العاشر من شهر محرّم الحرام سنة إحدى وستين من الهجرة. ولم يبق في الكوفة أحد أو نواحيها إلّا سرّحه ابن زياد طوعاً أو كرهاً للحرب الحسين في كربلاء، وسلّحهم بالسهم والسيوف والعصي والحجارة وغيرها ليفرغوا من الحرب بأقصى سرعة ممكنة، وكان ورود الجيش إلى كربلاء ساعة بعد ساعة، ومنعوا الحسين وأصحابه من الماء ثلاثة أيّام. وعبّأ عمر بن سعد عسكره فجعل عمرو بن الحجاج الزبيدي على الميمنة،

وشمر بن ذي الجوشن على الميسرة، وعلى الحَيَّالة عزرة بن قيس، وعلى الرِّجَّالة شُبث بن ربعي، ووقفوا جميعهم مقابل اثنين وسبعين رجلاً، وقال الحسين عليه السلام لإتمام الحجَّة عليهم بعد أن وقف بين الصَّفين: يا قوم، إنَّ الموت حقٌّ وإنِّي لا أُعطيكُم بيدي إعطاء الذليل، اسمعوا مِنِّي كلمات لله فيها رضاً ولكم فيها صلاح، فأوقف جيش الكوفة قرع الطبوع والكوسات وأنصتوا له:

أيُّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتَّى أعظكم بما لكم عليّ من حقٍّ وحتَّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم (وأظهر الحجَّة عليكم) فإن قبلتم عذري وصدَّقتم قولي وأعطيتُموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مِنِّي العذر ولم تعطوا النَّصْف من أنفسكم أجمعوا أمركم وشركائكم ثمَّ لا يكن أمركم عليكم غمَّة ثمَّ اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنَّ وليَّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولَّى الصالحين.

ثمَّ قال: أمَّا بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثمَّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحلُّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي (ونهب مالي وسبي عيالي)، فمن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسين بن عليّ ابن بنت رسول الله وابن وصيِّه وابن إمامكم وابن عمِّ رسول الله نبيِّكم، أبي عليّ أوَّل المؤمنين بالله والمصدِّق لرسوله بما جاء به من عند ربِّه، أوليس حمزة سيِّد الشهداء عمِّ أبي؟ أوليس جعفر الطيَّار الذي يطير بجناحيه مع الملائكة عمِّي؟ وأمِّي بنت رسول الله فاطمة الزهراء؟ ألم يقل رسول الله بحقِّي وحقِّ أخي: هذان سيِّدا شباب أهل الجنَّة وقرطا العرش وريحانة قلبي؟ فإن صدَّقْتاني بما أقول وهو الحقُّ (والله ما تعدَّت الكذب منذ علمت أنَّ الله يمقت عليه أهله ويضربه من اختلقه) وإن كذَّبْتُموني فإنَّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك وأمثالهم يخبروكم أنَّهم

سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، مراراً وتكراراً، وسمعوا الآيات التي نزلت في حقّي وحقّ أخي وأبي، وهم يعلمون ذلك، فاسألوهم فإنهم يشهدون بذلك.

فجعلوا لا يردّون عليه جواباً، ثمّ قال: يا أهل الكوفة، أفأ في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ وقتل أهل بيتي؟ أخبروني أطلبوني بقتيل منكم قتلته! أو مال لكم استهلكته؟ أو فساد في الأرض فعلته فتطلبوني به؟ فلم تصدر منّي خطيئة ولا ذنب أو جرم يوجب قتلي، أليست الآية: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١) نزلت في شأني وشأن أخي؟ وآية المباهلة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) نزلت في حقّي وحقّ أخي وأبي وأمي؟ أليست محبّتي واجبة عليكم بمقتضى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣) فإن جهلتم هذا، أو تجهلون أنّه ليس فيما بين جابلقا وجابلسا ابن بنت نبيّ غيري؟ ثمّ نادى: يا شُبّ بن ربعي ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث - وعدّ خمسين واحداً من رؤوسهم وقال - ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضرّ الجنباب وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة لك، ووعدتموني بالوعود الصالحة وأعجلتموني وكنتم ترسلون إليّ بالرسل يوماً بعد آخر، وجئت على أثر كتبكم وحطّطت رحالي في بلدكم فأقبلتم تقاتلونني من غير جريمة فعلتها ترضية للطاغي الباغي فإن كنتم على ما فعلتم نادمين فدعوني أرجع إلى مأمّني وأعود إلى قبر جدّي عليه السلام.

(١) الرحمن: ٢٢.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) الشورى: ٢٣.

الفصل الثالث

في توبة الحرّ بن يزيد الرياحي رحمة الله عليه

فلما رأى الحرّ أنّهم مقاتلوه، فقال في نفسه: أرى نفسي بين الجنة والنار وإني أختار الجنة على النار، ثمّ أقبل على ابن سعد وقال: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ فقال: اي والله حرباً أيسرها أن تطيح فيها الرؤوس والأيدي فتكون الرؤوس في الميدان بمنزلة الكرة الطائرة والسواعد البائنة من الأجساد بمنزلة الطير الفارّ من عشه.

فقال الحرّ: يا بن سعد، وما قولك فيما قاله لكم؟! قال: لو كان الأمر إليّ ما فعلته ولكنّ أميرك أبي.

ثمّ أقبل الحرّ على الفرات وسقى فرسه توجّه تلقاء الحسين عليه السلام ونزل من على فرسه وطأ طأ إلى الأرض وتاب وقال: هل لي من توبة؟ فقال الحسين: نعم وأنت حرّ في الدنيا والآخرة، ولا أدخل الجنة بدونك.

الفصل الرابع الجلي

في مبدأ القتال إلى آخره

ولما نشبت الحرب تبارز الناس من عسكر الحسين وعسكر الملاحين، فرأى أنّ ذلك يؤدّي إلى فنائهم وقتل رجل من أصحاب الحسين مائة رجل من أصحاب عمر بن سعد، فقالوا: لو بقينا على المبارزة فإنّه الفناء الأكيد، ولا يبقى منّا أحد، ونرى من الأصلح أن نهاجهم بأجمعنا، فحمل عمرو بن الحجاج بجيش الكوفة على ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام فشرعوا له الرماح، فأقبلت الخيل لتقدم فرأت

الرماح مشرعة فعاتت منهزمة، فرموهم أصحاب الحسين بالسهام فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين من اللعناء. فصاح عمرو بن الحجاج: أيها الحمقى، إنكم تقاتلون فرسان مصر، فارموهم بالسهام والحجارة، فاستصوب رأيهم ابن سعد، فاستشهد الحر بن يزيد ومسلم بن عوسجة من أصحاب الحسين عليه السلام.

وحمل شمر بن ذي الجوشن من جهة الميسرة فاقتتلوا قتالاً شديداً مع أصحاب الحسين عليه السلام حتى أصاب عسكر الكوفة الهلع من ذلك، وكان عسكر الحسين عليه السلام اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً، وان المشاة من أصحاب الحسين عليه السلام أينما هجموا هزموا أهل الكوفة وتهاوى الرجال على الرجال، وصاح عزرة بن قيس: لقد قتل فرساني على يد هؤلاء النفر القليل، فأقبل الرماة نحوه فرموا خيل أصحاب الحسين فجرحوا منها أفراساً ومن الفرسان جماعة، ونشب قتال شديد وحمل شمر بن ذي الجوشن على ميمنة الحسين، فحمل عليه زهير بن القين ومعه عشرة من المقاتلين حتى صدّوه، وكان القتل يبين بأصحاب الحسين لقتلهم، ولو قتل واحد منهم، ولا يبين في أهل الكوفة لكثرتهم ولو قتل منهم ألف.

واستمر القتال حتى زالت الشمس فصلّى الإمام بأصحابه صلاة الخوف الشديد، وبعد الصلاة استشهد أصحاب الحسين ولم يبق معه إلا أهل بيته؛ أخوه وبنو عمومته. فبرز علي بن الحسين وكان الرجل والرجلان يخرج منهم لقتال الأعداء فينكئ فيهم يقتل رجلاً وينكس فرساناً، وكان الحسين عليه السلام يحمل الشهداء والجرحى منهم إلى الخيم وبعد أن استشهد جميع أهل بيته وإخوانه وأبناء عمه وأبناء إخوانه لم تبق إلا مهجة الحسين الشريفة فاستقبل العدو بها إلى أن استنفدت قواه فرماه لعين منهم بسهم فوق في جبهته، فتقدّم العباس إلى الحسين وأخرج السهم من جبهته وحمل عليهم العدو فاقتطعه عن أخيه، واستشهد على الفرات وقبره اليوم هناك.

وعاد الحسين عليه السلام إلى خيمة النساء فضربه اللعين مالك الكندي بالسيف على رأسه فكان يقاتل جيش الكفر قتالاً ضارياً وليس معه إلا ثلاثة رجال من أهل بيته، فبدا للعجب من قتال ثلاثة رجال سبعين ألفاً من الأوباش، ودخل الحسين خيمته وضمّد جراحه وعاد إلى القتال ومعه ثلاثة مقاتلين إلى أن استشهدوا بين يديه وبقي الإمام وحيداً فريداً كأنه الأسد الغضبان، فوقع فيهم قتلاً وأرسلهم إلى جهنّم.

ورواة الواقعة ثلاثة هم: حميد بن مسلم الكندي من جيش اللعناء، وزينب أخت الحسين عليه السلام، وعليّ زين العابدين عليه السلام، وكان حميد بن مسلم من الأخيار ولكنه أخرج لحرب الحسين قسراً^(١) وحضر واقعة الطف من أولها إلى آخرها.

قال حميد بن مسلم لعنه الله: رأيت الحسين يحمل على العدو تارة على الميمنة وأخرى على الميسرة فينكشفون بين يديه وقد بلغوا عشرة آلاف، وأحياناً عشرين ألفاً، وما كان باستطاعتهم الثبات له في مراكزهم، فلما رأوا ما حلّ بهم نادى مناديهم: يا أسود العرب، أيها الأبطال، إنه رجل واحد جريح يفعل بكم هذا الفعل وتنهزمون أمامه، ألا تستحون، احمّلوا عليه بأجمعكم بالنبل والحجارة، فهجموا عليه هجمة رجل واحد.

قال حميد لعنه الله: وصلت إلى جسد الحسين ثلاثمائة وستون رمية بسهم، وضربة بسيف، وطعنة برمح، فكانت دماؤها الطاهرة تسيل فلم يبق في جسمه الشريف دم فضعف ضعفاً شديداً وأغمي عليه، فاتكأ ساعة على رمح، فدار

(١) أحسب المؤلف خدعه هذا الكلب بما يرويه من المآسي وما يظهره من الجزع على أهل البيت ولذا سُمّي خروجه لحربهم إكراهاً، وأنا لا أعرف للإكراه معنى وهو باستطاعته أن يلحق بالحسين كما فعل الحرّ عليه السلام أو يهرب على أقلّ تقدير، ولكن هذه من غرائب المؤلف ولا زلت تطلع على الغرائب والعجائب منه ولا تنتهي حتى ينتهي الكتاب.

العسكر به ، فضر به زرعة بن شريك لعنه الله على يده اليمنى ، وطعنه سنان بن أنس لعنه الله بالرمح فوق عنقه ، فزّل خولّى بن يزيد لعنه الله ليذبحه فارتجفت يده ، فزّل الشمر لعنه الله وذبحه من الوريد إلى الوريد ، ودفعه إلى خولّى لعنه الله ، وقال :
أحمله إلى الأمير عمر بن سعد .

قال حميد بن مسلم لعنه الله : ما رأيت كالحسين في شجاعته لأنّه قتل أهله وأقربائه وأصحابه فلم يوهي قواه ولا نقصت شجاعته ، وأظهر من القوة والرجولة ما لم يستطع معها ألف رجل أن يسلبه وسلاحه ، ولما سلبوه اقتسموا درعه ودرقته وغيرهما ، وهجم الجيش على مخيم النساء^(١) ونهبوا كلّ ما وقعت عليه أيديهم ووصل عمر بن سعد لعنه الله إلى باب الخيمة فصاح النساء في وجهه ، فأوكل بهم الفرسان والرجالة وقال : ردّوا عليهنّ ما أخذتموه منهنّ ، فما سمع كلامه ولم يرّد عليهنّ أحد ممّا أخذ شيئاً .

ولما وصل الجيش إلى زين العابدين عليه السلام أرادوا قتله . قال حميد بن مسلم لعنه الله : فمنعتهم من ذلك ، وقال عمر بن سعد : ينبغي أن يقوم أحد هؤلاء بأمر النساء ولا تقتلوا ذلك الصبي ليكون بيننا وبين النساء ، فاجتمعن النساء في خيمة الإمام زين العابدين ، ونهبوا كلّ ما لهم من المتاع ، وركب إسحاق بن حويه (حيات) وأخنس بن مرثد ومعه عشرة من الفرسان وداسوا صدر الحسين ورضوا عظامه ..

(١) لا والله ما وقعت عيني ولا سمعت أذني بأحط نفساً ولا أردأ همّة ولا أنذل طباعاً من هؤلاء الذين أوجلّ الكلاب عنهم فلا أسميهم كلاباً احتراماً للكلاب ، لقد ارتكبوا شائعاً ما من داع لارتكابها إلا داع واحد هو خسة نفوسهم ، أتري لو أنهم لم يهجموا على الخيام ولم يسلبوا النساء أكان أميرهم يلومهم على ذلك بعد أن فعلوا ما أرادهم منهم وأقزوا عينيه لعنه الله ولعنهم بقتلهم سيّد شباب الجنة وسمّ رسول الله ﷺ !

الفصل الخامس الجلي

في أحوال رؤوسهم

قطع الشمر لعنه الله الرأس الشريف من القفا وأعطاه خولّي بن يزيد، ولمّا رآه عمر بن سعد خاف وامتنع لونه ووضع من كان حاضراً يديه على وجهه إلّا جماعة منهم قالوا: وما الفائدة لقد نفذ القضاء.

ولمّا أصبح الصباح أعطى الرأس إلى خولّي وحמיד وأرسلهما إلى عبيدالله بن زياد لعنهما الله في الكوفة، وأعطى باقي الرؤوس من الأصحاب وأهل البيت عليهم السلام وكان عددها اثنتين وسبعين رأساً إلى شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمر بن الحجاج لعنهم الله، وبقي عمر بن سعد في كربلاء اليوم كلّه واليوم الثاني إلى الزوال، وأوكل بالإمام زين العابدين وجماعة النساء من رجاله من يوثق بهم، وكان عدد النساء عشرين امرأة، وكان عمر الإمام يومئذ اثنتين وعشرين سنة، وعمر الإمام محمّد الباقر أربع سنين، وكلاهما كان حاضراً حادثة الطّف، وحفظ الله الإمامين قبل ظهور إمامتهما، فلمّا ظهرت بعد الشهادة وجب حفظهما على الأئمة. ولمّا غادر ابن سعد كربلاء نهض جماعة من بني أسد كانوا نزولاً هناك وأقبلوا إلى كربلاء، ولمّا شاهدوا الحسين وأصحابه على تلك الحالة عمدوا إلى دفن الأجساد فدفنوا الإمام الحسين وحده ووضعوا عليّاً الأكبر عند رجله، ودفنوا العباس عليه السلام على شاطئ الفرات ودفنوا بقيّة الشهداء في قبر واحد، ودفن الحرّ ذووه في الموضع الذي وقع فيه، ولا تعرف قبور الشهداء على التعيين لمن ولمن لكن ممّا لا شكّ فيه أنّ الحائر محيط بهم تحت قبر الحسين عليه السلام إلّا أنّ عليّاً الأصغر أقرب منهم إلى الحسين عليه السلام، وكان بنو أسد يفتخرون على قبائل العرب بأنهم صلّوا على الحسين ودفنوه.

وقيل: لما فتح النبي خيبر هرب جماعة من اليهود إلى العراق وأقاموا بالقرب من أرض كربلاء وبنوا لهم منازل هناك وكان رئيسهم يدعى «إبراهيم» و«روئيل»، وكان عند مرور الجند من كربلاء إلى الكوفة ينمون على سطوح منازلهم، فوقعت عيونهم على كربلاء فرأوا النور يتصاعد من جسد الإمام والشهداء إلى عنان السماء، فاجتمعوا في اليوم الثاني وقالوا: إن هؤلاء الشهداء لشأنًا عظيمًا عند الله، ألا ترون النور كيف ينزل عليهم طوال الليل، هلموا لدفنهم، فذهبوا إلى كربلاء ودفنوه.

وفي اليوم الثاني من شهادة الإمام عليه السلام وصلت الرؤوس إلى الكوفة وجلس ابن زياد في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً ووضع الرأس الشريف بين يديه، ولما وقعت عينيه على الرأس استبشر وضحك، فأخرج قضيباً كان معه وراح يضرب ثناياه، وكان زيد بن أرقم في المجلس^(١) وهو من كبار مشايخ الصحابة^(٢) فقال: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ما لا أحصيه يترشّفهما، فقال اللعين: أبكى الله عينيك، أتبكي لفتح الله ورسوله، لولا أنك شيخ خرقت وذهب عقلك لضربت عنقك، فقام زيد وذهب إلى منزله، عند ذلك أمر عدو الله بإدخال أهل البيت والعيال عليه، فدخلت زينب أخت الحسين من فاطمة عليها السلام وجلست في زاوية من زوايا القصر ودار بها أخواتها وجوارها، فقال عدو الله لعنه الله: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نسائها؟

(١) أسألكم معاشر العقلاء: ما الذي يصنع هذا الصحابي في مجلس الطاغية الوغد الدعي وهو على علم بما يجري في كربلاء من صراع دام بين الحسين وبينه، أليس لتأييده وليجعل من وجود هذا الكائن عنده ذريعة للفتك بأهل البيت، فما يجدي قوله: ارفع قضيبك إلى آخره، اللهم العن كل من أذى أهل بيت نبيك بالقول أو الفعل أو أعان عليهم.

(٢) تعسا هؤلاء الصحابة كباراً وصغاراً.

وأعاد القول مرّات، فقالت إحدى الجوّاري: هذه زينب أخت الحسين من فاطمة عليها السلام، فقال عبيد الله لعنه الله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب ألدّوئكم، فقالت زينب عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرّجس تطهيراً، وإنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

ثمّ قال اللعين: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟! فقالت زينب عليها السلام: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجّون ويختصمون عنده (فانظر لمن الفلج، ثكلتك أمّك يابن مرجانة).

فغضب، وكان عمرو بن حريث حاضراً، فقال: إنّها امرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد لعنه الله: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك، فاستعبرت عليها السلام وقالت: لعمرى لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتشت أهلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

(فقال ابن زياد لعنه الله: إنّها لسجّاعة، ولقد كان أبوها شاعراً) فقالت عليها السلام: ما للمرأة والسجّاعة، إنّ لي عن السجّاعة لشغلاً، ولكن صدري نفت بما قلت^(١). وأقبلوا بعليّ بن الحسين إلى ابن زياد، فقال: من أنت؟ قال: عليّ بن الحسين، قال: أليس قد قتل الله عليّاً بن الحسين؟ فقال: كان لي أخ يسمّى عليّ قتله الناس، فقال اللعين: بل قتله الله، فقال الإمام: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، فقال اللعين: بك جرأة لجوابي وفيك بقيّة للرّدّ عليّ، اذهبوا فاضربوا عنقه، فتعلّقت به زينب وقالت: يابن زياد، حسبك من دمائنا، وقالت: والله لا أفارقه فإن قتلتني

(١) ترجم المؤلف السجّاعة قوله: «ابن زن و ابن همه دليرى» فالظاهر أنّه هو الذي صحّفها إلى شجاعة وليس الناسخ.

(٢) الزمر: ٤٢.

فاقتلني معه، وبقي ابن زياد ساعة يحدق في المشهد ثم قال: عجباً للرحم، والله إنِّي لأظنُّها ودَّتْ أنِّي قتلتها معه، دعوه فإنِّي أراه لما به.

وأمر في اليوم الثاني أن يحمل رأس الحسين عليه السلام على رأس ربح ويطاف به في شوارع الكوفة وأزقتها، فاجتمع من الناس لمشاهدة الرأس ما يزيد على المائة ألف. روي عن زيد بن أرقم أنه قال: رأيت رأس الحسين على سنان الرمح وكنت في سارة لي جالساً، فرأيت الرأس مقبلين به من بعيد، ولما دنى منِّي رأيت شفّتيه يتحرّكان وسمعتة يقرأ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(١) فقفّ شعري فصحت: ورأسك يا بن رسول الله أعجب.

ثم إنَّ عبد الله بن زياد لعنهما الله أعطى الرأس إلى زجر بن قيس ومعه رؤوس الشهداء من الأصحاب وأهل البيت وقال: احملها إلى يزيد بن معاوية، ثم سیر الإمام زين العابدين وأهل البيت إلى الشام وجعل عليهم شراً بن ذي الجوشن ومخفر بن ثعلبة ووضع الغلّ في عنق الإمام زين العابدين وغلّوا يديه إلى عنقه فكان الإمام لا يفتي في الطريق يتلو كتاب الله ويحمد الله ويثني عليه ويستغفره ولم يكلّم واحداً من الأعداء قطّ إلا أهل بيته.

وقيل: إنَّ يزيد لما وقعت عينه على أولئك اللعناء قال: قد كنت أقنع وأرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما أنِّي لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

وحملوا أهل البيت والإمام السجّاد على رواحل منهم لأنّ القوم انتهبوا ثقلهم فلم يتركوا عندهم شيئاً، ولما وصلوا إلى يزيد رفع مخفر صوته منادياً: هذا مخفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللثام الفجرة. فقال الإمام عليه السلام: ما ولدت أمّ مخفر أشرّ وألأم، وكان اللعناء يخشون من قبائل العرب أن تهيج عليهم والرأس معهم

فيستلبونه منهم ، فلم يسلكوا الطريق الأعظم وإنما تنكبوا الطراق حذار من ذلك ، فوصلوا إلى قبيلة وطلبوا منهم علفاً لدوابهم وقالوا : معنا رؤوس الخوارج نعملها إلى الأمير ، وهكذا ساروا بهذه الحجة حتى بلغوا بعلبك ، فأمر القاسم بن الربيع عامل البلد بتزيينه وحملوا الرأس إلى البلد مع آلاف الدفوف والطبول والمزامير والشبابات ، ولما علموا بأن الرأس رأس الحسين خرج ما يقرب من نصف البلد وأحرقوا الأعلام ومعالم الزينة والفرح ، وقامت الفتنة أليماً على ساق في البلد ، وهرب الذين معهم الرأس من البلد سرّاً .

ووصلوا إلى أول بلد من بلاد الشام وكان الوالي عليه الملعون نصر بن عتبة ، فأظهر الفرح والاستبشار وزين البلد وقضى الليل كله بالرقص والغناء ، فخرجت سحابة سوداء أرعدت وأبرقت وأحرقت معالم الزينة كلها ، فقال عمر بن سعد وشمر لعنهما الله : هؤلاء قوم أهل نحس وشؤم فخرجوا منهم إلى ميثافارقين فاختمهم كبار البلد بينهم كل واحد يريد دخول الرأس من بابه لأنه عاقد الزينة فرحاً به ، فوقع بينهم قتال ، وقتل الآلاف من الطرفين ، فبقى كلاب الكوفة هناك عشرة أيام ، ومن هناك انتقلوا إلى نصيبين .

قال منصور بن الياس : رفعوا أكثر من ألف علم استقبلاً لرأس الحسين ، وكان رأس الحسين معه فأراد أن يدخل البلد فتقهقر حصانه فأقبلوا بعدة أفراس له فلم تتقدم ، فبينما هم كذلك إذ وقع رأس الحسين من أعلى الرمح وكان إبراهيم الموصلي في القوم^(١) فاحتاط للرأس لأنه عرفه رأس الحسين فلام الناس وقتله الشاميون فأخرجوا الرأس خارج حدود البلد وراحوا ينثرون المال على الناس بحيث يعسر

(١) لست أدري عن إبراهيم الموصلي هذا شيئاً ، فإن كان هو المغني أيام الهادي والمهدي والرشد فإنها طامة كبرى أن يروي المؤلف رواية تخالف العقل والنقل .

شرح ذلك فارتفع في اليوم الثالث تراب وغبار حتى اسودّت الآفاق فساء بهم ظنّ الناس وقالوا: إن بقيتم هاهنا قتلناكم فخرجوا منهم إلى مدينة «شبديز» فتعاهد الناس فيما بينهم أن لا يعطوهم مؤنة لهم ولا لدوابهم، وإن اضطرتهم الحال إلى القتال قاتلوهم.

ولما علم الكوفيون بواقع الحال هربوا ليلاً فتعقبهم أهل البلد يلعنونهم ويستبّونهم حتى بلغوا حافة الفرات فساروا على الشاطئ وقطعوا قرية قرية حتى دنوا من دمشق أربعة فراسخ فكان الناس يقدمون لهم النثار والهدايا وظلّوا على باب المدينة ثلاثة أيام حتى يزيّنوا البلد، فزيّنوه بكلّ ما عندهم من حلي ورياش وزينة إلى درجة لم يشابهها بهذه الزينة قبل اليوم، وخرج ما يقرب من خمسمائة ألف ما بين رجل وامرأة والدفوف بأيديهم وأخرج أمراء القوم الطبول والكوسات والأبواق والدفوف وراحوا بالآلاف يرقصون نساءً ورجالاً على أصوات الدفوف والطبول والربابات وكان النساء قد اختضبن واكتحلن ولبسوا الحلي والحلل، وذلك يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأول^(١).

ولما أشرقت الشمس أدخلوا الرؤوس إلى البلد ولم يصلوا إلى بيت يزيد إلّا وقت الزوال لكثرة الناس، وكان يزيد لعنه الله قد اعتلى عرشه وهو «تخت مرصع» وزين القصر والمجلس بأنواع الزينات ووضع كراسي الذهب والفضّة عن اليمين وعن الشمال، وخرج الحجاب وأدخلوا اللعناء الذين رافقوا الرؤوس فسألهم يزيد لعنه الله فقالوا: أنقذنا دولة الأمير من تدمير آل أبي تراب، وقصّوا عليه تمام

(١) والآن لنا أن نسأل المؤلف إن كانوا في هذا الوقت ما يزالون في الطريق فمتى رجعوا إلى كربلاء وحضروا أربعين الحسين في العشرين من صفر لست أدري ولبت المؤلف أشار إلى اختلاف هذا القول مع أقوال المؤرخين.

الحكاية، ووضعوا بين يديه رؤوس أولاد النبي ﷺ.

وما كان بمقدور أحد من الناس أن يسلم على أهل البيت هذه المدة التي هي عبارة عن ست وستين يوماً وهم بأيدي الكافرين، إلى أن انبرى للإمام زين العابدين شيخ وقال له: الحمد لله الذي قتلكم، فقال له الإمام زين العابدين: هل قرأت القرآن يا شيخ؟ فقال: نعم قرأته. قال: قرأت قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١) قال: نحن القربى، ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٢) نحن القربى، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣) نزلت فينا، فاستحيا الشيخ وسكت وقال: اللهم إني أبرأ إليك من أعداء آل محمد ومن قتل أهل بيت محمد. قال: ما زلت أقرأ القرآن إلى اليوم ولا أفهمه.

وأقبل الحجاب ليأخذوا الرؤوس وقد وضعوا رأس الحسين ﷺ في طشت من الذهب، فوضعه بين يدي يزيد وعرضوا باقي الرؤوس رأساً رأساً وهو يسأل: رأس من هذا؟ فيخبره الملاعين عنه ويعرفونه به، وكان جماعة من المؤمنين في الحضور يبكون سراً، فعرف يزيد اللعين الأمر، فقال:

يا صبيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

وغطّي الطشت الذي فيه الرأس وكان بيد يزيد الكافر لعنه الله قضيب فرفع الغطاء عن الطشت وأخذ يضرب ثنايا الحسين ويردد أبياتاً تدلّ على كفره:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل

لو رآه فاستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

قد قتلنا اليوم من أشياخهم فعدلناه ببدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
ثم أنشد من بعده :

نفلق هاماً من رجال أعرّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلمنا
حسين أراد الملك والملك دونه أسنّة أقوام تلج له دما ...
ولتسا رأيت الودّ ليس بنافع وإن كان يوماً ذا كواكب مظلماً^(١)
صبرنا وكان الصبر متاً سجيّة بأسيافا يفرين هاماً ومعصماً^(٢)
وكان أخو مروان بن الحكم يحيى بن الحكم من المؤمنين قال :

لهام بجنب الطّف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
أمتيّة أمت نسلها عدد الحصى وبينت رسول الله ليست بذى نسل

فضربه يزيد اللعين بيده على صدره وقال : اسكت . قيل : خرج يحيى من هناك ولم يره أحد بعد ذلك^(٣) .

ثم حوّل وجهه إلى الإمام زين العابدين وقال له : يا ابن الحسين ، أبوك قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني ، فصنع الله تعالى ما رأيت ، فأجابه الإمام عليه السلام : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ أَهْلَ الْأَرْضِ فِي سَبْعِينَ نَجْمًا ﴾^(٤) .

(١) البيت ليس له وزن ولا ألفاظ ولا معنى وصعب عليّ إصلاحه في المصادر التي أملكها وأنقله في الهامش وأترك الحكم للقارئ :

كذلك يصلى بحرّ نار غشمشم يعيش بداء أو يكاد صنيعما

(٢) كلّ المعاتل وكتب التاريخ ذكرت البيت الأول فقط .

(٣) بل رآه كثيرون وحكايته مع الحسن المثنى في وفادته على عبد الملك بن مروان وما قال له وما أجابه به يحيى بن الحكم مشهورة .

(٤) الحديد : ٢٢ .

والتفت يزيد إلى خالد ولده وقال: أردد عليه وكان الكافر غاية في الجهل، وأمر يزيد بعرض العائلة عليه، فلما رأى ما عليهن من الثياب الممزقة المهلهلة تألم (كذا) وقال: قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا. قالت فاطمة بنت الحسين: وكان إلى جانب يزيد شاميّ أحمر، فأقبل على يزيد وقال: هب لي هذه الجارية، وكان يقصدي. قالت فاطمة: فخفت وتعلّقت بعمّتي زينب، فقالت: لا تخافي فليس له ذلك ولا لأُميره فنحن أهل بيت قد رفع الله عنا ذلك ومن يستطيع أن يسترّق أهل البيت فاطمائيّ جأشاً.

ثمّ قالت زينب عليها السلام: كذبت والله يا شاميّ ولؤمت، ما ذاك لك ولا له، فغضب يزيد وقال: (بلى لو شئت لفعلت. قالت: إلّا أن تخرج من ديننا وتدين بغير ملّتنا) فغضب يزيد وقال: إياي تستقبلين جهراً بهذا، إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك. فقالت زينب عليها السلام: بدين الله ودين أبي وأخي اهتديت أنت وجدّك وأبوك إن كنت مسلماً. فقال يزيد لعنه الله: كذبت يا عدوّ الله، فقالت زينب: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهّر بسلطانك، فكأنّه استحيا وسكت، وعاد الشاميّ يقول: هبني هذه الجارية، فحذفه بمحقّة كانت بيده وقال: أغرب (وهب الله لك حتفاً قاضياً).

وكان في ذلك اليوم سفير ملك الروم المسمّى بعبد الشمس حاضراً، فقال: يا أمير، لي ستون عاماً أمتهن التجارة من القسطنطينيّة فجئت إلى المدينة ومعني عشرة أبراد يمينه وعشر سرر مسكيّة وحملة ثقيلة من العنبر، وقدمت بها على النبي صلى الله عليه وآله وكان في بيت أمّ سلمة، فاستأذن لي أنس بن مالك فدخلت على النبيّ وقدمت له الهدايا فقبلها مني، وأسلمت، فسماني عبد الوهاب، ولكن كتمت إسلامي خوفاً من ملك الروم وكنت عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل الحسنان فقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وأجلسهما في حجره واليوم يحملون لك رأس الحسين وقد أبنته عن جسده وتضرب ثنياه بقضيبك وهي مقبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي ديارنا بحر فيه جزيرة في

قال سهل: فذهبت خارج البلد فرأيت من كثر الناس وصهيل الخيل وصوت

الأبواق والطبول والكوسات والدفوف كأنَّ القيامة قد قامت، فلَمَّا وصلت السواد الأعظم رأيتهم قد أقبلوا بالرؤوس على أسنَّة الرماح فرأيت رأس العباس يتقدَّم الرؤوس وورائه ركب الحرم، ورأيت رأس الحسين وعليه البهاء والعظمة ويشرق النور منه بلحية مدوَّرة قد خالطها الشيب وقد خضبت بالوسمة، أدعج العينين، أزجَّ الحاجبين، واضح اللحيين، أقى الأنف، مبتسماً إلى السماء، شاخصاً ببصره نحو الأفق، والريح تلعب بلحيته يميناً وشمالاً كأنَّه عليٌّ عليه السلام.

قال عمر بن المنذر الهمداني: ورأيت أمَّ كلثوم تخالها فاطمة الزهراء وعليها إزار خلق وعلى وجهها نقاب، فدنوت منهم وحيَّيت الإمام زين العابدين وحيَّيتهم، فقالوا لي: أيُّها المؤمن، إنَّ قدرت على شيء تدفعه إلى حامل الرأس ليقدمه فافعل فقد خزيننا من شدَّة النظر إلينا، فأعطيت ذلك اللعين مائة درهم ليقدم رأس الحسين عليه السلام ويبعده عن العائلة.

وساروا هكذا حتَّى وصلوا إلى يزيد لعنه الله وكان يهوديَّ حاضراً هناك، فقال: رأس من هذا؟ فقال: رأس رجل من العراق عربيَّ خرج عليَّ، فأمرت عبيد الله بن زياد بقتله، فقال: ابن من؟ قال: ابن عليٍّ من فاطمة بنت محمَّد عليه السلام، فقال: يا من لا دين له ولا يقين، بيني وبين داود النبيِّ سبعون ظهراً واليهود تأخذ تراب قدميَّ تسجد عليه ولو كان لموسى خلف لعبدناه وأنتم قتلتم أبناء نبيِّكم محمَّد عليه السلام، وتدعون أنكم أتباعه وأُمَّته. فقال يزيد: لولا أنَّ النبيَّ قال: من آذى ذمِّيَّ فقد آذاني لأمرت بضرب عنقك، فقال اليهوديَّ: ما أعظم صلفك، أيخاصمك النبيُّ من أجل يهوديَّ ذمِّيَّ أفلا يخاصمك من أجل ولده! فأمر يزيد بضرب عنق اليهوديَّ، فتشهد اليهوديَّ الشهادتين وأقرَّ بنبوَّة المصطفى عليه السلام وإمامة عليٍّ والحسنين عليهم السلام ورفع رأس الحسين وقبَّله إلى أن قبضوا على يده وأخرجوه خارج البيت وقتلوه فذهب شهيداً، وقال يزيد: إنَّه أسلم كي لا أقتله.

وقيل: إنَّ يزيد أمر زين العابدين بمصارعة ولده وبالغ بالإلحاح عليه، فقال الإمام ليزيد: أو غير هذا؟ قال يزيد: كيف؟ قال: تعطيني سكيناً وتعطيه سكيناً لكي يعرف من الأقوى؟ فقال يزيد: هيهات لن تلد الحية إلا حية^(١)، ثم قال يزيد لزين العابدين: يابن الحسين، ما هو فضلكم على سائر قريش؟ فقال الإمام زين العابدين عليه: نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن التأويل والتنزيل من الدين، وقال الله تعالى: سلام على آل طه وياسين، يا ويلك! لا يقاس صخر بن حرب بأبي طالب، ولا معاوية بعلي بن أبي طالب، ولا أنت يابن هند بالحسين، ولا ابنك بعلي بن الحسين.

وبقي الإمام زماناً عند يزيد في الشام وفي كل يوم يزداد ميل الناس إليه، وإلى عترة النبي وأهل بيته، وتأتي نساء الشام تعزي نساء أهل البيت حتى أوشك ملك يزيد أن يتزلزل، فاستدعى الإمام وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال الإمام: حاجتي أن تريني وجه أبي حتى أردّه إلى جسده، قال: لقد فعلت، وكان قد صلبه أربعين يوماً على منارة الجامع في دمشق وصلب الرؤوس الباقية على المساجد والأبواب وأحياناً على باب قصر يزيد. ثم قال: وادفع لي قاتل أبي لأقتص منه، فكان كل من أحضره يتنصل من قتل الحسين، إلى أن وصلت النوبة إلى أحدهم، فقال: إنما قتل الحسين من فتح بيت المال على مصراعيه وأغدق العطاء على الجند يعني بذلك يزيد هو الذي قتله، فاستحيا ذلك اللعين وسكت.

وروى الرواة أنَّ يزيد أمر في اليوم الذي أحضروا عنده رأس الحسين عليه بصنع فقّاع (بضمّ الأوّل وتشديد القاف - المؤلّف) وهو مسكر يصنع من الشعير ويسمّى بالهنديّ «لوزّه» وسقى جيشه منه، وكان محرّماً في الإسلام، فأباحه اللعين وصار

(١) لم تكن الحكاية مع الإمام زين العابدين بل مع أحد ولد الحسن أو عقيل وابنه خالد.

شرب الفقّاع في ذلك اليوم سنّة ستّها هذا اللعين .

قال الإمام الرضا عليه السلام : من رأى الفقّاع فليعلن يزيد ومن تابعه ويصلي على الحسين وأصحابه (١) .

إنّ المؤرّخين تناهوا في ضبط وقائع عاشوراء للحسين وأصحابه عليه السلام حتّى بلغت المجلّدات واجتازت قدرة كتاب كهذا الكتاب أن يستوعبها، ولكن وجدت من الضروريّ أن لا يخلو هذا الكتاب من ذكر الحسين وأصحابه عليه السلام لاسيّما المراتي والمدايح التي نظمها الإنس والجنّ فيهم لكي لا يوجب السأم .

قيل : إنّ الإمام زين العابدين استأذن يزيد في خطبة أهل الشام يوم الجمعة، فلمّا كان يوم الجمعة أحضر يزيد لعنه الله خبيثاً لعيناً من أهل الشام وكان فصيحاً بليغاً وقال : اصعد على المنبر وقل ما عرض لك وجرى على لسانك من ثلب عليّ والحسين والثناء على الشيخين (لعنهما الله)، فصعد ذلك الرجل المنبر وقال كلّ ما وسعه، فقال الإمام : ائذن لي حتّى أخطب الناس، فندم اللعين وقال : كلّاً لا أذن لك، فألح الناس على يزيد إلحاحاً شديداً، فاقبل شفاعتهم، فقال ابنه معاوية : أبتاه وما يصنع هذا مع صغر سنّه، دعه حتّى نرى ما يقول، فقال : أنتم لا تعرفون أهل هذا البيت، إنهم توارثوا العلم والفصاحة، إنّي أخشى أن تشور الفتنة وراء هذه الخطبة، وتحقيق بنا ولكنّه استكان للأمر ورضي أن يخطب .

فرقى الإمام المنبر وقال :

الحمد لله الذي لا بداية له، والدائم الذي لا نفاذ له، والأوّل الذي لا أوّل

(١) عن الرضا عليه السلام قال : من نظر إلى الفقّاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام وليعلن يزيد وآل زياد يمحوا الله عزّ وجلّ بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم . (بحار الأنوار ٤٤ : ٢٩٩، العوالم : ٤١٥، مستدرک سفينة البحار ٥ : ٤٠١ وغيرها) .

لأوليّته، والآخر الذي لا مؤخّر لآخريّته، والباقي بعد فناء الخلق قدر الليالي والأيتام، وقسم فيما بينهم الأقسام، فتبارك الله الملك العلّام.

وقال في كلامه: إنّ الله أعطانا الحلم والعلم والشجاعة والسخاء والمحبة في قلوب المؤمنين، ومنا رسول الله صلى الله عليه وآله ومنا وصيه ومنا سيّد الشهداء وجعفر الطيّار في الجنّة وسبطا هذه الأُمّة والمهديّ الذي يقتل الدجّال. أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بحسبي ونسبي، أنا ابن مكّه ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردى، أنا ابن خير من انتزرت وارثي، أنا ابن من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ وأقى، أنا ابن من أسري به إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به إلى سدرّة المنتهى، أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن الحسين القتيّل بكر بلا، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن سدرّة المنتهى، أنا ابن شجرة طوبى، أنا ابن المزمّل بالدماء، أنا ابن من بكى عليه الجنّ في الظلّماء، أنا ابن من لاح عليه الطيور في الهواء.

فلما بلغ إلى هذا الموضع من خطبته ارتفعت الضجّة من المجلس وبكى الناس بكاءً عالياً فضيّع يزيد نفسه وزعق بالمؤذّن: أذن ويحك، فقام المؤذّن وصاح: الله أكبر، فقال الإمام عليه السلام: نعم الله أكبر وأعلى وأجلّ وأكرم ممّا أخاف وأحذر. فلما قال المؤذّن: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الإمام: نعم أشهد مع كلّ شاهد، وأحتمل على كلّ جاحد، ألا إله غيره ولا ربّ سواه.

فلما قال المؤذّن: أشهد أنّ محمداً رسول الله، قام الإمام ونزع عمامته من رأسه وقال للمؤذّن: أقسمت عليك بمحمّد هذا إلّا ما سكت ساعة، واستقبل يزيد لعنه الله بوجهه وقال: يا يزيد، هذا الرسول العزيز الكريم جدّي أم جدّك؟ فإن قلت جدّي فالناس تعلم بأنك كاذب فيما تدّعي، وإن قلت جدّك فلماذا قتلت أبي

مظلوماً من غير ذنب ونهبت ثقله وأسرت عياله، قال هذا وأهوى إلى جيبه فشقة^(١) وأخذ يبيكي وقال: أقسم بالله لو كان أحد في الدنيا جدّه رسول الله فهو أنا، فلماذا قتل هذا الرجل أبي بظلم وساقنا كما تساق أسرى الروم؟! ثم قال: ويلك يا يزيد، تفعل هذا الفعل وتقول أشهد أن محمداً رسول الله، وتستقبل القبلة! ويل لك يوم القيامة يوم يكون جدّي وأبي خصميك. وهنا صاح يزيد بالمؤذن: أقم للصلاة، فتهامس الناس فيما بينهم فصلّى بعضهم وترك الصلاة آخرون، وتفرّقوا من المسجد.

وأرسلت زينب عليها السلام إلى يزيد ليأذن لهم في إقامة العزاء على الحسين عليه السلام، فأذن لها يزيد وقال: خذوهم إلى دار الحجارة ليكوا هناك، فأقاموا العزاء سبعة أيام، فكان النساء يجتمعن عليهنّ في كلّ يوم واجترن حدود الحصر والإحصاء، وحمي غضب الناس على يزيد فأرادوا الهجوم عليه وقتله في بيته، فجاءه مروان وقال: لا أرى بقاء أولاد الحسين وعياله وأهل بيته عندك إلاّ مضراً بمصلحة ملكك فاعمل على ترحيلهم من الشام إلى المدينة، الله الله في ملكك لئلاّ يندثر بسبب هؤلاء العيال.

فاستدعى يزيد الإمام زين العابدين عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وتقدّاه وتذلّل له وأظهر الحزن على أبيه ليستميله وقال: لعن الله ابن مرجانة لو كنت صاحب أبيك لم أترك الأمر يصل بنا إلى هذا الحدّ، وإني ألتي رغباتك كأفة فاطلب منّي ما تشاء وسلني حاجاتك أقضها لك كلّها، ولكن نفذ القدر بما جرى، فإذا وصلت إلى المدينة فكاتني بحاجاتك وخلع عليه وأكرم النساء وزاد في إعزازهنّ. وقيل: إنّ

(١) هذا لا يجوز تصوّره ولا تحلّ روايته لأنّه كذب محض على الإمام السّجّاد، والإمام لا يفعل هذا في مجلس يزيد لأسباب منها أنّه خرق لحجاب شخصيّته وهتك لحرمة ثورة أبيه.

أهل البيت ردّوا كلّ ما تقدّم به يزيد إليهم .

وروي أنّ أمّ كلثوم أخت الحسين توقّيت في دمشق الشام فاستدعى يزيد عمر ابن خالد القرشيّ وقيل النعمان بن بشير الأنصاريّ وكان عمر رجلاً مؤمناً، وكان يكتّم إيمانه واعتقاده، وأمّره على ثلاثمائة رجل وقال له : أوصل هؤلاء الصبية والعيال إلى المدينة وسرّ فيهم ليلاً لا نهاراً كيلا تراهـم ، فإذا نزلت في منزل فكن بمبعدة عنهم ، فقبل عمر بن خالد شروط يزيد وأوصلهم إلى المدينة سالمين^(١) .

ولما بلغوا المدينة استقبلهم الرجال والنساء بالبكاء والعيول وأقاموا العزاء على الحسين زماناً ونظموا المراثي فيه فكانت قد بلغت مجلّدين ، منها قول الشافعي :

تأؤب همّي والفسّاد كئيب	وأرق عيني والرقاد غريب
ومما نفى نومي وشيب لمتي	تصاريف أتيام لهنّ خطوب
فواكبدني من حزن آل محمّد	ومن زفرات ما لهنّ طبيب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة	وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأنّ ثيابه	صبيغ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف إعوالم وللرمح رآنة	ولللخيل من بعد الصهيل نحيب
تزلزلت الدنيا لآل محمّد	وكان لها صمّ الجبال تذوب
وغابت نجوم واقشعرت كواكب	وهتك أشعار وثقّ جيوب
هم شفعايني يوم حشري وموقني	ويفضهم للشافعيّ ذنوب
نصّلني على المختار من آل هاشم	ونؤذي بنيه إنّ ذا لعجيب

(١) لم يذكر مرورهم في كربلاء والظاهر أنّه لا يقول به وإلا لما فاتته ذكره .

الفصل السادس

استشهد مع الحسين عليه السلام ثمانية عشر واحداً من أهل بيته؛ ستة لأُمير المؤمنين عليه السلام وهم: العباس وعبدالله ومحمد وأبو بكر وجعفر وعثمان. أبو بكر وجعفر وعثمان لأُمّ ولد، والعباس وعبدالله أُمّهما ليلي بنت مسعود الثقفي وأبوها من شجعان العرب وصناديدهم، ولما ولدت ليلي لأُمير المؤمنين عدداً من الأولاد سميت أُمّ البنين^(١).

وعليّ الأوسط وعبدالله الرضيع ولدا الحسين، وأبو بكر وعبدالله والقاسم أولاد الحسن، ومن هؤلاء الثلاثة القاسم وعبدالله لم يبلغا الحلم، ومحمد وعون ولدا عبدالله بن الطيّار بن أبي طالب من زينب أخت الحسين عليه السلام، وجعفر وعبد الرحمن ولدا عقيل، وعبدالله وأبو عبدالله ولدا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ومحمد بن سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وهؤلاء كلّهم دفنوا عند رجلي الحسين عليه السلام إلا العباس السقا الذي دفن على شاطئ المسناة حيث استشهد.

الفصل السابع

في خاتمة الكتاب الجلي

اعلم أنّ من كان له رسوخ في الدين أو ثبات في الاعتقاد أو حظّ من العقل أو

(١) فأين سيّدتنا فاطمة بنت حرام الكلبيّة عليها السلام التي استشهد أولادها الأربعة مع أخيهما الحسين في كربلاء وهي أُمّ العباس وعليّ أولادها الصلاة والسلام، ولم أر إجماعاً يخرقه مؤلف كهذا الإجماع الذي خرقه هذا المؤلف. فأُمّ البنين لا يكاد يجهلها أو يشكّ بوجودها أحد من الناس فما بال هذا الرجل!

تصديق بالقيامة أو الجنة والجحيم أو رجاء بالثواب أو خوف من العقاب أو معرفة بالتوحيد والعدل أو أدنى إرادة في أهل بيت العصمة والطهارة أو نصيب من الإسلام أو مطالعة للسير والتواريخ أو تعمق في معرفة الكتب أو أدنى توفيقاً من الله تعالى أو امتزجت دنيته ذاته بالإنصاف يعلم أن يزيد يستحق اللعنة وهو بريء من الإسلام كما أن الإسلام بريء منه، وهو خالد في العذاب الأبدي والعقاب السرمدى وهو مأواه، وعند الشيعة لعنه مستحب بل هو من الواجبات والفرائض كالصلاة والصيام المكتوبتين، ولكن هذا متعذر من أهل السنة وصعب عليهم لأن يزيد عندهم خليفة شرعي فهو ولي معاوية ومعاوية خليفة عمر وعثمان ونائب منابها ومتولي أمرها ومختارهما، وقد تمكّن وتسلّط من قبلها على خلق الله.

يقال: إن ملكاً من ملوك مازندران سأل علويّاً: أين استشهاد الحسين وأصحابه وأهل بيته؟ فقال العلوي: في كربلاء، فقال الملك: أيها العلوي، إن الحسين قُتل يوم السقيفة يوم بايعوا أبا بكر.

فقد روى المؤلف والمخالف عن ابن جرير الطبري في أحد تصانيفه: إن النبي صلى الله عليه وآله قال: لثلمة في الإسلام مخالفة علي بن أبي طالب.

ومما لا شك فيه أن تقدّم الشيوخ الثلاثة على العترة وتجراًهم على العترة وغضبهم لحقوقهم على النهج المذكور هو الذي جرّأ الفساق والكفار عليهم ووجد المنافقين الأفق مفتوحاً لنفاقهم وبقيت الشبهة عالقة بين الناس على قطب الضلالة وقال ضعفاء الإسلام: لو لم يكن هذا مرخصاً فيه لم يفعله أصحاب الصدر الأوّل من المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله يوم عريشه وهم يصغون إلى نزول القرآن ويفقهون تأويله من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهؤلاء لم يحصنوا بقوة علمية وخلفية فقهية يدفعون بها الشبهة عن أنفسهم ولم يكن لهم من معرفه القرآن حظ ولا من التصديق به ثمة وإلا لعلموا أن من آذى

أولاد الأوياء وظلمهم فقد وقع الظلم على الأنبياء والأولياء مثل قابيل الذي قتل هابيل أخاه من قبل الأب والأُمّ حسداً منه، وأولاد يعقوب حين رموا يوسف في غيابة الحبّ وباعوه كرتة أخرى بدراهم معدودة، ومثل ذلك كنعان بن نوح وسائر بني إسرائيل الذين ظلم بعضهم البعض الآخر، وامرأتا نوح ولوط اللتان كفرتا.

والضرورة قاضية بأنّ هذا الغدر والظلم ليس على أساس من الإنسانية أو القرابة الأخوة: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) فتبين أنّ هذا الظلم والقتل من أولاد المشركين الذين قضا أعمارهم في طاعة اللات والعزى وصار الشرك بالنسبة إليهم نظير العادة والحبلة، أمكن وأولى وأحرى لاسيّما وأنّ إسلامهم كان رهبة من سيف أمير المؤمنين أو رغبة في الخلافة والإمامة، كما وأنهم وصلوا في الدنيا إلى غاياتهم ﴿أَذْهَبْنَاهُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(٢) والمؤرّخون وجماعة ممّن خالطهم يعرفون هذا جيّداً منهم ولكن فئة منهم نشأوا في رتب الضلالة وثبتوا على ذلك كما نشأوا على حبّ التقليد من اتّباع طريقه الآباء والأجداد ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(٣) مع الانسياق وراء السواد الأعظم من الناس وهذا أيضاً علامة من الضلالة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَغَبْنَا كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَنِئْ أَكْثَرُكُمْ يُلْحَقْ كَارِهُونَ﴾^(٥)، أو أنّ الله تعالى خذهم لأنهم لم يعيشوا إلى نور العقل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ

(١) النساء: ٥٤.

(٢) الأحقاف: ٢٠.

(٣) الزخرف: ٢٢.

(٤) المائدة: ١٠٠.

(٥) الزخرف: ٧٨.

(٦) العنكبوت: ٦٩.

أَمْنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى^(١)، وهؤلاء يعلمون ويقرؤون ويسمعون ولكن لم يحالفهم التوفيق في الاعتقاد: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(٢)﴾.

وطائفة موقفة مطمئنة قلوبهم بذكر الله وصارت صدورهم مرآة تنعكس فيها الأشعة الربانية والأنوار الإلهية ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ^(٣)﴾ حيث غاصوا بأفكارهم في عمق المأساة مما جرى على آل الرسول من غضب الحقوق الدينية والدنيوية واستخرجوا بأيدي الأدلة العقلية الأعلاق النفيسة الغالية والجواهر الثمينة من أصداف الشرع.

وعمدت أولاً إلى وضع هذا الكتاب بألفاظ مشكلة وعويصة لا يفهمها إلا العالمون، ولما نظرت في هذا الهدف وجدت الإفادة منه نزرة قليلة والاستفادة ضئيلة.

ثانياً: رايت من الأصح أن أجنب هذه الخطّة فأجري تعديلاً جذرياً للكتاب فاستبدل الواضحات بالعويصات والمبيّنات بالمعضلات لتعم الفائدة دنيا العجم كلّها ويشيع الكتاب ويشتهر في أكناف العالم وأطرافه.

وأنفقت اثني عشر عاماً من عمري على جمعه بتأويل الدلائل واستخراج البراهين على شبهات الخصوم، ولم تقتصر هذه المدة عليه وحده بل حالفني الحظّ في أثناء تأليفه في هذا الزمن الطويل نسبياً أن أكتب كتباً غيره سرت في تأليفها إلى جانب تأليفه، منها نقض معالم فخر الدين الرازي وقد أكملت منه إلى هذا اليوم مجلداً واحداً بالعربية مع السعي المضني والجهد التام، وقد نقضته كلمة فكلمة،

(١) الكهف: ١٣.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) الزمر: ٢٢.

رحمكم الله وإيانا وجميع المؤمنين والمؤمنات .

قد تمّت هذه النسخة المسماة بـ«كامل البهائي في السقيفة» في سنة خمسة وسبعين وستّ مائة (٦٧٥) والحمد لله ربّ العالمين .

وفرغ من ترجمته إلى العربيّة محمّد شعاع فاخر في ليل التاسع من شهر شعبان من عام ١٤٢٦ هجريّة بعد صلاة المغرب والعشاء ، والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة على حبيبه المصطفى وآله ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على أعدائهم من الأولين والآخرين الذين جهلوا حقّهم ولم يستضيئوا بنورهم فضلّوا وأضلّوا .

المترجم : محمّد شعاع فاخر

فهرس المحتويات

الباب الثاني عشر: في فذك.....	٣
الفصل الأول في ردّ عمر بن عبد العزيز فذكاً إلى محمّد بن عليّ الباقر <small>عليه السلام</small>	٨
الفصل الثاني في أمور وضعها الخلفاء خلافاً لأمر المؤمنين وبني هاشم.....	٢٣
الفصل الثالث: في أنّ عليّاً لم يقدر على تبديل ما غيروا عن أصله لخوفه من أصحابه وترك محاربتهم.....	٢٤
الفصل الرابع.....	٣٦
الفصل الخامس.....	٣٧
الفصل السادس: في مثالب بني تيم.....	٣٩
الفصل السابع.....	٤٣
الفصل الثامن.....	٤٤
الفصل التاسع.....	٥٣
الباب الثالث عشر: في حالات الرسول <small>صلى الله عليه وآله</small> وما يتبعه.....	٥٦
الباب الرابع عشر: في الغار وصاحبه.....	٦٠
الباب الخامس عشر: في اختيار الإمام.....	٧٣
الباب السادس عشر: في صفات الإمام.....	٨٢
الباب السابع عشر: في إمامة أبي بكر على عهد رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	٩٦
الباب الثامن عشر: فوائد تليق بهذا الكتاب.....	١٠٢

١١٤	الباب التاسع عشر: في غلوهم في حب الصحابة
١٢١	الباب العشرون: في أسمائهم وصفاتهم
١٢٩	الباب الواحد والعشرون: في بعض فوائد كتاب الفتوح لأبي محمد أعثم الكوفي
١٤٠	الفصل الأول
١٤٣	الفصل الثاني
١٤٤	الفصل الثالث
١٤٦	الباب الثاني والعشرون: في موت الخلفاء وكيفيّة قتلهم عليهم ما يستحقّون
١٤٨	الفصل الأول: في قتل عمر بن الخطّاب
١٥٥	الفصل الثاني
١٥٨	الفصل الثالث: في خلافة عثمان
١٥٩	الباب الثالث والعشرون: في ذكر طرد عثمان (لعنه الله) أباذر الغفاريّ رحمة الله عليه
١٦١	فصل: في قتل عثمان بن عفّان
١٦٤	الفصل الثاني: في ذكر بعض أحوال أمير المؤمنين عليه السلام
١٦٦	الفصل الثالث: في قتل (شهادة) عليّ أمير المؤمنين عليه السلام
١٧٣	الباب الرابع والعشرون: في تعيين تاريخ أعمار الخلفاء الأربعة
١٧٣	الفصل الأول
١٧٥	الفصل الثاني
١٧٦	الفصل الثالث
١٧٦	الفصل الرابع
١٧٦	الفصل الخامس
١٧٨	الفصل السادس
١٨٠	الفصل السابع
١٨٢	الفصل الثامن: في أنّهما دفنا في موضع غضب

١٨٥	الفصل التاسع: في إسلام علي عليه السلام
١٨٩	الفصل العاشر
	الفصل الحادي عشر: في بيان جانب من الوقائع والمظالم التي أنزلوها في
١٩٦	آل الرسول صلى الله عليه وآله
٢٠١	الباب الخامس والعشرون: في ذكر عائشة وطلحة والزبير على طريق الإيجاز
	الفصل الأول: في بداية وقوع المحاربة بين أمير المؤمنين وبين الناكثين طلحة والزبير
٢١٥	وعائشة
٢٢١	الفصل الثاني
٢٢٩	الفصل الثالث: في بعض قصة معاوية ويزيد
٢٣٦	الفصل الرابع: في أن بني أمية لم يكونوا من قريش
٢٣٨	الفصل الخامس
	الفصل السادس: في فوائد ونكات وردت في كتاب مثالب بني أمية من كلام الشيخ الزاهد
	الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن علي السمان وهو من علماء أهل السنة، فنكتب ما هو من خلاصة
٢٤٠	كتابه ونوادره
٢٥٨	الباب السادس والعشرون: في عداد الأشرار من بني أمية
٢٦٠	الفصل الأول
	الباب السابع والعشرون: في أحوال معاوية بن مسافر الذي اشتهر بين الناس بمعاوية بن أبي سفيان
٢٦٣	بن حرب
٢٦٣	الفصل الأول: في ولادته
٢٦٥	الفصل الثاني: في ذكر الفرق الذين يختلفون فيه
٢٦٦	الفصل الثالث: في الآيات التي تدل على أن معاوية واجب اللعن
٢٧١	الفصل الرابع: في الأخبار التي تدل على أن معاوية ملعون
٢٧٧	الفصل الخامس: في ذكر الأصحاب الذين لم يشهدوا حرب صفين

٢٩١	الفصل السادس: في إقرار أهل البغي بغيهم
٢٩٥	الفصل السابع: في البدع التي أحدثها معاوية
٣١٠	الفصل الثامن
٣١٢	الفصل التاسع: في أنَّ معاوية أوَّل من زوَّر الكتب في الإسلام
٣١٩	الفصل العاشر: في إظهار إسلام معاوية
٣٢٤	الفصل الحادي عشر
٣٢٥	الفصل الثاني عشر: في خطبة ضرطة معاوية
٣٢٦	الفصل الثالث عشر: جلبي في اشتقاق اسمه
٣٢٧	الفصل الرابع عشر: الجلبي في وفات معاوية
٣٢٨	الفصل الخامس عشر: في سَمِّ معاوية الحسن <small>عليه السلام</small>
٣٣٥	الفصل السادس عشر: قتل معاوية عائشة
٣٣٦	الفصل السابع عشر: في يزيد اللعين وقته للحسين <small>عليه السلام</small> وأصحابه
٣٣٨	الفصل الثامن عشر: الجلبي في أهل الكوفة ودعوتهم للحسين <small>عليه السلام</small>
٣٤٣	الباب الثامن والعشرون: في خروج الحسين <small>عليه السلام</small> من مكَّة
٣٤٥	الفصل الأوَّل: في نزول الحسين <small>عليه السلام</small> بكر بلاء
٣٤٩	الفصل الثاني: في صفة الحرب
٣٥٢	الفصل الثالث: في توبة الحرَّ بن يزيد الرياحي رحمة الله عليه
٣٥٢	الفصل الرابع: الجنبي في مبدأ القتال إلى آخره
٣٥٦	الفصل الخامس: الجلبي في أحوال رؤوسهم
٣٧٢	الفصل السادس
٣٧٢	الفصل السابع: في خاتمة الكتاب الجلبي